الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العـــالي والبـــحث العلمـــي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

القيم الروحية في النصوص المقدسة بين التوراة والقرآن الكريم

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل-م-د

تخصص: مقارنة الأديان

إنجاز الطالبة:

خديجة جوادة

إشراف الأستاذ الدكتور:

فاتح حليمي

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د.آسيا شكيرب	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	رئيسا
أ.د فاتح حليمي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	مشرفا ومقررا
د/يوسف العايب	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا
أ.د.العربي بن الشيخ	أستاذ	جامعة الحاج لخضر –باتنة1	عضوا
أ.د.نعيمة دريس	أستاذ	المدرسة العليا للأساتذة– قسنطينة	عضوا

السنـــــة الجـــــامعيـــة: 2020/2019 - 1441/1440هـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

اذا كان الاهداء يعبر ولو بجزء من الوفاء

فهو الى...

معلم البشرية ومنبع العلو نبينا محمد ﷺ

إلى اليد الطاهرة التي أزالت من أمامنا أشواك الطريق ورسمت المستقبل بخطوط من الأمل والثقة ...إلى الذي لا تفيه الكلمات والشكر والعرفان بالجميل مثل الابوة الاعلى...

والدي العزيز "السعيد"

إلى من ركع العطاء أمام قدميها... وأعطتنا من دمها وروحها وعمرها حبا وتضحيا

ودفعا لغدٍ أجمل ...إلى الغالية التي لا نرى الأمل إلا من عينيها ... الى حبيبة قلبي

الاولى...أمي الحنونة "فاطمة"

إلى سند الحياة اخوتي واخواتي

الرزقي، نعيمة، جمال، ناصر، نصيرة، رياض، الوبزة، عبد الحق

إلى أزهار النرجس التي تفيض حباً وطفولةً ونقاءً وعطراً ملائكة البيت الكبير وصغاره:

أنمار، روان، غيداء، أم الخير، أكرم، يونس، سجود.

إلى كل صديقاتي اللاتي تسكن صورهن وأصواتهن أجمل اللحظات والأيام التي عشتها...وأخص بالذكر: نبيلة، كنزة، خديجة، نظيرة، فوزية، خليدة، سليمة، زهرة، سلمى، ربيعة، صونيا، فطيمة.

إلى كل الاهل

الــى من مهدوا الطريق امامي في درب العلم

إلى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل

اهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السموات والأرض، أن يسر لي إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن يرضى به عني.

وأتقدم بالشكر لأهلي وعائلتي كبيرهم وصغيرهم وخاصة **والدي العزيزين** اللذين وفرا لي أجواء وإمكانيات الدراسة والتعلم وإتمام هذا البحث.

ثم أتوجه بالشكر إلى من كان نعم الأستاذ والمعلم و والأب والناصح المشرف **الأستاذ الدكتور الفاضل: فائح حليمي**، الذي له الفضل- بعد الله تعالى- في إخراج هذا البحث، منذ أن كان فكرة إلى أن صار رسالة وبحثا. فله مني الشكر كله والتقدير والعرفان.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الفضلاء في قسم العقيدة مقارنة الأديان في كلية أصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية على كل حرف علموني إياه، وتوجيهي وتشجيعي فلهم مني كل التقدير والاحترام.

أتقدم بالشكر العرفان لكل القائمين على هذه الجامعة العامرة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة عمالا وإداريين وأساتذة وطلبة، فيها اخترت درب العلم سبيلا، وتعلمت في رحابها المثابرة والاجتهاد، وتعلمت فيها الكثير الكثير.

وأتقدم بشكري الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم علي بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتقويم عوجها وتهذيب نتوآتها والإبانة عن مواطن القصور فيها، سائلة الله الكريم أن يثيبهم عني خيرا.

كما أشكر جميع الإخوة القائمين على المكتبات التي تزودت منها مادة هذا البحث ولاسيما المكتبة المركزية أحمد عروة، ومكتبة الشيوخ التي كتبت في رحابها وبين رفوفها وميراث شيوخها هذا البحث، وأخص بالذكر القائمة عليها الأخت والصديقة: **نظيرة**.

وأشكر كل من ساعدني وأعانني على إنجاز هذا البحث، فلهم في النفس منزلة وإن لم المقام يسعف لذكرهم، فهم أهل للفضل والخير والشكر

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد الله سبحانه وتعالى، وأصلي وأسلم على نبيه محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي جعله الله على خلق عظيم، وبعثه للبشرية رحمة مهداة... وبعد:

تتجاوز النصوص الدينية المقدسة في محتواها الأبعاد الدينية والعقدية والتعبدية، حيث تشمل كذلك تراثا تاريخيا وثقافيا واجتماعيا، وترى فيها الجماعات المؤمنة بها دليلا روحيا وأخلاقيا وعمليا في الحياة اليومية، كما تعّد ذخرا تاريخيا وحضاريا يمكن أن تجرى عليه عديد الأبحاث والدراسات التحليلية والنقدية التي تستخلص مضامين النصوص وروحها وجوهرها الديني والتعبدي والأخلاقي والقيمي والاجتماعي والحضاري.

يأتي موضوع بحثنا الموسوم بـ" القيم الروحية في النصوص المقدسة بين التوراة والقرآن الكريم" والذي يتمحور حول القيم الروحية المبثوثة في النصوص المقدسة التوراة والقرآن الكريم، كما ينطلق من محور القيم الذي يعّد واحدا من بين أهم المباحث الفلسفية التي تطورت واشتغل بها الفكر الانساني عبر التاريخ انطلاقا من الحضارات الشرقية القديمة مرورا بالعهد الهيليني فالهيلينستي، ثم العصر الوسيط، فعصر النهضة وصولا إلى الفترة الحديثة والمعاصرة، وازداد الحديث عنها اليوم نظرا لزمن النظريات النسبية والمتغيرات المتسارعة، والتقدم المادي والتقني المذهل، كونها تعبّر عن المبادئ والثوابت المطلقة والمجردة التي يحتكم إليها العقل البشري.

كما تحمل القيم في العلوم الانسانية دلالة عميقة إيجابية الطابع والارتقاء والرفعة، ومرتبطة بجذور الفطرة الانسانية ولذلك فان استحسانها غالبا ما يكون عفويا ومناشدتها بغير دافع أو اجبار، ولذا فإن القيم الروحية التي نحن بصدد دراستها ترتبط بالجانب الروحي للإنسان، وهي ضدّ القيم المادية، فالإنسان صاحب التركيبة والطبيعة المزدوجة الروحية والجسدية، يعّد الكائن الوحيد الذي ينفرد بالأخلاق، وفي حالة فقدانه للصفات الأخلاقية يفقد صفة الانسانية ويصبح كبقية الكائنات الأخرى، فلبناء الإنسان يجب مراعاة كل الجوانب الجسمية والعقلية والروحية الأخلاقية، وإذا ما تقدم جانب وتأخر آخر أحدث اختلالا في التوازن الطبيعي في حياة الإنسان، ويؤدي إلى ضياع الروح الأخلاقية وهدم طبيعة البناء الاجتماعي والحضاري الإنساني.

وإنّ ربطي من خلال هذه الدراسة بين محور النصوص المقدسة والتي أحددها بالتوراة (أسفار موسى الخمسة) وبين نص القرآن الكريم، يجمع بين ما هو مرغوب ويوافق الفطرة الإنسانية وكل ما هو مستحسن، في إطار قدسية النصوص التي تنبثق منها وتحكمها، كما تجمع بين روحيتها المرتبطة بالنفس البشرية وبين ترجمتها فكرا وقولا وفعلا، وبين تتبع صداها وأثرها داخليا وخارجيا، وبين العلاقة الوثقى بين القيم والمصادر الدينية المقدسة.

أهمية الدراسة:

- ترتكز الأديان على ثلاث جوانب مهمة؛ العقائد والتشريعات والأخلاق، فإنّ هذا البحث يهتم بالجانب الروحي في الديانتين اليهودية والإسلام، من خلال تناول محور القيم وهو مجال له علاقة وثيقة بالجانب الأخلاقي في الأديان، من خلال استقراء وتحليل النصوص الدينية المقدسة في اليهودية والإسلام.

- تتمحور هذه الدراسة حول النصين الدينيين المقدسين للديانتين اليهودية والإسلام (التوراة والقرآن الكريم) وهما يمثلان مركز الديانتين وأساسها، ولكن هذا البحث كان انتقائيا للنصوص التي نستمد منها القيم الروحية التي تؤسس لها هذه النصوص، مع ربطها بالجانب النفسي والاجتماعي والأخلاقي والسلوكي للفرد اليهودي أو المسلم على حدّ سواء.

- الجانب التطبيقي التي تحاول أن تؤسس له هذه الدراسة في الديانتين اليهودية والإسلام، فالقيم الروحية تعّد المبادئ التي تستقر في نفس المؤمن بهذه النصوص، لتظهر في حياته التعاملية والأخلاقية والسلوكية سواء داخل مجتمعه، أو مع المخالف له في الدين والعقيدة، وهذا ما يخرج النصوص الدينية من جانبها النظري إلى جانبها التطبيقي، والقيم والأخلاق هي الرابط بين الطرفين.

- الدراسة مرتبطة بمحور القيم، الذي أضحى له أهمية كبيرة في الدراسات الفلسفية وقد أخذت دراسة القيم حيزا مهما في الدراسات والبحوث منذ القديم، كما لم تكتفي دراستنا بالجانب التعريفي والفلسفي في تناولنا للقيم بل ربطه بمختلف الأبعاد الدينية والنفسية والاجتماعية والسلوكية والأخلاقية.

إشكالية الدراسة:

تنطلق إشكالية هذا البحث من استقراء النصوص الدينية المقدسة واستخلاص القيم الروحية التي تتضمنها هذه النصوص سواء اليهودية والإسلامية؛ وهما التوراة ممثلة في أسفار موسى الخمسة، والقرآن الكريم، وتحليل هذه القيم الروحية وربطها بالنفس البشرية، من الجانب الروحي والإيماني والديني، ثم تحليل الرابط بينها وبين الجانب الأخلاقي، كون القيم الروحية لها امتداد أخلاقي يظهر في سلوكات الفرد وتعاملاته مع غيره سواء كان داخل مجتمع مع من يوافقه في الدين والعقيدة أو مع من يخالفه سواء كانت إيجابية أو سلبية، ومن هنا تنبثق الإشكالية التي نوّد من خلال هذه الدراسة تفصيل جزئياتها والإجابة عن تساؤلاتها والتي يطرح جوهرها السؤال الرئيس التالي:

- هل تتضمن النصوص المقدسة التوراة والقرآن الكريم قيما روحية؟ وما هي طبيعتها؟ وما مضمونها؟ وكيف شكلت هذه القيم الروحية نظاما روحيا وأخلاقيا في الديانتين اليهودية والإسلامية؟
- انطلاقا من الإشكالية التي تمّ تحديدها، تتفرع عنها جملة من التساؤلات التي تفرضها الضرورة العملية والمنهجية، والتي لا محالة ستكون مفتاحا للوصول إلى تقديم إجابة شافية عنها.
- ما ماهية القيم الروحية؟
- هل تضمنت النصوص الدينية المقدسة – التوراة والقرآن الكريم– قيما روحية شخصية ترتبط بالنفس البشرية؟
- كيف انعكست القيم الروحية على الجانب الأخلاقي والسلوكي في تحديد تعامل الفرد اليهودي والمسلم في المجتمع داخليا وخارجيا من خلال التوراة والقرآن الكريم؟
- ما هي خصائص ومميزات القيم الروحية التوراتية والقيم الروحية القرآنية؟ وما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه القيم والقوانين الدولية المعاصرة؟
- كيف أثر الخطاب القيمي في كل من التوراة والقرآن الكريم على المجتمعات اليهودية أو الإسلامية عبر التاريخ؟

دواعي اختيار الموضوع: تختلف أسباب ودواعي الخوض في هذا الموضوع إلى نوعين من الأسباب:

أ. أسباب ذاتية:

– يأتي هذا البحث أولا في إطار تخصصي مقارنة الأديان، وهو يعالج جزءا هاما من هذا العلم، وهو جانب الحياة الروحية في الأديان، أمّا اختيار الديانة اليهودية ودراسة قضايا الفكر اليهودي ديانة وتاريخا ومعتقدا وسلوكا وأخلاقا فهو من صميم اهتماماتي العلمية والبحثية كما أردت من خلال هذه الدراسة الابتعاد عن البحوث التاريخية والعقدية في الديانة اليهودية، فتطلعت إلى بحث يربط هاذين الجانبين – التاريخي والعقدي– بالجانب الروحي الإنساني، والأخلاقي في نصوص التوراة.

ب. أسباب موضوعية:

– تمثل القيم المشترك الإنساني الذي تنشده الإنسانية لتحقيق التعايش والسلم، ولذا أضحت الدراسات الإكسيولوجية محط تحليل ودراسة من قبل الباحثين والدارسين خاصة في مجال الفكر

والفلسفة، ولكن نظرا لارتباطها بالمجال الديني من جهة أخرى كان لا بدّ لأهل التخصص أن ينبروا بدراسة القيم، لما له من إضافة علمية متخصصة.

– إنّ الحياة الإنسانية ترتكز على جانبين اثنين هما الجانب المادي والجانب الروحي، وتتولد انطلاقا من هاذين الجانبين مذاهب فكرية تنوعت بين من تدعو إلى تغليب الجوانب المادية وإنكار الجانب الروحي تحقيقا لرقي الحياة الإنسانية، ومذاهب أخرى دعت إلى الجانب الروحي وأوغلت فيه، فكان من أسباب الخوض في هذه الدراسة معرفة مدى الاختلاف والجدل القائم بين المادية والروحية في كل من اليهودية والإسلام، انطلاقا من التوراة والقرن الكريم.

– إنّ طبيعة العلاقة بين الديانتين اليهودية والإسلام في عالمنا المعاصر هي علاقة توتر وصدام، تتطلب التوجه إلى جذور هذه العلاقة وسببها من خلال تحليل القيم والمبادئ التي تُبنى عليها الشخصية اليهودية أو الإسلامية على حدّ سواء، وبما أنّ ارتباط اليهود والمسلمين بنصوصهم المقدسة كبير جدا – بل تعّد محور حياتهم وتوجهاتهم– كانت النصوص المقدسة التوراة والقرآن الكريم، مصدر القيم وموجه للحياة اليهودية أو الإسلامية عبر التاريخ، وإلى يومنا الحاضر.

أهداف الدراسة: ترنو هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

– إبراز أهمية الجانب القيمي والأخلاقي في الدراسات الدينية المقارنة، خاصة وأنه يستند إلى النصوص المقدسة في كل من اليهودية والإسلام، وأنّ القيم والأخلاق هي الثمرة الظاهرة والخارجية للجانب العقدي والإيماني والتشريعي في الأديان.

– فهم نصوص التوراة ومكانة القيم الروحية في تكوين الوعي النفسي الحياتي والاجتماعي لدى الجماعات اليهودية عبر التاريخ، ومحاولة كشف مدى ارتباط المجتمع اليهودي بالقيم الروحية المنبثقة من المصادر اليهودية ومحاولة تفعيلها في مختلف مجالات الحياة.

– التعرف على مدى اسهام القيم الروحية في بناء الشخصية اليهودية والإسلامية عقديا وفكريا وسلوكيا، ودراسة الدوافع المحركة لها والتي أصبحت سمة من سماتها عبر التاريخ.

– فهم حقيقة القيم التي جاء بها القرآن الكريم في جانبها الروحي، ومعرفة مدى تأثير هذه القيم الروحية وفاعليتها.

– الربط بين الأسس العقدية والأحكام الشرعية وأبعادهما الروحية في كل من الديانتين اليهودية والإسلام.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي لم أعثر على دراسة تتطابق مع موضوع بحثي الموسوم بـ "**القيم الروحية في النصوص المقدسة بين التوراة والقرآن الكريم**" بهذا الضبط والتحديد العلمي والمنهجي، ولكن في المقابل توجد بعض الدراسات التي تناولت نصوص التوراة والقرآن الكريم بالدراسة والتحليل والمقارنة في مسائل متعددة، لكنها لم تتناول جانب القيم الروحية تحديدا، كما نجد بعض التي تناولت أجزاء من هذا البحث، لأنّ دراستي تجمع العديد من القيم الروحية التي خصصتها بالدراسة، ولكن أن تلتقي كل هذه القيم في دراسة موحدة، وفي دراسة مقارنة بين التوراة والقرآن الكريم لم أجد مثيلتها في حدود اطلاعي، وهنا أريد الإشارة إلى أهم الدراسات التي اطلعت عليها ولها ارتباط بموضوع البحث:

- "**القيم الأخلاقية في قوانين التوراة (دراسة مقارنة في ضوء نظرية مصادر التوراة والقرآن الكريم)**"رسالة ماجستير من إعداد "منى علي السعدي"، وهي دراسة مقارنة للقيم الأخلاقية بين التوراة والقرآن الكريم، في ضوء نظرية المصادر، وركزت على القيم الأخلاقية حسب المجموعات القانونية في التوراة (مجموعة قوانين سفر العهد وقانون القداسة والقانون التثنوي).

- "**البعد الأخلاقي في أسفار العهد القديم –دراسة تحليلية مصدرية نقدية**" رسالة الماجستير من إعداد "نهى عيد عبد المنعم عيد" وقد حاولت الباحثة تقديم البعد الأخلاقي في مجموعة من القصص العهد القديم بمنهج تحليلي يعتمد على نصوص العهد القديم وشروحاتها، ولكنها دراسة لم تعتمد التصنيف العلمي للقيم الأخلاقية المذكورة، كما لم تكن دراسة تحليلية وتفسيرية للنصوص، بقدر ما كانت دراسة وصفية وسردية للنصوص التوراتية التي ترتبط بقيمة أخلاقية معينة.

المصادر الأساسية للدراسة:

إنّ طبيعة البحث قادتني إلى الاعتماد بشكل أساسي على المصدرين المقدسين الأساسيين في كل من اليهودية والإسلام وهما التوراة أي أسفار موسى الخمسة، والمصدر المقدس الإسلامي القرآن الكريم، باعتبارهما المرجع الأول للدراسة ككل، ثم اعتماد مجموعة مختلفة من التفاسير والشروحات على كلا النصين المقدسين، سواء تفاسير التوراة وشروحاتها أو تفاسير القرآن الكريم.

كما استعنت في هذه الدراسة بعديد المصادر اليهودية، وإن لم تكن كتبا تفسيرية للتوراة، ولكنها تعّد من أمهات الكتب اليهودية ككتاب موسى بن ميمون "**دلالة الحائرين**"، والعودة إلى بعض مؤلفات الباحثين المسلمين المتخصصين في الدراسات اليهودية، وأبرزهم: حسن ظاظا في كتابه

"**الشخصية الإسرائيلية**"، ورشاد الشامي في كتبه "**الشخصية اليهودية في إطار الجيتوية الإسرائيلية**" وكتاب "**الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام**" وقد كانت هذه الدراسات تركز على الجانب الأخلاقي في الشخصية اليهودية وشرح النصوص التوراتية المؤسسة لهذه الأحكام التوراتية والأخلاقية، مما أعانني في الشرح والتفسير والتصنيف واستنباط هذه القيم.

منهج الدراسة:

للإجابة الموضوعية عن هذه التساؤلات المطروحة في إشكالية البحث، فإنّ موضوع البحث جرت معالجته وفق أسلوب التكامل المنهجي الذي يسمح باستخدام أكثر من منهج للوصول إلى الحقيقة التي نبحث عنها، باعتماد المنهج الرئيسي للدراسة وهو **المنهج المقارن** نظرا لطبيعة الموضوع، والضرورة العلمية والمنهجية وقد كان المنهج المقارن الذي وظفته مصاحبا **للمنهج التحليلي والاستقرائي**، فكانت المقارنة تختص بكل قيمة أتناولها بالشرح والتحليل، كما ابتعدت عن الطريقة التقليدية في المقارنة التي تناول جملة القيم في التوراة، ثم جملة القيم الروحية في القرآن الكريم ليأتي فصل للمقارنة، بل كان المنهج المقارن مصاحبا لتناول كل قيمة على حدى، ثم أفضي في النهاية إلى تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف بين المفاهيم التي تقدمها كل من التوراة والقرآن الكريم للقيم الروحية المدروسة.

صعوبات الدراسة:

لكل عمل صعوباته التي تختص به، ومن بين الصعوبات التي واجهتني صعوبة تحديد جزئيات البحث، خاصة وأن المجال هو القيم الروحية الذي يبدو للوهلة الأولى مجالا واسعا يصعب تحديده وضبط حدود البحث وأهم جزئياته.

كما صعب علي الوصول إلى مصادر مهمة يتطلبها البحث، وفي مقدمتها المصادر اليهودية وخاصة التفسيرية للتوراة، وهو ما صعّب علي تفسير النصوص التوراتية من منظور يهودي، مع عائق اللغة العبرية التي يجب إتقانها للتعامل مع هذه المصادر إن توفرت.

محتويات الدراسة:

للإجابة المتكاملة على إشكالية البحث، ارتأيت أن أقسم البحث إلى خمسة فصول، وهي كما يلي:

الفصل التمهيدي مخصص **لضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم** وهو يعّد مدخلا عاما للبحث أتناول فيه ضبط مفهوم القيم الروحية، والنصوص المقدسة، وكذا نظرة عامة تاريخية استقرائية للقيم الروحية في الحضارات والديانات السابقة.

أمّا **الفصل الأول** فجاء تحت عنوان **القيم الروحية الفردية بين التوراة والقرآن الكريم**، وهو أول تصنيف للقيم التي سوف نتناولها بالدراسة وأولها القيم الروحية الفردية أو الشخصية التي تختص بالنفس البشرية.

في حين نجد الفصلين الثاني والثالث يحتويان تقسيما لقيم الروحية التعاملية الأول داخليا والثاني مع الآخر المخالف في العقيدة والدين، **فالفصل الثاني** جاء بعنوان **"القيم الروحية التعاملية داخليا بين التوراة والقرآن الكريم"**، أمّا **الفصل الثالث** فمخصص للحالة الثانية في العلاقات التعاملية، وهي مع الآخر المخالف في الانتماء الديني والثقافي والاجتماعي، وجاء تحت عنوان: **"القيم الروحية التعاملية مع الآخر خارجيا بين التوراة والقرآن الكريم"**،

ويأتي **الفصل الرابع** ليكون فصلا استنتاجيا بعد الفصول التحليلية والمقارنة السابقة تحت عنوان: **"خصائص وفاعلية القيم الروحية بين التوراة والقرآن الكريم"** أحدد فيه جملة الخصائص التي يمكن إجمالها للقيم الروحية التوراتية من جهة، وكذا القيم الروحية القرآنية من جهة أخرى، كما يتناول عقد مقارنة بين القيم الروحية التي تقدمها التوراة وكذا القرآن الكريم مع القوانين والمواثيق الدولية المعترف بها عالميا، وفي ختام الفصل ندرج مبحثا للأثر وفاعلية الخطاب القيمي الذي تقدمه هذه النصوص المقدسة لدى المؤمنين بها، ورصد أثرها في تاريخ هذه الشعوب والمجتمعات.

وأخيرا تخلص الدراسة إلى **الخاتمة** التي أبين فيها مختلف النتائج التي توصلت إليها، كما أدرج ضمنها مجموعة من التوصيات التي أقدمها لمواصلة البحث والدراسة ضمن محور القيم والنصوص الدينية المقدسة، وتقديم بحوث متخصصة في الدراسات اليهودية.

والله ولي التوفيق.

فصل تمهيدي:

ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

يعّد مبحث القيم من أهم المحاور الفلسفية والفكرية، التي تنطلق من مسلمات منطقية تؤسس لها النصوص الإلهية أو الوضعية، لتصل إلى إلزام أتباعها بجملة من المبادئ، تسيّر حياتهم وتضبط سلوكاتهم، خاصّة تلك المنبثقة من نصوص مقدسة ذات دلالة دينية، وتحظى بالقبول والاعتراف لدى الجميع، فيكون المؤمن بها، ملزما بتطبيقها والسير على نهجها.

وبناء على هذا يستلزم المنهج العلمي أن نتناول في الفصل التمهيدي من البحث مفهوم القيم بالتحليل الدقيق، وينتقل إلى ضبط مفهوم القيم الروحية، ثم سنعرج على تقديم نظرة على كل من النصوص المقدسة التي خصصناها بالدراسة، وهي أسفار موسى الخمسة، التي تدعى بالتوراة ومكانتها المقدسة في الديانة اليهودية وعند أتباعها، وكذا القرآن الكريم النص المقدس في الإسلام، بالإضافة إلى أننا سنتناول بنوع من الإيجاز جملة القيم الروحية التي تناولتها أهم المدونات في الديانات والحضارات التي سبقت اليهودية والإسلام.

المبحث الأول: مفهوم القيم الروحية.

I. مفهوم القيم.

1- المفهوم اللغوي للقيمة.

أ- في اللغة العربية.

تشتق كلمة "القيم" في معاجم اللغة العربية من الفعل قام، وقوّم الشيء أي "استقام واعتدل، وقوّمته أي عدّلته، فهو قويم ومستقيم"[1]، وجاء في معجم متن اللغة، معنى "قام وقياماً، و قوماً، وقوْمةً، وقامةً"، بمعنى انتصّب، وعزَم، و قام يفعل أي: طفق، وأمّا قولنا: قام الرجل أهله وغيرهم، وقام على أهله، فهذا بمعنى: "أصلح أمرهم وكذلك حافظ عليهم كافلا لهم، فهو قوّام عليهم"، كما يرد الفعل قوّم الشيء بمعنى جعله يستقيم ويعتدل، وقوّم السلعة: قدّر ثمنها وسعّره[2].

أمّا إذا ارتبط معنى الفعل باستقامة الأمر فهو بمعنى الاستواء والاعتدال، واستقام الرجل: لزم المنهج القويم، واستقام على طريقته: دام وثبت، أمّا معنى القَيِّم فهو المستقيم لا زيغ فيه، السيّد السائس للأمر، والقيِّم على المرأة أي زوجها. فمعنى القويم: المعتدل المستقيم، الحسن القامة. كما يرد المفهوم اللغوي لقِيمة للشيء بمعنى ثمنه بالتقويم[3]، فمعاني الفعل قام، وما اشتق منه من مفاهيم ومعاني بحسب وروده في السياق، تجتمع أغلبها حول الاستقامة والاعتدال، والاستواء.

يؤكد هذا ما ورد في معجم لسان العرب، أنّ من مشتقات الفعل "قام" الاستقامة والتي نقصد بها الاعتدال، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[4]، أي الاستقامة لله بالطاعة، والتوجه إليه بالرغبة والعبادة دون الآلهة الأخرى[5]، وقد ورد في تاج العروس معاني لكلمة "قيّم" بحسب الموضوع الذي ترتبط به، فقولنا: أمر قيّم: أي مستقيم، وأمّا خلق قيّم: أي حسن، ودين قيّم: مستقيم لا زيغ فيه، وكتب قيّمة: مستقيمة تبيّن الحق من الباطل[6]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[7]، أراد الملّة

---

[1]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط3، 1980م، ج 4، ص 166.

[2]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، 1960م، ج 4، ص 684.

[3]- المرجع نفسه، ج 4، ص 684- 685.

[4] - فصلت: 6

[5] - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج12، ص498.

[6]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2000، ج 33، ص 319

[7]- البيّنة: 5.

الحنيفية، وكتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ، لأنها من عند الله، وهو الدين القيّم[1]، وبذلك نلاحظ أنّ المعاني اللغوية للقيمة في معاجم اللغة العربية تدور حول الاستقامة والاعتدال، والتزام الطريق المستقيم والنهج السوي، أمّا إذا ارتبط المعنى بصيغته الاقتصادية فيقصد به تقويم السلع وتثمينها.

ب- في اللغة العبرية:

ورد في معاجم اللغة العبرية، معنى "القيمة " أي"מחיר" (محير)، ويقصد بها السعر والثمن[2]، وبهذا فهي تأخذ جانبا محدودا من معناها الواسع في معاجم اللغة العربية.

ت- في المعاجم الغربية:

يعرّف مصطلح القيمة"value"، في المعاجم الغربية، فيرد إلى الأصل اللاتيني للفعل الذي يدل على معناها "valeur "، الذي يحمل معنى: "أنني قوي" "وإنني بصحة جيّدة"، ثم اتخذ الفعل معنا أوسع، وهو أن يكون الإنسان بالفعل ناجحا ومتكيفا، أمّا في اللغة الفرنسية والانجليزية والألمانية، فما تزال كلمة القيمة تحتفظ بشيء من معناها اللاتيني، فلفظة قيمة في الاستعمال اليومي تدل على البسالة والشجاعة[3]، أمّا نظرية القيم فقد كانت إلى وقت قريب مبعدة من حقول الدراسة، الدراسة، وخاصة الدراسات الفلسفية[4].

يطلق لفظ القيمة على قيمة الشيء بالنظر إلى سعره أو ثمنه، فمن الناحية الاقتصادية يفرق بين قيمة التبادل وقيمة الاستخدام، فقيمة الاستخدام توضح أنّ ترتيب السلع يعتمد على الاستخدامات التي تلبي الاحتياجات الفردية، أمّا قيمة التبادل توضح أنّ ترتيب البضاعة يعتمد على نسبة تبادل هذه السلع[5]، وهنا تحدد قيمتها وأهميتها، أمّ في الجانب الفلسفي والأخلاقي فإنّ كلمة قيمة تطلق على الشيء والكائن المفيد والمهم، أمّا القيم فنقصد بها المبادئ والأخلاق العالية[6].

مما سبق يتبيّن لنا أنّ معاني "القيم" في معاجم اللغات المختلفة التي تطرقنا إليها، تدور حول المعاني الأساسية التالية:

---

[1] – ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ج 24، ص 541.

[2] – ربحي كمال: المعجم الحديث عبري – عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص 257

[3] – ريمون رويه: فلسفة القيم، ترجمة : عادل العوا، مطبعة دمشق ، د ط، 1960م، نقلا عن: عادل العوّا : العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات، دمشق، سوريا، ط1، 1986م، ص 270.

[4] - La grand Encyclopédie : librairie Larousse, Larousse,Parie ,France, 1976 ,p 12397 .

[5] - La grand Encyclopédie, librairie Larousse, p 12397 .

[6] - Oxford: Learner's Pocket Dictionary, Oxford University Press, 4th Edition, P 490.

- المعنى الاقتصادي للقيمة للدلالة على السعر والثمن
- للدلالة على الاستقامة والاعتدال.
- معاني الشجاعة والبسالة.

2- المفهوم الاصطلاحي للقيمة.

تناول الباحثون مفهوم القيمة بطرق مختلفة، كل حسب تخصصه وميدانه، بحكم مرونة المصطلح وانتقاله في شتى المجالات، ولهذا فإنّ المفهوم الاصطلاحي للقيمة كان من الصعب ضبطه وتحديده، خاصة فيما يخدم موضوع بحثنا، ويرجع هذا لاختلاف وتباين المذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية التي استعملت المصطلح.

فمصطلح يستخدم "القيمة" في العديد من المجالات المتخصصة، في الرياضيات والاقتصاد والفلسفة، ولا يغطي مصطلح قيمة نفس المعنى، ومع ذلك يمكننا القول في المقام الأول أن لديه قواسم مشتركة في الاستخدامات المختلفة[1]، فقد امتّد مصطلح القيم، من المجال الفلسفي إلى مختلف العلوم، منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وأصبحت القيم من بين أهم مفاهيمها الجوهرية، كما أنها مست أغلب العلاقات الإنسانية وأضحت تشكل ضرورة اجتماعية، تغلغلت في البُنى الفكرية للفرد على شكل اتجاهات وميولات ورغبات ودوافع وتطلعات، تترجم على السلوك الظاهري[2]، لتعبّر القيمة عن قدر الشيء وما يساويه سواء كان ماديا أو معنويا، وتتحدد القيمة في وعي المجتمع أو الفرد حسب أهمية الشيء المادي أو الفكرة المعنوية، وما تحققه من نفع وسعادة، وقد لا تكون قابلة للتحديد أو القياس، باعتبار أنها تشمل جميع المثل العليا والأفكار وموضوعات الوعي الإنساني، و تكون محل تقدير واهتمام بين الناس[3]، وهذا ما يكسبها أهمية ومكانة لما تعود به من فائدة على الفرد والمجتمع.

لتحليل أوسع للمفاهيم الاصطلاحية للقيمة، التي تنوعت مجالات التي تناولتها بالدراسة ودلالات كل ميدان، فبداية كان مفهوم القيمة من الناحية الاقتصادية شائع الاستعمال ويمثل حسب تأكيدات أغلب الباحثين المنطلق الأول لهذه اللفظة تحديدا ولا يزال متداولا في مصطلحات الاقتصاد

---

[1] - DE LASTIC Adélaïde :" Une approche philosophique du sens des valeurs. Se transformer soi-même pour transformer le monde ?", Institut Jean Nicod, Paris, France, P 3.

[2] - فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية- مع بحث ميدان لبعض العادات الاجتماعية-، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص 16.

[3] - سامي خشبة: مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، د ط، 1997م، ص 190.

المعاصر، قبل أن ينتقل إلى مجالات أخرى، ذلك أننا نجد القيمة تعبر عن صفة أو سمّة مميّزة للأشياء تجعل منها قابلة للتبادل، بين أطراف جماعة معينة، وفي زمن معيّن، مقابل كمية محددة من السلع، وبهذا المعنى تكون القيمة السعر المتداول عموما، فيقال قيمة تبادلية[1]، وهنا ارتبطت بنظرية الثمن والسعر، كما شاع استعمال لفظ القيمة في العلوم الرياضية وتدل على تعبير رقمي، أو جبري، يحدد مجهولا أو يمثل حالة متغيّر[2].

كما يعّد مصطلح القيمة حديث العهد ولم يتجاوز عمره الخمسين سنة في الفكر الغربي، ولكن هذا لا يعني غياب معنى القيمة تماما من كتابات الفلاسفة، فعلى العكس فقد استعملت العديد من المعاني الدالة على القيمة، فتحدثوا في موضوع الخير والحسن والشّر، لكن المصطلح فقد استلّ حديثا من العلوم الاقتصادية، من طرف الفلاسفة المحدثون.

فنجد أن الفلاسفة ذهبوا إلى أنّ قيمة الشيء تعبر عن جوهره ودوره الفعّال، وتتصل بمعنى الملائمة والمناسبة، لبعض أنواع العواطف والرغبات، أي أن الشيء وقيمته، هو شيء المفضّل والمرغوب فيه[3]،كما تربط بعض التعريفات الفلسفية القيمة بالسلوك والثقافة، معتبرة أنّ مصدر القيم يتمثل في الثقافة والتفاعل الاجتماعي، وهي تنطوي على ثلاثة عناصر، تتمثل في العنصر المعرفي، والعنصر العاطفي والعنصر السلوكي، فهي معرفة لما هو مرغوب، وهذا ما يعبّر عنه "كلوكهون" بمفهوم " تصور مرغوب"، فالقول بأنّ: "شخصا يتبنى قيمة معيّنة، هذا يعني أنّه يعرف الطريق الصحيح لتحقيق هذه القيمة، كما أنها تحمل جانبا عاطفيا يتوافق مع كل ما يتَّسِق مع هذه القيمة ويتجنّب ما يخالفها، أمّا الجانب السلوكي فالقيمة تحفز على الإتيان بسلوك معيّن تنعكس من خلاله"[4].

وتوسعت كثيرا معالجة الفلسفة للقيم لتصبح القيم من أهم المباحث الفلسفية، وقد عني بها الفلاسفة والمفكرين دراسة وتحليلا لنظرية القيمة، التي عالجوا من خلالها مفاهيم القيمة ومتغيراتها، وتصنيفها وطبيعتها، وقد كان لكل تيار أو مذهب فلسفي رؤيته الخاصّة للقيمة.

---

[1] – أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 2، 2001م ، ج 3، ص 1523.

[2] – أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج 3، ص 1523.

[3]- Robert Audi: Dictionary of philosophy, Cambridge University Press, United Kingdom, 2nd Edition, 1999, p 949- 950.

[4] – عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة – المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 150- 151.

نجد كذلك مصطلح القيمة حاضرا في علم الاجتماع، ويرتبط بالحاجات والاتجاهات والرغبات، وعلاقة تفاعلية فيما بينها، ويقصد بالقيمة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، المستويات الثقافية التي نحتكم إليها في تقدير الموضوعات والاتجاهات المعرفية أو الأخلاقية أو الجمالية، وكما نستطيع الربط دائما بين صدقها وضرورة اعتمادها في تقييم والحكم على مختلف الموضوعات[1]، فنستطيع القول على أنّ القيمة تمثل بوصلة اجتماعية، تحدد توجهات المجتمع وقراراته في الحكم على مختلف الموضوعات التي تطرح.

كما انتقلت الدراسات القيمية كذلك إلى مجال الدراسات النفسية والسلوكية عامّة، ولكنها ظلت لفترات طويلة تقتصر دراستها على الدراسات الفلسفية، بعيدة عن الدراسات الواقعية، فالفحوص الأمبريقية[2] للقيم ظلت منعزلة عن علم النفس، وارتبطت بتخصصات أخرى على رأسها الفلسفة والدّين والاقتصاد، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

أمّا علماء النفس فقد كانت لهم إسهامات في ميدان دراسة القيم، وتحليل علاقتها بالنفس البشرية، ومن بين التعريفات التي أطلقت على القيم في ميدان علم النفس، أنها معايير وجدانية وفكرية، يؤمن بها الأفراد وعلى أساسها يفصل الفرد في تعامله مع الأشياء بالقبول أو الرفض، فهي تعّد المقياس الذي تقاس عليه صحة الأشياء من خطئها، كما أنها تمثل ما يلقى اهتماما لدى الفرد لاعتبارات مادية أو معنوية أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية أو جمالية، "فالقيم هي تلك الحالة من الدافعية التي تشير إلى المعايير الشخصية والثقافية أو هي التوجه الاختياري نحو التجربة، وتحوي الالتزام العميق أو الرفض الذي يؤثر في نظام الاختيار بين بداية ممكنة الفعل"[3]، وكأن القيم موجه أولي وحافز نفسي لأي فعل، كما أنها تعبّر عن "تصورات دينامية، صريحة أو ضمنية، تميز الفرد أو الجماعة وتحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعيا، وتؤثر في اختيار الطرق والأساليب والوسائل والأهداف

[1] – محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، ص 505.

[2] – مصطلح ابريقي: أو النظرية الأمبريقية وهي الاسم الذي يطلق عل مذهب أو مجموعة من المذاهب أو موقف معين في مجالات العلم أو البحث أو النشاط التطبيقي، وقد تبلورت الأمبريقية مع فلسفات بيكون Bacon ولوك Locke و هيوم Hume ومن أهم ما توصلوا إليه هو أن الإدراك هو مصدر المعرفة والمعيار الذي يمكن أن يختبرها، كما أنها عبارة عن مذهب فلسفي يرى أن المعرفة الإنسانية مشتقة من التجربة أو هي نتاج خبرة، وتستخدم غالبا في مقابل العقلية، أي قانون العقل والسبب فضلا على أنها تعارض المثالية، أمّا في العلم فإن الأمبريقية فهي ما لا يمكن التحقق من صحته وتعميمه إلا عن طريق الاختبار والتجريب، وتعتمد الحواس كأساس للحقيقة العلمية. (محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، ص 158- 159) .

[3] – خليل عبد الرحمان المعايطة: علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000م، ص 185- 186.

الخاصّة، وتتجسد مظاهرها في اتجاه الأفراد والجماعات وأنماط سلوكهم ومعتقداتهم ومعاييرهم الاجتماعية"[1]، وتتقاطع هذه المفاهيم مع ما يورده علماء الاجتماع.

أمّا من الجانب الديني فتعّد النصوص الدينية أهم العوامل الموجهة والمحددة لسلوك واتجاهات وأهداف الأفراد، وهي أهم مصدر للقيم بأشكالها وأنواعها، وقد كان الكتاب المقدس أبرز هذه الكتب الدالّة على القيم والموجه لها، أمّا النص القرآني والتعاليم الإسلامية فقد كانت أكثر إبرازا للجانب القيمي، بربطه بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وكان الخطاب الإلهي هو الفصل بين الصواب والخطأ، بين الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، وأصبحت القيم الدنيوية والأعمال والسلوكات تقيّم بحسب نتيجتها في الآخرة[2].

من هنا يظهر لنا مدى صعوبة تحديد المعنى الدقيق للقيمة، لأنّ هذه الكلمة تمثل مفهوما مرنا ومتحركا يخترق مجالات عديدة، فمن الناحية الاقتصادية إلى الجمالية، إلى الرياضية، والفلسفية كذلك، تنطلق من الواقع والموجود إلى سنّ القوانين، وتحديد المرغوب فيه، وتمثل عموما، السمة البارزة أو الكامنة في علم الأشياء أو معاني، التي تكسبها طابع الرغبة فيها والتقدير، أي أنها تعبر دائما عن ما يجب أن يكون، ومحط إعجاب ورغبة سواء نسبية أو مطلقة، كما تشكل القيمة ما هو مثالي ويرغب فيه ويطمح إلى معايشته، أي أنها رؤية تجريدية التي تفرض نفسها على الجميع كمسلمة والتي يتم احترامها بشدّة.

من خلال ما سبق من تحليل حول المفاهيم الاصطلاحية للقيمة، في مختلف المجالات التي تناولت القيم، نخلص إلى أنّ:

- يعد المجال الاقتصادي الميدان الأول الذي تناول القيم، بمعنى أنها تمثل مقابل الشيء، والثمن في مختلف المبادلات والاستعمالات ومنافع الأشياء المختلفة والخدمات.
- انتقل المصطلح إلى المجال الفلسفي للدلالة على الفضائل والخير فهي صفة عينية كامن في الأفعال أو الأقوال أو الأشياء تكسبها تقديرا ورغبة فيها، وهنا ارتبط مصطلح القيمة بالثقافة والسلوك.
- في علم الاجتماع انتقل مصطلح القيمة متأخرا، ليعكس الاتجاهات المعرفية أو الأخلاقية أو الجمالية، التي نحتكم إليها في تقدير الموضوعات، فتعّد القيم البوصلة الموجهة للمجتمع.

[1] – خليل عبد الرحمان المعايطة: علم النفس الاجتماعي، ص 186.

[2] – عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم – دراسة نفسية–، ص 33.

– تناول علم النفس موضوع القيم وعلاقتها بالنفس البشرية، لتعّد القيم في المجال النفسي معايير وجدانية وفكرية، وعلى أساسها يبني الفرد قراراته وتوجهاته وأنماط سلوكهم ومعتقداتهم، وهذا جانب مهم في بحثنا وهي القيم المؤسسة من خلال النصوص المقدسة التي يؤمن بها الأفراد والجماعات، التي تعّد الموجه الأهم لسلوك الفرد والمجتمعات.

– ولهذا أولت النصوص الدينية أهمية كبيرة لا تقل أهمية عن الجانب العقدي والتشريعي، للجانب القيمي والأخلاقي ، والتي حاولت ترسيخها في نفس الفرد والمجتمع.

II. مفهوم الروح

1– المفهوم اللغوي للروح.

يرد معنى الرُوح في معاجم اللغة العربية، ويقصد به ما فيه حياة الأنفس[1]، وما يحيا بها البدن يقال خرجت روحه أي نفسه[2]، وإذا كانت الرَّوح بالفتح فمعناها والرحمة ونسيم الريح، ومكان روحاني أي طيب والرّوحانيُّ، وكذلك نسبة إلى الملك والجن[3]، كما يقصد بالروح القرآن والوحي وجبريل وعيسى (عليه السلام) والنفخ وأمر النبوة، وحكم الله تعالى وأمره، والروحاني من الخلق نحو الملائكة، والرّوح: جبريل (عليه السلام)[4]، كما أطلق على القرآن والوحي والرحمة، وقيل الروح والنفس واحد، كما جاء في القرآن الكريم: "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي"، وقد تكرر ذكر الروح في الحديث النبوي والقرآن الكريم ووردت فيه على عدّة معان، والغالب منها أنّ المراد الذي بالروح الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة[5]، ومن هنا اجتمعت معاني الروح في اللغة على النفس وما يحيا به البدن، والرحمة والقرآن وكذا جبريل (عليه السلام).

وأمّا في اللغة العبرية فترد ثلاث كلمات، تترجم في كثير من الأحيان إلى "الروح" وهي : (nefesh و neshama و ruach) وكانت الروح ينظر إليها عل أنه لا يمكن فصلها عن الجسم، أمّا خلال الفترة الهلنستية، عرض الربيين على الفكرة اليونانية أنّ الروح موجودة ومستقلة عن الجسد، وهنا قبلت الفكرة وأصبحت معيارية في التقليد الحاخامي[6].

---

[1] – محمد الدين محمد بن يعقوب الفيوزابادي: القاموس المحيط، ج 1، ص 222.

[2] – أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،(د. م . ن) ج 3، ص 291.

[3] – محمد الدين محمد بن يعقوب الفيوزابادي: القاموس المحيط، ج 1، ص 222.

[4] – أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج 3، ص 291.

[5] – ابن منظور : لسان العرب، ج 2، ص 463.

[6] – Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, Facts On File, New York, 2006, p 489.

2- المفهوم الاصطلاحي للروح.

يفرق المعجم الفلسفي بين مذهبين يبدوان متقاربين في المعنى، إن لم نقل أنها متطابقان، وهما المذهب الروحي، والمذهب الروحاني، حيث يعني بهذا الأخير أي المذهب الروحاني "Spiritualisme"، وهو نقيض المذهب المادي، وهو الرأي القائل بروحانية النفس واستقلالها عن البدن[1]، ويطلق كانط هذا المصطلح على المذهب الروحي، الذي يقرر أنّ النفس جوهر شخصي (روحية جوهرية Pneumation)[2]، كما أن الذي يهمنا من المذهب الروحاني، علاقته بفلسفة الأخلاق والقيم، وعلم الاجتماع الديني وهو القول بأنّ الفرد والمجتمع يهدفان إلى غايتين: إحداهما متعلقة بالحياة الحيوانية أو المادية، والأخرى متعلقة بالحياة الروحية المحضة، وهما غايتان متعارضتان، كما أنّه في علم الوجود الأنطولوجي[3] (Ontologie) مذهب قائل بأن الوجود جوهرين متمايزين أحدهما روحي، ومن صفاته الامتداد والحركة، ومن نتائجه، القول ببقاء النفس بعد الموت، والاستدلال على وجود الله، والقول بتقدم القيم الروحية أو المعنوية على القيم المادية[4]، وهنا فرّقت هذه المفاهيم بين القيم الروحية التي تعّد جوهر خفي يرتبط بالنفس ويتعداه إلى الفرد والمجتمع من الناحية الأخلاقية.

أمّا الروحي (spirituel)، فهو منسوب إلى الروح، وهو يقع في مقابل المادي والجسماني والبدني[5]، ويدلون به على الجواهر المحركة لسواها[6]، ولهذا فكل ما كان نباتيا أو حيوانيا أو ماديا خرج خرج من المجال الروحي، ومن هنا فقد اصطلح على الحياة الفكرية حياة روحية، وهي في مقابل الحياة المادية، وانطلاقا من هذا فقد قيل بأنه يجب أن تخضع القيم المادية للقيم الروحية.

ووفقا للتقاليد اليهودية فكل شخص لديه الجوهر الروحي، وينظر على أنّ هذا الجوهر روح أبدية[7]، كما ينسب للمجال الروحي الأمور الدينية الصوفية، وجميع التجارب والتمارين الروحية

---

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، د ط، 1982م، ج 1، ص 626.

[2] - مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، د ط، ط5، 2007م، ص 332.

[3]- الأنطولوجي: تعد الأنطولوجيا جزء من الفلسفة تعن بالتأمل " الوجود بما هو وجود"، على تعبير أرسطو، كما تعّد عند ديكارت ولايبنتز هي دراسة أو معرفة الأشياء في ذاتها وبما هي جواهر، في مقابل دراسة ظواهرها أو صفاتها.(جلال الدّين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، د ط، د ت، ص 67- 68).

[4] - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 627.

[5]- المرجع نفسه، ج 1، ص 627.

[6] - مراد وهبه: المعجم الفلسفي، ص 332.

[7]- Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 489.

والاتجاهات الفلسفية الروحية[1]، أمّا مصطلح الروحية، (Spiritualism)، فيختلف بشكل طفيف عن مصطلح الروحي، حيث يراد به في علم النفس، تلك الظواهر التي لا ترد إلى الظواهر الفيزيولوجية الظاهرة، أمّا في ميدان الأخلاق، وهي المجال الذي تتمحور حوله دراستنا، فهو يشير إلى غايات الإنسان التي تفوق الغايات الحيوانية المادية، إلى ترتقي به إلى غايات إنسانية معنوية[2]، فالمقصود بالروحية هو الجانب المعنوي الغير مادي في جانب الأخلاق والسلوك وما يعتري الفرد من أحاسيس ومبادئ ومثل ونوايا معنوية وروحية خالصة، يكون لها تأثير خارجي تجسده الأخلاق والسلوكات في واقع الأفراد والمجتمعات.

III. مفهوم القيم الروحية.

ينطلق تعريفنا للقيم الروحية، استنادا إلى جملة من التصنيفات الفلسفية للقيم، وهذا لنتمكن من حصر مجال القيم الروحية، ومفهومها ضمن منظومة القيم الكلية، وأولها التصنيف القيمي الذي يميز بين القيم العليا والقيم الدنيا، وهو التقسيم الأكثر شيوعا في مختلف المناقشات الأخلاقية خاصة خلال القرن التاسع عشر، – الذي يعد البداية الفعلية والبارزة المعالم في دراسة مباحث القيم–، وهو يتحدث عن ثنائية أخلاقية، وهي ثنائية تبلغ في بعض الأحيان حدا من المبالغة بحيث لو أغرقنا في الأخلاق العليا، ذهبنا إلى مدى بعيد في الأخلاق الروحية والعقلية، أمّا إذا بالغنا في تطبيق أو ممارسة الأخلاق الدنيا، فإننا سنقع حتما في التردي في سلوك بعيد عن الأخلاق، ولهذا فمن السهل التوحيد بين القيم الدنيا وبين الإشباع المادي بكل أنواعه، في حين تصب القيم العليا وهي القيم الروحية التي لا تشوبها أي شائبة مادية، وبالتالي أي إشباع سيصبح بالضرورة في المرتبة الدنيا للأخلاق، في حين أنّ كل القيم المرتبطة بأعمال الإنسان في المجال الذهني أو الروحي إنما توضع في مرتبة الأخلاق السامية[3]، ومن هنا فإنّ القيم الروحية العليا هي تلك القيم المرتبطة بالأخلاق والمثل العليا، التي لا تصل إليها المادية الطاغية، والتي ترتبط بزاد روحي كبير، يتحرر فيه الإنسان من الجسد المادي ومتطلباته، ويسير ضمن قيم أخلاقية روحية علية.

قسّم المفكرون أيضا القيم بين الميدان الاقتصادي والانساني، وعلى هذا الأساس الذي يميّز بين القيم الاقتصادية والقيم الروحية، فالقيم الاقتصادية المادية، تباع وتشترى، وينشدها الناس من أجل تحقيق غاياتهم وأهدافهم المرجوة، وهي قيم واقعية، تتعلق برغبة اكتساب الخيرات، وهي تتبع

[1] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 627.

[2] – مراد وهبه: المعجم الفلسفي، ص 333.

[3] – هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة، القاهرة، مصر، ط3، د ت، ص 275 – 276

الحاجات وتسلسلها[1]، أمّا القيم الروحية، فهي قيم تلتمس لذاتها وتطلب كغاية، وتختلف اختلافا كبيرا عن القيم الاقتصادية، وهي تشمل القيم العقلية المتعلقة بالحق (قيمة البرهان، قيمة كتاب، قيمة اكتشاف علمي)، وقيم أخلاقية المتعلقة بالخير، والقيم الجمالية المتعلقة بالجمال، كقطعة موسيقية، أو لوحة فنية وغيرها، فالقيم الروحية قيم ترتبط بالطبيعة الإنسانية وتطلب لذاتها، وهي مطلقة القيم الإنسانية الروحية تتصف بالمطلقية وبأن لها قيمة في ذاتها[2]، هنا يتضح لنا أنّ هذا التصنيف أكثر شمولا، لأنه يميّز بين نوعين فقط من القيم، وهما القيم الاقتصادية والقيم الإنسانية الروحية، وإذا كان القسم الأول، هو القسم الذي انطلقت منه مباحث فلسفة القيم، فإنّ التقسيم الثاني، شامل لجميع القيم الإنسانية، ويضعها ضمن القيم الإنسانية الروحية، ولا يعطي مجالا لإبراز القيم الاجتماعية أو الدينية أو الجمالية كتصنيف مستقل للقيم.

أمّا التقسيمات – التي قدمها المفكرون والفلاسفة المعاصرون– لمبحث أو فلسفة القيم، فهي أكثر دقة، فقد قدّم عادل العوّا أستاذ فلسفة القيم، عدة تصانيف للقيم عامّة، بحسب ما قدمه الفلاسفة والمفكرون في هذا المبحث الفلسفي، وأول تصنيف يذكره الباحث، وهو ما لمسنا فيه جانبا مهما في تناول القيم الروحية، والتي تعد المنطلق والأساس لبحثنا، ما أطلق عليه بالتصنيف التصاعدي، وهو تصنيف ينطلق من الأدنى للأسمى، على سلم ارتقائي، ينطلق من الاندفاع الغرائزي، وصولا إلى أسمى وأرقى أشكال الحياة الفكرية والروحية.

يشتمل هذا التصنيف التصاعدي، على ثلاثة أنظمة تتمثل في نظام القيم الحيوية، وهو ما يرتبط بمسائل في الواقع وأهم مجالاته الجانب الغرائزي، ونظام القيم الفكرية بتدخل الفكر البشري يصبغ بطابع الذكاء والتعقل، يشتمل على مختلف مجالات حياة الإنسان، وعلاقاته الفردية والاجتماعية، وأخيرا نظام القيم الروحية[3]، الذي يصل فيه الفرد إلى أسمى وأرفع درجات القيم، والصادر من تدخل الوجدان والضمير الأخلاقي، من أجل الوصول إلى رسالة الشخص المنوطة به وتحقيقها، هذه الرسالة تمثل تركيبا لجميع الإمكانات للارتقاء بالواقع، للفوز بالحياة الروحية المنشودة، ويتحقق نظام القيم الروحية بالاختيار بين الأغراض الممكنة، وانتظام القيم في تسلسل واع، وذلك من أجل تحقيق أسمى نموذج لضروب الحكمة والأخلاق والدّين[4]، فالقيم الروحية قيم وجدانية، تنبثق

[1] – صلاح الدين بيومي رسلان: القيم في الإسلام بين الذاتية وموضوعية، القيم في الإسلام بين الذاتية وموضوعية، دار الثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 1990م، ص 28.

[2] – المرجع نفسه، ص 28– 29.

[3] – عادل العوا: عمدة فلسفة القيم، ص 426.

[4] – عادل العوا: عمدة فلسفة القيم، ص 430– 431.

من الضمير الأخلاقي، تسعى لرقي الإنسان الحيوي والفكري والروحي، في اتساق لتحقيق غاية الإنسان من وجوده.

من جانب آخر هناك من يرى أن القيم يحوي بعضها بعضا، دون أن تلغي بعض القيم قيما أخرى، ومع مراعاة طبيعتها التسلسلية داخل هذا الاحتواء، ولكن على نحو أن لا تزيل القيم العليا القيم الدنيا، وهذه القيم من الأعلى إلى الأدنى هي، القيم الدينية والقيم الروحية وقيم السلطة، ولكن بالرغم من أنّ القيم الروحية مثلا هي أعلى من القيم الحيوية، فإنّ من الواجب أن تدع لها منزلة ما ولا يمكن إهمال تواجدها وأهميتها، وهذا هو دليل الاحتواء الذي يحل محل التسلسل القيمي بالمعنى الدقيق[1]، وهذا ما ذهب إليه أيضا "ماكس شللر"(1874-1968م) الذي ميّز بين عدد معين من مستويات القيم[2]، وهي المستوى الأدنى وهو اللاعضوي، ومستوى القيم الحيوية وتشتمل على قيم المتميّز والمبتذل، النبيل والعامي، والصحيح وغير الصحيح، وأمّا مستوى القيم الروحية وتضم القيم البديعية والحقوقية والعقلية، وتنتظم في الثقافة، أمّ مستوى القيم الدينية فقوامها المقدس وهي تتصل بموضوع الله والأشخاص وهي تهيمن على سائر القيم، وإنها أساسها كلها[3]، يظهر لنا أنّ القيم الروحية تأتي في جل التصنيفات في أعلى هرم التقسيمات للقيم.

تنحوا القيم الروحية نحو ضبط النفس والسمو عليها، فالروحانية بشكل أساسي ظاهرة إنسانية، والحياة الحيوية للأخلاق والدين تنطبق معها، كما أنّ الروحانية هي أمر حيوي لتحقيق البشر[4]، كما تقدم المصلحة العامة، وبناء على هذا نستطيع القول: إنّ السّمة المميّزة للقيم الروحية هي اتجاهها نحو مصلحة الجماعة، وسعادتها ورفاهيتها، وتغليب مطالبها على مطالب الأنا، وهنا جعل المفكرون يفرقون بينها وبين سائر القيم في المرتبة والمكانة، فكانت القيم الروحية هي القيم العليا، فيما كانت سائر القيم المادية تقع في المرتبة الدنيا[5]، ويعبّر عن ذلك "توماس هوبكنز" بقوله: "إنّ القيم الروحية أعلى مكانة، لأنها تطلق طاقة وقدرة كامنة أكبر، لتحويل وصقل مزيد من الخبرة أكبر، والفرد يأتي من الأعمال، ويخلق من المواقف ما يثير فيه الدهشة وفي غيره غايّة العجب، فهو يشعر بأنّه يسمو ويعلو فوق ذاته البادية التي تؤدي وظائفها اليومية، إلى مستويات تكاملية عليا

---

[1] – رويه: عالم القيم (نقلا عن: بول سيزاري: القيمة، ترجمة: عادل العوّا، ص 70).

[2] – صلاح قنصوه: نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، لبنان، د ط، 2010م، ص 51.

[3] – عبد الله موسى: فلسفة القيم الأصول والامتدادات، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2018م، ص 53.

[4] - Mal Leicester, Celia Modgil and Sohan Modgil: Education ,Culture and Value – Spiritual and Religious Education-, Falmer Press, London,1 st edition, 2000, Vol 7, p13.

[5] – فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، ص 94.

تمكنه من رؤية الأمور بشكل لم يسبق له من قبل أن استطاع إليه سبيلا ...أمّا القيم المادية... فلا تطلق أقصى طاقات الخلق والابتكار في الأفراد"[1].

ولهذا فقد ذهب فؤاد الأهواني إلى أنّ سمو القيم الروحية "تأخذ بيد الإنسان وترفعه... وهي تلهم العقل وتهديه وتوهجه، لأنّ العقل بطبيعته يدرك الأمور على ما هي عليه، أما لماذا يؤثر طرقا على طريق، ولماذا تتحرك النفس ويشحذ العزم لتنفيذ ما يؤمر به العقل ... فهي هذه القيم التي تضيء له السبيل..." كما يستطرد قائلا: "لا نقصد... أنّ القيم الروحية هي التي تهدي وتوجه فقط، بل القيم المادية أيضا ولكن في رأينا، أو قل في رأي الإسلام الذي نعرض مذهبه أنّ القيم الروحية أسمى من المادية وأفضل"[2]، "فالقيمة الروحية نابعة من الأديان قادرة على هداية الإنسان، لأنها من صنع الله الذي خلق النفوس وزودها بفجورها وتقواها، وإذا تعلق الإنسان بالقيمة الدينية أضاءت حياته، ومنحته طاقة لا حدود لها"[3]، إذن فإنّ القيم الروحية ترفع الفرد فوق مرتبته التي هو فيها، وتسمو به عن طبيعته التي هو عليها، وترفعه من المستوى الحيواني الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب ولذة ومتعة، إلى المستوى الإنساني اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورقيه.

بناء على ما تقدم نستطيع أنّ ندرك ما للقيم الروحية العليا، من أهمية بالنسبة للمجتمع، فهي من أبرز العوامل في ترابط الجماعات وتماسكها وتوحيدها، ويتخذ هذا الترابط والتماسك أساليب مختلفة، فقد يكون مثلا صلة في الله كما نتبين من تتبع التاريخ الإسلامي، فإننا نعرف أنّ قيم التوحيد التي جاء بها الإسلام ودافع عنها، كانت أعظم عامل في توحيد المسلمين وتماسكهم.

من خلال ما سبق، نستطيع أن نقول بأنّ القيم الروحية، هي جزء من منظومة قيمية متكاملة، وهي تمثل أسمى درجات القيم، في ترتيبها التسلسلي التصاعدي، رغم أن وجودها لا يلغى مجموع باقي القيم الحيوية أو الفكرية والجمالية، بل بتكاملها تستقيم القيم الروحية، كما يمكننا أن نلحظ ذلك التداخل والاحتواء الكبير بين القيم، فالقيم الروحية هي القيم المرتبطة بالوجدان والضمير الأخلاقي، لها ارتباط وثيق بالقيم الأخلاقية والدينية، بل يمكننا أن نعد القيم الأخلاقية والدينية جزء من منظومة القيم الروحية، التي تشتمل على جميع القيم الإنسانية المترفعة عن الشوائب المادية. تتصل القيم الروحية بالأشياء غير المادية، أو بموضوعات اجتماعية، ومن أبرز أمثلتها القيم المتصلة بالشرف كالحياء والمحبة والطاعة والصداقة، وإيثار الغير على النفس وغيرها، كما تعد القيم التي تدعوا إليها

---

[1]– هوبكنز توماس: النفس المنبثقة، ترجمة: محمد على العريان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م. ص 492– 493.

[2] – أحمد فؤاد الأهواني: القيم الروحية في الاسلام، القاهرة، مجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، وزارة الأوقاف، 1962م، ص 11.

[3]– محمد الصادق عفيفي: الفكر الإسلامي مبادئه، مناهجه، قيمه، أخلاقياته، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ط، 1977م، ص 151.

الأديان كالتقوى والعدل والجهاد والسلام والعفّة والصبر من القيم الروحية، وسائر القيم الاجتماعية التي يضحى فيها المرء بنفسه في سبيل المجتمع وحفظ كيانه، كلها تعّد من القيم الروحية، وهي من القيم الأكثر دواما، فكلما ابتعدت القيم عن الأحوال المادية كان بقاؤها أدوم وأطول.

ولضبط تعريف القيم الروحية التي نحن بصدد دراستها في بحثنا، سيكون تعريفا تأصيليا من مجال الدراسة، وهو النصوص الدينية المقدسة وهي القرآن الكريم والتوراة، ومن خلال المنظومة الفكرية اليهودية والإسلامية، فانطلاقا من أنّ القيم الروحيّة تعرف في اللّغة بأنّها القيم التي تتعلّق بالرّوح وتنسب إليها، فالصّدق على سبيل المثال قيمة لا تقاس بالموازين كما تقاس المادّة، وإنّما تعرفها وتدرك قيمتها وأهمّيتها الرّوح والنّفس الإنسانيّة، أما في الاصطلاح فالقيم الرّوحية في الإسلام هي تلك القيم التي تحدّث عنها القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة والتي تتعلّق بنموذج ومثال السّلوك الإنساني الذي ينبغي أن يقتدى به، وهي المعيار الذي يتحدّد بناء عليه صواب الأفعال والأقوال أو خطأها، وقد يتعارف النّاس على القيم الرّوحيّة بناء على فطرتهم السّليمة التي خلقهم الله عليها، وقد يكون مصدر تلك القيم الشّرائع السّماويّة التي جاء بها الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام.

كما أنّ خلق الإنسان من جسد وروح، وجعلت سعادته وقيمته في الروح، وكان الجسد مجرَّد وعاء لهذه الروح، يشقى بشقائها ويسعد بسعادتها، فالروح لها قيمة عالية في تكوين حياة الإنسان وتشكيل انطباعه عن الحياة التي هي سر وجوده، ومن هنا كان الحديث عن القيم الروحية في تكوين التديُّن الصحيح للشخص حديثًا عظيمًا في جميع الفلسفات والأديان، وقد أولى الإسلام للقيم الروحية اهتمامًا خاصًّا، وجعلها على قائمة التشريعات الأخلاقية ومقصدًا من مقاصدها، فحين تكلَّم الله عن منَّته على عباده ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم جعل منها قيامه بواجب التزكية والتربية، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾[2]

[1] – آل عمران: الآية 164.

[2] – الجمعة : الآية 2.

والقيم بهذا الاعتبار هي ضوابط ومعايير تقوم بها تصورات الفرد وتصرفاته، والقيم الروحية نسبة إلى الروح، بمعنى أنها تستند إلى عالم الغيب لا عالم الشهادة، فيها غذاؤها واستقرارها؛ ولذا تجد الآيات التي ترشد إلى القيم تحيل إلى الغيب وإلى علم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[1]

أمّا في منظومة اليهودية فقد كان للقيم اليهودية نصيب من النصوص المقرائية وما ظهر من تفاسير لتلك النصوص، ربما للتيسير على المجتمع اليهودي في فهم نصهم الديني، وربما نتيجة للتأثير المجتمعي للشعوب التي جاورها اليهود، وأغلب الظن أن النصوص اليهودية كنص تفسيري أو كمأثور أخلاقي لمفكري اليهود على مر العصور كانت تحث على معاملة غير اليهودي معاملة جائرة، فقد أخذ على اليهود الكيل بمكيالين، وظهر هذا جليا في تشريعاتهم المتعلقة بالسلوكيات الحياتية[2].

المبحث الثاني: مفهوم النصوص المقدسة بين اليهودية والإسلام.

I. مفهوم النص الديني المقدس.

1- مفهوم النص.

أ. في اللغة.

يعّرف النص في اللغة، من الفعل نصّ، فقد ورد في لسان العرب أنّ النّصّ نقصد به "رفعك للشيء، ونَّصَّ الحديث بمعنى أظهره، وأمّا قولنا نصّ الحديث إلى فلان، إذا رفعه، ومنها قولنا النصّة وهي المكان المرتفع، وهي تدل على الوضع الذي يكون عليه الشيء في غاية الشهرة والظهور، كما تدل لفظة النّصّ والنّصيص على السّير الشديد والحثّ، وأصل النصّ هو أقصى الشيء وغايته ومنتهاه"[3]، فمعنى الفعل "نص" في اللغة العربية، هو الرفع والسيّر الشديد والث وغاية الشيء ومنتهاه. أمّا في المعاجم الغربية، فنجد كلمة "texte" من أصل لاتيني "textus"، وتعني النسيج، فهي للدلالة على نسيج من العلاقات اللغوية المركبة، التي تتجاوز حدود الجملة، فهو نسيج من الكلمات، والكتابات التي تشكل كلاما أو رسالة، أو مقالا وغيرها، كما يطلق على الجزء القصير

[1] – ق: الآية 16.

[2] – عمار أحمد خلف: القيم اليهودية من خلال كتاب الأقوال المأثورة لإبراهيم بن عزرا، موقع الألوكة، www.alukah.net

[3] – ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 97- 98.

من الكتاب المقدس أو غيره[1]، نلاحظ اختلافا بيّنا بين معاني لفظ النص في معاجم اللغة العربية والغربية.

ب. في الاصطلاح.

من خلال تتبعنا للمفهوم الاصطلاحي للنّص نجد أنّ "نصر حامد أبو زيد" قد ربط بين الدلالة اللغوية للكلمة في اللغة العربية، ومعناها في اللغات اللاتينية، حيث أشار إلى أنّ المعنى اللغوي للنص في الثقافة العربية، لا يشير إلى معنى النسيج والتعالقات الذي يرد في اللغات اللاتينية، ولهذا فمن خلال استقراء الدلالات المركزية الأساسية للفظ النّص التي توحي عل الظهور والانكشاف، وهي دلالة لا تزال بارزة في الاستخدام اللغوي المعاصر، وهذا بتتبع دلالات اللفظ وتطورها، يتبيّن لنا كيف انتقلت من الحسي إلى المعنوي، ودخلت في المعنى الاصطلاحي دون أن يشوبها أي تغيير، وبهذا انتقلت إلى مجال العلوم الدينية، وتحولت دلالة المصطلح لتعبر عن الشيء البيّن الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان أو شرح آخر[2]، وهذا ما يؤكده ما ذهب إليه الجرجاني في كتابه التعريفات، حيث ورد أنّ النّص يراد به، "ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سَوْق الكلام لأجل ذلك المعنى"[3]، فالنّص" مالا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل مالا يحتمل التأويل"[4]، إنّ النص إذن يعبر عن الكلمات، أو العلامات التي يستخدمها المؤلف، في عمل مخطوط أو مطبوع، لكي تحمل من وجهة نظره، لإبداء وإيضاح فكرة أو إيحاء أو إحساسا أو تركيبا من ذلك، وتحدد وجهتها كالرسالة من خلال سياقها وبنيتها، ولذلك يحتاج النّص إلى ضمانات توثيقية، ليتحقق له الاستمرار والبقاء[5]، فالنص يعبر عن ذلك التركيب اللغوي، من العبارات والعلامات، وتشكل كلا واحدا، يخدم رسالة معينة بغية إيصالها وتوضيحها.

---

[1] - Oxford : Learner's Pocket Dictionary, Oxford –University Press, 4th Edition, P 459.

[2] – نصر حامد أو زيد: النص– السلطة– الحقيقة– الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص 150- 151.

[3] – محمد السّيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ، مصر، د ط، د ت، ص 202.

[4] – المرجع نفسه، ص 202.

[5] – كمال عرفات بنهان: العلاقات بين النصوص في الثابت العربي –دراسة على تفارع النصوص العربية منهج جديد لعلم الببليوجرافيا التكوينية ، دار العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1993م، ص 80.

2- مفهوم المقدس.

أ. في اللغة

في اللغة العربية، يرد الفعل قدّس بمعنى الطهر، والتطهير، والتنزيه[1]، أمّا في اللغة العبرية فإن لفظ المقدس من الفعل "קדש" "قادوش" الذي نعني به مجّد، أمّا الاسم "החקדש" "هاقادوش" فيحمل معنى تقّدس وتهيّأ وتطهر، وحُظِر[2]، فنلاحظ تطابق المعنيين بين اللغة العربية، واللغة العبرية، أمّا في اللغات اللاتينية فيرد بمعنى "Sanctus" وبنحو أكثر دقة "Sacrer" الذي يراد به لا منازعة وبلا ريبة، من خلال ما سبق، نرى بأنّ هذه الألفاظ حملت في طياتها، في مختلف هذه اللغات معنى الجودة، والصلاح المطلق[3]، ولهذا يكتسب ذلك الاحترام والتقدير والخضوع له.

ب. في الاصطلاح.

يحافظ اللفظ "مقدس" على معناه اللغوي في الاصطلاح، فيراد بالتقديس حالة من حالات التعظيم والتنزيه والاحترام، والخضوع التام لحقيقة من الحقائق، فإذا قدّست شخصا فقد احترمته وقدّرته، ونزّهته وخضعت له، يعرّف "رودولف أوتو" المقدس بأنه خاصّة تتكشف في الأديان كافة، ويمكن عزلها عن سواها وتسميتها عاطفة المقدس، أو مقولة " النومينو" وهو اسم نحته من كلمة (نومن) للدلالة على أنها مقولة نوعية، ينبغي أن تدل على كلمة خاصّة، وإنها مقولة تفسير وتقدير لا توجد إلا في المجال الديني ، وهي تشير إلى العنصر الحي في كل حياة دينية، وتعرب عن مشاعر الفزع أو الفتنة حيال موضوع الدّين الذي يبعث الخوف والرجاء، ويظهر في أشكال متعارضة قطباها الطاهر والدنس، وما (النومينو) أو المقدس بوجه الإجمال سوى شعور بالسّر، الشعور بالفاتن، الشعور بما هو مغاير إطلاقا[4]، وبتعبير آخر المقدس "عبارة عن خضوع القوى العملية لدى النفس الناطقة للقوى الإدراكية"[5]، فالتقديس "فعل من أفعال النفس، والاحترام والتعظيم والتوقير، لحقيقة ما ما أدركت، بتوسط العقل النظري، ظاهرة صحيحة لازمة بمقتضى طبيعة وفطرة النفس الناطقة، وخلاف ذلك مخالف للفطرة المودعة في الإنسان"[6]، يعرّف روجي كايوا R. Callois المقدس بوصفه: "مقولات الإحساسCatégorie de la sensibilité" وهو في الحقيقة المقولة التي يبنى عليها

---

[1] – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دب، د ط، د ت، الجزء 5، ص 64

[2] – ربحي كمال: المعجم الحديث عبري- عربي، ص 414.

[3] – رودولف أوتو : فكرة القدسيّ، دار المعارف الحكمية، لبنان، ط1، 2010م، ص 28.

[4] – رودولف أوتو : فكرة القدسيّ، ص30.

[5] – محمد السند و آخرون: بحوث في قراءة النّص الديني، مكتبة فدك، قم، إيران، ط1، 2009م، ص 27.

[6] – المرجع نفسه، ص 27- 28.

السلوك الديني، تلك التي تمنحه خاصيته النوعية وتفرض على المؤمن شعورا مميّزا بالاحترام، يحصّن إيمانه ضدّ روح النقد، كما تجعله بمنأى عن الجدل العقيم، بوضعها إياه خارج نطاق العقل وما وراءه، إنه الفكرة الأم التي يتمحور حولها الدّين، على حدّ قول هنري هوبر "H. Hubert"[1]، إذن فعل التقديس فعل نفسي، تجاه حقيقة من الحقائق، تتجلي في احترامها والخضوع لها والتسليم بها.

إذا أردنا أن ننزّل معنى التقديس إلى واقع الأمة بصفة عامّة والإنسان خاصّة، فإننا نجد المقدس هو قيمة ومعنى، حاز اتفاق الأمّة وإجماعها وتسليمها، فجوهر القداسة ناتج عن الإيمان بقيمة الشيء أو حقيقة معيّنة، وفي مجال الدّين وهو الميدان الذي نحن بصدد معالجة مسألة المقدس ضمن إطاره، فهو يعد من المقدسات لأنّه من عند الله، ولكن قداسة الدّين تكتسب مكانة مغايرة، لأننا نلحظ فاعليتها داخل الأمّة، وهذا يرجع لتسليم الأمّة وإيمانها بذلك الدّين، "فالمعنى المطلق للقداسة يتحقق في الرسالة الدينية، ولكن مقدسات هذه الرسالة تصبح من مقدسات الأمّة من خلال إيمان الأمّة بها"[2]، ومن خلال هذا، فإنّ كل ما يحمله الدّين أو الرسالة الإلهية من مقومات، فهي محل التقديس والتسليم والخضوع، وبما أنّ النص الديني، هو أحد أعمدة الرسالة الإلهية وأساسها، فهو أهم الأشياء التي تتسم بالتقديس، وكذلك الأساطير والمعتقدات تحلل مضمونه على طريقتها، والطقوس تستخدم خصائصه، والكهنة يجسدونه في المعابد والأماكن المقدسة والصروح الدينية توطدّه وتجذره في الأرض، ومنه تنشأ الأخلاقية الدينية، الدّين هو تدبير المقدس[3].

أمّا إذا ذهبنا إلى دوركهايم، نجد أنّ المقدس في نظره متماثل مع الإلهي(Le divin) كما يعتبر الإلهي ابتكار جمعي، يتميّز بالتعالي عن حياة الأفراد، حيث يشكل الوجه المفارق والمتعالي عن حياة الدنيوية للجماعات، ولأنه كذلك فإنّه لا يستطيع التعايش مع ما يعارضه أو ينفيه، سوى بكيفية موازية ومفارقة، ويثير هذا التعريف إشكالية حول كيفية تعريف المقدس بما يعارضه ويخالفه، أي ما سوى المقدس، وهو المدنس، إن صحّ هذا الاصطلاح، كما أنّ إشكالية التعريف بالمقدس ترتبط ومحكومة بمنطق الثقافة أو المرجعية الدينية[4]، فالثقافات الدينية باختلافها، تختلف نظرتها نحو المقدس وأشكاله وطبيعته، والتعامل معه، وأخص بالذكر اختلاف النظرات الدينية للمقدس بين الأديان سواء الوضعية من جهة، أو السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام) من ناحية أخرى، هذا

[1] – روجيه كايوا: الإنسان والمقدس، ترجمة : سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 36

[2] – رفيق حبيب: المقدس والحرية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص 132.

[3] – روجيه كايوا: الإنسان والمقدس، ص 36.

[4] – نور الدّين الزاهي: المقدّس الإسلامي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص 17- 18.

ما يقودنا إلى طرح تساؤل آخر، حول ماهية المقدس وطبيعته، وجلاء مفاهيمه أكثر، ما هي طبيعة العلاقة بين المقدس والدّيني؟ هل هي علاقة انفصال وتضاد؟ أم علاقة احتواء أحدهما للآخر؟ أم تتعداه لعلاقة خضوع أحد الأطراف للطرف الثاني؟

3- النص الديني والمقدس.

من أكثر التعريفات شيوعا للنص هو اعتباره كيانا مغلقا، وهذا التصور هو الأكثر التصاقا بالنص الديني المقدس" فهو في كل الثقافات نص مغلق، يشكل نظاما تنسب إليه الأصالة والنهائية، نهائية التشكل ونهائية الدلالة، وهو غير خاضع لفعاليات التاريخ التغييرية، ولذلك فإنّ النّص المقدس يصبح مكتوبا ، ويعد ظاهرة كتابية، في شكله النهائي في أغلب الأحوال"[1]، وهنا إذا ثبتت صحة النص الديني المقدس وصلته الوثيقة بالدين ومقدساته، عدّ جزءا من منظومة دينية متكاملة، إذا لم نعتبره هو عماد الدّين، والخط الواصل بين الإلهي والدنيوي، يقول عالم الأديان مرسيا إلياد:" يكفي هنا أن نقول عن المقدس هو عنصر من عناصر الوعي، وليس مرحلة من مراحل تاريخ الوعي، ذلك أن عالمنا ذا معنى، والإنسان لا يسعه أن يعيش في العمى أو الخواء، هو حصيلة صيرورة جدلية يمكننا أن نسميها عملية تجلي المقدس... فمن أقدم الوثائق والوقائع الدينية التي يمكن الوصول إليها، حتى زمن المسيحية والإسلام، لم ينقطع حبل محاكاة صورة الله بوصفه معيارا أو خطا موجها للوجود البشري، والحق أنّ شيئا غير ذلك لم يكن ممكنا، فإذا عدنا إلى أقدم مستويات الثقافة ، نجد أن العيش ككائن بشري هو بحدّ ذاته فعل ديني، إذ إنّ الغذاء والحياة الجنسية والعمل، لها قيمة قدسية، بتعبير آخر، لأن نكون -أو بالأحرى لأن نصير بشرا- يعني إننا كائن ديني"[2]، فكل سلوكات الإنسان تتجه اتجاها واحدا يتجلى من خلاله المقدس، وتعد النصوص الدينية هي ذلك الرابط بين الإلهي والإنسان، والموجه العام لحياته، كما أنّ هذه النظرة تختلف باختلاف الثقافات والمرجعيات الدينية.

تختلف علاقة المقدس بالديني باختلاف الديانات، ومسارها التاريخي فالفرق كبير بين الديانات الكتابية أو السماوية، والديانات البدائية، التي تمركزت حول علاقة مباشرة مع الطبيعة وعوالمها وخفاياها، أمّا الديانات الكتابية جعلت من الكتاب وساطة بين المؤمن وما يحيط به، فيرى العالم

---

[1]- كمال عرفات بنهان: العلاقات بين النصوص في الثابت العربي –دراسة على تفارع النصوص العربية منهج جديد لعلم البليوجرافيا التكوينية، ص 80.

[2]- مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 40- 41.

بمنظار ذلك الكتاب، وحتى داخل الديانات الكتابية(اليهودية، المسيحية والإسلام)، نجد أنّ الاختلاف يظهر بينهم، وتتجلى العديد من الفروق، لذا فالتمايز يظل واضحا بين المقدس والديني رغم ارتباطهما الكبير.

إنّ أول سمات هذا الارتباط هو إخضاع المقدس من طرف الديني، كما يلتقي المقدس مع الديني في طبيعة العلاقة التي تربط المؤمن بالأشياء، والعوالم المحيطة به، وداخل هذه العلاقة سيحدث صدام وصراع بين المقدس والدّيني، فالمقدس يتمحور حول نوعية التصور والإحساس، أمّا الديني سيدفع بفضل توسط القول الإلهي بهذه العلاقة نحو الذات الإلهية، فالتمايز الشديد بين ما هو مقدس والدّين يحيل أيضا إلى درجات من التداخل والقرب الشديد بينهما، حيث أنّ مكونات الدنيوي ليست غائبة عن المجال القدسي، سواء على مستوى الوعي أو السلوكات، ومثال ذلك أن بعض السلوكات البسيطة، كشرب الماء، تؤدي وظيفة ارتواء العطش، وفي نفس الوقت وظيفة قدسية تتمثل في شكر الله وحمده[1]، وفي ذات السياق يقرر مرسيا إلياد" M . Elaid:" أنّ المقدس مخالف مخالفة تامة للدنيوي، ولا يتماثل مع الإلهي، بل إنّ شيئا من المقدس تجلى ويتمظهر[2]، إنّ المقدس وما يتجلى من خلاله من نصوص، مخالف لما هو دنيوي، ونص الديني المقدس قد لا يكون في جميع حالاته معارض للدنيوي، بل قد يكون موافقا له أو موجها وموازيا له في العديد من المرات، وهو يختلف باختلاف الديانات أو المرجعيات الدينية، وهو تجلي للمقدس في حياة الإنسان وموجه لسلوك الفرد تجاه نفسه، ومعبوده والعوالم المحيطة به، كما يعّد نصا كتابيا مغلقا لا يخضع للمتغيرات المحيطة به، ويظل ملازما لجميع الأجيال، وهذا بحكم الإرادة الإلهية التي تبقي نصا، وتنسخ آخر، وقد تنزّل نصا يهيمن على كل النصوص الدينية المقدسة السابقة.

المطلب الثاني: مفهوم "النص المقدس" في اليهودية.

يحتل النص الديني في اليهودية مكانة كبيرة، فهو يرقى لمرتبة التقديس والتنزيه عن الخطأ، ويعّد التناخ أول النصوص اليهودية المقدسة، وعماد الديانة اليهودية ككل، باعتباره وحيا وكلمة الله الموجهة لبني إسرائيل عن طريق الأنبياء، يتكون التناخ اليهودي من ثلاث أجزاء رئيسية، الأول وهي أسفار موسى الخمسة، والتي يطلق عليها " توراه"، تليها أسفار الأنبياء، ثم مجموعة الكتابات التاريخية، إنّ أول أجزاء التناخ وهو التوراة، يعّد الأساس الذي تبنى عليه الديانة اليهودية، وهو كلمة الله لعبادة وشعبه المختار بني إسرائيل، الموحى بها لموسى (عليه السلام)، هي محط تقديس وتنزيه بين جميع

[1] – نور الدّين الزاهي: المقدّس الإسلامي، ص 19– 22.

[2] – مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ط 1، 1988م، ص 16– 17.

الفرق والجماعات اليهودية، لا يختلف حول قداستها اليهود، باختلاف أطيافهم ومشاربهم، وإن اختلفوا في مضمونها ونصوصها، ولكن رغم هذا الإجماع حول قداسة النص التوراتي، إلّا أنّ هذه القداسة قد لا تصمّد أمام الدراسات والأبحاث النقدية الحديثة للنص التوراتي، من هنا يتمحور صلب إشكاليتنا التي نطرحها في هذا المطلب، التي تدور حول قداسة النص الديني اليهودي.

1- التعريف بالتوراة.

التوراة: "תורה" (توراه) كلمة مشتقة من "ננורה"، مأخوذة من الفعل "'רה" بمعنى أروي، وأعلم، ومنها "מורה" (موراه) بمعنى "المعلم" و"תורה" (توراه) بمعنى تعليم، ثم استعملت لأجل الشريعة والناموس، وتترادف أيضا مع مصطلحات شهادة وأوامر ووصايا ومخافة وأحكام[1]، إنّ لفظة التوراة يراد بها في اللغة العبرية، "قانون، تعليم، شريعة، مذهب، نظرية، كما تطلق على شريعة موسى، التي يراد بها أسفار موسى الخمسة[2]، والتي تضم الكتاب المقدس العبري (سفر التكوين، سفر الخروج، اللاويين ، العدد وسفر التثنية) كما يمكن أن يطلق اسم التوراة على جميع أسفار العهد القديم، التي يدعوها اليهود "التناخ" وهذه التسمية الأخيرة العبرية الدالة على المقاطع الثلاثة من "التناخ" الذي يحتوي على الكتابات المقدسة اليهودية، "توراه- نبيئيم- كيتوفيم) (التوراة- الأنبياء- الكتابات)[3]، ويمتد اسم التوراة إليها لأهميتها ومكانتها بين أسفار التناخ.

يشير اسم التوراة إلى الأسفار الخمسة، وتسمى الأسفار المكتوبة "توراه شبختاف"، ويعقد التقليد اليهودي واليهود بأنها أنزلت على موسى (عليه السلام)كتابة، على جبل سيناء، وتشتمل على مجمل الثقافة اليهودية سواء صراحة أو بالإشارة[4].

حمل اسم التوراة العديد من التسميات، وهذا راجع للترجمات المختلفة التي تعرضت لها التوراة، وهي ترجمات تفسيرية فدعيت بالآرامية، الترجوم، وقد عرفت العديد من الترجومات أهمها "ترجوم أنكيلوس" وهو ترجوم بابلي، ثمّ الترجوم الأورشليمي، وترجوم "يوحناتان بن عزئيل"، وترجوم "راب يوسف".

---

[1] - هلال فارحي: كتاب أساس الدين – وهو تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها-، دار ومكتبة بيبليون، بيبلوس، لبنان، د ط، 2014، ص 9.

[2] - ريحي كمال: المعجم الحديث عبري – عربي، ص 503.

[3] - Martha A. Morrison and Stephen F . Brown: World Religions Judaism, p 74.

[4] - رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د ط، 2002م، ص 305.

أطلق على الترجمة اليونانية للتوراة الترجمة السبعينية، وقد تم ترجمتها في الإسكندرية في عهد "بطليموس فيلاد لفوس" (285- 247 قبل الميلاد)، على يد سبعين علما من أحبار اليهود، وتلتها العديد من الترجمات اليونانية حتى وصلت إلى اليونانية الحديثة.

دعت أسفار التوراة بعد ترجمتها إلى اللاتينية " الفولجاتا"، ثمّ باللغة السريانية " بيشيطتا"، ثمّ الترجمة باللغة العربية التي تمّت على يد العلامة سعديا الفيومي، وكتبت بحروف عبرية، ثم تلتها آخر ترجمة عربية قام بها الأمريكيين، وكانت على يد الدكتور" سمث وفانديك" وللآباء اليسوعيين في بيروت، وبعدها تم نقل التوراة إلى مختلف لغات العالم[1].

أطلق على التوراة في الترجمة السبعينية "البنتاتوك" "Pentateuque" وهي الأسفار الخمسة الأولى من التناخ، متمثلة في التكوين والخروج، والأحبار والعدد وتثنية الاشتراع[2]، وهذه الأسفار مقبولة لدى اليهود على أنها أسفار نزلت من السماء، أي أنّ كل ما ورد فيها منحه الله إلى النبي موسى (عليه السلام)، وتصف كتب التوراة تاريخ الشعب الإسرائيلي منذ خليقة العالم وحتى دخوله إلى أرض إسرائيل مع التأكيد على التقاليد الناجمة عن هذه الأحداث، ويعّد الهدف الرئيسي للتوراة هو تحسين أخلاقية اليهود سواء أكان ذلك عن طريق الوصايا العملية(افعل ولا تفعل) أو عن طريق استقاء العبر عن أعمال الخاطئين والصّدقين في آن واحد[3].

تمثل التوراة القانون اليهودي، أو اللائحة القانونية للأسفار، فهي كتاب يتألف من خمسة أدراج أو خمسة لفائف، تمثل معا وحدة، تحمل عدّة أسماء من بينها "شريعة موسى"، كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني: " وَجَعَلَ يَهُويَادَاعُ مُنَاظِرِينَ عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ عَنْ يَدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ الَّذِينَ قَسَمَهُمْ دَاوُدُ عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ، لإِصْعَادِ مُحْرَقَاتِ الرَّبِّ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، بِالْفَرَحِ وَالْغِنَاءِ حَسَبَ أَمْرِ دَاوُدَ"[4]، أو سفر موسى كما يرد في سفر نحميا:" فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قُرِئَ فِي سِفْرِ مُوسَى فِي آذَانِ الشَّعْبِ، وَوُجِدَ مَكْتُوبًا فِيهِ أَنَّ عَمُّونِيًّا وَمُوآبِيًّا لاَ يَدْخُلُ فِي جَمَاعَةِ اللهِ إِلَى الأَبَدِ"[5]، ويقدم البنتاتوك أو التوراة لبنات تاريخية تبدأ بخلق العالم، وتنتهي شيئا فشيئا لتصل إلى شعب

[1] – هلال فارحي: كتاب أساس الدين – وهو تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها–، ص 9- 10.

[2] – صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط1، 1994م، ص 185.

[3] – قسم الدراسات لدار الجليل: مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخوص صهيونية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، د ط، د ت، ص 51.

[4] – أخبار الأيام الثاني 23: 18.

[5] –نحميا 13: 1.

إسرائيل، وتنتهي بموت موسى (عليه السلام)[1]، والتوراة هي أساس وجود الشعب الإسرائيلي، ونقطة انطلاق لتراثه الشرائعي والتقليدي والروحي[2]، فالتوراة الجزء الأول من التناخ والمتفق على قداسته بين جميع اليهود.

II. مفهوم النص المقدس في الإسلام.

القرآن الكريم هو "كتاب الله – عزّ وجل– المنزل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ بلفظه ومعناه، المنقول إلينا بالتواتر، المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس"[3]، وقد روعي في تسمية القرآن بهذه التسمية، كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا، كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، والقرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب السابقة ومهيمنا عليها، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدا عليها بما شاء الله تعالى من الزيادة، فكان بقضاء من الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، كما يضيف محمد عبد الله دراز: "ولما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيا حقيقيا كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص، وذلك شأن كل الجزيئات الحقيقية لا يمكن تحديدها بالوجه، لأنّ أجزاء التعاريف المنطقية كليات، والكلي لا يطابق الجزئي مفهوما، لأنّه يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلا له في ذلك الوصف ذهنا، وإن لم يوجد في الواقع فلا يكون مميّزا له عن جميع ما عداه، فلا يكون حدا صحيحا"[4]، ولتحقيق غاية الوصول إلى معنى يكون قريبا من المعاني والتعاريف الحقيقية التي تصف وتعرف كتاب الله، اجتهد العلماء المسلمين لوضع تعريف يكون شاملا مانعا، للدلالة على القرآن الكريم، بقولهم: أنّ القرآن الكريم:" كلام الله تعالى المنزل على نبيّنا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا، المتعبّد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه"[5]، أحكمه الله فأتقن إحكامه، وفصله فأحسن تفصيله، لا يتطرق إلى ساحته نقص

---

[1] - Dictionnaire Encyclopédique De La Bible: Traduit du néerlandais, Edition Brepols, Turnhout , Paris , 1960, P 1410 – 1411 .

(أنظر: الخوري بولس الفغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، جمعية الكتاب المقدس، المكتبة البولسية، لبنان، ط2، 2009م، ص 278- 279).

[2]– قسم الدراسات لدار الجليل: مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخوص صهيونية، ص 51.

[3] – محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1987م،ص 6.

[4] – محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم– نظرات جديدة في القرآن–، دار القلم، الكويت، د ط، د ت ، ص 14.

[5]– محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأشعري، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج 1، ص 169.

نقص ولا باطل[1]، فالقرآن الكريم المعجزة الخالدة، والآية البينة على رسالة الإسلام، وهو الكتاب المطلق في حقائقه، والمحيط بقضايا الوجود، وحجة الله على الناس، وجب على الإنسان التصديق بإلهيته وعصمته، وفهم آياته واستخراج كننه وجواهره، وفهم رسالته القيمية الصالحة والموجهة في كل زمان ومكان.

المبحث الثالث: القيم الروحية في الديانات والحضارات القديمة.

إنّ تحقيق الرقي والتحضر أهم الأهداف المنشودة للأمم والشعوب عبر تاريخها، سعى فيها الإنسان منذ وجوده لضمان البقاء والاستمرار على الأرض، وتحقيق حياة أفضل وأسهل، والتأقلم مع الطبيعة وتحدياتها، فكانت للإنسان عبر مسيرته التاريخية والحضارية العديد من المنجزات، عكست لنا طبيعة حياته، ومستويات معيشته، باختلاف وتنوع انتمائه الحضاري والثقافي والديني، فكان التاريخ الإنساني شاهدا على تعاقب العديد من الحضارات، المجسدة لإنجازات الإنسان، وتسخيره لملكاته العقلية، والثروات الطبيعية، في تحقيق الرقي بالمجتمعات وتيسير الحياة، وتحقيق إنسانية الإنسان.

رافق هذا جملة من تعتبر المثل العليا والقيم الأخلاقية، التي تقوم عليها المجتمعات البشرية المتحضرة، وهي من جهة أخرى معيار ومقياس لهذا التحضر، وحيثما تتواجد القيم الروحية، تنبني أسس الحضارة وتشتّد باقي دعائمها، ولهذا فقد أخذت فلسفة القيم الروحية حيزا مهما في الديانات والحضارات القديمة، لكونها من أهم الأسس التي تقوم عليها الأديان والحضارات على حدّ سواء.

سنحاول من خلال هذا المبحث تقديم نظرة شاملة، لأهم وأبرز الديانات التي سبقت الديانة اليهودية والإسلام، التي احتوتها محطات حضارية مختلفة، ومتباينة الزمان والمكان عبر التاريخ، وقد كان تركيزنا في كل ديانة أو حضارة على جانب فلسفة القيم الروحية التي تضمنتها نصوص ومدونات تلك الحضارات والديانات، لنستشف فيما بعد مدى تواجد هذه القيم في حياة الإنسان ومدوناته التاريخية ومدى تطابقها أو اختلافها عن القيم الروحية التي تؤسس لها كل من التوراة والقرآن الكريم.

I. القيم الروحية في حضارات بلاد ما بين النهرين.

على أرض بلاد ما بين النهرين، ظهرت وارتقت أهم الانجازات الحضارية للإنسان، والتي كانت محطة مهمة للدراسة عبر التاريخ، أطلق كل من المؤرخ اليوناني "بوليبيوس" (208 ق.م- 126ق.م) والجغرافي "استرابو" (63 ق.م– 19م) على هذه الأرض تسمية "ميزوبوتاميا" (Mesopotamia)

[1] – محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 6.

وهي تسمية إغريقية الأصل، تفيد معنى "أرض ما بين النهرين"، ويقصد بها الجزء المحصور ما بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريبا[1]، وتأخذ من بلاد العراق أغلب مساحتها، التي اختلف الباحثون حول معناها وأصل تسميتها إلى ثلاث آراء، أولها أنّ الكلمة عربية الأصل، ومعناها الشاطئ، فهي شاطئ وضفة لنهري دجلة والفرات، كما يذهب معنى "عراق" في اللغة العربية أيضا إلى "الجبل" أو "سفح الجبل"، أمّا الاتجاه الثاني فيرى أنّ أصول الكلمة قديمة، وقد يعود إلى الأصول السومرية، أو إلى قوم آخرين غير السومريين وغير الساميين، الذين سكنوا واستوطنوا السهل الرسوبي في عصر ما قبل التاريخ، ويرى أصحاب هذا الرأي أنّ كلمة "عراق" مشتقة من "أوروك" أو "أنوك" التي تعنى المستوطن، أمّا أصحاب التوجه الثالث فيقولون أنّ أصل الكلمة أجنبي وتعني " إيراء" بمعنى "ساحل" وقد عرّبت إلى " إيراق" ثمّ " عراق"[2]، وهو ما يتقارب مع الرأي الأول، فالأرجح أنّ كلمة "عراق" يقصد بها الساحل أو الضفة، بحكم موقعها على ضفاف نهري دجلة والفرات.

أمّا أهل الأرض من العراقيين القدامى، فلم يطلقوا هذه التسمية، على أرض العراق بل كان ملوكهم يلقب كل منهم نفسه بلقب حاكم المدينة التي يحكمها، وهنا أطلقت عدّت تسميات على هذه الأراضي، بحسب الممالك والدول التي قامت عليها، فقد أطلق على القسم الجنوبي من السهل الرسوبي تسمية "بلاد سومر"، أمّا القسم الأوسط سمي بـ"بلاد أكد"، كما ظهرت تسميات أخرى جغرافية وسياسية منها بلاد بابل، وبلاد أشور، ويعود أول استعمال لهذه التسميات إلى الكتاب اليونان والرومان، وأولهم "هيرودس" فهو أول من اصطلح بلاد بابل، وأشور كتسمية لذلك القطر من الأرض، أو الأجزاء الوسطى والجنوبية منه، كما استعملوا تسمية "كالدية" نسبة إلى الكلدانيين الآراميين الذين أسسوا الدولة الكلدانية ما بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد، وفي الفترة ما بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد[3].

من مجموع الحضارات التي عرفتها منطقة بلاد ما بين النهرين، تمثل الحضارة السومرية والأكادية والبابلية والآشورية أهمها وأبرزها وأقواها، وهي ما حاولنا تركيز دراستنا حولها، لأنها من بين أهم الحضارات التي أنتجت تراثا دينيا وفكريا مهمين، وكانت مدوناتها من بين أهم المدونات التي عرفها التاريخ البشري، والتي رسمت وسطرت وأعطت فكرة واضحة عن الحياة والفكر وتصورات إنسان

[1]- أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص93 .

[2]- مجموعة من الباحثين: حضارة العراق، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ط، 1985م، ج 1، ص14.

[3]- المرجع نفسه، ص 14- 15.

ذلك الزمن، وقد كانت أهم مرجع لنا في رصد القيم الروحية التي انتشرت وسادت بين أفراد تلك الشعوب، ونصت عليها وأرخت لها نصوص حضارات بلا ما بين النهرين.

1- الحضارة السومرية.

تعّد الحضارة السومرية أساس الحضارات التي توالت وظهرت في العراق القديم، تأثرت بها أغلب الحضارات المجاورة لها، كالحضارة البابلية والآشورية، كما امتد تأثيرها إلى باقي المناطق والحواضر المجاورة في الشرق الأدنى القديم[1]، يقول "طه باقر" مؤرخ التاريخ العراقي القديم في مقارنته بين حضارتي مصر والعراق "تعد الحضارة السومرية أقدم الحضارات البشرية، وأول حضارة أصلية لم تشتق من حضارة سابقة لها، وإنما نمت من الأطوار البدائية في عصور ما قبل التاريخ في العراق"[2].

فالسومريون من بين أوائل الشعوب التي سكنت بلاد ما بين النهرين، يعود تاريخ وجودهم إلى حوالي عام 4000ق.م، وقد أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى منطقة "سومر" التي استقروا بها، والواقعة جنوب العراق[3]، وقد كان نظام دويلات المدن السومرية هو النظام السائد في تلك الحقبة، ومن أبرز دويلات المدن السومرية، والتي كانت بمثابة مراكز قوة في: أور، أوروك، أريدو، نيبور، كيش، لكش وغيرها، ومع التطور الاقتصادي عاشت هذه الدويلات نهضة حضارية واسعة النطاق، جعلتها مهدا للبشرية، ففي حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد انتصبت في هذه المدن السومرية أبنية شاهقة ضخمة تجري فيها طقوس العبادة لآلهة السومريين[4]، وخلال المرحلة الممتدة ما بين (2400 – 2371 ق.م)، كان عصر حضارة وبناء وسلام سياسي، ويعّد الملك (أوّما) المعروف بـ" لوكال زاكيري" من أبرز ملوك سومر الذين استطاعوا توحيد المدن السومرية في دولة واحدة وتحت سيطرته، فكان مصلحا اجتماعيا وأول مشرع في سومر، واستطاع أن يؤسس مملكة أو دولة سومرية واحدة، هي الأولى من نوعها في التاريخ[5]، وينتقل بعدها الإنسان إلى بداية عهد جديد من التاريخ باكتشاف الكتابة في سومر، كوسيلة للتدوين في كافة الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية

---

[1]- عبد الحميد زايد: الشرق الخالد – مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 363 ق.م-، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د ط، 1330هـ، ص 34.

[2]- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (دون معلومات النشر)، مج 1، ص 21 .

[3]- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د. ط، 1997م، ص 9.

[4]- عبد الحكيم الذنون: التشريعات البابلية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 1992م، ص 24.

[5]- خزعل الماجدي: متون سومر الكتاب الأول التاريخ – الميثولوجيا- اللاهوت – الطقوس-، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص 55.

والقانونية، كما شقت صناعة الفخار والأختام الأسطوانية طريقها من هناك إلى جميع أنحاء العالم[1]، وتنفتح مع هذه الحضارة آفاق عظيمة كانت أساسا للحضارات بعد سومر[2]، فقد كان للحضارة السومرية تأثير كبير داخل بلاد الرافدين وخارجها، وخصوصا على الأقوام السامية التي بدأت تدخل العراق خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، ولقد كانت علاقتهم ودية مع السومريين، ولم يفرق بينهم وبين السكان الأصليين لبلاد الرافدين، فاختلطوا بهم، واستوعبوا ثقافة وتراث السومريين[3].

واستطاع الملوك السومريين توحيد المدن السومرية ومدّ نفوذها إلى خارج بلاد ما بين النهرين، وكانت لهم أعظم الانجازات الحضارية في مختلف المجالات، وثبتوا أركان حضارة لتكون أساسا لما بعدها، ولقد كان الملك السومري " أورنّمو" (2113- 2096 ق.م)، هو أكثر ملوك سلالة أور شهرة وعظمة، فقد كان مهتما بالبناء والعمران في كل سومر، كما يعتبر من أقدم المشرعين في التاريخ فقد وصلت شريعته المدونة باللغة السومرية، والتي تعكس إحساسه الإنساني بالعدل وسنّه لقوانين الغرامات المالية، بدلا من القصاص الجسدي (العين بالعين)، وهو ما سنّته شريعة حمورابي لاحقا.

أمّا فيما يخص الجانب الدّيني على أرض بلاد ما بين النهرين، فقد امتزجت وتماثلت في كثير من الأحيان المعبودات والآلهة، بين الحضارات والشعوب التي توالت على هذه المناطق، ولقد آثرنا الحديث عن أهم وأبرز الآلهة والمعبودات في بلاد الرافدين مجتمعة، لأنّ عامل الانتقال والتأثير والتأثر كبيرين، ولا يمكن الفصل الدقيق بين الحضارات والديانات التي توالت على أرض العراق.

لقد امتازت أغلب الحضارات القديمة بظهور عبادات ترتبط بالخصوبة، ويرجع هذا إلى أنها كانت العامل المهم والأساسي الذي يتحكم في حياتهم، كما اتجهت أنظار الإنسان آنذاك صوب الحيوانات، لتكون مصدرا لغذائه، أو إلى العوامل الجوية المؤثرة في نزول المطر، كونها سببا لغذاء الإنسان وضمان حياته ومعيشته، فظهر تقديس العوامل الجوية المؤثرة على المطر والزرع والحصاد، وظهرت أهم الآلهة التي عبدها السومريون، ومنها: الآلهة آنو، إله السماء ويقع ترتيبه من حيث الأهمية في قمة الآلهة السومرية الرئيسية، كما عبد السومريون الإله أنليل إله الهواء، وعبد السومريون الإله أنكي وهو إله الأرض، وإله المياه الجوفية ومرتبته بين الآلهة تأتي بعد مرتبة الإله أنليل، ولهذا الإله ضمن اللغة الكردية تسمية أخرى تختلف عن التسمية السومرية، وتلفظ " أيا" كما اعتبرته النصوص المسمارية "إله الحكمة"، وأنكي هو والد الإله "اسارلوخي" (مردوخ)، إله مدينة بابل الرئيسي، ومعنى

[1]- عبد الحكيم الذنون: التشريعات البابلية، ص 24.

[2]- خزعل الماجدي: متون سومر الكتاب الأول التاريخ – الميثولوجيا- اللاهوت – الطقوس-، ص 11.

[3]- خزعل الماجدي: متون سومر الكتاب الأول التاريخ – الميثولوجيا- اللاهوت – الطقوس-، ص 49.

اسمه باللغة السومرية "عجل إله الشمس" أما اسمه باللغة البابلية فهو " مار– دوكو" بمعنى ابن الإله "دوكو" ومعنى "دوكو" التل المقدس، والذي يعبر عن مجلس الآلهة، وقد ظهر اسم الإله مردوخ منذ حوالي سنة 2600 ق .م، وغيرها من الآلهة المتعددة التي عبدت على أرض بابل أهمها نذكر، "الإله أتو" أو "شمش" في اللغة الأكدية وهو إله الشمس، ونسب إليه أنه يستطيع أن يكشف بضيائه الظلمات وهو قادر على رؤية كل شيء، لذلك اعتبر إله الحق والعدل[1].

أمّا فيما يرتبط بالقيم الروحية التي انتشرت في ربوع بلاد سومر، فقد نقلت الألواح والمدونات عن الشعب السومري، أهم صفاته ومميزاته ومنها السعي الدائم للنجاح، والطموح الكبير، والمحافظة على الشرف، وكانت القيم الأخلاقية التي تجسدها القوانين والأعراف، شيء سائد في المجتمع، ولا تطبق بمعاناة مع أفراد المجتمع، بل الجميع يلتزم بها بصمت وهدوء، كما يعتبر الكهنة والملوك مثلا أعلى لهذه القيم[2].

من بين أشهر المؤلفات العراقية القديمة، نوع يدعى بـ "أدب الحكمة" الذي يشمل على مدونات متنوعة تهدف إلى نشر الحكمة والموعظة، كما تتناول جانبا من مواضيع الفلسفة والفكر، المرتبطة بالإنسان والآلهة، وطرق استرضائها لنيل ثوابها، ودفع عقابها وضررها، فحسب ما يعتقده الفرد البابلي أنّ الآلهة خَلقت الإنسان لخدمتها، ولهذا خصّها بالعبادة والطاعة لتمنحه الآلهة مقابل تقواه وحسن سلوكه المساعدة والسعادة والنجاح في حياته[3]، ومن أمثلة هذه المدونات قصيدتان باباليتان تعتبران على قدر كبير من الأهمية أدبيا وفكريا لأنهما تدوران حول "الإنسان المعذب" و"العدالة الإلهية" وهما من المواضيع التي عني بها الكتاب والمفكرون السومريون والبابليون عناية خاصّة[4].

من بين القيم الروحية التي تعلّق بها السومريون والتي تضمنتها مدوناتهم ومؤلفاتهم حبهم للخير والصدق والقانون، والنظام، والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة، كما كانوا يمقتون الشر والكذب والزور وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد، وارتكاب المعاصي والضلال والصرامة وتحجر القلب، وعرف عن حكامهم بأنهم كانوا يتباهون دائما بمنجزاتهم خاصة المرتبطة بنشر العدل والنظام والقانون في البلاد، وحمايتهم للضعفاء، والفقراء والقضاء على الشر

[1]– مجموعة من الباحثين: حضارة العراق، ج 1، ص 159 .

[2]– خزعل الماجدي: متون سومر الكتاب الأول التاريخ – الميثولوجيا– اللاهوت – الطقوس–، ص 17.

[3]– مجموعة من الباحثين: حضارة العراق، ج 1، ص 361.

[4]– سهيل قاشا: أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، دار بيسان، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 214.

والظلم والعنف، ومن أهم وأقدم هذه المدونات في بلاد الرافدين، والتي كانت من بين الأساسات التي قامت عليها باقي التشريعات فيما بعد، الوثيقة التي دونها الحاكم " أورو – كاجينا" في مدينة (لجش)، والتي يذكر فيها اعتزازه بالعدل والحرية وغيرها من القيم التي أقامها بين الناس، كما أنه عمل على إزالة الطغاة المستغلين المتغلغلين في جميع شؤون الناس، وأوقف الظلم والاستغلال، وكان حامي الأرملة واليتيم، ولم يمض على هذه الإصلاحات أربعة قرون حتى نجد الملك " أور– نمو" مؤسس سلالة أور الثالثة، قد أصدر شريعة قوانينه، والتي تعدد في مقدمتها أيضا بعض أعماله في مجال الإصلاحات الأخلاقية، وتنظيم المعاملات بين الناس، وضمان الاستقامة والأمانة، وبعد نحو قرنين من الزمان أصدر " لبت – عشتار" ملك مدينة "إيسن" شريعة جديدة، وقد تناولت افتخاره باختيار الإلهين " آن" و"أنليل" لحكم البلاد، لكي ينتشر العدل، ويزيل الشكوى ويقضي على البغضاء والثورة مع استعمال السلاح، وليجلب الخير والرفاء إلى السومريين والأكديين، كما نلاحظ في تراتيل عدد من الحكام السومريين أنها ملأى بمثل هذه الادعاءات في السلوك الأخلاقي المتسامي.

كما ينقل عن السومريين أيضا أنّ آلهتهم كانت تفضل ما هو أخلاقي وصالح على الفساد والخروج على المبادئ الأخلاقية، فنجد أغلب الآلهة مجدوا في التراتيل السومرية بصفتهم محبين للخير والعدل وللصدق والاستقامة، كما أنهم خصوا عدّة آلهة بالإشراف على النظام الأخلاقي، كالإله "أوتو" إله الشمس، وآلهة أخرى ذكرت في مدينة " لجش" هي "نانشه" خصصت نفسها لرعاية الصدق والعدل والرحمة، وقد كشفت الأبحاث الأثرية في مدينة "نفر" عام 1951م، عن ترتيلة سومرية قوامها زهاء 250 سطرا من بين 19 لوحا وجزء من لوح، وهذه الترتيلة تحتوي على أهم وأوضح أقوال في السلوك والأخلاق[1]، وتقدم لنا نظرة تختصر فيها الجانب الأخلاقي الذي امتدحته الآلهة ورغبت فيه، ليلتزم بها أفراد المجتمع ضمانا لنظامه ودفعا لرقيه وتحضره.

2– الحضارة الأكادية.

تشتق تسمية الحضارة الأكادية من اسم الأقوام الأكدية، وهي من أولى الأقوام العربية القديمة القادمة من شبه الجزيرة العربية عن طريق سورية والفرات، واستقرت في وسط وجنوب بلاد الرافدين، وتمكنت من الاندماج بالسومريين في المدن والأرياف، منذ حوالي مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وقد تمكن الأكاديون من إقامة دولتهم في حدود عام 2370 ق.م، وعملوا فيها ولأول مرة على

[1]– صموئيل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، مؤسسة الخانجي، القاهرة ، مصر، د.ط، .ت، ص 192- 193.

توحيد جميع مدن وأقاليم وادي الرافدين في دولة واحدة[1]، على يدّ "سرجون الأكادي Sargon" الذي حكم البلاد بعد "لوكال زاكيزي" وأنهى عهود دويلات المدن السومرية.

استقر الأكاديون في بداية دخولهم أرض ما بين النهرين في منطقتين؛ الأولى على الضفاف اليمنى لنهر الفرات، أما جماعات أخرى فقد استقرت على ضفاف مجرى الفرات القديم، باتجاه الجنوب حتى مدينة كيش، وأقاموا مدنا أهمها؛ أكاد و كوثا وأوبيس وأكشاك، واستمر حكمها زهاء قرن ونصف قرن في الفترة ما بين (2371 ق.م – 2230 ق.م)، وقد شملت دولة سرجون معظم الهلال الخصيب وعيلام وقسما من آسيا الصغرى إلى ساحل البحر المتوسط[2]، ظلت أكاد تشكل كيانا مستقلا عن سومر، رغم اتحادها مع هذه الأخيرة، وكان أمراؤها يحملون لقب "ملك سومر وأكاد"، وظلت تحافظ على مركزها المرموق، وبوصول الملك "أورنامو" حاكم مدينة أور، وتمّ تأسيس سلالة أور الثالثة التي امتازت بإحياء الآداب السومرية والأكادية، وقد حكم ملوك سلالة أور الثالثة ما بين (2111 – 2003 ق.م)، ويعود إليه الفضل في تقنين أول شريعة عرفتها البشرية، وتعتبر من أقدم ما اكتشف من القوانين ليومنا الحاضر، وتوالى الملوك والحكام على أراضي ما بين النهرين، حتى زمن إقامة الإمبراطورية البابلية على يدّ الملك حمورابي[3].

أمّا في مجال الأخلاق والقيم الروحية، نجد العديد من المدونات الأكدية القديمة، التي تحث على الجانب القيمي والأخلاقي، التي تلزم الفرد بها وتدفعه للعمل بها، لنشر المبادئ والمثل العليا، وقد اخترنا من بين تلك النصوص التي حفظها التاريخ، ما يحث على قيم الصدق والرحمة والوفاء والإخلاص مع الناس، وفي التعاملات، وهذا ما ضمته بعض وصايا الآباء لأبنائهم، في أن يبتعد عن المعاشرات السيئة، وألا يفتري على أحد أو يشتمه، أو يهزأ به، وأن يكون عطوفا حتى على أعدائه وأن يغيث التعساء، ويحذره من الأخطاء التي يتعرض لها بفعل محاباة الكبار، وأن يكون شريفا في علاقاته سواء أكانت من حيث الصداقة أو العمل[4].

كما اخترنا من بين أهم المدونات البابلية التي تحث على القيم والمبادئ الروحية، حكمة "أحيقار" الشهيرة، وهنا نذكر بعض الأمثلة:

---

[1]- مجموعة من الباحثين: حضارة العراق، ج 1، ص 284- 285.

[2]- عبد الحكيم الذنون: التشريعات البابلية، ص 26.

[3]- المرجع نفسه، ص 26- 27.

[4]- مفيد عرنوق: صرح ومهد الحضارة السورية، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص 101.

«يا بنيّ ليكن كلامك صادقا، ليقول لك سيّدك اقترب مني فتحيا»[1]، وهي توصي بقيمة الصدق وتحث عليها، وفيها يظهر معتقدات الأكاديين في أنّ القيم سبيل لطاعة الملوك والآلهة، لاسترضائها، لتمنحهم السعادة والنجاح في حياتهم، كما جاء فيها أيضا « لا تقم بوشاية قل دائما أقوالا جيّدة، لا تضمر شرا ولتكن كلماتك كلها طيبة، وإنّ من يفتري ويقول أقوالا خبيثة ينتظر عبثا مكافأة شمش (الإله) »[2]، كما أنّ حكمة أحيقار لم تخلو من الدعوة إلى الرحمة والعطف حتى على العدو وألد الناس، «لا تكن خبيثا مع من يفتش عن مخاصمتك، ومن أذاك ردّ عليه بالحسنى، ومن كان خبيثا بحقك كن عادلا معه، ولتبقى روحك تجاه عدوك صافية، لا تحتقر الضعيف بل كن عطوفا عليه »[3]، أمّا في قيمة الإخلاص والوفاء والوعود فقد جاء: «وإذا وعدت أوف بالوعد، وإذا أحدثت الثقة فكمل ما أنت تستحقه، حقق لشركائك ما تشتهيه لنفسك، ومن كل ما تعلمته أنظر إلى ما تحمله لوحتك»[4]، فالنصوص والمدونات الأكادية حثت في كثير من أجزائها على مجموعة من القيم الروحية والمثل العليا، التي أرادت ترسيخها وغرسها في المجتمعات، وللإشارة فقد كان هذا الجانب، جزء لا يتجزأ من المنظومة الفكرية والعقدية والدينية لدى شعوب بلاد ما بين النهرين، إلا أنّ زوال هذه الحضارات واندثارها قد يكون أول عوامله انتشار الفساد والخروج عن هذه القيم والمثل.

3- الحضارة البابلية.

إذا كان هناك مدن ذاع صيتها في التاريخ والأسطورة، فإنّ بابل أبرز مدينة من بين تلك المدن، التي اكتسبت شهرة لا مثيل لها، أثارت بها فضول وتحمس الباحثين والمؤرخين لكشف الستار عن تاريخها العريق والثري والمتميّز، وقد كانت كتابات المؤرخين الإغريق وكتاب التوراة أولى المصادر المتحدثة عن بابل وتاريخها، ولكن مع منتصف القرن التاسع عشر، بدأ عهد جديد في الأبحاث عن تاريخ بابل وحضارتها، وأتاح حلّ رموز الكتابة المسمارية، والتنقيبات الأثرية، فكّ ألغاز تاريخها، والاطلاع على أسرار وثائقها التي تكشف مجد بابل وحضارتها، وعلى هذا النحو خرجت هذه الحاضرة من الأسطورة، ومن كفن الأرض الذي طمرها منذ آلاف السنين[5].

---

[1]- سهيل قاشا: حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، دار دمشق، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص 18.

[2]- مفيد عرنوق: صرح ومهد الحضارة السورية، ص 105.

[3]- مفيد عرنوق: صرح ومهد الحضارة السورية، ص 103.

[4]- المرجع نفسه، ص 106.

[5]- مارغريت روتّن: تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص 9.

تأسست مملكة بابل على يد "سومو أبوم" (1830 – 1817 ق.م)، الذي كان يحكم منطقة صغيرة في جنوب العراق، ثمّ أخذ يوسع رقعة دولته، وأعلن نفسه ملكا على بابل واستمر في الحكم ثلاثة عشر عاما، وهنا بدأ عهد الأسرة البابلية الأولى، وتمكن ملوكها من المحافظة على ملكهم ومدّ نفوذهم على مدى حوالي ثلاثمائة عام.

من بين أشهر الملوك والحكام الذين عرفتهم الدولة البابلية الأولى، الملك حمورابي (1728–1686 ق.م) وهو الملك السادس في السلالة العمورية الذي جمع بين صفات القائد العسكري والسياسي المحنك، والملك العادل، والمشرع المصلح والحازم، ويعتبر عهده العهد الذهبي للعراق القديم، لما كان ينعم به سكانه من الرخاء والرفاهية أثناء حكمه[1]، والذي أسس الإمبراطورية البابلية الأولى التي امتدت من الخليج العربي إلى "ديار بكر" ومن جبال زاجروس إلى البحر الأبيض المتوسط، على مدى حوالي ثلاثين عاما[2].

كان حمورابي مؤسس أعرق الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ، ويعتبر قانون الذي وضعه أهم وثيقة اجتماعية واقتصادية وتاريخية من عصر المملكة البابلية الأولى، والذي أسسه على ما سبقه من شرائع وقوانين أهمها قانون أورنامو ملك أور، ومن عهد لبيت عشتار ملك أيسن، وعهد بلالاما ملك أشنونا، وقد جمع بينها حمورابي ليؤسس لشريعة شاملة ومتكاملة، وقد كانت شريعة حمورابي في جانبها الأخلاقي والقيمي قاسية في توقيع العقوبات على كل من يخرج على العرف، أو يقترف ما يتنافى من المبادئ الأخلاقية، ومعظم الأحكام كانت تأخذ بمبدأ العين بالعين والسن بالسن، أو المعاملة بالمثل، وهذا الذي كان شائعا بين الشعوب السامية[3].

كما مجد البابليون الحقيقة والإنصاف، العدالة، والوفاء بالعهد، حتى أنهم ألهو هذه القيم والمبادئ والمفاهيم، فكانت "كيتو" إلهة العدالة ابنة "شمش" إله الشمس، وقد كان لها معابدها الخاصة في العصر البابلي القديم، وكان كل من "ديانو" و"مدانو" من آلهة العدل[4]، ويمكننا أن نرصد انطباعا حول البابليين كذلك أنهم كانوا يضعون القيم ذات الطابع التعاوني، أي الصيغ التي تميّز الفرد

[1]– حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، ص 38.

[2]– خزعل الماجدي: إنخيل بابل، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص 264.

[3]– حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، ص 39.

[4]– كلكشوف: الحياة الروحية في بابل الإنسان – المصير – الزمن، ترجمة: عدنان عاكف حمودي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 1995م، ص 136 .

كمتعاون، مثل العطف والوفاء، فوق القيّم ذات الطابع التنافسي التي تميّز الفرد كمتنافس مثل القوة، والروح العسكرية[1].

كما كان الناس في بلاد ما بين النهرين يعتقدون أن من يفعلون الخير، ويتمسكون بالأخلاق الطيبة، تكافئهم الآلهة بالسعادة وطول العمر والثروة وكثرة الأولاد وتحميهم من الأخطار المختلفة، وأنّ الآلهة تمنح حياة طيبة لمن يلتزم الأخلاق الطيبة، فكانت الآلهة تدعوا إلى إتباع العطف والرحمة والإخلاص والعدل واحترام القوانين والنواميس الاجتماعية، وقد جاء في أحد النصوص البابلية: "قم بالأعمال الصالحة وقدم العون في كل أيامك، لا تشهر بالآخرين وحدث بالحسنات، ولا تقل أشياء خبيثة، وقل في الناس قولا جميلا"[2].

تنوعت القيم الروحية التي دعت لها نصوص ومدونات الحضارات التي انتشرت وتوالت على بلاد ما بين النهرين، كما لم تهمل مدونات هذه الحضارات من السومرية والأكادية إلى البابلية وكذا الآشورية القيم الروحية والأخلاقية، فعمل الحكام والملوك على نشرها بين أفراد المجتمع، ضمانا لاستقراره وتطوره، تجسدت في قيم الصدق والمحبة والاحترام، بين كل فئات وأفراد المجتمع بتنوعها واختلافها، كما كانت هذه القيم الروحية تنتمي إلى منظومة دينية وفكرية وعقدية متكاملة انتشرت في ربوع وأقطار بلاد ما بين النهرين.

II. القيم الروحية في الحضارة المصرية القديمة.

تعّد الحضارة المصرية من أعرق وأقدم الحضارات، الشاهدة على حياة ومنجزات الإنسان في أقدم المراحل التاريخية، وامتد التاريخ المصري القديم عبر آلاف السنوات قبل الميلاد، ويبدأ عند بعض المؤرخين من العهد العتيق الممتد ما بين (4777 ق.م - 4212 ق.م) ويشمل الأسرتين الأولى والثانية، ثمّ عصر الدولة القديمة وتضم الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة، الممتّد ما بين (4212 ق.م-3335 ق.م)، وشهد هذا العصر تطور للحضارة المصرية وازدهارا واسعا، استطاع ملوكها بناء الأهرامات الضخمة، لذا أطلق المؤرخون على ذلك العهد اسم عهد بناء الأهرام وأشهر ملوك هذه الفترة، الملك "زوسر" باني الهرم المدرج، والملك "أمحتب" المهندس والطبيب، ومصمم ذلك الهرم، والملك "خوفو" باني الهرم الأكبر، والملك "خفرع" باني الهرم الثاني، وكذلك الملك "منقرع" باني الهرم الثالث، والملكة "خنت كاوس" بانية الهرم الرابع، تلى هذا العديد من المحطات التاريخية، في

[1]- كلكشوف: الحياة الروحية في بابل الإنسان – المصير – الزمن، ص 137.

[2]- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، ص112.

التاريخ المصري القديم تراوحت بين الانحطاط والاضمحلال والعودة إلى الازدهار والتطور[1]، ويشمل الأسرات من الأسرة السابعة إلى الرابعة عشرة وصولا إلى تعرض البلاد لغزو الهكسوس، الذين امتّد حكمهم داخل مصر ما بين (1928 ق.م– 1738 ق.م)، وبعد طرد الهكسوس قامت الدولة الحديثة وتضم الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين،(1587 ق.م–1085ق.م) وأصبحت مصر قوة عظمى، وتوسع نفذها ليصل إلى آسيا الغربية، وصارت مصر بذلك إمبراطورية عظيمة، مترامية الأطراف، ومن بين أقدم وأهم الإمبراطوريات في التاريخ[2]، وأخيرا العصر المتأخر الذي يبدأ بالأسرة الحادية والعشرين ويمتد حتى الغزو اليوناني"[3].

كما تخللت هذه الفترة وما بعدها العديد من الغزوات التي تعرضت لها مصر، أولها الفرس عام (525 ق.م)، تلاها الفتح المقدوني لمصر، وفيها طرد الاسكندر الأكبر الفرس من مصر عام (332 ق.م)، ثم كان عهد البطالمة (323 ق.م – 30 ق.م) وازدهرت البلاد في عهدهم، ولكنها لم تلبث أن تدهورت في أواخره، ليليها الغزو الروماني الممتد ما بين (30 ق.م إلى 640م) وطال فيها حكم الرومان لمصر، ولاقت فيه من الظلم والقسوة والاضطهاد ألوانا، حتى وصول الفتوحات الإسلامية بقيادة عمر بن العاص سنة (640 م)[4].

أمّا فيما يتعلق بالجانب الديني في مصر فلم يكن هناك دين موحد في مصر، بل كان لكل مقاطعة إلها خاصا بها، حسب من يستحوذ على الزعامة والملك فينصب نفسه خليفة الإله على الأرض، ومع ذلك فقد كان هناك إلهان ظلا أهم الآلهة طوال التاريخ المصري هما: إله الشمس و أوزيريس، ولقد كانت الشمس والنيل بالنسبة للمصريين أقوى مظاهر الطبيعة التي تتحكم في حياتهم ولذا اتجهت العبادة الأساسية إليهما[5]، ويبقى الدين المصري أحد أهم المظاهر التي تسجد عبادة الإنسان لمختلف مظاهر الطبيعة، وعبادة الملوك والحكام.

إذا حاولنا دراسة أهم المثل العليا، والقيم الروحية التي سادت مصر في العصور القديمة، يقودنا هذا إلى تتبع السلوك التعاملي للإنسان المصري القديم في مجتمعه، نجد أنّ هذا السلوك يقوم على أسس دينية واجتماعية، وبالتالي فإنّ القيم الصادرة عن هذا السلوك تكتسب طابع التقديس، وتكون

---

[1]– سمير أديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، د د ن، د ب، د ط، 1997م، ص 23– 27.

[2] – و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر و عبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1975م، ص 9 –15.

[3]– جان فيركوتير: مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، مصر، ط1، 1992م، ص 46.

[4]– و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ص 9 –15.

[5]– ألن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة: نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م، ص 55.

بمثابة قواعد تلزم الفرد وتجذبه للتمسك بها، لأنها تعطي له المثل الأعلى والخير والصواب الذي يتوق إلى تحقيقه، كما كان الملك يمثل المثل الأعلى في الدنيا والآخرة، وبالتالي فإنّ المثل العليا للمصريين ارتبطت بأسس عقدية وتعتمد على مجموع تصورات ومعتقدات ارتبطت بنظام الملكية، بالإضافة إلى أنّ المثل العليا مرتبطة بمستقبله ومصيره بعد الموت، أي متعلقة بعقيدة الخلود وما صاحبها من قيم ومبادئ حرص عليها الإنسان المصري القديم[1]، فإذا صلح سلوك الفرد في حياته والتزم فضائل الأعمال والقيم، يجازى بحسن الحياة في آخرته، لاعتقاد المصريين بحياة أخرى بعد الموت، تكون نتيجة لأعماله في الحياة الدنيا.

يسجل التاريخ المصري القديم العديد من القيم والفضائل التي كانت تسود أفراد المجتمع، القائمة عل أساس السلوك اللذين يعامل بهما الإنسان أفراد أسرته أولا، من الوالدين والإخوة، إلى باقي أفراد المجتمع، فنجد أول ما تحث عليه نصوص الحكمة المصرية، طاعة الوالدين والبر بهما، فجاء فيها: "فهما اللذان وضعاه على رأس السبيل إلى الخير"، ويقول أحد الحكماء في وعضه لابنه: "قرب الماء لأبيك وأمك اللذين انتقلا إلى قبرهما في الصحراء، وإياك أن تغفل هذا الواجب، وليفعل لك ابنك مثل ذاك"، كما نجد نبيلا من الأسرة السادسة يتحدث عن بره بوالديه وإخوته، فيقول:" كنت مطيعا لأبي، حفيا بأمي ، فرعيت عيالها" إذ كانت رعاية الأطفال وقت ذاك في مقدمة واجبات الراشدين من ذوي القربى والأوصياء، وكان المسؤول من القوم يرى من واجباته الأساسية دفن الموتى والوصاية إلى ذريتهم[2]، وهي قيم روحية تنبعث من احترام الوالدين والبر بهما، والرحمة والرأفة بمن يحتاج إليها، كما نلاحظ أنّ هذه القيم تنبعث من عقيدة الخلود والحياة بعد الموت التي آمن بها قدامى المصريين، ولهذا كانت هذه النصوص تلزم الفرد برعاية الوالدين في حياتهما وبعد الموت أيضا.

كما كان بر الوالدين قيمة متواصلة وثابتة في المجتمع المصري القديم، فقد كانت فترة عصر الأهرام تتميّز بالثبات على هذه القيم، من خلال ما اكتشف من نقوش المقابر الضخمة، التي تعتبر من صنع الأبناء البررة لآبائهم المتوفين، ورعايتها وتأدية الشعائر الدينية فيها، وتقديم القرابين صدقة على أرواحهم، ويسجلون هذا على صفحات القبور[3]، بالإضافة إلى هذا فقد حرص الأبناء الكبار على تسجيل اعترافهم بحقوق الأبوة وواجبات البنوة في نصوصهم الخاصة، فكتب أحدهم في سيرة

---

[1]- محمد علي سعد الله: تطور المثل العليا في مصر القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ط، 1989م، ص19.

[2]- محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة – الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط4، 1989م، ج 2، ص 49.

[3]- محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة – الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية، ج 2، ص 49- 51.

حياته يقول: "كنت عكاز الشيخوخة في يد أبي ما بقي على وجه الأرض، وكنت أروح وأغدو وفق أمره، ولم أخالف أبدا ما قرره فمه، ولم أتعوّد أن أتطلع إليه بنظرات كثيرة، وكنت أطأطئ بوجهي حين يحدثني"[1]، ومن بين القيم الروحية الأخرى التي تميّزت بها الحضارة المصرية القديمة، نجد قيمة العدل، والتي كانت تعد مصلحة من مصالح الحكومة تعمل على رعايتها وحفظها، ولذلك فقد كان في كل مقاطعة يرأسها حاكم، وتابع لمركز الإدارة الرئيسية للبلاد ككل، وتتكلف برعاية العدالة وحفظها في كل شبر من مصر[2]، لدور قيمة العدل في الحفاظ على أمن المجتمع، وضمان حقوق الأفراد داخله.

أطلق المصريون القدماء كلمة "ماعت" على جوهر النظام والعدالة لديهم، ولخصت هذه الكلمة الفلسفة الروحية العميقة للأخلاق والقيم والعدل والمثالية في مصر القديمة، كما أنّ "ماعت" تجسدت في إلهة الصدق والعدل، وتمثل آلهة أنثى ابنة الإله "رع" وزوجة "لتحوت"، وهي أساس الحضارة المصرية والبعد الخفي والعميق لمدنية المصريين[3]، فقد كان لقيمة الصدق مكانة عظيمة عند قدماء المصريين، ويتبيّن ذلك من كثرة عدد كهنة الآلهة " ماعت" آلهة الصدق، ونالت آلهة الصدق تمجيد كبير لما لقيمة الصدق من أثر عميق في نفوسهم[4].

وقد مثلت النصوص التي كان حقا على موتى المصريين القدامى تلاوتها يوم الحساب، منكرين فيها ارتكابهم لبعض الخطايا، ومتبرئين من اقترافهم لبعض السيّئات، أفضل دليل على اعتقادهم فيما كان ينبغي أن يكون سلوك الناس وأخلاقهم وقيمهم، في الحياة، وقد ورد أغلبها في الكتاب المدعو "كتاب الموتى"[5]، وقد سميّت خطأ الاعتراف الإنكاري، ومن أمثلة ذلك، « لتضمن لي طريقا عسى أن أعبر عليه في سلام لأنني عادل وحق، لم أنطق بالأكاذيب عامدا ولا ارتكبت البتة خداع»[6]، كما كان لحكماء مصر القديمة حكم ونصائح وأمثال، لا تتصل بالحقوق المفروض مراعاتها، كما هو

---

[1]- عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1988م، ص119.

[2]- سليم حسن: مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1992م، ج 2، ص 54.

[3]- خزعل الماجدي: الدين المصري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999م، ص 279.

[4]- و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ص 149- 150.

[5]- كتاب الموتى: مجموعة من لفائف البردي تحوي نصوصا وتعاويذ وأدعية وصلوات، كان الغرض منها طرد الأرواح الشريرة من قبر المتوفى، وتسهيل الطريق له إلى العالم الآخر، وقد سمي كذلك للعثور على نصوصه في مقابر الموتى، منذ عهد الدولة الحديثة، والفصل الخامس والعشرون بعد المائة من هذا الكتاب يوضح طريقة محاكمة المتوفي على ما قدمت يداه، في الحياة الدنيا من خير أو شر، أمام محكمة العدل الإلهية، التي يترأسها الإله أوزيرس أمام الموتى، وللمتوفى أن ينكر اقترافه أية خطيئة أمامها، فتكلّف أحد أعضائها أن يزن قلبه بميزان للتأكد من صدقه، فإذا كان صادقا دخل جنة " أوزيرس"، يستمتع بما فيها مما تشتهيه النفس إلى الأبد، أمّا إذا ثبت كذبه، فإنّه يلقى به إلى حيوان مفترس، فيلتهمه أو يلقى به في النار.(و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ص142- 143.)

[6]- برت إم هرو: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة عن الهروغليفية: والس بدج، ترجمة إلى العربية: فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د. ط، د.ت، ص 33.

الحال في كتاب الموتى، بل تتصل بأدب السلوك وسياسة الناس، وإماتة الضغينة والحقد في قلوبهم، وتوجيههم إلى الطريقة المثلى لمعاملة بعضهم البعض، وهي مبادئ سامية، إذا احتذاها الناس عمّت بينهم السعادة والهناء، ومن أشهر هؤلاء الحكام، الملك "بتاح حتب" الذي عاش في عهد الأسرة الخامسة، وقد كانت حكمه ونصائحه تبيّن السلوك السوي، من وجهة نظر المصريين في زمانه، نذكر منها: « لا تنغمس في مظاهر الثراء الذي أنعم الله به عليك »، وقال أيضا: « إذا أردت أن تكون أعمالك محدودة فتجنب الشرور، واحذر نزعات الجشع والطمع »[1]، كما حرصت الحكمة المصرية القديمة على تجنب الغش والخداع، وتوصي بالإذعان والطاعة لمن هم أعلى مقاما، والعدل والإحسان لمن هم أقل منزلة، من غير مس يقتل الحسنات، أو تذكير بما قدم لهم خدمات ومساعدة، وتجنب التكبر ونهب أموالهم أو استعمال العنف معهم وباقي الأمور المذمومة[2]، ومن أقوال حكمائهم: « إذا كنت كريما مع أحد الناس، وصنعت معروفا له، كأن أنلته حقا من حقوقه، فمن الخير أن تتناسى هذه المكرمة ، ولا تذكره بها ما لم يذكرها لك هو »[3]، كما أوصت تعاليم الحكمة المصرية القديمة، على قيم الاحترام وقيم الرحمة بمن هم أكبر سنا، « لا تسب من يكبرك سنا... فإنّه قد شاهد نور الإله... دعه يضربك إن شاء ويدك في خاصرتك... ودعه يسبك إن شاء وأنت صامت ..."، والرحمة بالفقراء ومساعدتهم أيضا :"ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ أو تظلم مقصور اليد من أجله...فالرب يحب إسعاد الفقير أكثر مما يحب تعظيم النبيل...»[4]

ومن أهم القيم الروحية التي نصت عليها الحكمة المصرية أيضا، قيمة الإخلاص، فجاء فيها: « لا تصافحن قرينك الأحمق على الرغم منك، ولا يحزنن قلبك من أجل ذلك، ولا تقول له السلام عليكم رياء، عندما يكون في باطنك حقد أو تدبير فظيع، لا تتكلمن مع إنسان كذبا، فذلك ما يمقته الله، ولا تفصلن قلبك عن لسانك، حتى تكون كل طرقك ناجحة، وكن ثابتا أمام غيرك من الناس، فالإنسان في مأمن في يد الرب... والرب يمقت من يزور في الكلام ... وكبر مقتا عنده النفاق »[5]، فقد جسدت الحكمة المصرية ونصّت على العديد من القيم الروحية والأخلاقية، ودعت الإنسان للالتزام بها، كبرّ الوالدين واحترام الآخر، والصدق، والمحبة والإخلاص.

---

[1]- و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ص 149.

[2]- المرجع نفسه، ص 151.

[3]- و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ص 185.

[4]- محمد عبد الحميد بسيوني: آداب السلوك عند المصريين القدامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، د. ت، ص103

[5]- المرجع نفسه، ص 110.

III. القيم الروحية في حضارتي العرب قبل الإسلام وبلاد فارس.

من مجموع الحضارات التي انتشرت في ربوع الشرق الأدنى القديم، بالإضافة إلى حضارات بلاد ما بين النهرين، والحضارة المصرية القديمة، نجد أيضا الحضارات والشعوب التي انتشرت في بلاد فارس، وبلاد العرب، وهي حضارات لا تقل أهميتها عن باقي الحضارات، التي أنتجت تراثا فكريا ودينيا مهمين، وكان لهما تأثير عميق على الشعوب والحضارات المجاورة، سنحاول من خلاله هذه دراسة إبراز أهم ما ميّز حضارتي العرب قبل ظهور الإسلام، والحضارة الفارسية، مع التركيز على جانب القيم الروحية التي تميّزت بها هذه الشعوب، وأسست لها نصوص ومدونات المنطقتين.

1- القيم الروحية عند العرب قبل الإسلام.

تقع جزيرة العرب على قطر واسع، تبلغ مساحته نحو مليون ميل مربع، وتقع في الركن الجنوبي الغربي لقارة آسيا، يطلق العرب على بلاهم اسم "جزيرة العرب" تجاوزا لأن البحار والأنهار تحيط بها من كل الجهات، فيحدها من الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب البحر العربي، ويحدها البحر الأحمر من الغرب، بينما يكمل الفرات الحد الشرقي والشمالي الشرقي، لتبقى حدودها المتبقية تشمل بلاد الشام والبادية التي تمتد بين العراق والشام، وصحراء سيناء، التي يشقها نهر النيل ليكمل الحدّ الغربي ويصب في البحر المتوسط، الذي يمثل الحد الشمالي الغربي، وهذا التحديد الذي ذكره الهمذاني في رسمه لحدود جزيرة العرب، بينما يطلق الجغرافيون على بلاد العرب اسم "شبه جزيرة العرب" بإخراج بادية الشام وشبه جزيرة سيناء منها، إلا أنّ الطبيعة الجيولوجية الصحراوية تحتم ضم هذه الأجزاء إلى جزيرة العرب[1]، أمّا العرب فهم أمة من الأمم السامية، (نسبة إلى سام بن نوح)، منشؤها جزيرة العرب، وهم من أقدم الأجناس البشرية الأولى، فقد وجد اسم العرب على أولى النقوش المصرية القديمة، كما ذكر اسمهم على النقوش الفارسية، بمعنى القبائل والأقوام التي نزلت واستقرت غربي الفرات، وكذلك أشارت إليهم النقوش الآشورية[2].

من أهم المصادر التاريخية التي تتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام، خاصة في جانبها الديني، نجد في مقدمتها المصادر الأثرية، من نقوش وآثار مختلفة، إضافة إلى المصادر الكتابية أي المدونة والتي تتنوع بين العربية وغير العربية، فغير العربية متمثلة في الكتابات اليهودية، ووثائق البردي والنقوش المدونة ببعض اللغات الأعجمية كالآشورية والعبرانية واليونانية واللاتينية، أمّا الكتابات

[1]- محمود عرفه محمود: العرب قبل الإسلام – أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم-، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1995م ص 17.

[2]- المرجع نفسه، ص 14.

العربية بلهجاتها المتعددة من معينية وسبئية وحضرمية، وثمودية ولحيانية وصفوية، وهي نصوص لا يرد فيها نصوص دينية مباشرة مثل نصوص صلوات أو أدعية دينية أو بحوث في العقائد وما شابه ذلك، غير أنها حوت بعض أسماء الآلهة، ومنها استطاع الباحثون أن يعرفوا بعض آلهة القبائل العربية القديمة، كما يعّد القرآن الكريم، المرجع الأهم والأصدق لما فيه من ذكر لأحوال الناس ، ولا سيما ما كان عليه أهل مكة ويثرب والحجاز من عبادات وآراء قبل الإسلام، وفيه ذكر بعض الأصنام الكبرى التي كانت تتعبد لها القبائل، كما يعّد الحديث النبوي وكتب السيرة كذلك من أهم المصادر لتاريخ العرب قبل الإسلام، كما يرد في الشعر الجاهلي إشارات إلى بعض عقائد عصر الجاهلية، وذكر لبعض الأصنام، تعرّض لها شرّاح الدواوين والأشعار، إضافة إلى كتب التاريخ الإسلامي، التي تمثل مصدرا مهما لمعرفة التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية، وفي مقدمتها "كتاب الأصنام" لصاحبه ابن الكلبي، أهم مصدر في تاريخ العرب ومعتقداتهم قبل الإسلام، وكتابات العديد من المؤرخين العرب، أبرزها كتاب المؤرخ الجغرافي "الهمذاني"، بكتابه "الإكليل" وكتاب "صفة جزيرة العرب" ويعتبر من أشمل الكتب في وصفه لشبه الجزيرة العربية من الناحية الجغرافية والتاريخية، كما تعّد كتابات المستشرقين من بين أهم الأبحاث عن حقائق تاريخ العرب وجزيرتهم قبل الإسلام.

يقسم العرب إلى ثلاث طبقات وهي؛ العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة، فالطبقة الأولى هم الذين انقرضوا منذ أمد طويل بفعل العوامل الطبيعية، كهياج البراكين وثورة الرمال الزاحفة ومنهم (عاد[1] وثمود[2] وغيرهم)، أمّا الطبقة الثانية وهم العرب العاربة: فهم المبتدعون للعروبة

---

[1]- هم قوم هود (عليه السلام)، ويعتبرهم المؤرخون أقدم العرب البائدة، وقد ذكر قوم عاد في أشعار العرب الجاهلية، والمخضرمين من العرب، كما ورد في القرآن الكريم ذكرهم، في قوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾ (النجم 50- 51)، وفي قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ﴾ (الفجر 6- 7)، ونستدل في قوله تعالى: "أهلك عادا الأولى"، أنّ هناك عادا الثانية، وقد أخبر الله تعالى عن ملكهم، ونطق بشدة بطشهم، واهتمامهم بالبنيان الضخم، في الآيات 123- 130 من سورة الشعراء، ولقد ورد في القرآن الكريم كيف عاقبهم الله تعالى، إذ أرسل إليهم ريحا صرصرا وصواعق دمرت مساكنهم، وقضت عليهم (فصلت: 16) (السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب – تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د .ط، د.ت، ج 1، ص 52)

[2]- هم قوم النبي صالح (عليه السلام) الذين دعاهم إلى عبادة الله فخالفوه، وقد ورد اسم ثمود مع اسم عاد أو مع اسم نوح (عليه السلام) في عدّة سور من سور القرآن الكريم، لأنّ المراد بذكرهم ترهيب المشركين وإنذارهم بما أصاب هذه الشعوب من قصاص الله لتكذيبهم الأنبياء والرسل، ونستدل مما ور في القرآن الكريم، أنّ ثمود هلكوا على إثر تفجير بركان صحبته رجفة عنيفة أو زلزال،﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ ﴾ (الأعراف: 78) و قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨ ﴾ (هود: 67- 68) وغيرها من الآيات القرآنية، ولم يحدد القرآن الكريم موقع منازل ثمود، ولكنه أشار إلى أنهم نحتوا بيوتهم في الصخر بالوادي، "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد" وقد فسرت الآية بأن قوم ثمود نقروا بيوتهم في صخور الجبال في وادي القرى (السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب– تاريخ العرب قبل الإسلام–، ج 1، ص 57) =

وينتسبون إلى قحطان أو يقطان، الذي ورد اسمه في التوراة، وهؤلاء كان موطنهم اليمن أي ما سميّ بعرب الجنوب، أمّا الطبقة الثالثة أو العرب المستعربة، فينتسبون إلى " عدنان ابن أدد.... بن إسماعيل بن إبراهيم"، وقد سموا بالعرب المستعربة لأنّ إسماعيل عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية، فلما صاهر اليمنية تعلم العربية، وقد تعرض هذا التقسيم للعديد من الاختلافات حوله، وهذا فقد كان تقسيم جزيرة العرب تقسيما جغرافيا وطبيعيا محط اتفاق العديد من الآراء، وهو تقسيم جزيرة العرب إلى قسم جنوبي، لعرب الجنوب وشمالي لعرب الشمال.

من بين أهم القيم الروحية لدى العرب قبل الإسلام وأخلاقهم، والتي عرفت عن العرب وعلى رأسها الكرم، والمبالغة فيه، ويعبّر العربي ذلك رأس القيم والأخلاق، وإحدى مظاهر التسيّد، ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيف والترحيب به، وفي إكرام الأرامل، واليتامى والسائلين، كما كانوا يتباهون بكثرة الضيوف، فيسعون إلى اجتذابهم، بإيقاد النار حتى يراها المسافر فيقصدها[1]، كما اتصف العرب قبل الإسلام بالعفّة، فكما عرف عن بعض العرب الانغماس في الملذات والتغزل بالنساء، كان هناك من العرب من اتصف بالعفة، وغض النظر عن نساء غيره، وكانت العفة من شروط السيادة كالكرم والشجاعة، وكانوا يفتخرون بالعفة ويمدحون بها كثيرا، ومن جملة القيم الروحية التي تميّز بها العرب أيضا الوفاء بالعهود، والنهي وكراهية الغدر ونكث العهد وإخلافه[2].

لقد كانت القيم الروحية لدى الشعوب العربية قبل الإسلام مستمدة من طبيعة أخلاقهم وطباعهم اليومية، في المقابل نجد تاريخهم لا يخلو من الحروب والصراعات المتواصلة بين القبائل، ذاع صيتها في العالم، لهذا فقد كان الإسلام والقيم الروحية التي جاء بها، ملغيا لهذه القيم التي تزرع الفوضى، والنزاع بين الأفراد والقبائل، كما كان مصححا للعديد من القيم الروحية في الشعوب العربية، ومثبتا لما هو صالح منها.

=وأشارت النصوص الأشورية إلى قدامى الثموديين باسم " ثمودي" منذ أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، واعتبرتهم من أهل البرية، وذكرت بأنهم وجيرانهم من الأعراب لم يألفوا الخضوع للملوك ولا للحكام، وليس ما يمنع من أن يكون أوائل الثموديين قد ظهروا قبل القرن الثامن قبل الميلاد بكثير. (عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د .ط، 1992م، ص 155).

[1]- السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب – تاريخ العرب قبل الإسلام-، ج 1، ص 389- 390.

[2]- المرجع نفسه، ج 1، ص 391- 393.

2- القيم الروحية في الحضارة الفارسية.

الفرس جماعة هندوأوروبية دخلت في حدود الألف الثاني قبل الميلاد إلى بلاد فارس، الواقعة شرق بلاد ما بين النهرين، وجنوب روسيا وبلاد القوقاز[1]، ويعود استخدام تعبير "فارس" و"إيران" للإشارة إلى منطقة جغرافية واحدة، ولكنهما ليستا مترادفين تماما، فتسمية "إيران" هي الأقدم، وهو موطن الآريين والإيرانيين، ثمّ تطورت التسمية فصارت "بلاد إيران"، ويدور معنى كلمة "إير" التي اشتق منها اسم المنطقة، حول صفات نبيلة وكريمة، مثل الطهارة والشرف والسمو والمجد، وذلك لأنّ الكلمة في الفارسية القديمة هي اسم جامع للخير والفضل والصلاح، أمّا كلمة "إيرايا" فمعناها في اللغة الفارسية القديمة "المتدين والمطيع والخاضع" فالاسم المشكل من الكلمتين، يعنى به "وطن الخاضعين" أو "المطيعين"[2]، وقد أطلق كتاب الأبستاق اسم "إيريانا فيجا" على كل المناطق التي استوطنتها القبائل المنحدرة من الأصول الآرية[3]، في مراحل نزوحها المتعاقبة وهي تقع ما بين نهر بلخ، إلى منتهى أذربجان وأرمينيا إلى القادسية وإلى بحر فارس[4].

عبد الفرس القدماء قوى الطبيعة المؤثرة في الكون، والتي لها ارتباط بحياتهم وتأمين معيشتهم، كأغلب الشعوب القديمة، فيذكر المؤرخون أول المعبودات في أرض فارس، الإله الشمس، الذي كان عامل نضج محاصيلهم، وسموه "مثرا"، وهو إله آري الأصل، يعبد في إيران كإله للعقود والاتفاقات، وهو يحفظ الحق والنظام، ويقضي على قوى الشر والغضب، والجشع والتكبر، ويوصف بأنه محارب قوي وجبار، وحارس للحقيقة، وقاضي الأرواح بعد الموت[5]، كما عبدوا آلهة الخصب (الأرض) وسموها "أنينا"، و"إله المطر" الذي يروي حقولهم، و"إله الريح"، وباقي مظاهر الطبيعة التي ألهوها، كانت تساعدهم في الحصول على الرزق، كما عبدوا الأرواح الخيرة والحيوانات، وظهر الكهنة كوساطة بين البشر والآلهة، يتوسطون بهم لدى الآلهة للحصول على الزرق والحظ وما إلى ذلك من مطالب الحياة، كما عرف الفرس رجالا من هؤلاء الكهنة يقفون أمام أي دعوة ترمي إلى إصلاح

---

[1]- هنري .س. عبّدي: معجم الحضارات السامية، جروس يرس، طرابلس، لبنان، ط2، 1991م، ص 645.

[2]- الشفيع الماحي أحمد: زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 21، 2001، ص 15- 16.

[3]- المرجع نفسه، ص 15- 16.

[4]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ص 233.

[5]- كامل سعفان: المعتقدات الآسيوية- العراق –فارس- الهند – الصين –اليابان-، دار الندى، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، ص 94.

عقيدة الفرس، والخروج بها من التعدد إلى التوحيد، وكانت أول دعوة من هذا القبيل دعوة "زرادشت[1]".[2]

إنّ زرادشت من أهم الشخصيات الدينية في التراث الفارسي القديم، وأهم محور في الفكر الديني القديم في بلاد فارس، ولد حوالي عام 660 ق.م – وتوفي عام 583 ق.م[3]، تتفق أغلب الآراء أنّ موطن زرادشت كان في إيران الشمالية، أي أذربيجان حاليا[4]، تعلم زرادشت منذ صغره معالجة المرضى وهنا أكسبه احتكاكا بالناس ومعاناتهم، وبدأ تفكيره في معرفة مصدر الخير والشر، وقرر اعتزال الناس وأهله ليعيش خلالها ناسكا يفكر في الخير والشر، عله يقف على مصدرهما ويخلص الناس من العناء الذي يواجهونه في حياتهم، وهنا أنارت له فكرة كانت أساسا لمعتقده وفلسفته مفادها: «كما أنّ اليوم يتألف من نهار وليل، نور وظلام، فالعالم أيضا يتألف من الخير والشر، وكما أنّ الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما، النهار منير والليل مظلم، فكذلك لا يمكن أبدا للخير أن يصبح شرا، ولا للشر أن يصبح خيرا » (الخير لا بدّ أن يكون خيرا دائما، والشر لا بد أن يكون شرا دائما)، واستنتج زرادشت من ذلك أنّ عبادة الأوثان والأصنام والتقرب لآلهة الخير من أجل أن توقع الشر والهزيمة بالأعداء، كما أنّ التضرع لآلهة الشر لتصنع لهم خيرا خطأ، فآلهة الخير لا يمكن أن تصنع شرا، وآلهة الشر لا يمكن أن تفعل خيرا، وهكذا آمن زرادشت أنّ العالم تحكمه قوتان: خير واحد وشر واحد، وبأنّ "أهورامازدا"هو قوة الخير، و"أهرمان" هو قوة الشر"[5]، ورغم أنّ دعوته لاقت معارضة في بدايتها، إلا أنها فيما بعد توسعت وأقبل الناس عليها في بلاد الفرس جميعها[6].

---

[1]– ينطق اسم "زرادشت" في اللغة الفارسية القديمة، " زاراشسترا"، وينطق في اللغة البهلوية – وهي الفارسية في مراحلها المتوسطة– زارتسترا" ثمّ حرفه اليونان إلى "زاراسترو"(الشفيع الماحي أحمد: زرادشت والزرادشتية، ص 15). اختلف في معنى كلمة "زرادشت"، ذلك أنّ الجزء الأخير من اللفظة "إسترا" بمعنى "جمل" ولكن الجزء الأول ظل غامضا، واختلفت تفسيراته، فهناك من ذكر معناها "ذهب"، فيصبح معنى الكلمة "مالك جمل الذهب"، وهناك من ذكر أنّ معناه "عجوز" فيصبح معنى "زرادشت "مالك جمل العجوز"، وتارة بمعنى الأصفر أو سريع، فيصبح معنى " صاحب الجمل الأصفر" أو " الجمل السريع"، وغيرها من المعاني المختلفة (سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – العقائد–، دار المناهج، عمان ، الأردن، ط1، 2002م، ج 2، ص 77).

[2]– سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – العقائد–، ج 2، ص 77– 78.

[3]– المرجع نفسه، ج 2، ص 78.

[4]– الشفيع الماحي أحمد: زرادشت والزرادشتية، ص 15.

[5]– سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – العقائد–، ج 2، ص 80.

[6]– المرجع نفسه، ج 2، ص 80– 81.

وكتب زرادشت تعاليمه في كتاب "الأوستا"[1] هو الكتاب المقدس لدينه، وقد ضاع منه الجزء الأكبر، ولم يتبقى اليوم إلا ربع ما كان عليه، والجزء الباقي يحتوي أهم الشعائر الرسمية للعبادات، أمّا الأجزاء الأخرى القديمة من "الأوستا" تعرض جانب من العلوم والفلسفة والطب وغيرها، ولم يتبقى منها شيء إلا قدرا ضئيلا من الأقسام التاريخية، وتشكل القوانين الجنائية والمدنية والعسكرية فصلا كبيرا ترتبط به أغلب الموضوعات الواردة في الأوستا.

أهم ما ورد من القيم الروحية في تعاليم الأوستا وما ألفه زرادشت، « أسألك يا أهورا عن جزاء رجل حكم الناس بالشر والخداع، وجعل همه أن يصيب الزارع بالشر والضر، على حين لا يسيء الزارع إلي، وكيف يسعد الحكم الدار والبلد والقرية بطريق الحق يا مزدا، حتى يبلغ مبلغك، فمتى هو بالغه وماذا هو صانع، هل يستوي الصادق والكاذب على العارف أن ينبه غير العارف حتى لا يخدع الجاهل عن نفسه، ولتعلمنا الفضيلة يا مزدا أهور، لا ينصت أحدكم إلى الكاذب، فإنه يجر البلاء والفناء على أهل البلد والقرية، وعليكم أن تكفوا شره عنكم، بعنف وبطش السلاح»[2]، فأول هذه الوصايا تفرق بين فعل الخير والشر، والتي نهت عن الشر لأنه كله ظلم، كما فرقت بين الصدق والكذب ونهت عن الكذب والاستماع له، لأن لا خير فيه بل يجر إلى الهلاك.

IV. القيم الروحية في حضارتي الهند والصين.

1- القيم الروحية في حضارة بلاد الهند.

الهند عالم حضاري قائم بذاته، سميت ببلاد العجائب والتناقضات، لتنوع واختلاف وتباين أديانها وثقافاتها ومعتقداتها، وتعّد من أهم الأقطار التي لفتت أنظار العالم إليها، من علماء وباحثين ومؤرخين، وأثارت فيهم حبّ الاطلاع في كل حين، فالهند على حدّ قول غوستاف لوبون: "عالم يختلف عن عالمنا بجوه وهوائه وأرضه وسكانه، ذلك العالم العجيب هو زبدة جميع العوالم وخلاصة ناطقة لجميع أدوار التاريخ، وصورة صادقة للأطوار المتأرجحة بين الهمجية الأولى والحضارة الحديثة، وعلى هذه البقعة من الأرض تكتنف مختلف العروق الممثلة لجميع تطورات الماضي تقريبا، وتلك

[1]- ورد هذا الاسم في الكتب العربية بصيغ مختلفة، فهو في تاريخ ابن الأثير " أشتا" وفي المسعودي " نسياه" وفي الفهرست " الوستاق" والمشهور في تعريبه هو " الإبستاق" غير أنّ " الأوستا" هو الاسم الغالب في اللغة الفارسية (لباول هورن: الأدب الفارسي القديم، ترجمة: حسين نجيب المصري، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، ص 65)

[2]- لباول هورن: الأدب الفارسي القديم، ص 70- 71.

البقعة هي ذلك القطر الواسع العجيب، الذي أجمل فيه تاريخ البشر، على ما اشتمل من جميع الأجيال"[1].

إنّ الحديث عن أديان الهند أمر متسع الجوانب، متفرع النواحي، إذ انتشر على أقطار أرضها، العديد من المعتقدات والديانات، المختلفة ومتنوعة، أولها الديانة التي أدخلها الآريون، وعرفت بـ"الناجا" وهي عبارة عن عبادة روحانية وطوطمية[2]، كما كانت الحضارة الهندية شاهدة على ملامح لديانات مختلفة تفسرها عديد الآثار، وتشرح ظواهرها، بتنوعها وتباين أشكالها وثرائها عبر مختلف المناطق في الهند[3].

وتعّد "أسفار الفيدا"[4] أهم مصدر لكشف الغطاء عن التراث الديني والثقافي والاجتماعي في الهند، و تحتوي هذه الأسفار "كتاب اليوبانيشاد" وهو أشهر المدونات لدى قدماء الهند، التي تحوي جزءا مهما من نصوص الحكمة والتعاليم، وحضت باهتمام الباحثين ومؤرخين، فيقول عنها شوبنهور: "إنك لن تجد في الدنيا كلها دراسة تفيدك وتعلو بك أكثر مما تفيدك، وتعلو بك دراسة يوبانشاد، لقد كانت سلواي في حياتي، وستكون سلواي في موتي، فلو استثنيت النتف التي خلفها لنا "بتاح حوتب" (المصري) في الأخلاق، لكانت أسفار اليوبانيشاد أقدم أثر فلسفي ونفسي موجود لدى البشر، ففيها مجهود بذله الإنسان دقيق ودؤوب، يدهشك بدقته وما اقتضاه من دأب، محاولا أن يفهم العقل، وأن يفهم العالم وما بينهما من علاقة إنّ أسفار اليوبانشاد قديمة قدم هومر، ولكنها كذلك حديثة حداثة "كانت"[5]، فهي نصوص جدّ مهمة في التراث الهندي القديم، تقدم نظرة واضحة عن تصورات الإنسان آنذاك.

عرفت على أرض الهند عديد الديانات والمعتقدات، أبرزها الديانة الهندوسية أو البرهمية، والديانة الجينية، والديانة البوذية، فالديانة الهندوسية من أقدم الديانات التي ظهرت في أرض الهند، يعتقد الهندوس أن براهما روح العالم، وبإرادته جاءت جميع الكائنات، فصار براهما هو الخلق نفسه

---

[1]– غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص 9- 10.

[2]– ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة – الهند وجيرانها–، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، تونس، مجلد 1، ج 3، ص 30 - 31.

[3]– محمد إسماعيل النّدوي: الهند القديمة ديانتها وحضارتها، دار الشعب، القاهرة، مصر، د. ط، 1970م، ص 44.

[4] – معنى كلمة الفيدا "معرفة"، فإذا قلنا "سفر الفيدا"، يعني به "كتاب المعرفة"، و" الفيدات" يطلقها الهندوس على كل تراثهم المقدس، الذي ورثوه عن أولى مراحل تاريخهم، ولم يبقى من الفيدات إلا أربعة أسفار؛ "سفر رج فيدا" أو معرفة ترانيم الثناء، و"سفر ساما فيدا" أو معرفة الأنغام، و"سفر باجور فيدا" أو معرفة الصيغ الخاصة بالقرابين، وأخيرها "سفر أتارفا فيدا" أو معرفة الرقى السحرية (ول ديورانت: قصة الحضارة – الهند وجيرانها–، مجلد 1، ج 1، ص 38)

[5]– ول ديورانت: قصة الحضارة – الهند وجيرانها–، مجلد1، ج 3، ص 43- 44.

لأنه خارج منه، كما عرفت الهندوسية طبقية في بين الناس حسب خلقهم المنسوبة إلى براهما حسب آساطيرهم.

من بين أهم معتقدات الهندوسية إيمانهم بالكارما "karma"، ومعناها قانون الجزاء أو العدالة، وتعني أنّ جميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شراكانت أم خيرا، يجازي عليها بالثواب أو العقاب، وهذا الجزاء يكون في الحياة، فإن لم يقع هذا في الحياة، يقع في الحياة الأخرى بعد أن تنتقل الروح إلى جسد آخر[1]، وقد يصل الإنسان الهندوسي إلى مرحلة الانطلاق أو الخلاص، "Nirvana"، والتي تعني انعتاق الروح من الجسد واتحادها بالإله براهما، ويكون ذلك بالعمل الصالح والجيد، الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت إلى طبقة أعلى من طبقته حتى يصل إلى أعلى الطبقات، ويستمر بعمله الصالح لتنطلق روحه بعد ذلك إلى الاتحاد مع البراهما[2].

أمّا الديانة الجينية فقد ظهرت في شبه جزيرة "كيثاوار" في سفح الجبل المقدس "استرانجايا"، حيث يقام لصوفية صرح على أسس مذهب "نير جرانتهاس"، ينبثق من معتقدات تجمع بين تعاليم اليوبانشاد وتعاليم فلسفة السانخية[3]، التي مالت إليها كفلسفة تؤكد على فكرة تحقيق الحرية الشخصية، والمسؤولية الأخلاقية، النافية للوحدة والقائلة بالتعدد، أمّا اليوبانيشاد فمالت إليه الديانة الجينية لعقيدته القائلة بالصيرورة، واتخذت أبرع مبادئ لمذهب "نير جرانتهاس"، الصدق والأمانة والطهر وتجنب القتل، كما رأت الجينية أنّ التجرد التام لا يتم إلا بمبدأ آخر أضافته وهو مبدأ التخلي الكامل عن جميع الممتلكات الشخصية[4]، فحملت الديانة الجينية قيما تتجسد في الاتحاد والصدق والأمة والإخلاص.

الحكمة الهندية الرفيعة التي قلّ مثيلها في العالم بسموها وشمولها ومعرفتها العميقة بطبيعة البشر، فقد اتصفت الهند بتعدد الصالحين، والنساك الداعين لإصلاح النفس وتطهيرها من الأدران والرذائل، ناهيك بأنّ الحكماء الراشدين كانوا يتوافدون باستمرار، يعلمون الناس الحكمة، والرشد والطرق المؤدية إلى الخلاص والتحرر، من بينهم " بوذا" وكان من أبناء البشرية الأفذاذ الذين لا ينكر أثرهم في

---

[1]- سليمان مظهر: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 2002م، ص 85.

[2]- سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – العقائد-، ج 2، ص101- 103.

[3]- فلسفة وقفت أمام الوجود رأت فيه جلية ظاهرة التطور، فجرى منطقها بأن كل عمل إنما لعامله عاكس، من ثمّ فالكون إنما من عمل عامل يتكور وينمو، ولما كانت الألوهية مرتبة ترتد عنها صفة التطور وسمة النمو، فخاليا إنما الكون من إله أو " نفس كبرى" وليس هناك حقيقة وجود إلا النفوس. (أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، ص 58)

[4]- أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004م، ص 58- 59.

السير الحضاري للإنسان، وفي التاريخ الفكري للعقل والأمم[1]، وهنا ظهرت بعده على يد أتباعه العقيدة البوذية، هي طريقة خاصة في العبادة، ليست فلسفة ولا علما، بل هي دعوة إلى الترفع عن الشكليات، وجمود الطقوس ورتابتها، وابتعادها عن جوهرها وماهيتها الحقيقية، فكلما سما الدّين وتعمق إيمان المتديّن، وسلم سلوكه من الحَرفية، أصبح أقرب إلى التصوف والروحانيات، وأبتعد عن القواعدية المرسومة، والخطاطات المنحطة، والحركات الجسدية وغيرها من الحسيات الرتيبة والمتكررة، فالبوذية هي نظام حياة يملأ القلب وداعة ونعمة، ويفعم النفس محبة وطهرا، ويشرق على الذات فيضا من الروحية، ونداءات إلى التجاوز الخلقي أو التسامي، وغايتها تحقيق تلك الحالة النفسية المتزنة[2]، وهي أسمى ما ترمي إليه القيم الروحية من صفاء النفس وطهارتها.

كانت دعوة بوذا منصبة على إلغاء الطبقات الاجتماعية التي نصت عليها البرهمية، واحترام الحياة والمحبة الشاملة، وقد ترك بوذا مجموعة وصايا تجسد فلسفة الحياة، أمر بإتباعها (لا تقتل، لا تخن، لا تزن، لا تكذب، تجنب الخمر)، فنلاحظ أنها تشترك مع مختلف الدساتير الأخلاقية التي عرفتها البشرية، بيد أنّ في هذه يأتي النهي عن القتل في مقدمة هذه السنن، فبوذا يرى في الحياة، نفحة قدسية، فأي صورة من صور المساس بها أكبر الآثام، فكما أنت حي فالآخرون مهما دنت مرتبتهم في سلم الكائنات أو علت أحياء أيضا، ومن أهم تعاليم بوذا أيضا نبذ كل التفرقة لأنها سبب الأنانية سبب العداء والشقاء والحروب الدينية والأخوية والاقتصادية والاجتماعية.

فكانت البوذية لها نظرة إصلاحية أكثر منها فلسفة اقتصادية تقوم على أسس صافية من صفو النفس، وأولى السنن والعقائد التي أرادت البوذية ترسيخها عقيدة الأخوة العالمية، وعلى أساسها حرّمت الخيانة، فتُكلف المريد المعتنق للبوذية كدين، أن يقسم بألا يستولي على ما ليس له فيه حق.

من جملة ما نصت عليه فلسفة بوذا أيضا تحريم الاعتداء على النفس البشرية بالقتل أو الإيذاء بالسرقة، وأخذ ما ليس من حق الفرد، وحثت البوذية على قيمة الصدق، وحرمت الكذب وقول الزور، في أي صورة من صوره، وأمرت الفرد بقول الحق، وأن يكون إنسانا واقعيا يقول الحقيقة في كل

[1]- علي زيعور: الفلسفة في الهند – قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصّين-، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 192.

[2]- المرجع نفسه، ص 193.

الأحوال، ولا يخدع أخوه إنسان، ومنها قول بوذا:« لا تسمع شرا، ولا ترى شرا، ولا تتكلم شرا»[1]، وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الإنسانية بين الناس حتى وفاته في عام 470 ق.م[2].

أدرك بوذا قيمة الطريق الوسط، لتحقيق السعادة الروحية:" هناك طرفان يجب على كل من يريد أن يحيا حياة روحية أن يبتعد عنها، أحدهما حياة اللهو وهي وضيعة تافهة ومخالفة للعقل، والآخر حياة الزهد والحرمان وهي كئيبة لا طائل تحتها، والحكيم من يكتشف الطريق الذي يمر بين هذين الطرفين، وهو الطريق الذي يسر النظر والعقل، ويؤدي إلى النرفانا أي إلى الطمأنينة والسلام"[3]، فنجد فلسفة بوذا تتلخص في قيمتين روحيتين "الحب والسلام"، السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع، وعلى الإنسان أن يعمل لإزالة الشر بالخير، فالكراهية يستحيل أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالحب.

2- القيم الروحية في حضارة الصين القديمة.

تعود أصول الشعب الصيني إلى هجرات قام بها بعض السكان، والقبائل من أواسط آسيا إلى ضفاف النهر الأصفر، في الفترة الزمنية الممتدة ما بين (3000 – 2500 ق.م)، إلا أنّ الاكتشافات التاريخية والأثرية، تشير إلى أنّ دخول الصينيين إلى شمال بلاد الصين كان قبل هذه الفترة بآلاف السنين، وكما كان شأن باقي الحضارات السومرية، وحضارة مصر القديمة، والحضارة البابلية والهندية، كلها نمت وازدهرت على ضفاف الأنهار والوديان، فكذلك كان الحال بالنسبة لحضارة الصين القديمة التي قامت أركانها على ضفاف " نهر الهوانجهو" أو ما يعرف بـ "النهر الأصفر"، الواقع شمال الصين، ويبعد حاليا حوالي 320 كيلومتر جنوبي مدينة بكين حاليا[4]، ويتميّز موقع الصين في منطقة شبه معزولة عن باقي المناطق في العالم، مما أتاح لها أن تنعزل عن كل المؤثرات الخارجية ويكون لها نضوج مستقل عن باقي الحضارات[5].

تشير الدلائل التاريخية الصينية إلى وجود أسرة صينية حاكمة تسمى "أسرة هسيا" (Hsia)، بدأت حكمها للصين حوالي عام 2000 ق.م، كما أننا نجد الشواهد الأثرية تدل على وجود أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة " شانغ" "Shang" امتد حكمها خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد، وكانت لحاكمها سلطات يمارسها سلطاته في العاصمة "تشنج – تشو" التي تقع على نهر

[1]- أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، ص 71 – 74.

[2]- سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – العقائد-، جز2، ص 116.

[3] - محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 2000م، ص 25.

[4]- عفاف مسعد العبد: دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، د ت، ص 12.

[5]- فوزي درويش: الشرق الأقصى الصين واليابان (1853- 1972) ، دار الكتب المصرية، مصر، ط3، 1997م، ص13.

"الهوانجهو" (النهر الأصفر)[1]، وقد امتازت الحضارة الصينية بخصائص لم تعرف في حضارات الشرق الأدنى القديم –التي سبق لنا الحديث عنها– وأولها اختراع العجلات كوسيلة لتحريك المركبات، واستخدامها في زمن مبكر، كما أنهم كانوا أول من اهتدى إلى غزل الحرير من دودة القز، واحتفظوا بهذا السّر لمئات من السنين، واستمر حكم أسرة "شانغ" لعدة قرون، بسبب هذه الإمكانات في صهر المعادن واستخدام المركبات ذات العجلات، استطاعوا تأمين دولتهم من الهجمات الخارجية، مما سمح بازدهار حضارة على ضفاف النهر الأصفر، إلا أنّ الأمر لم يدم طويلا فبظهور مجموعة بشرية صينية يطلق عليها اسم "تشو" (Chous)، وفدت على البلاد من المرتفعات الغربية واتجهت صوب الوادي الأوسط في المنطقة ما بين نهر " الهوانجهو" ونهر "اليانجتسي" واستوعبت هذه الموجة البشرية حضارة أهل الشانج، وانتهى الأمر بتمكن أهل تشو من الإطاحة بالإمبراطور الشانج في عام 1027 ق. م[2]، و نمت حضارة تشو بشكل متوازن مما اضطر إلى تقسيم البلاد لكي يسهل تسيير شؤونها، لكن لم يمضي وقت حتى ثار النزاع بين هذه المناطق، وهنا انتهى الأمر بانتصار منطقة "التشين" (Ch'in) التي تمركزت غرب الصين، وسيطرت بالكامل على أراضي الصين، واستطاعت إقامة إمبراطورية موحدة على أراضي الصين، تعود إلى سنة 221ق.م، ونسبة إلى هذه الولاية يعود اسم الصين[3].

ظهرت العديد من المدونات وسجلات الحضارة الصينية، الدالة على المبادئ والمثل العليا منها "كتاب الشعر" إحدى أقدم الكتب الصينية، التي حثت على الاهتمام بالأسرة وبالوالدين والإخوة "من بين الناس في العالم كافة، لا يعادل الإخوة أحد ... فالإخوة يتشاجرون بين الجدران، ولكنهم يقفون متحدين ضدّ إهانة من الخارج، بينما خير الأصدقاء برغم كثرتهم، لن يحاربوا من أجلك"[4]، وهذا ما يحث ويلزم بقيم الأخوة والمحبة والاتحاد بين أفراد الأسرة، كما حثّ نفس الكتاب على طاعة والبر بالوالدين، فجاء فيه: "لا يمكن الاعتماد على أي إنسان مثل اعتمادنا على الأب، ولا يمكن الاعتماد على أحد مثل الاعتماد على الأم" بل كانت أكثر من الاعتماد والطاعة، فقد سجل

---

[1]– عفاف مسعد العبد: دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، ص 12.

[2]– فوزي درويش: الشرق الأقصى الصين واليابان (1853– 1972) ، ص 13.

[3] – وإذا كان العالم، قد عرف الصين بهذا الاسم، إلا أنّ الصينيين لم يطلقوا هذه التسمية على بلادهم، بل كانوا يطلقون عليهم أسماء مختلفة مثل: " تيان – هوا (تحت السماء)، أو " زهاي" (بين البحار الأربعة)، أو جونج – جوو (الدولة الوسطى)، أو " جونج – هوا– جوو (الدولة الوسطى الزاهرة)، أو " جونج – هوا – مين – جوو" (مملكة الشعب الوسطى الزاهرة)(عمر عبد الحي: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 11).

[4]– هـ. ج. كريل: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي – تونج، ترجمة: عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة، مصر، د. ط، 1971م، ص 34.

التاريخ الصيني القديم أنّ طاعة الوالدين تعّد فرضا شرعيا[1]، وهذا لإبراز أهمية هذه القيمة الأخلاقية في حفظ المجتمعات وضمان الاحترام والقوة والاستقرار فيها، من أول نواة للمجتمع وهي الأسرة، لينعكس هذا على جميع القيم والمبادئ في المجتمع لضمان استقراره وسلامته وتطوره.

ليمتّد التاريخ الصيني القديم، ويتوالى عليه العديد من المفكرين والفلاسفة كان أبرزهم، المفكر والمصلح "كونج فو تزي" (Kang-Fu–tze)، المعروف باسم "كونفوشيوس" (Confucius)[2]، الذي ولد سنة 551 ق.م، في ولاية "لو" الصغيرة الواقعة في محافظة "شانتونج" الحالية، والذي ترك تراثا ثريا في مجال القيم الأخلاقية والمبادئ والمثل العليا، كانت عماد فلسفة القيم في الصين، حتى العصر الحاضر، رسم من خلالها مسار القيم في الصين، فيقول كونفوشيوس عن القيم الروحية مثل: الشجاعة والصدق وحب العلم والإخلاص والاستقامة وحب الإنسانية: "إذا فهم الإنسان طبيعة هذه الصفات الأخلاقية فإنه سيفهم كيف ينظم سلوكه الفردي وأخلاقه، وإذا فهم كيف ينظم سلوكه الفردي وأخلاقه فإنه سيفهم كيف يحكم الناس، وإذا فهم كيف يحكم الناس، سيفهم كيف يحكم الأمم والإمبراطوريات"[3]، وهنا نلاحظ رسالة كونفوشيوس التي كان يسعى إلى إيصالها للحكام والملوك في زمنه، يرجوا من خلالها تحسين ظروف حياة الناس، وحلّ مشاكلهم ورفع معاناتهم، وترسيخ قيم العدل في المجتمع، بداية من الحاكم الذي يجب أن يعمل على تطهير قلبه وتهذيب نفسه، وتثقيف ذاته، وأن يحسن في تأدية واجباته نحو أقاربه، ومعرفة طبيعة المجتمع الإنساني والقواعد التي يقوم عليها التنظيم الاجتماعي، معرفة صحيحة التي تؤدي إلى إيجاد الرجل الناجح السعيد، ومن ثمّ العائلة الصالحة، وهي التي تخرج الحكومة العادلة وتعمل في النهاية على توفير الحياة السعيدة المستقرة، وخلق عالم تسوده العدالة والمحبة والسلام[4].

تتميّز القيم والأخلاق التي يدعو إليها كونفوشيوس بأبعادها الإنسانية والوسطية، فقد دعا إلى أن يتبع الفرد قاعدة سلوك تتفق مع طبيعته الإنسانية، وأن يضع رفاهية البشر نصب عينيه، متميزا بالنظر الثاقب والفكر المستنير، فتعلو عنده مصلحة الدولة على أية مصلحة أخرى، كما يمتاز الرجل النبيل بالتواضع، والعدل، والابتعاد عن الحقد، والشعور بالمحبة والأخوة نحو الآخرين والعطف عليهم، كما حثت تعاليم كونفوشيوس على قيمة الصدق بقوله: "إنّ الإنسان هو الذي يجعل الصدق

---

[1]- هـ. ج. كريل: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي – تونج، ص 34.

[2]- فوزي درويش: الشرق الأقصى الصين واليابان (1853- 1972)، ص 13.

[3]- صلاح بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، (د.م . ن)، ص 109.

[4]- صلاح بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، ص 109 – 111.

عظيما، وليس الصدق هو الذي يجعل الإنسان عظيما"، فالإنسان عند كونفوشيوس هو مصدر القيم، ومقياس الأخلاق الفاضلة، بما أنّ الطبيعة الإنسانية شيء مشترك بين كل الأفراد، وتكون قاعدة الفرد في تعامله مع الناس بأن "لا تعامل الناس بما لا يرضى أن تعامل به"[1].

تعّد قيمة المحبة من أهم القيم الروحية التي أوصى بها كونفوشيوس في تعاليمه، وقد ميّز بينها وبين الكراهية، على أن تقدر تقديرا عادلا، ويقول في ذلك: "إنما ذو المروءة من يقدر على حب الناس بالحق، وعلى كراهة الناس بالحق"[2]، وكان لقيمة الإخلاص مكان مهم في تعاليم كونفوشيوس، وبأنه قوام أخلاق الرجل النبيل وكمال وجوده الذاتي، وينعدم الوجود بانعدام الإخلاص ومن هنا اعتبر الإخلاص أعظم جميع المعارف المكتسبة قيمة[3]، كما حرص كونفوشيوس على ترسيخ طاعة الأبناء للآباء، ويعني الولاء البنوي (هسياو Hsiao باللغة الصينية)، ويكون الولاء للآباء الموتى والأسلاف بتقديم الطعام والقرابين إليهم، أما بالنسبة لكونفوشيوس فقد أصبح الولاء بخدمة الوالدين، والبر بهما في حياتهما، فأساس الفضيلة في نظره هو الطاعة أو التقوى، لأنّ الفرد لن يمكنه احترام قانون المجتمع، وأداء واجباته حيال الحاكم والمجتمع إلا بعد إدراكه كيفية احترام والديه وخدمتهما، فالأسرة هي الوحدة الطبيعية والمكان الأول للتجربة الأخلاقية[4]، وحرص على تثقيف وتهذيب النفس: " إنّ تثقيف وتهذيب النفس هو الأصل لأي إنسان، سواء كان هذا ابن السماء أو ابن العامة"، ويقول أيضا:" تمحيص الأشياء يعني أنّ المعرفة قد اكتملت، وكمال المعرفة يعني أنّ الأفكار قد غدت صادقة سليمة، وصدق وسلامة الأفكار يعني أنّ القلوب قد صلحت، وصلاح القلوب يعني أن الأنفس قد ثقفت، وثقافة الأنفس يعني أن العائلة قد هذّبت، وتهذيب العائلة يعني أنّ الدولة قد حكمت، وحكم الدولة يعني الإمبراطورية أيضا"[5].

هنا يمكننا أن نقول أن الأخلاق الصينية كان لها الفضل الكبير في تماسك الصين الأخلاقي والسياسي واحتفاظها باستقلالها منذ أربعة آلاف سنة حتى الآن، وقد ميّز الأمة الصينية تحول النظريات والنظم فيها إلى أخلاق عامّة في الشعب كله، وبلغت درجة عالية من الرقي والسمو، فتلزم الإنسان أن يكون فاضلا، وأن يحرر سلوكه الأخلاقي من قيود الميول والأهواء، حتى لا يكون مجلبة

---

[1] – صلاح بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، ص 135– 140.

[2] – المرجع نفسه، ص 141.

[3] – المرجع نفسه، ص 144 .

[4] – المرجع نفسه، ص 151.

[5] – بيير سيزاري بوري و سافيديو مارشينيولي: أخلاق كونية لثقافات متعددة، ترجمة: أحمد عدّوس، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 66.

للكوارث الطبيعية من كسوف وخسوف أو زلزال أو أعاصير أو جدب أو أوبئة فتشقى بسببه الأمة، وتتحقق الفضيلة عن طريق مجاهدة النفس وتطهير القلب من آفات الرذائل، والتجمل بالفضائل، وإتباع الصراط السوي في كل شيء، وهكذا يظهر لنا أنّ حظ الإنسان في الحياة يقوم على ارتباط الفضيلة والواجب[1].

من أهم الفضائل الأخلاقية الصينية فضيلة الرحمة بجميع الخلق، وقد هاجمت هذه الأخلاق العنف والقسوة وأمرت بالرحمة في المعاملات، كما ألحت على إفهام الأقوياء والأغنياء أن الضعفاء والفقراء خير منهم، كما أنّ هذه الرحمة التي نصت عليها الأخلاق الصينية ليست هي الرحمة التي تؤدي إلى الضعف، وإنما هي الصلابة في تحقيق الواجب، والتلطف مع الثبات، والحزم في السلطان مع الحكمة، وسهولة الانقياد مع القوة، والشدّة مع الإخلاص، والشجاعة مع العدالة والثبات في وداعة، فهي الاعتدال أو التوسط في كل شيء[2].

امتازت فلسفة القيم والأخلاق في المدونات الصينية بالتكامل، وفعالية التطبيق بين أفراد المجتمع، مما أتاح للحضارة الصينية الرقي والازدهار، والثبات، وأكسب أفراد المجتمع الصيني قيما روحية ثابتة كان لها أثرها وفعاليتها حتى العصر الحاضر.

[1]- صلاح بسيوني رسلان: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، ص 56.

[2]- المرجع نفسه، ص 58- 59 .

الفصل الأول:

القيم الروحية الشخصية

بين

التوراة والقرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

كان اهتمام التوراة والقرآن الكريم بالنفس البشرية وسلوك الفرد الشخصي كبيرا، عالجت فيه هذه النصوص المقدسة أهم القيم التي يتوجب على الفرد التحلي بها، وتنهى عن قيم أخرى سلبية لا تنعكس على الفرد وسلوكه والمجتمع بالخير، ولما كانت النفس البشرية والقناعات والمبادئ الفردية هي أساس لكل هذا، فالفرد ينطلق من مبادئه وقيمه الفردية الشخصية، وقيمه الإيمانية لتظهر في جلّ سلوكاته وتصرفاته التعبدية والأخلاقية والاجتماعية.

سنحاول من خلال هذا الفصل الذي نتناول فيه القيم الروحية الفردية، الذاتية والشخصية، الخاصة بالنفس البشرية، أي تلك التي ترتبط بالشخص في ذاته، وإيمانه وقناعاته القيمية الشخصية، التي نصّت عليها النصوص اليهودية والاسلامية المقدسة، ومن خلال البحث والاستقراء لمختلف النصوص التوراتية والقرآنية المقدسة، كان ضبطنا للقيم الروحية الفردية شاملا، وأجملنا تلك القيم في ثلاث قيم أساسية تمثلت في التقوى وهي أحد أهم وأول القيم الفردية الإيمانية، وهي محور القيم الروحية في جميع الديانات، وترتبط بالنفس والإيمان بالنسبة لليهودي والمسلم، وثانيها الإخلاص وهي قيمة روحية تتبع قيمة التقوى وتليها من الناحية الإيمانية، ونصل إلى قيمة شمولية تختص بأحوال الفرد والنفس وهي منطلق للقيم الأخرى الروحية الاجتماعية والسلوكية، وهي قيمة تزكية النفس وتطهيرها وصفائها.

المبحث الأول: قيمة التقوى بين التوراة والقرآن الكريم.

أول القيم الروحية التي سنتناولها بالدراسة والتحليل من المنظورين التوراتي والقرآني، هي من القيم الملزمة للشخص في ذاته، والتي تعّد من أول القيم الروحية التي يتصف بها الشخص، كما أنها أساس لباقي القيم الروحية المؤسسة لسلوك الفرد مع غيره، سواء من نفس الديانة، أو مع الآخر من غير ديانته، كما أنّها عامل مشترك بين الديانتين اليهودية والإسلام، وتعّد أساسا دينيا روحيا بالدرجة الأولى ينطلق منه لفرد وهي قيمة التقوى.

تحتل قيمة التقوى أهمية إيمانية وتعبدية وروحية مهمة، ومن القيم المشتركة بين التوراة والقرآن الكريم، فبحكم أنّ الديانتين توحيديتين ومبنيتان على قيم إيمانية توحيديتين لله، آثرت أن تكون أول القيم التي سنحاول دراستها من خلال النصوص التوراتية والقرآنية.

I. مفهوم قيمة التقوى.

1- المفهوم اللغوي للتقوى.

أ. في اللغة العربية:

تشتق كلمة التقوى في اللغة العربية من الفعل "اتقى"، وأصل الفعل هو ابدال التاء واو، فيصبح الفعل "وقى"[1]، ومختلف اشتقاقات الفعل الثلاثي، فنقول "وقاه" و "يقيه" و" الوقاية" بمعنى: صانه، وستره عن الأذى، وحفظه، فهو واق[2]، وجاء في القرآن الكريم قوله تعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[3]، أي ما لهم من حافظ من عذابه، أو ما لهم من جهته واق من رحمته[4]، أو دافع، قال الجوهري: "اتّقى يتّقي أصله أو تَقَى وقِي على افتعل، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وأبدلت منها التاء، وأدغمت، فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أنّ التاء من نفس الحرف، فجعلوه اتقى"[5]، ودلّ معنى " اتق" في القرآن الكريم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ

---

[1]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 37، ص 248.

[2]- المرجع نفسه، ج 40، ص 226- 227.

[3]- الرعد: 34.

[4]- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 2، ص 253.

[5]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 40، ص 228.

ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، " فقوله تعالى للنبي ﷺ : "يا أيها النبي اتق الله" أي بطاعته، وأداء فرائضه، وإجابة حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده[2]، كما أنّها تدل على الثبات على تقوى الله والدوام عليها[3]، ومعنى "وقاه الله السوء" أي حفظه[4]، فمعنى التقوى في اللغة العربية يحمل معاني الاتقاء، واتخاذ الوقاية، والاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وصيانة النفس وحفظها عما يجلب لها العقاب.

ب. في اللغة العبرية:

التقوى في اللغة العبرية "אדיקות" "إديلوت" (التقوى) ، واتقى الله أي خاف عقابه فتجنب ما لا يرضيه، وتقوى الله خشيته وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتقيّ هو من يخشى الله، والجمع أتقياء[5]، كما قدمت التوراة العديد من الأمثلة حول التقوى، ومخافة الله وطاعة أوامره، ومنها ما نسب لإبراهيم (عليه السلام) عندما شرع في تقديم ابنه وحيده إسحق محرقة ، ناداه ملاك الرب وقال له: " فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي"[6].

وقالت التوراة عن أيوب (عليه السلام): "رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ"[7]، فمن يتقى الله ، لابدّ ألا يحيد عن الشرع، " أَلَيْسَتْ تَقْوَاكَ هِيَ مُعْتَمَدَكَ، وَرَجَاؤُكَ كَمَالَ طُرُقِكَ؟"[8]، طُرُقِكَ؟"[8]، وتعّد التقوى، وصية الملوك والأنبياء في تاريخ بني إسرائيل، ومن بين من ذكرتهم التوراة ، "يهوشافاط" ملك يهوذا، الذي أوصى اللاويين والكهنة الذين أقامهم قضاة[9]:" وَأَمَرَهُمْ قَائِلاً: «هكَذَا تَفْعَلُونَ بِتَقْوَى الرَّبِّ بِأَمَانَةٍ وَقَلْبٍ كَامِلٍ"[10]، والتي تحمل معنى خوف الله وامتثال أوامره، وتكررت هذا النصوص باختلافها في التوراة، وهذا ما سنحاول تفصيله في المباحث القادمة.

---

[1]- الأحزاب : 1.

[2]- أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 20، ص 418.

[3]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس، ج 40، ص 228.

[4]- الرافعي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف، د ط، د ت، ص 669.

[5]- دائرة المعارف الكتابية، مادة وقى ، يتقي، تقوى.

[6]- التكوين 22 : 13

[7]- أيوب 1 : 8

[8]- أيوب 4 : 6

[9]- دائرة المعارف الكتابية، (مادة تقوى).

[10]- أخبار الأيام الثاني 19 : 9 .

أ. **في اللغة اللاتينية:**

التقوى في اللغة "اللاتينية "Pietas" وهي تعني الإخلاص، الحماسة، وهي التعلق المرفق بالرقة والاحترام، كما تعّرف بأنها المودة والمحبة وعبادة، وطاعة الوالدين، كما تعرف التقوى من اتقان العمل الذي نقوم به، كما أنّ التقوى يقصد بها الإخلاص في خدمة الله، والتقوى مصدر تجذر الإخلاص في النفس[1].

وفي اللغة بالفرنسية (Piété)، تعرف بأنها التعلق بالله والدّين، والمودة والاحترام، ومنها طاعة الوالدين[2]، أمّا التقوى في اللغة الإنجليزية (Piety) المعتقدات والسلوكيات الدينية القوية[3]، ونلاحظ ونلاحظ أنّ مصطلح التقوى في اللغات اللاتينية فقد اتسع معناه ليشمل الاحترام والمودة والطاعة والعبادة.

2- المفهوم الاصطلاحي للتقوى.

في تعريفنا لقيمة التقوى من الناحية الاصطلاحية ارتأينا إلى العودة للمنظومتين المعرفيتين اليهودية والإسلامية، لضبط معنى التقوى في الديانة والفكر اليهوديين، ومن خلال النصوص التوراتية، وكذا في الإسلام والنصوص القرآنية.

أ. **في اليهودية.**

يدل مصطلح التقوى في التوراة على الإصرار من أجل التحقيق والإدراك الصادق للوصايا التي أمر بها الله، فالتقوى في الديانة اليهودية تعني التصرف في الحياة الشخصية – في المقام الأول– وفقا للمبادئ والقيم الدينية بشكل مثالي، كما أنّ التقوى تملأ حياة كل يهودي لتمنحه معاني متعالية، وتميزت في جميع أشكال اليهودية الربانية، القديمة والحديثة، بالتقوى في العمل، والتي طغت على الإيمان الفلسفي في جوهر الدين، كما أنّنا نجد عناصر وأشكال التقوى الحاخامية هي الأكثر انتشارا في المفردات الأرثوذكسية والحسيدية للدين، وهي أقل وضوحا في اليهودية المحافظة، ولا تقدم إلا بشكل انتقائي في أنظمة الإصلاح اليهودية، أمّا حاخامات القرن الثاني على مجموعة من الممارسات، التي ميّزت اليهودية ظاهرا، وينظر إليها على أن الحاخامات اختاروها كوسيلة للحفاظ على الجوانب الروحية في الديانة اليهودية الروحانية بعد فقدان الهيكل.

---

[1] - Paul Robert : Le nouveau – Petit Robert- , p 1901 .

[2]-La Rousse :Le Petite Larousse Illustré , Paris, 2011, p 825 .et (Nouveau Larousse Encyclopédique , Larousse , Paris , 1998, Vol 2, P 1213) .

[3]- Oxford Learner's Pocket dictionary , P 331.

أمّا في الأدب الحاخامي تستخدم مجموعة متنوعة من المصطلحات للتفريق بين أنواع مختلفة من درجات التقوى، تتمثل في الرجل التقي "hasid" (حسيد) "yeré chamayim"(الذي يخشى السماء)، أو "tsaddiq" (الشخص الصالح)، ولكن الفارق العميق في المعنى الذي من شأنه أن يفرق بين المصطلحين غير واضح، غالبا ما يتم تحديد معايير السلوك السوي، من حيث التوصية بأن تحاول أن تكون أكبر قدر ممكن مطابقة لأوامر الله[1].

" فالتقوى في اليهودية هي السعي المستمر للعيش في وجود الله وتحقيق إرادته، سواء من خلال الامتثال لقواعد الممارسة اليهودية الصارمة، أو من حيث الاتجاه الداخلي للقلب"، وأكّد موسى بن ميمون أنّ غاية التوراة كلها بما اشتملت عليه من أمر ونهي ووعد واخبار إنما هو شيء واحد وهو خوف الله وتقواه[2]، كما تحدثت دائرة المعارف الكتابية من جهة أخرى، عن هذه المفاهيم القريبة من مفهوم التقوى في تعبيرات الكتاب المقدس والتوراة خاصّة، وهي مفهوم الخوف من الله، أو خشية الله، أو مخافة الله، وهي تحمل في التوراة معنى التقوى، حيث جاء في دائرة المعارف الكتابية، أنّ كلمة الخوف تقابلها العديد من المفردات في اللغة العبرية، أهمها الكلمة العبرية "יראה "يِراه" (Yirah) وهي تتضمن معاني التقوى والخوف والرعب والهلع والفزع والرهبة والهيبة وغيرها من المعاني المتقاربة، ويستخدم "الخوف" في الكتاب المقدس للدلالة على معانٍ مختلفة يأتي في مقدمتها ما يحمل معنى التقوى، وهو مخافة الله أو الخوف من الله، ويعّد من أول القيم الروحية التي يؤكد عليها الكتاب المقدس عامّة والتوراة خاصّة، فالخوف من الله أو تقواه دليل الإكرام لله، وخشية غيضه عند التعدي على شريعته، كما أنّ خوف الله يقتضي السهر والتذلل والصلاة، ويقترن بالمحبة والطاعة، لأن في خوف الله تشترك أقوى الحواس وأشد العواطف، وهي المحبة والطاعة والثقة والشكر[3].

نجد عبارة "مخافة الله" أو "مخافة الرب" تتردد كثيراً في التناخ، فإله إسرائيل إله مرهوب، "عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ، الْقَدِيرُ لاَ نُدْرِكُهُ. عَظِيمُ الْقُوَّةِ وَالْحَقِّ، وَكَثِيرُ الْبِرِّ. لاَ يُجَاوِبُ، لِذلِكَ فَلْتَخَفْهُ النَّاسُ، كُلَّ حَكِيمِ الْقَلْبِ لاَ يُرَاعِي"[4]، لذلك كان عليهم أن يتقوا الله أي أن يخافوا ويهابوا الرب إلههم، ولابد أن تبعث عظمة الله وقداسته المهابة في الإنسان "الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، إِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِهِ تَلْتَصِقُ،

[1] -Encyclopédie judaica : Macmillan Reference, USA and Keter publishing House LTD, Jerusalem, 2nd edition , 2007, vol 16, p

[2]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ج2، ص 564.

[3]- دائرة المعارف الكتابية، مادة تقوى.

[4]- أيوب 37: 22- 24.

وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ"[1]، وكان هذا تحذيراً ذا حدين من الثواب والعقاب، كما تستخدم عبارة "خوف الله" أو "تقوى الله" مرادفة للديانة، فجاء في سفر الجامعة: "فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ"[2].

ب. في الإسلام.

إنّ جميع المفاهيم التي قدمها العلماء المسلمين في تعريفهم لقيمة التقوى، حول ضرورة أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله عزّ وجل وعذابه، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال الحافظ بن رجب – رحمه الله– : "وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه"[3]، فتضاف التقوى إلى اسم الله عزّ وجل في أغلب آيات القرآن الكريم، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[4]، والمقصود منه التهديد ليكون المرء مواظبا على الطاعة محترزا عن المعصية[5]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[6]، وبحسب المفسرين فإنّ الأمر الأول يحمل معنى أداء الواجبات وأمّا الأمر الثاني يحمل معنى ترك المعاصي[7].

فإذا أضيفت التقوى إلى الله سبحانه وتعالى، فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦ ﴾[8]، فهو سبحانه أهل لأن يخشى ويهاب، في قلوب عباده، وأن يعبد ويطاع، لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة[9]، وقال ابن القيّم: "وأمّا التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا، أمرا ونهيا، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالآمر

---

[1]– التثنية 10: 20.

[2]– الجامعة 12: 13.

[3]– أحمد فريد: التقوى الغاية المنشودة والدرّة المفقودة، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1993م، ص10.

[4]– المائدة: 96.

[5]– فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج 12، ص 124.

[6]– الحشر: 18.

[7]– فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 29، ص 548.

[8]– المدثر: 56.

[9]– أحمد فريد: التقوى الغاية المنشودة والدرّة المفقودة، ص10.

وتصديقا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده"[1]، كما قال طلق بن حبيب: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله، وأن تترك المعصية على نور من الله تخاف عقابه"[2].

ذهب الجرجاني في تعريفه للتقوى، أنه يراد بها الإخلاص، إذا تعلق الأمر بالطاعة، أمّا إذا تعلق بالمعصية فيراد بها التّرك والحذر، وقد أخذت قيمة التقوى العديد من التعريفات والمفاهيم، ذكر منها أنّ التقوى هي أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، كما تعّد التقوى محافظة آداب الشريعة، ومجانبة كل ما يبعدك عن الله، كما عرّفت التقوى بأنها: "ترك حظوظ النفس ومباينة النهي"، وقيل: أن لا ترى في نفسك شيء سوى الله، وقيل: أن لا ترى نفسك خيرا من أحد، وقيل: ترك ما دون الله والمتبع عندهم هو الذي اتقى متابعو الهوى، وقيل: الاقتداء بالنبي ﷺ قولا وفعلا"[3].

كما يعرف معجم المصطلحات الأخلاقية التقوى، بأنها اشتقت من الوقاية، وهي بمعنى المحافظة، ويذهب المعجم في تعريفه أيضا إلى أنها: "وقاية النفس من عصيان أوامر الله ونواهيه وما يمنع رضاه" وكثيرا ما عرفت بأنها "حفظ النفس حفظا تاما عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات"[4].

نجد أيضا مصطلح التقوى يتردد في اصطلاحات المتصوفة وتعبيراتهم، وإن كانت التقوى إحدى مدارج الكمال والمقامات، ولكنّه لا يمكن بدونها بلوغ أي مقام، وذلك لأنّ النفس ما دامت ملوثة بالمحرمات، لا تكون داخلة في الإنسانية، ولا سالكة طريقها[5]، ولقد عرّف المتصوفة التقوى، بأنها: "مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد"، بمعنى أن يتقي مما سوى الله سكونا إليه واستملاء له، وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ... ﴿١٦﴾ ﴾[6] ، أي بجميع ما استطعتم[7]، وتتميّز التقوى بين بين العامة والخاصة من الناس، فتقوى العامّة تكون في المحرمات، وهي أولى مراتب التقوى، التي يتصف بها المرء، تليها تقوى الخاصّة تكون في المشتهيات، وهي ثاني مراتب التقوى، وتقوى الزاهدين

---

[1]- ابن القيم الجوزية : الرسالة التبوكية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار علم الفوائد، د ب، د ط، د ت، ص 16- 17.

[2]- أحمد فريد: التقوى الغاية المنشودة والدرّة المفقودة، ص10.

[3]- الجرجاني: معجم التعريفات، ص 57- 58.

[4]- ليلى سوراني وآخرون: معجم المصطلحات الأخلاقية – تعريف بالمصطلحات الأخلاقية والسلوكية والعرفانية العملية-، مركز باء للدراسات، بيت الكاتب، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 25.

[5]- ليلى سوراني وآخرون: معجم المصطلحات الأخلاقية، ص 25.

[6]- التغابن: 16.

[7]- أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 61.

في حب الدنيا، وهي ثالث مراتبها، تليها تقوى المخلصين من حب الذات، والمنجذبين من كثرة ظهور الأفعال، والفانين من كثرة الأسماء، والواصلين من التوجه إلى الفناء والمتمكنين من التلوينات[1]، وكلما زادت تقوى المرء، ارتقت مرتبته في التقوى والقرب والخشية والزهد.

كما تعّد التقوى جماع الخيرات، وحقيقة الاتقاء تتمثل في التحرز بطاعة الله عن عقوبته، وأنّ الأصل الأول للتقوى ،اتقاء الشرك، ثم بعده: اتقاء المعاصي والسيئات، ثمّ بعده اتقاء الشبهات[2]، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[3]، أنّ معناه : أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وقيل التقوى ظاهر وباطن، فظاهره محافظة الحدود وباطنه : النية والإخلاص، وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات"[4].

فقيمة التقوى من أولى مراتب القيم الروحية، المتجذرة في النفس، والنابعة من أسس إيمانية ودينية، يترجمها سلوك الفرد في تعامله مع ربه، ومع غيره، فقيمة التقوى تعرّف أيضا بأنها: "أن يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك"، وبمعنى آخر هو الخوف والخشية من الله عزّ وجل[5]، وكما سبق وأن أشرنا هي الامتثال الدائم لأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه بالتخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة، كما أنها تعّد أول القيم الروحية، والمنهج والسبيل الأمثل للفرد في حياته، وهي الطريقة الأمثل وأساس تهذيب النفس، وهي تعّد جوهر حفظ حدود الله وأحكامه، وهي منبع كل القيم الروحية الملزمة للفرد[6]، وقد أشار "محمد عبد الله دراز" أنّ خلق "التقوى" هو الخلق المركزي والجوهري والجوهري في المنظومة الأخلاقية الإسلامية[7]، فالتقوى فضيلة أراد بها القرآن الكريم إحكام ما بين الإنسان والناس، وإحكام ما بين الإنسان والخالق، ولذلك كان المراد من حديث القرآن الكريم عن التقوى في أكثر الآيات أن يتقي الإنسان كل ما فيه ضرر لنفسه، أو مضار لغيره، ولو رجعنا إلى

---

[1]- ليلى سوراني وآخرون: معجم المصطلحات الأخلاقية، ص 25.

[2]- أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص 202.

[3]- آل عمران: 102.

[4]- أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ص 202- 204.

[5]- ليلى سوراني و آخرون: معجم المصطلحات الأخلاقية، ص 25.

[6]- المرجع نفسه، ص 25.

[7]- محمد عبد الله دراز: مختصر دستور الأخلاق في القرآن – دراسة للأخلاق النظرية والعملية في القرآن الكريم مقارنة بالنظريات الأخلاقية القديمة والحديثة–، دار الدعوة، ص 142.

القرآن المجيد لوجدناه يدعوا إلى التقوى ويحث عليها ويأمر بها، ولقد ورد في قوله تعالى:﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ عشرات المرات في كتابه العزيز.

II. قيمة التقوى في التوراة.

التقوى في التوراة تشتمل على مختلف جوانب حياة الفرد، وتتأسس أولا على الإيمان بالله، وتوحيده بالعبادة، ولما كانت أول المرتكزات التي تقوم عليها الديانة اليهودية، هي التوحيد وعبادة الله، كانت تقوى الله من أول القيم الروحية الإيمانية التي أوصت بها التوراة، ومن بين القيم التي ارتأينا إلى درستنا، لتعلقها بالعلاقة الخاصة بين الانسان وربه، وهي من القيم التعبدية والإيمانية لدى الفرد.

ولقد كان التناخ الموجه الأول دائما لبني إسرائيل عبر تاريخهم، ومحددا للعلاقة بين الله والبشرية من منظور الديانة اليهودية، والتي رسمتها تعاليم الديانة اليهودية مبنية على الميثاق والعهد، القائم بين الله وبني إسرائيل، وبالرغم من أنّ بني إسرائيل عرفوا محطات متعددة لم يستطيعوا خلالها الالتزام بالأوامر الإلهية، التي تكون موجبة لتحقق الوعد الإلهي، إلّا أن محطات العصيان للأوامر الإلهية أوجبت العقاب المناسب عليهم، ولكن نجد في كل مرة تجدد العهد والميثاق بين الطرفين، ويسبق كل هذا لطف من الله وفضله ورحمته عليهم، هي التي تشرف علّة الجانب الإلهي في العلاقة، بينما تطغى المحبة والإخلاص لله على الجانب الإنساني[1].

كما تضمنت التوراة، مختلف التشريعات الإلهية، والمطالب والأوامر التي لم تخلو من الجانب الأخلاقي، والأهداف الروحية لهذه التشريعات، فنجد نصوصا تناخية تنهى عن الطاعة العمياء للأوامر والتشريعات، دون تحقيق مبتغاها الروحي، وغايتها الأخلاقية والإنسانية فالنفاق في إطاعة القانون حرفيا في الوقت الذي ينتهك فيه قصده ليس كافيا في الديانة اليهودية[2]، وهذا ما أردت تتبعه من خلال طيات البحث ومختلف جوانبه، التي حاولت من خلالها استخلاص البعد الروحي في النصوص التوراة التي ترمي إليه، وتحاول توجيه الفرد إليها، وقد جاء في التناخ، في سفر إشعيا: "وتنسى الرّب صانعك، باسط السماوات ومؤسس الأرض، وتفزع دائما كلّ يوم من غضب المضايق عندما هيأ للإهلاك، وأين غضب المضايق؟"[3]، ومعنى "تنسى الرّب"، أنّ العتاب ليس على عدم

[1]- روبن فايرستون وآخرون: ذرية إبراهيم، ص 80.
[2]- المرجع نفسه، ص 79.
[3]- إشعيا 51: 13.

الإيمان كأنهم أنكروا الرّب، بل على ضعف إيمانهم فإنهم نسوا قوة الرب غير المحدودة ومواعيده الصادقة، وهو عتاب يوافق المتضايقين والخائفين في كل عصر، وكثير من الخطايا ناتجة من الخوف كالكذب والرياء وإنكار الله والاتفاق مع الإثم، والخوف من الناس هو عدم الإيمان بالله لأنه لو آمن الإنسان بأنّ الله يحبه وأنه يعرف كل شيء وهو القادر على كل شيء لما خاف الناس منه[1].

من خلال استقراء النصوص التوراتي لاستنباط ما تحتويه من نصوص تشير إلى قيمة التقوى، لاحظنا أنّ قيمة التقوى والتي تأخذ معنى شمولي بين القيم الإيمانية والتعبدية، وهي من أول القيم الروحية الفردية التي تكون مصدرا وأساسا لسلوك الفرد سواء مع معبوده أو مع محيطه الخارجي، وعلى هذا الأساس حاولنا التمييز بين قيمة التقوى التي ترتبط بالعقائد اليهودية، وبين النصوص التي تربط بين التقوى ونصوص الشريعة اليهودية.

1- التقوى في العقائد اليهودية.

دلّت نصوص التوراة على قيمة التقوى، على عدّة معاني وتوجهات لهذه القيمة، فالقيمة في جوهرها توحي إلى مخافة الله وطاعته، فالمبدأ الأخلاقي الأساسي في التناخ هو مبدأ طاعة الله[2]، وإفراده بالعبادة والتوحيد، وقد وردت عديد النصوص الدالة على هذه المعاني لقيمة التقوى، فأولها عبادة الله تعالى وتوحيده، وهذا ما جاءت به رسالة موسى (عليه السلام)، وأولها وأبرزها أولى الوصايا العشر التي تعّد قوام التشريع وجوهر التوراة، فالمذهب الأخلاقي عند فيلون السكندري –الفيلسوف اليهودي– يقوم على التشريع الإلهي ويوجزه في الوصايا العشر التي جاءت بها التوراة، فيرى أنّ :"أنّ المصدر الحقيقي لكل هذه الشرائع هو الرب، وأنّ الإيمان والتدين هما المصدر الحقيقي للأخلاق"[3]، فنجد الكتاب المقدس يعبّر عن الوصايا العشر بصيغة " الكلمات العشر"، حيث جاء في سفر الخروج:" وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً، فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ"[4]، و كذلك في سفر التثنية: "وَأَخْبَرَكُمْ بِعَهْدِهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرِ، وَكَتَبَهُ عَلَى لَوْحَيْ حَجَرٍ"[5]، أيضا: "فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ مِثْلَ

---

[1]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر إشعياء، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، د ط، 1973م، ص 187.

[2]- John Barton : Ethics in Ancient Israel , Oxford University Press, United Kingkom, 1st edition, 2014, p 127.

[3]- حمادة أحمد علي: فلسفة الدين اليهودي، نيو بوك للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2017م، ص 286.

[4]- الخروج 34: 28.

[5]- التثنية 4: 13.

الْكِتَابَةِ الأُولَى، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ الَّتِي كَلَّمَكُمْ بِهَا الرَّبُّ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ فِي يَوْمِ الاجْتِمَاعِ، وَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ إِيَّاهَا"[1]، وأجمع اليهود والنصارى على أنّ هذه الكلمات تشمل شريعة الله، وهي خلاصة آداب العهدين القديم والجديد، وهي شرائع لا تتغير، وتمثل جوهر العهد الذي قطعه الله مع موسى (عليه السلام)[2].

وقد تضمنت هذه الكلمات العشر ما جاءت به النصوص التوراتية، فقد جاء في سفر الخروج، "ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي، لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ، لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً"[3]، ويتطابق مع النص الذي الوارد في سفر التثنية كذلك.

فمعظم نصوص التوراة تدعوا إلى وحدانية الله وإفراده وتخصيصه بالعبادة دون إشراك[4]، فأول الوصايا التي وصى بها الله بني إسرائيل على لسان موسى (عليه السلام) هي التوحيد وترك عبادة الأصنام، وعدم الشرك بالله، وتنزيه الخالق عن أي شبيه أو نظير، وافراده بالطاعة والعبادة، مع الخوف والاستعانة والتوكل عليه، كما أمرهم بالإيمان المطلق بأنه العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء، والقادر على كل شيء، والخالق لكل شيء، وأنه هو الذي يميت ويحيي ويمرض ويشفي، ولا منجي من قدرته وأنه الأول والآخر، لا إله آخر سواه[5]، فتوحيد الله تعالى في المعتقد اليهودي هو "أصل العلوم والأديان والمذاهب والاعتقادات مفتاحها وقانونها وقطبها، وبه يتميّز الإيمان من الشرك، ويكمل الدّين ويثبت اليقين، وتكون العبادة الصحيحة لا يشوبها كدر ولا يداخلها خلل"[6].

---

[1]- التثنية: 10: 4

[2]- وليام مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر الخروج، ص 88- 89. .

[3]- الخروج 20: 1- 7.

[4]- جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، ط1، 1984م، ص 58.

[5]- سعد بن منصور بن كمونه اليهودي: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية – المسيحية – الإسلام ، دار الأنصار، د ط، د ت، ص 26.

[6]- نتئيل بيرف فيومي: بستان العقول، ترجمة: سهير سيّد أحمد دوبنى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص 75.

فاليهودية هي الاعتقاد بوجود الله الواحد الخالق الوحيد الذي هو خالق وحاكم الكون وكل ما فيه، فالله متعال وأبدي يعرف ويرى كل شيء[1]، كما أنّ التوحيد اليهودي الأكثر تجريدا ونقاء مما عرفته الحضارات المجاورة الهيلينستية والرومانية التي شجعت العبادات متعددة الآلهة، إلا أنّ اليهودية حافظت على التزامها بعبادة الإله الواحد، وكان المفهوم اليهودي عن الله الأكثر تجريدا[2]، وتتجسد في اليهودية علاقة خاصة بين الإله والإنسان، متطورة تتسم بالرهبة والحميمية في الوقت نفسه، وتعبّر عن هذه العلاقة الكلمتين التناخيتين هما الهوى (الحب)، والرعب (الخوف)، فالهوى يعني الألفة والمودة، والرعب يعني الذعر الشديد الذي يشعر به الكائن الفاني في أثناء وقوفه أمام أكبر قوة في الوجود، تطابق هاتان الكلمتان اللفظيتان المذكورتين أعلاه عن الحديث عن الرحمة (رحيم) والعدل (الديّن) كصفات من صفات الله[3].

فلقد كانت نصوص التوراة معلنة عن وحدانية الله، وحدانية مطلقة، كما جعل الإيمان وجدانيا لا عقلانيا، وكانت نصوص التوراة دالة على التوحيد القلبي والروحي لله، فجاء فيها أيضا:" فتحب الرّب إلهك من كل قلبك ومن نفسك ومن كل قوتك"[4]، فأول العقائد اليهودية هو الإيمان بإله واحد واحد شامل، وهو ليس إله اليهود فقط بل إله كل الشعوب والأمم، وهذا هو الله الرب خالق الكون، ويعتقد أنه أبدي ومثالي ومعرفي ومقدس، وبدون شكل مادي[5].

وفي هذا كانت محاولات علماء اليهود لضبط العقيدة اليهودية وصياغتها متعددة، ولكن ما صاغه موسى بن ميمون من أصول للدّين اليهودي كان أكثر تحديدا، فدرس أصول الدّين وحدّد جذور اليهودية التي تسمى بالعبرية "عقاريم" وهي ترجمة لكلمة "أصول"، ولخصها في ثلاثة عشر أصلا ترتبط بالعقائد اليهودية، وفيما يرتبط بعقيدة اليهودية تجاه الله، يؤكد موسى بن ميمون وحدانية الله، وأنّه لا شبيه له على الإطلاق، ويؤكد هذا في الأصل الثالث، على أنّ هذا الواحد ليس بجسم ولا تحده حدود الجسم، وأنه هو هو منذ الأزل وإلى الأبد، ويقول في الأصل الرابع إنه الأول والآخر،

---

[1] - Myrtle Langley : Handbook of religious and Practices , US Department of Justice Federal Bureau of Prison, USA, p 2.

[2] -Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p337

[3] – روبن فايرستون وآخرون: ذرية إبراهيم، ص 81.

[4] – التثنية 6: 5.

[5] - Martha A. Morrison and Stephen F . Brown: World Religions Judaism , Chelsea House Publishers, New york, USA, 4 th edition , 2009, p 11.

ولا يكتفي بهذا بل ينص على تنزيهه سبحانه وتعالى عن الشريك بحسب الأصل الخامس، وأنه وحده الجدير بالعبادة ولا يستحق العبادة غيره[1].

ويُظهر سلطان الله، وأنه هو الرّب الإله واجب الوجود الأزلي في قوله: ""أنا الرّب إلهك"، وصاحب القدرة المطلقة، والرحمة والشفقة على شعبه، "الذي أخرجك من أرض مصر"[2]، وهنا في صيغة هذه المقدمة للوصية الأولى، نلاحظ أنّ أكثر ما يميز الرّب حسب التصور اليهودي هو تدخله في صنع التاريخ اليهودي، وفي كثير من المحطات التاريخية اليهودية، التي تبرز الارتباط الوثيق بين التاريخ والعقيدة اليهودية، وأبرز مثال هذه الوصية الأولى حيث يعرّف الرّب نفسه بـ : "الذي أخرجك من أرض مصر أرض العبودية"، كما أنّها ترسخ في الوجدان اليهودي الإحساس بالعلاقة الخاصة بين إسرائيل والرّب، ويظهر من خلال هذه النصوص التوراتية أنّ الرّب لا يصف نفسه مثلا بأنه خالق الكون كله، بل نجده قدّم نفسه على أنه من أخرج بني إسرائيل من أرض مصر ومن بيت العبودية، وهذا ويفسر أنّه مقابل تحرير بني إسرائيل من الظلم في أرض مصر، ويطلب يهوه منهم ألا يعبدوا آلهة أخرى سواه، فيعمل هذا الخطاب التوراتي العقدي الانعزالي في تثبيت الروح الانعزالية في الشخصية اليهودية والوعي اليهودي الجماعي، ليبعث ويؤكد على عقيدة شعب الله المختار، وخصوصية الإله لشعب إسرائيل، وهذا ما تؤكده الصيغة المفردة للوصية "أنا الرّب إلهك" فجعل من الرّب إلها خاصا ببني إسرائيل، رحيم بهم أخرجهم من بيت العبودية بقوته، ولهذا السبب فهو إله بني إسرائيل الذي يستحق العبادة والتوحيد والتقوى[3]، ولهذا تظهر نصوص التوراة في كثير منها إشارات إلى أنّ "يهوه"، هو الرّب الخالق الذي يختص وحده بالعبادة: "لا يكن لك آلهة أمامي...لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض...لا تنطق باسم الرّب إلهك باطلا"[4]، وبحسب سياق ورودها تفيد أنّ هذا الإله ليس للناس جميعا، إنما هو إله خاص بالشعب الإسرائيلي"[5]، " لا يكن لك آلهة آلهة أخرى أمامي"، والمعنى لا تشرك مع الله آلهة أخرى، لأنهم كانوا عرضة لأن يشركوا بالله ويعبدوا غيره معه، فالوصية الأولى تنهى عن كل عبادة لغير الله، وتأمر بعبادة يهوه أي الرّب الواجب

---

[1]- حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، ص 159- 160.

[2]- وليم مارش: سنن القوم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر الخروج، ص 89.

[3]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء، مصر، 1993م، ص 135- 136.

[4]- الخروج 20: 2- 7.

[5]- كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط2، د ت، ص 160.

الوجود الأزلي الأبدي وحده[1]، وبناء على هذا فإنّ فيلون يربط بين الوصية الأولى والثانية المرتبطتان بتوحيد الله وأنهما تعلنان عن مبدأ أخلاقي مؤداه أنّ الإيمان الله وعدم عبادة الأصنام هم المبدأ الأول لقيام الأخلاق وهذا الإيمان هو المصدر الوحيد لقيام السعادة[2]، ولكن بني إسرائيل وقعوا في الشرك بعبادة الله في أكثر من مرحلة عبر التاريخ، وعبدوا العديد من المعبودات الأجنبية، خاصة التي انتشرت وسط الشعوب التي جاوروها، ومن أمثلتها البعل وعشتروت.

كما اقترن توحيد العبودية لله في التناخ وفي المعتقد اليهودي بالعهد الإلهي لبني إسرائيل، وأن اليهود شعب الله المختار وعدهم الله بإقامة ملك لليهود من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، وكان هذا بداية مع نوح (عليه السلام) والذي جاء فيه الالتزام بالوصايا السبع، ثمّ كان العهد بين الله وإبراهيم (عليه السلام)أن يكون أب الأمّة العظيمة التي من شأنها العيش في أرض كنعان الموعودة[3]: "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ، قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا، لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا"[4].

ثمّ أكّد الرّب هذا العهد لإسحاق ويعقوب ثمّ لذريتهما فيما بعد، أي لبني إسرائيل في سفر التكوين، " وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: «اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبَارَكَنِي، وَقَالَ لِي: هَا أَنَا أَجْعَلُكَ مُثْمِرًا وَأُكَثِّرُكَ، وَأَجْعَلُكَ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ هذِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِكَ مُلْكًا أَبَدِيًّا"[5]، ثمّ تم تأكيده بين الله وشعب إسرائيل على جبل سيناء، يعد فيه الله الله إسرائيل بالازدهار إذا اتبعوا وصاياه[6]، والقانون الذي يلزم شعب الله المختار بالالتزام به، ويتم فيه فيه الحفاظ على القانون في التوراة[7]، وقد تكرر هذا الوعد في التناخ في أكثر من موضع، وكان دائما دائما مرتبط بإظهار ولائهم لله، وامتثالهم لأوامره وطاعته، وإلا حلّ عليهم القصاص وغضب الرّب

---

[1] – وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم– تفسير سفر الخروج–، ص 89.

[2]- حمادة أحمد علي: فلسفة الدين اليهودي، ص291.

[3] – Martha A. Morrison and Stephen F . Brown: World Religions Judaism, p12.

[4]- تكوين 13: 14- 17.

[5]- تكوين 48: 4- 5.

[6] – Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 103.

[7] – Martha A. Morrison and Stephen F . Brown: World Religions Judaism, p12.

عليهم[1]، "إِنْ لَمْ تَحْرِصْ لِتَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ الْمَكْتُوبَةِ فِي هذَا السِّفْرِ، لِتَهَابَ هذَا الاسْمَ الْجَلِيلَ الْمَرْهُوبَ، الرَّبَّ إِلهَكَ، يَجْعَلُ الرَّبُّ ضَرَبَاتِكَ وَضَرَبَاتِ نَسْلِكَ عَجِيبَةً. ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً رَاسِخَةً، وَأَمْرَاضًا رَدِيَّةً ثَابِتَةً، وَيَرُدُّ عَلَيْكَ جَمِيعَ أَدْوَاءِ مِصْرَ الَّتِي فَزِعْتَ مِنْهَا، فَتَلْتَصِقُ بِكَ، أَيْضًا كُلُّ مَرَضٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ لَمْ تُكْتَبْ فِي سِفْرِ النَّامُوسِ هذَا، يُسَلِّطُهُ الرَّبُّ عَلَيْكَ حَتَّى تَهْلِكَ، فَتَبْقَوْنَ نَفَرًا قَلِيلاً عِوَضَ مَا كُنْتُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فِي الْكَثْرَةِ، لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ"[2]، وهكذا يظهر لنا أنّ الله لم يمنح بني إسرائيل هذه الوعود أو الامتيازات دون أي قيّد، بل إنّها كانت متوقفة على العلاقة التعبدية بين الرّب والشعب، فتحقيق هذه الوعود كان مرتبطا باشتراطات وقيود[3]، وشروط واضحة، ولا يمكن تنفيذ هذه الوعود إلا باستيفائه، وهو أن يطيعوا الله ويعملوا بأحكامه ووصاياه ويدينوا له بالولاء الدائم فلا يعبدوا سواه، وإلا انقلب وعده إلى وعيد، وتحولت نعمته إلى نقمة[4]، فالعهد استعارة عن العلاقة بين المجتمع والله، علاقة إلهية إنسانية، وهي علاقة أبدية لربط الله والأجيال القادمة من اليهود، فالعهد له القدرة على تجاوز الحدود الزمنية للحياة الفردية وحتى الجماعية لأجيال كاملة، وبهذا العهد فالعلاقة بين الله وإسرائيل لا تقارن بأي نوع آخر من صلة[5]، ولا يلبث إلا أن نجد الوعد الإلهي يتكرر لبني إسرائيل، لأنه أساس توحيد بني إسرائيل لله وعبادتهم له، فيرد في الإصحاح الثاني من سفر القضاة ما يلي: "وصعد ملاك الرب من الجلجال إلى بوكيم وقال قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى التي أقسمت لآبائكم وقلت، لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد"[6]، يتكرر العهد الإلهي لبني إسرائيل والتكفل بوفائه وهو أن الله يكون مع شعبه ويورثهم أرضهم[7]،

غير أنّ بني إسرائيل تنكروا لربهم، وحادوا عن الطريق القويم، وعن رسالة التوحيد التي جاء بها موسى (عليه السلام)، التي لم تستمر طويلا بينهم حتى في حياته كما تقر نصوص التناخ ، ففي سفر الخروج: "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ

---

[1] – ألفت محمد جلال: العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود، مكتبة سعيد رأفت، مصر، د ط، 1974م، ص 36.

[2] – التثنية 28: 58- 62

[3] – ألفت محمد جلال: العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود، ص 37- 38.

[4] – زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص549- 554.

[5] - Louis E. Newman : Past imperatives –studies in the history and theory of Jewish ethics ethics , state university of New York, USA, 1998, p 65.

[6] – القضاة 2:1.

[7] – وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر القضاة، ص 18.

نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا، فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ، زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»[1]، وكانت هذه أولى صور الشرك والانحراف عن التوحيد بين جماعة بني إسرائيل، وهذا ما دلّت عليه نصوص التناخ، والمراحل التاريخية التي مرّ بها اليهود، فنجد أنّ تصورهم للرب والألوهية يختلف ويضطرب بين التوحيد والشرك، ونجد تصورهم عن الإله لا يختلف كثيرا عن تصور الأمم الأخرى التي عاشوا بينها لألهتهم، رغم جهود الأنبياء لتنقية الفكر اليهودي من شوائب المعتقدات الوثنية، التي دخلت اليهودية من أديان الشعوب التي عاش اليهود بينهم[2]، فبداية من عهد القضاة الذي تميّز بالاضطراب والنكسات التي كانت تهدد بني إسرائيل، والتي حكمهم فيها في فترات مختلفة الشعوب الكنعانية وكذا الشعوب المجاورة[3]، فبني إسرائيل أشركوا بالله وخالفوا رسالة التوحيد الموسوية، فجاء في سفر القضاة: "قام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرّب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل، وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرّب وعبدوا البعليم"[4]، فعل الشر في الكتاب المقدس يدل على ترك الله أو الإيمان أو الارتداد عن الله وشريعته،[5] "فالبعليم أي البعول جمع بعل اسم سامي معناه " رب، سيد، مالك، زوج ، ويسمى في البابلية " بلو أو بيل "، وكان البعل هو كبير الآلهة عند الكنعانيين، و "البعليم " جمع "بعل "[6]، كلمة "بعل" في العبرية أيضاً، معناها " مالك "، فيظن أنها استعملت أصلاً –في معناها الديني –

[1] – الخروج 32: 1- 6، 8.

[2] – محمد عبد المجيد بحر: اليهودية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، العدد 20، 2001، ص 16.

[3] – رجا عبد الحميد عرابي: سفر التاريخ اليهودي، دار الأوائل، دمشق، سوريا، ط2، 2006م، ص 187.

[4] – القضاة 2: 10-11.

[5] – وليم مارش : سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر القضاة، ص 20.

[6] – دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية، مادة" بعل ".

للدلالة على إله بقعة معينة من الأرض، ولكن ليس ثمة دليل قاطع على ذلك، كما أن كلمة "رب" تعني "المالك"[1].

وجاء أيضا "وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرّب، وتركوا الرّب وعبدوا البعل وعشتاروت"[2]، جاء البعل هنا مفرد وهو كذلك في الأصل العبراني والمراد به الشمس عينها، بقطع النظر عن تعظيمها أو تعددها بتعدد الصور والتماثيل وأمكنة العبادة، و عشتاروت هي إلهة الخصوبة عند الكنعانيين ، وتسمى أيضاً عشتروت إلهة الصيدونيين[3]. وكانت تعرف عند البابلين باسم " إشتار " ، وكانوا يعتبرونها ابنة " سين " إله القمر ، ثم اعتبروها محظية " آنو " إله السماء ، وكانت عادة تعتبر الإلهة الحب واللذة أو الخصوبة ، ولو أن الأشوريين كانوا يعتبرونها الإلهة الحرب[4]، وهكذا كان معيار قيمة التقوى غير ثابت عند اليهود وفي نصوص التوراة، فكما كانت النصوص التوراتية مؤسسة للتوحيد القائم على التقوى ومخافة الله وتوحيده في العبادة والطاعة، كانت أيضا هذه النصوص شاهدة على انحراف اليهود عن هذه القيم الروحية الإيمانية والتعبدية.

2- قيمة التقوى في التشريعات اليهودية.

تتضمن النصوص التشريعية للديانة اليهودية جانبا مهما من القيم الروحية، منها قيمة التقوى، لأنها تلخّص وتشمل رسالة تعبد الإنسان لربه، وهي جملة ما تضمنته النصوص التوراتية من أوامر ملزمة لبني إسرائيل، وكل من يؤمن باليهودية، فقد كانت ترتكز على ما أورده ابن كمونة متمثلة فعل الخير، وأمرهم بمكارم الأخلاق والصلاة والصوم والصدقة، والعدل والانصاف والوفاء بالعهد والنذر، وإكرام الوالدين والعلماء، وإطاعة الولاة وإكرامهم، وأن يحبوا لغيرهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم، وعرّفهم ما يسلكونه من طريق، ونهاهم عن الرذائل والجور، والقتل والسرقة والزنا وتمني مال الغير[5].

وكما أنّ أحكام الشريعة اليهودية المفروضة على بني إسرائيل وكل من يؤمن باليهودية، فسرها حكماء اليهودية أنّها دائما تدعوا للخير، وعلى الفرد الالتزام بها لترجيح كفة الخير على الشر، لأنّ

---

[1] – دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية، مادة" بعل ".

[2] – القضاة 2: 12- 13.

[3] – الملوك الأول 11 : 5.

[4] – دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية، مادة "عشتاروت "

[5] – سعد بن منصور بن كمونه اليهودي: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية – المسيحية – الإسلام ، ص 26.

العالم وكذا الفرد نصف بار ونصف شرير[1]، ولهذا كان التزام الأوامر الإلهية طريقا للتقوى في بعدها الروحي القائم على عبادة الله الواحد والخوف منه وتقواه، كما كانت العديد من نصوص التوراة نماذج لتجسيد قيمة التقوى في حياة الأنبياء والصالحين، ومن بينهم أول الآباء الذين ينسب بني إسرائيل أنفسهم إليه "نوح عليه السلام" وقد جاء في التوراة "كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ"[2]، ورغم أنّ نوحا عاش بين أناسا غير صالحين، لكنه حاول أن يفعل ما يرضي الله، بالتصرف حسب مشيئة الله، فعاش بالإيمان والطاعة والتقوى طيلة حياته، مثالا حيا لجيله[3]، وكان ساعيا لتحقيق الكمال الحقيقي بكل طاقته[4]، ومثّل نوح (عليه السلام) في التوراة الشخص الطيب والعادل الذي سار في البراءة أمام الله، الصورة الإلهية التي سعى الله إلى إعادة إنشائها في البشرية[5].

وكذلك كان إبراهيم (عليه السلام) في عديد من المواقف التي تحدثت عنها نصوص التوراة، التي تبرز خوفه وتقواه لله، " فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ»[6]، وكان "خوف الله" أمراً لازماً يظهر في حفظ وصاياه، فتذر التوراة على لسان موسى (عليه السلام) "لاَ تَخَافُوا، لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا"[7]، وعبادته وتقواه وحفظ فرائضه، "الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ"[8] ، "فَأَمَرَنَا الرَّبُّ أَنْ نَعْمَلَ جَمِيعَ هذِهِ الْفَرَائِضَ وَنَتَّقِيَ وَنَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَنَا، لِيَكُونَ لَنَا خَيْرٌ كُلَّ الأَيَّامِ، وَيَسْتَبْقِيَنَا كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"[9]، لقد كانت التقوى خلاصة الشريعة وفرائض الله للإنسان في التوراة، وهي أسمى القيم الروحية الفردية الإيمانية والتعبدية وأساس لها.

---

[1]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 135.

[2]- التكوين 6: 9.

[3]- مجموعة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الترجمة: شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، د ط، 1997م، ص23.

[4]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر التكوين- ، ص 53.

[5] - Arie Lova Eliaw : Biblical Humanisme For Modern Israël , translated by: Sharon Neeman , Varda Books , skokis , illinois, USA, 1st 2001, p 26.

[6]- التكوين 18 : 17- 19.

[7]- الخروج 20: 20.

[8]- التثنية 6: 13.

[9]- التثنية 6: 24.

وفضل الله على من يتقيه ويخشاه كبير في التوراة، فجاء على لسان: "يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ، وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ، فَيُخَلِّصُهُمْ"[1]، ويجنبهم كيد الشيطان الذي يسير بالعبد إلى الضلال والعدول عن طريق الله، فذكر التناخ ما جاء عن أيوب: "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ، رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ، فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ "[2].

وأمّا النبي موسى (عليه السلام) فقد كان المثال الأول للتقوى ومخافة الله لبني إسرائيل، وقد دلّت نصوص التوراة على هذا، نذكر من بينها: "ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ"[3]، وهنا أمر الله موسى (عليه السلام) أن يخلع حذاءه لأنه كان يقف على أرض مقدسة، وما كان من موسى إلا الطاعة لأمر الله، وغطى وجهه أيضا، فقد كان خلع الحذاء دليلا على الاحترام، وتغطية وجهه اعترافا بعدم استحقاقه المثول أمام الله[4]، وكان أمر الله الذي نقله موسى (عليه السلام) لإسرائيل ثابتا وهو:" اخْشَ إِلهَكَ"[5]، كما قال لهم: "فَأَمَرَنَا الرَّبُّ أَنْ نَعْمَلَ جَمِيعَ هذِهِ الْفَرَائِضَ وَنَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَنَا، لِيَكُونَ لَنَا خَيْرٌ كُلَّ الأَيَّامِ، وَيَسْتَبْقِيَنَا كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"[6]، وجاء أيضا في التناخ: "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ"[7]، فمخافة الرب هي الصفة الأهم التي يجب أن يتصف بها الانسان الصالح، "الذي يخاف الرب لا يفتقر إلى شيء، ولا يحتاج إلى معونة أحد، مخافة الرب جنة مباركة ومجدها فوق كل المجد"[8]، المجد"[8]، والتقوى هي ما يجب أن يتحلى به الانسان[9]، ولها العديد من الفوائد في حياة الفرد وسلوكه وسلوكه النفسي والإيماني والتعبدي، فهي قوة تحفظ من الخطأ، ولهذا كان التحذير متكررا لبني إسرائيل في التوراة من عواقب الانحراف عن التقوى، فيقول موسى: "«فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، مَاذَا يَطْلُبُ

---

[1]- المزمور 145: 19

[2]- أيوب 1: 9و10.

[3]- الخروج 3 : 6.

[4]- مجموعة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 134- 135.

[5]- اللاويين 19: 14.

[6]- التثنية 6: 24.

[7]- المزمور 111: 10.

[8]- يشوع بن سيراخ 40: 26- 27.

[9]- أسامة عدنان يحي : الطقوس اليهودية قراءة في العهد القديم، أشور بانيبال للكتاب، بغداد ، العراق، ط1، 2018م، ص 133، 135.

مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلاَّ أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَتُحِبَّهُ، وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَتَحْفَظَ وَصَايَا الرَّبِّ وَفَرَائِضَهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لِخَيْرِكَ"[1].

أمّا الارتداد عن الله، والعدول عن طريقه والكفر بتوحيد الله وعبادته، كانت عقوبته شديدة في التوراة وصلت إلى الموت: "وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ، أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ... بَلْ قَتْلاً تَقْتُلُهُ. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا، تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لأَنَّهُ الْتَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ"[2]، ترهيبا للناس للناس أن ينحرفوا على طريق توحيد الله.

اهتم علماء اليهود وأحبارهم اهتماما كبيرا بشرح قيمة التقوى، من بينهم "ابن فاقوده"[3] في كتابه "الهداية إلى فرائض القلوب"، وهو كتاب اهتم بشرح أسمى القيم الروحية، والعديد من الموضوعات التي ترسخ الإيمان في القلوب، وإيضاح السبل الواجب اتباعها للوصول إلى ذلك، من خلال النصوص المقدسة اليهودية، والتي يبيّن فيها الكيفية التي تصح بها الطاعة والخشوع لله، فيقول: "لا تصح من الإنسان الطاعة لله إلا بإلزام نفسه جميع صفات العبودية له، وهي التواضع له والخشوع بين يديه والانخفاض إليه والتبري إليه من جميع الصفات الربوبية التي هي الكبرياء والعزة والتناسي والتفاخر وما أشبه ذلك"[4]، وهنا يصف "ابن فاقوده" أسمى قيم التقوى والتعبد لله، كما يصل بين التقوى والتوبة في كتابه، بوصفها الرجوع عن الطريق الخطأ، والدعوة إلى هذه القيم التعبدية لله، من خلال عقد مقارنة بين التائب من الذنوب والإنسان الدائم الصلاح والورع الذي لم يقع في الخطيئة أو يرتكب ذنب، حول مسألة هل يستويان في المنزلة عند الله، فيقرر أن كلاهما في درجة

---

[1]- التثنية 10: 12.

[2]- التثنية 13: 9 - 10.

[3]- باهي بن يوسف بن فاقوده: هو من دائرة الثقافة الإسلامية عاش في سراقوسه بالأندلس، وكان قاضي جاليتها اليهودية، صاحب كتاب "الهداية إلى فرائض القلوب" و "التنبيه إلى لوازم الضمير" بالعربية، وقيل هو أول من كتب في الفلسفة اليهودية الأخلاقية، وهو صورة من الكتب الأخلاقية الإسلامية، يحفل بالاقتباسات من فلاسفة المسلمين والأدب العربي والحكايات العربية، ولذلك قيل إنّ الربانيين حاكموه لميوله الإسلامية الواضحة، وخاصة اتجاهاته الصوفية الإسلامية، ونقده للأحبار لاهتمامهم بالشعائر التي يسميها الفرائض الجسمانية، وهو يعرّفها بأنها التسليم لله الخالق الواحد الأحد، والشكر له والتوبة عمّا يغضبه ويبرهن على وجود الله، ببرهان الصانع يأخذه من المعتزلة، والبرهان الغائي يدلل به على طريقة إخوان الصفا" (عبد المنعم الحنفي: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، د ب، د ط، د ت، ص 27.)

[4]- عبد الرزاق أحمد قنديل: التأثيرات العربية والإسلامية في كتاب الهداية إلى فرائض القلوب لابن فاقودة اليهودي، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية ، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، مصر، العدد9، 2004م ، ص100.

متساوية عند الله، فيقول في ذلك: " فإذا تاب المقصر فيها إلى الله بقلبه ولسانه واجتهد في عمله ولم يعد إلى تقصيره فيها غفر الله له ذلك، واستوى معه الصالح الذي لم يقصر"[1]، وقد كان للبيئة الإسلامية تأثير كبير على علماء اليهود في تفسير النصوص التوراتية، والاستدلال حتى بالتراث الإسلامي، وهذا ما انعكس على ابن فاقوده في مؤلفه هذا.

وقد تناقل التراث اليهودي عن الربيّين كلامهم عن التقوى ومخافة الله، وأنها من أول القيم الروحية التي يجب على المؤمن اليهودي التحلي بها، لمكانتها وأهميتها الدينية والعقدية والتعبدية، ومن بينهم نذكر الرابي هونا والذي قال عن قيمة التقوى: "من كان لديه علم بشريعة الله دون أن يخافه ويتقيه فهو كمن أوكلت إليه المفاتيح الداخلية لخزنة مال، دون المفاتيح الخارجية"، كما نقل عن الرابي يوحنان[2] وقت مرضه، وصيته لتلاميذه: "أدعوا لكم بأن تخافوا الله كما تخافون البشر" ، فقال التلاميذ:" مه؟ ألا يجدر بنا أن نخاف الله أكثر من البشر؟" فأجاب الحكيم: " إنه لمن دواعي سروري أن أرى أعمالكم تدل على أنّكم تخافون الله بهذا المقدار حقا، فعندما تأتون شيئا إمرا فإنكم تتحررون ألا تكون عين بشر قد اطلعت عليكم، إذا فعليكم أن تتحرّوا الأمر عينه وتخشوا الله الذي يطلع على كل شيء، وفي كل مكان ، وفي كل زمان"[3].

وترقى قيمة تقوى الله إلى السلوك البشري، والمعاملات بين الأفراد، وهذا ما أكّد عليه الرابي "أبّا"، أنّه بإمكاننا إظهار مدى خشيتنا لله من خلال معاملاتنا بين بعضنا، فيقول: "فلتخاطبوا النّاس باللين والرفق، واعملوا على قمع الغضب، واجنحوا إلى السّلم وتحرّوه أينما ثقفتموه مع اخوانكم ومع الناس أجمعين، وبهذه الواسطة تكسبون تلك النعمة والفهم الحسن في عيني الله والناس، واللّتين نالهما شلومو بكل جدارة"[4]، وهي أوامر أكّدت عليها نصوص التناخ أيضا: " تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ، اطْلُبُوا الْحَقَّ، انْصِفُوا الْمَظْلُومَ، اقْضُوا لِلْيَتِيمِ، حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ"[5]، وهي أوامر تهدف إلى تطهير البشرية من الظلم والرفع من المقام الإنساني، والنظام الاجتماعي المتوازن.

---

[1]- عبد الرزاق أحمد قنديل: التأثيرات العربية والإسلامية في كتاب الهداية إلى فرائض القلوب لابن فاقودة اليهودي ، ص 109.

[2]- الرابي يوحنان بن زّكّاي: مؤسس مركز السنهدرين بعد خراب الهيكل 70م.(أحمد ايبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا، د ط، د ت، ص 270)

[3]- أحمد ايبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، ص 270.

[4]- المرجع نفسه، ص 270.

[5]- إشعياء 1: 17.

كان للأدب التلمودي وفي مقدمته الهالاخاه"[1]، دعوة للطاعة والإيمان وأنّ الالتزام بها، وتغرس في نفس اليهودي مختلف الفضائل والقيم الروحية، وفي مقدمتها الحب والخوف من الله، فحسب الديانة اليهودية فإنّ التزام الإنسان في خدمة الله، يمتد إلى جميع مجالات الحياة اليهودية الربانية، كما يعتقد أن تأدية العمل الديني يمكن أن يكون تأديبيا، مما يؤدي إلى ارتفاع الحس الديني لدى الفرد، والهدف من التقوى هو تمجيد وتعظيم الحياة وليس الانسحاب منها، كما أنّ للزهد في اليهودية الحاخامية مكانة بين فلاسفة اليهود في القرون الوسطى، ومن أبرز هؤلاء "يهوذا هاليفي"[2]. [3].

مما سبق نلاحظ أنّ النصوص المقدسة اليهودية والتوراة تحديدا قد تناولت قيمة التقوى بكثير من التحليل، وخاصة كأساس اعتقادي وإيماني تقوم عليه الديانة اليهودية، وتتعداه إلى اعتبارها أساسا للطاعة والالتزام بمختلف العبادات، وتتعداه التقوى إلى أنّها أساس لتعامل الفرد وسلوكه الاجتماعي، لكن التناقض الذي نلاحظه عند اليهود وفي نصوصهم المقدس، وما عرفه التاريخ اليهودي من تذبذب بين التوحيد والشرك، وابتعادهم عن تقوى الله في إيمانهم وعباداتهم.

III. قيمة التقوى في القرآن الكريم.

التقوى من القيم الروحية التي أكد عليها القرآن الكريم، وتكرر ورودها بين آياته، ولقد وردت لفظ "تقوى" وما يدل عليها فيه مائتين وثمان وخمسين آية (258 آية)، وقد تنوعت المعاني التي أشارت إليها كلمة التقوى وما دلّ عليها في القرآن الكريم، بين الكف عن المحرمات، وحفظ النفس وصيانتها وحفظها عن كل ما يلحق الإثم، كما أنّ القرآن الكريم قد حدد معنى التقوى فأصبحت تؤدي دلالة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدّين ولها علاقة بجلّ القيم الأخلاقية، التي أراد الله تعالى أن يرسخها في نفوس المؤمنين.

---

[1] – تعريف الهالاخاه: (الشريعة اليهودية) يطلق هذا الاسم على الجزء الخاص بالحياة العملية للإنسان في الديانة اليهودية، والذي يحدد المحرمات والمحللات هنا، وما هو واجب وما هو غير واجب، وتحتل الهالاخاه مكانة متميزة في التوراة المكتوبة، ومكانة أساسية في التوراة الشفوية (التلمود) (رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 106).

[4] – التعريف بيهودا هاليفي: الفيلسوف الإسباني والشعر العبري، ولد في توليدو(جنوب قشتالة) في الربع الأخير من القرن الحادي عشر، توفي في الشرق بعد 1140م، تلقى يهوذا تعليمه في مختلف فروع التعليم اليهودي في مدرسة إسحاق الفاسي، واختار يهوذا الطب كمهنته، لكنه أظهر حبا واهتماما بالشعر، كما أصبح ضليعا في الفلسفة اليونانية والعربية أيضا.(موقع دائرة المعارف اليهودية: http://www.jewishencyclopedia.com/articles/9005-judah-ha-levi ،يوم 11-04- 2019، سا 19:42)

[3] – Encyclopedia judaica, vol 16 , p 149 .

دلّ القرآن الكريم على قيمة التقوى كأصل ثابت في الإسلام مؤسسا عليه وداعيا له، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾[1]، فإنّ العبد إن آمن بالكتاب، صدقه وجعله هاديا له في مجمله، قابلا لأوامره، ومصدقا لأخباره، فكان هذا سببا لهداية في كل الجوانب، فكلما اتقّى العبد ربّه ارتقى إلى هداية أخرى فهو في مزيد الهدية ما دام في مزيد التقوى، وكلما فوّت حظا من التقوى فاته حظ من الهداية[2].

وأول الدلالات للتقوى في القرآن الكريم مخافة الله، الذي يتجسّد بضبط النفس، وابعادها عن المعاصي، وتطهير القلب من الكبر والحقد والحسد، والانشغال بطاعة الله ومخافته، وقيل إنّ قوّة الخوف بحسب قوة المعرفة بالله وصفاته وأفعاله، وبعيوب النفس، وهذا ما يسمى التقوى، وتتصل التقوى بالصدق والعفة والورع[3]، والعديد من القيم الروحية الفردية والاجتماعية لأنّ التقوى تعّد قاعدة نفسية وروحية وإيمانية للفرد ليصل إلى مختلف القيم الروحية والسلوكية الأخرى، وأبلغ النصوص القرآنية في التقوى، التي تعتبر فيها المعيار والأساس وأنها أساس للتمييز بين البشر الذين يحكمهم مبدأ المساواة المطلق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[4]، كما أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾[5]، فكان تقوى الله أول الوصايا الإيمانية لجميع الناس، وقبل ظهور الإسلام ورسالة الأنبياء والرسل المشتركة بين جميع الديانات بعد التوحيد.

1- العلاقة بين قيمة التقوى وباقي القيم الروحية.

تكررت دعوة القرآن الكريم إلى التقوى في عديد الآيات القرآنية مقترنة بقيم روحية وسلوكية أخرى، وجاءت موصولة بها، إمّا دعوة للتحلي بقيمة التقوى وما اقترن بها من قيم روحية وأخلاقية وسلوكية أخرى التي تتيح للفرد التكامل والانسجام القيمي والسلوكي، أو أنّ التقوى هي بداية

---

[1]- البقرة : 1- 2.

[2]- منصور بن محمد المقرن: المجموع القيّم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية واعمال القلوب، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، 2005م، ج 1، ص 102.

[3]- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدّين، مكتبة "كرياكه فوترا"، ساماراغ، إندونيسيا، د ط، د ت، ج 4، ص 153.

[4]- الحجرات: 13.

[5]- النساء : 131.

لأغلب القيم الروحية والسلوكية التي دعا إليها القرآن الكريم، وهذا ما سنحاول استبيانه من خلال الآيات القرآنية التي تصل بين التقوى وقيم أخرى.

أ. العلاقة بين قيمة التقوى والإيمان.

الإيمان أول القيم الروحية التي ترتبط بالتقوى ارتباطا وثيقا ومتداخلا في المعنى والمقصود، فبين الإيمان والتقوى تداخل كبير، إن لم تكن التقوى هي الإيمان بالله، حتى أن المفسرين قالوا، أنه لا يعتّد بالإيمان حتى يُصطحب بالتقوى، ولما له من أثر على النفس والعمل الصالح، قَالَ تَعَالَى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، فالتقوى مصدر الخوف من الله، فهي أن يجتنب الناس ما حرم عليهم، وتصديق الله والرسول ﷺ في الأمر والنهي، والطاعة الكاملة بالعمل الصالح، وخوف الله ومراقبته باجتناب محارمه، والثبات على تقوى الله و الإيمان، ويتكرر الأمر بالتقوى، في نفس الآية الكريمة، لترتبط أيضا بقيمة الإحسان "ثم اتقوا وأحسنوا"، فالتأكيد اللفظي تأكيد على الازدياد في التقوى والعمل الصالح إرضاء لله، واجتنابا لعقابه بالإحسان والطاعات[2]، وهناك من ذهب إلى تفسير التكرار لأمر التقوى الواقع في هذه الآية، إلى معنى تغاير التقوى والإيمان باختلاف الزمان أو باختلاف الأحوال[3]، فالتقوى أنواع، الأول الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والعمل، والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير، والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان، والتقرب بنوافل الأعمال[4]، وقد فسر النبي ﷺ الإحسان بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[5]، وهو يتضمن الإيمان، وهو زائد على التقوى، ويشمل كل ما يجلب مرضاة الله، وهنا تظهر قيمة التقوى كأساس لمجموع القيم الروحية، سواء الذاتية المرتبطة بالنفس، أو المرتبطة بالسلوك والأعمال.

---

[1]- المائدة: 93.

[2]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج 10، ص 582.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدر التونسية، تونس، د ط، 1984م، ج7، ص 37.

[4]- ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج 10، ص 582.

[5]- صحيح البخاري 48، و صحيح مسلم 9، وسنن ابن ماجه ، باب في الإيمان، ج 1، ص 24.

وقد دلّ القرآن الكريم على هذا فيقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾[2]، ويذهب المفسرون إلى أنّ الإحسان هنا في الآية الكريمة، هو الإحسان في العشرة بالرحمة والتعاطف، والابتعاد عن النشوز والإعراض، وما يترتب عليهما من منع الحقوق أو الشقاق، ليكون جزاء التقوى والإحسان العاقبة الفضلى[3]، ويأتي شرح قيمة الإحسان في القرآن الكريم كاملا فيما تبقى من أجزاء البحث.

كما أنّ صلّة الإيمان والتقوى جاءت مقترنة أيضا في دعوة المشركين من أهل الكتاب وغيرهم، وهذا لتماسك هذه الصلة بين القيمتين، فالتقوى تتبع الإيمان وتثبته وتؤكده في نفس الفرد، قال تعالى:﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[4] فالضمير في الآية الكريمة يعود على اليهود، الذين تقدم ذكرهم في الآية التي تسبقها، التي جاء فيها الوعيد لهم بقوله:﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[5]، فأتبعه بالوعد جامعا بين الترهيب والترغيب لأن الجمع بينهما أدعى إلى الطاعة والعدول عن المعصية[6]، فهي أساس الإيمان ونوال الجنة قال تعالى:﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[7] . وكذلك كانت دعوة الأنبياء (عليهم السلام) كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإلياس وعيسى (عليهم السلام) لأقوامهم بالإيمان مقترنة بالتقوى ورسالة التوحيد، فتكررت صيغة "ألا تتقون" في القرآن الكريم ست مرات[8]، ونجد –على سبيل المثال لا الحصر– في

---

[1]– آل عمران: 172.

[2]– النساء : 128.

[3]– محمد رشيد بن علي رضا: تفسير المنار، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1990م ج 5، ص356.

[4]– البقرة: 103

[5]– البقرة: 102

[6]– فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 3، ص 634.

[7]– المائدة: 65.

[8]– محمد رشيد بن علي رضا: تفسير المنار، ج 6، ص 380.

حوار الحواريين مع النبي عيسى (عليه السلام)، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

كما اقترنت قيمة التقوى في القرآن الكريم بالإيمان والبّر والاحسان، وبفتح الله (عز وجلّ) على عباده بالأرزاق والخيرات، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[2]، وتتجدد في القرآن الكريم الدعوة إلى التقوى مقترنة بالإيمان بالله، وتليها الوقوف عند حدوده بالتقوى، ليفتح عليهم بركات من الله، بتعدد أصنافها ومن جميع الخيرات والنعم[3]، في الدنيا والآخرة كما يؤكده قوله تَعَالَى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

إنّ التزام الفرد بالإيمان والتقوى كان له عظيم الأجر في الدنيا والآخرة، وهذا ما أكّده الله تعالى في وصف أحوال المخلصين الصادقين الصدّيقين في القرآن الكريم، ووعد الله لهم بعدم الخوف والحزن والبشرى في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[5]، وكان أول الأوصاف الإيمان والتوحيد لله تعالى، فالإيمان إشارة إلى كمال حال القوة النظرية، أمّا التقوى إلى كمال حال القوة العملية، ووصفهم الله تعالى بـ: "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، وأشار المفسرون إلى أن الخوف إنما يكون في المستقبل، بمعنى أنه يخاف حدوث شيء في المستقبل، والحزن إنما يكون على الماضي إمّا لأجل أنه كان قد حصل في الماضي ما كرهه أو لأنه فات شيء أحبه، وحمل أغلب المحققين على أنّ الأمر يختص بالآخرة، وقال بعض العارفين: إن الولاية عبارة عن القرب، فولي الله تعالى هو الذي يكون في غاية القرب من الله تعالى، والاستغراق في معرفة الله تعالى ومن عرف الله حق المعرفة خشاه واتقاه[6]،

---

[1]- المائدة : 112

[2]- الأعراف: 96.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 9، ص 24.

[4]- فاطر: 2

[5]- يونس: 62- 64.

[6]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 17، ص 278.

وتكرر هذا في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾[1]، فالبشرى في الآخرة سلام الملائكة دليل النجاة والفوز في الآخرة.

فالتقوى إيمان بالله، وعمل بطاعته فيما أمر ونهى، وسعي لنيل رضاه قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾[2]، فأخذت التقوى في الآيات القرآنية معنى إجابة الله فيما أمر وفيما نهى بالطاعة له في ذلك، وتحقيق الإيمان والتصديق بالله والنبي عليه الصلاة والسلام بالعمل الصالح بطلب القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه[3].

إنّ قيمة التقوى التي أشارت إليها الآيات القرآنية، تتراوح ما بين الفعل والترك، أي ما بين فعل الواجبات وترك المحرمات، وهنا يفتح المجال للجانب الأخلاقي؛ فالذي يجب حصوله هو الأخلاق والقيم الفاضلة، والذي يجب تركه هو الأخلاق والقيم الذميمة، والله تعالى إنّما أمر بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان، والإيمان بالله معرفة به، وتحصيل مرضاته وذلك بالعبادات والطاعات[4]، ليكون الأجر في في الآخرة لمن جمع بين الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[5]، الذين يخافون عقابه بعصيان أمره واستحلال محارمه، وطاعته في أمره ونهيه[6]، لتكون النجاة والفلاح في الآخرة، قال تعالى:﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[7]، بترك الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة[8]، وكان هذا جزاء التقوى والإيمان في القرآن الكريم.

جمعت العديد من الآيات القرآنية أيضا بين الإيمان بالله وبدعوة النبي ﷺ وقيمة التقوى، فما تدعوا إليه سورة الحديد في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ

---

[1]- فصلت: 30

[2]- المائدة: 35.

[3]- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 10، ص 289.

[4]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 11، ص 349.

[5]- يوسف 57

[6]- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 16، ص 152.

[7]- النمل 53

[8]-ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، ، ج 4، ص 163.

كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقد ذهب أغلب المفسرين إلى القول بأنه الدعوة موجهة إلى الذين آمنوا بعيسى (عليه السلام) ودعوتهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، كما أنّها قد تكون الدعوة موجهة للمؤمنين من أهل الملة الإسلامية، فيأخذ منه بشارة بأنهم لا يقل أجرهم عن أجر مؤمني أهل الكتاب، لأنهم لما آمنوا بالرسل السابقين أعطاهم الله أجر مؤمني أهل مللهم، ويكون إقحام الأمر بقيمة التقوى في هذا الاحتمال قصدا لأن يحصل في الكلام أمر بشيء يتجدد ثم يردف عليه أمر يفهم منه أن المراد به طلب الدوام، وهذا من بديع نظم القرآن، فتقوى الله تتعلق بالأعمال وبالاعتقاد، وبعلم الشريعة، وقد استدل القرآن الكريم على وجوب الاجتهاد في التقوى، بقوله تعالى:﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[2] ليكون الجزاء في الآخرة والدنيا، فجزاء الآخرة قوله: يؤتكم كفلين من رحمته وقوله: ويغفر لكم، وجزاء الدنيا قوله: ويجعل لكم نورا تمشون به[3].

التقوى والإيمان وجهان لقيمة روحية واحدة، فالتقوى خلاصة الإيمان بالله ومبتغاه، فمن آمن اتقى ومن كان تقيا كان مؤمنا، ولهذا كانت الدعوة للتقوى والإيمان متصلة في أغلب الآيات القرآنية، وهي دعوة محورية في القرآن الكريم تكررت فيه كثيرا لأهميتها ودورها وأثرها على الفرد والمجتمع، وهي أساس روحي ونفسي لأي سلوك خارجي تعبدي كان مع الخالق أو معاملاتي مع المخلوقات، فالتقوى مبدأ وأساس كل القيم الأخرى التي يتصف بها الفرد تجاه معبوده أو تجاه المجتمع والكون.

ب. العلاقة بين قيمة التقوى والبّر.

الصلّة بين قيم البّر والتقوى قوية ومتداخلة ومتكاملة في القرآن الكريم، فالبّر يمثل جماع الفضائل ومجموع أعمال الخير، وجاء فيه قوله تعالى:﴿... وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[4]، دعوة للتوسع في فعل الخير، كما أشار الراغب الأصفهاني، ويقصد بالتقوى في الآية الكريمة اجتناب كل ما يضر صاحبه في دينه أو دنياه فعلا أو تركا[5]، وهنا تجاوزت قيمة التقوى نطاقها الروحي والديني، لتصل إلى العملي والسلوكي للفرد، فكانت أساسا لجميع القيم الروحية الأخرى، وهذا ما أكّده الحديث النبوي

---

[1]- الحديد 28

[2]- التغابن: 16

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 27، ص 429.

[4]- المائدة : 2.

[5]- محمد رشيد بن علي رضا: تفسير المنار، ج 6، ص 108.

الشريف، في قوله ﷺ : "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ"[1]، وقال العلماء البّر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق الفرد[2]، فمجموع ما ورد في البر يقصد به بالتوسع في فعل الخير[3]، وما أمر الله بالعمل به، وأمّا "التقوى" فهو اتقاء ما أمر الله باتقائه، واجتناب ما نهى عنه من معاصي[4]، ويرتقي إلى الواجب في الحثّ على التعاون في كل ما فيه تقوى لله[5]، ويراد به ما يشمل الأفعال النفسية والروحية والأخلاق الحسنة باعتبار ما ينشأ عنها من الأعمال، واسم لمجموع ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، من الإيمان والأخلاق والآداب والأعمال.

أمّا الأمر بالتعاون على قيم البّر والتقوى فهو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن الكريم، لأنه يوجب على الناس إيجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا على كل عمل من أعمال البّر، التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، وتوفير المصالح وإظهار الاتحاد والتناصر حتى يصبح ذلك خلقا شاملا للأمة[6]، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية، ولكنه قدم التحلية بالبر، وأكّد هذا الأمر بالنهي عن ضده، وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العدوان الذي يوقع بين الناس[7] ، وتكون له عواقب مهدمة للفرد والمجتمع ، ويتكرر الأمر الإلهي بالتقوى في نفس الآية من القرآن الكريم، وهذه المرة مقترنا بوعد إلهي شديد، في قوله تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، وهذا وعيد من الله عزّ وجل وتهديد لمن اعتدى حده وتجاوز أمره، يقول عزّ ذكره "واتقوا الله"، أي واحذروا الله أيها المؤمنون، أن تعتدوا حدوده، وتخالفوا أمره، فتستوجبوا عقابه وتستحقوا أليم عذابه[8].

---

[1]- خرجه مسلم (2553) مختصرا، وأحمد (17668).

[2]- أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- صحيح مسلم بشرح النووي -، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط 1، 1930م، ج 16، ص 111.

[3]- أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيّد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 41.

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 9، ص 492.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 6، ص 88.

[6]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 6، ص 88.

[7]- محمد رشيد بن علي رضا: تفسير المنار، ج 6 ، ص109 .

[8]- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 9، ص 492.

ولما كانت قيمة التقوى متصلة بسلوك الفرد وعمله القولي والفعلي، وبالعديد من القيم الأخرى في حياة الفرد، ومتصلة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1]، فوجه القرآن الكريم النداء بأن يتّسموا بالتقوى وسداد القول، فالتقوى جماع الخير في العمل والقول، والقول السديد من أهم مباحث الفضائل والقيم، ويشمل القول السديد ما هو تعبير عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء، ولما في التقوى والقول السديد من وسائل صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، لأن عمود التقوى اجتناب الكبائر وطريق التوبة[2]، فقد جمعت قيمة التقوى إذا كانت من خصال النفس البشرية، ومن مبادئ الفرد جماع كل الخير من قول وفعل، وما ما أكّد عليه القرآن الكريم.

ت. العلاقة بين قيمة التقوى والصبر.

إذا استوطنت قيمة التقوى نفس المؤمن فإنّ قوله وعمله وسلوكه كله خير، ولكما اشتدّ حبل التقوى زاد الإيمان واليقين بالله، وهنا يرزق الفرد الثبات في الدنيا على مصائبها وابتلاءاتها، و الثبات في الآخرة بقول الحق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[3] واقترنت الدعوة بين الصبر والتقوى، لتوافق الصبر على طاعة الله واتباع أمره فيما أمر واجتباب ما نهى عنه، وتقوى الله في الخوف بالتزام ما أوجب من حقه وحق رسوله، فـ "لا يضركم كيدهم شيئا"، أي كل ما يكيد للمسلمين، ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق[4]، كما كانت التقوى سبيلا لعون الله ومساندته للمؤمنين في ساحات الجهاد، كما يشير القرآن الكريم في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[5]، ومثاله ما كان في يوم بدر[6]، والربط على قلوب المؤمنين بواسطة الرسول ﷺ[7].

---

[1]- الأحزاب: 70

[2]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 22، ص 124.

[3]- آل عمران: 120.

[4]- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 7، ص 156- 157.

[5]- آل عمران: 125.

[6]- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 7، ص 173.

[7]- عبد الكريم القشري: لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، ج 1، ص 257.

كما كانت التقوى والصبر سبيل الأنبياء والمرسلين من قبل محمد ﷺ، وطريق سلوكهم مع الله والناس، ويذكر لنا القرآن الكريم خير مثال على هذا وهو يوسف (عليه السلام)، وما لاقاه من إخوته، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1] ، فكانت تقوى الله ومراقبته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، مقترنة بالصبر بكف النفس، وحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل[2].

ث. العلاقة بين قيمة التقوى و العدل.

العدل من بين القيم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية التي نصّ عليها القرآن الكريم، وربطت بقيمة التقوى في قوله تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾[3]، وهي وصية ربانية قرآنية للمؤمنين بالله وبرسوله محمد ﷺ، أن تكون من أخلاقهم وصفاتهم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائهم وأعدائهم، فنهى عن الجور والظلم في الأحكام والأفعال، سواء مع الأعداء أو الأولياء، وألّا تكون العداوة سببا في الجور الظلم، لأنّ العدل هو الأقرب إلى التقوى، ومن كان عادلا كان لله بعدله مطيعا ومن كان لله مطيعا كان لا شك من أهل التقوى، ومن كان جائرا كان لله عاصيا، ومن كان لله عاصيا، كان بعيدا من تقواه[4]، فتبقى التقوى أساسا لأفعال وسلوك الفرد ، لأنها قيمة ايمانية تعبدية وأساس لمختلف القيم الأخرى، لأنها مرتبطة بالله من جهة، وبالنفس البشرية من جهة أخرى، وكل ما يترتب عنها سيكون في إطار طاعة لله، واجتناب لنواهيه في أي قول وعمل.

ج. العلاقة بين قيمة التقوى و الصدق.

ربط القرآن الكريم قيمة التقوى بالصدق، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[5]، فقد كان القرآن الكريم موجها للعباد المؤمنين في الاستعانة بالله

---

[1]- يوسف: 90.

[2]- الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 16، ص 244.

[3]- المائدة:8.

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 10، ص 98.

[5]- التوبة : 119.

بالله به والتوجه إليه وتسليم الأمر كله له، والتماس الإلهام من الله على الطريق السوي والمستقيم، وهديهم في عملهم بالتي هي أحسن، فالمؤمن الصادق في إيمانه والمتقّي ربه حق تقاته، بسيره على الطريق المستقيم بلا انحراف ولا عوج، إنّما يجعل من نفسه ومن سلوكه قدوة حسنة لغيره، وعاملا فعّالا في بث الخير والقيم من حوله، وإعلاء كلمة الحق، على المؤمن أن يأخذ بالقرآن الكريم وهدي آياته نصا ورأوا في سلوكه العام والخاص، فكرا وقولا وعملا، في الصدق والتقوى[1].

تعّد التقوى أساس الفضائل والقيم الإسلامية وأولها، لها دلالة اشتمالية تتضمن قيما أخلاقية متعددة كالتي أشرنا إليه سابقا، مثل البّر، الإيمان، الصبر والأمانة، والصدق وباجتماعها يسمى الرجل تقيا.

2- آثار قيمة التقوى في القرآن الكريم.

التقوى من القيم الروحية والإيمانية التي لها آثار مختلفة الجوانب على الفرد وعلاقته بربه، وعلى المجتمع والسلوك الجماعي والعلاقات بين الأفراد، فما يرتبط بالجزاء الرباني لقيمة التقوى، من الله تعالى، هناك جزاء دنيوي وآخر أخروي، ولقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، مُتَّقُو الشرك لأَنَّهم لا بُدَّ من مصيرهم إلى الجنات، وكلما زادت الدرجة في التقوى قَوِيَ الحصولُ في حكم الآية[3]، وفي قوله- عَزَّ وَجَلَّ -: (و وقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)، هذا يخرج على وجهين الأول: العصمة في الدنيا من الأعمال التي توبقهم وتهلكهم لو أتوا بها، وبهذا تجنبوا عذاب الجحيم، والثاني: العفو في الآخرة، وصفح عمّا عملوا من الأعمال الموبقات في الدنيا، فلولا عفوه عنهم، لكانوا يستحقون العذاب في الآخرة[4]، وقال أيضا على لسان المؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[5]، أي النّجاة من عذاب النار ودخول الجنة[1]، وقال تعالى في سورة الإنسان،﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[2].

---

[1]- محمد بهائي سليم: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، د ط، 1987م، ص 143.

[2]- الطور: 17- 18.

[3]- أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ج 5، ص 311.

[4]- محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتوريدي: تفسير الماتوريدي – تأويلات أهل السنّة-، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ج 9، ص 524.

[5]- الطور: 27.

كما أنّ لقيمة التقوى أثر كبير في ربط العلاقة بين أفراد المجتمع، وثباتها بين الناس، قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾[3]، والمعنى أنّ الأخلاء في الدنيا، تجدهم في الآخرة بعضهم لبعض عدو، ذلك أنّ الخلة إذا كانت على المعصية والكفر صارت عداوة يوم القيامة، إلا المتقين الموحدين الذين يصاحب بعضهم بعضا على الإيمان والتقوى، فإن صحبتهم وخلتهم لا تصير عداوة[4]، فالتزام المحبة القائمة على التقوى سبيل لكل خير في الدنيا والآخرة.

أمّا غياب التقوى من الإنسان يجعل منه فردا فاسدا في ذاته، مفسدا لغيره، فالمحروم من التقوى يستبيح لنفسه عديد الخصال الذميمة كالكذب والنفاق والإفساد وعمل الشر، ولا يقبل النصح، بل يقابله بتكبر، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم، في سورة البقرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾[5]، وهذا نعت من الله تبارك وتعالى للمنافقين، الذين عاملوا النبي ﷺ بظاهر من القول، وأخفوا الكفر والحقد[6].

ومما يتصل بأثر التقوى في العلاقات بين الناس أنها باب لتوطيد المساواة الحقيقية القويمة بين الناس، ولذلك يرى الرافعي أنّ التقوى هي مصدر النية في المؤمنين بالله، فإذا اعتدوا أو ظلموا او انحرفوا بأهوائهم وشهواتهم كان ذلك انصرافا منهم عن الله تعالى، وإهمالا لتقواه واستخفافا بزجره ووعيده، وكأنّ الضمير أحدهم، – إذا لم يحفل بتقوى الله– لا يحفل بالله جلّ جلاله وعن شأنه وعلا سلطانه، ومتى بلغ الإنسان هذا الدرك الوبيء والديء، فقد تكبر وتجبر وتعجرف، وكان عدوا للمسلمين بين الناس.

---

[1]– أبو جعفر الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 22، ص 476.

[2]– الإنسان: 11.

[3]– الزخرف: 67.

[4]– فخر الدّين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 642.

[5]– البقرة: 204.

[6]– الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 4، ص 231.

المبحث الثاني: قيمة الإخلاص بين التوراة والقرآن الكريم.

الإخلاص ثاني القيم الروحية الشخصية التي أردنا تناولها من خلال هذا الفصل، نظرا لأنّ قيمة الإخلاص إلى جانب قيمة التقوى ثاني القيم الإيمانية التي تختص بنفس الفرد ومبادئه، كما أنها عامل مشترك بين النصوص التوراتية والقرآنية، والإخلاص من القيم الروحية الموجهة لعمل الفرد وسلوكه، تبني على ما يؤمن به الفرد، فأي عمل له غاية ومقصد، والإخلاص هو الموجه الأول والأخير الذي يحدد هذا المقصد والغاية، فأي سلوك أو قول أو فعل أو قيم أخرى أخلاقية أو اجتماعية سيكون الإخلاص موجها لها.

نتناول في هذا المبحث رؤية النصوص التوراتية والقرآنية لقيمة الإخلاص، وسنحاول معالجة هذه القيمة وأهمتها في الديانة اليهودية والإسلام ومدى أثرها الإيماني والتعبدي على المؤمن اليهودي أو المسلم، من خلال تحديد مفهوم قيمة الإخلاص بين المعاجم العربية والغربية، واستقراء النصوص التوراتية واستنباط جانب الإخلاص فيها، وكذلك مكانة الإخلاص في القرآن الكريم وأهميته وأثره على الفرد.

I. مفهوم قيمة الإخلاص.

1- المفهوم اللغوي للإخلاص.

تشتق كلمة الإخلاص في اللغة العربية من الفعل الثلاثي "خَلَصَ" (بفتح الخاء)، بمعنى نجا وسلم، وإذا قلنا "أخلص لله دينه" أي أمحضه وأخلص الشيء، واختاره[1]، كما أنّه إذا أخلصه النصيحة بمعنى محضها له خالصة لا يشوبها شيء[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[3]، وقرئ" مخلِصا" والمخلص: الذي أخلصه الله، أي جعله مختارا خالصا من الدنس، فالمخلص: الذي وحّد الله تعالى خالصا[4]، وترك الرياء فيه[5]، ولذلك سميت سورة " قل هو الله أحد" سورة الإخلاص، فالإخلاص يقصد به التوحيد لله خالصا، وقوله تعالى :"من عبادنا

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ج 7، ص 26.

[2]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، ج 2، ص 316.

[3]- مريم: 51.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص 27.

[5]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، ج 2، ص 316.

المخلَّصين" وقرئ المخلِصين، فالمخلَصون هم المختارون، والمخلِصون هو الموحّدون[1]، فالإخلاص الطهر والصفاء، واقترن في اللغة العربية كثيرا الإخلاص بالله تعالى في كل عمل وقول، أي أن تكون نية كل عمل لله دون شرك أو رياء.

أمّا في اللغة العبرية تجمع كلمة "כנות" في اللغة العبرية بين معاني عديدة منها الصدق، والصواب، الاستقامة ، والإخلاص وسلامة النية[2].

أمّا في اللغة الفرنسية الإخلاص " Fidélité" المخلص "fidèle" وهو الثابت في علاقاته، ويقال أيضا " loyal" الصديق المخلص في التزاماته، وعلاقاته، وكل ما معه ارتباط وثيق، ويقصد به الولاء وهو نوع من الأشخاص المخلصين، نوعية تتفق مع جوهر الصدق والعدل أيضا[3]، فالمعاني اللغوية لكلمة الإخلاص تدل جميعها على سلامة النية وصدق التوجه والتطهر.

2- المفهوم الاصطلاحي للإخلاص.

يقصد بالإخلاص في اليهودية كل عمل لوجه الله، قصد عبادته وطاعته والتقرب إليه، وتدل عبارة "لشماه" לשמה على "من أجل" و لوجه الله "בשם אלוהים"، هو قصد الأمر لذاته، وليس لأمور جانبية، فيجب مثلا أن يكون تعليم التوراة لذاتها، من أجل تنفيذ وصايا تعليم التوراة ، وليس الغرض المنفعة الفردية أو الاستمتاع، فيجب أن يكون ذلك من أجل ذات الشيء[4]، وكذلك يقترب معنى الإخلاص في الإسلام أو يكاد يطابق تعريفه في اليهودية، فيقصد بالإخلاص في الإسلام "تجريد قصد التقرب إلى الله عزّ وجل، عن جميع الشوائب"، وقيل هو "إفراد الله عزّ وجل بالقصد في الطاعات"، وقيل :" هو نسيان رؤية الخلق بدوام رؤية الخلق"، والإخلاص شرط لقبول العمل الصالح الموافق لسنة رسول الله ﷺ ، وقد أمر الله عزّ وجل به، قَالَ تَعَالَى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[5] فالإخلاص" تنقية القلب من الشوائب كلها، قليلها وكثيرها، حتى يتجرّد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه، وهذا لا يتصور إلا من محب لله

[1]- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج 4، ص 187.

[2]- كمال ربحي: المعجم الحديث عبري – عربي، ص 220.

[3] - La Rousse : -Le Petite Larousse Illustré- , Paris, 2011 , p 446

[4]- رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 179.

[5]- البينة: الآية 5.

مستغرق الهم بالآخرة، بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار، فمثل هذا لو أكل، أو شرب أو قضى حاجته، كان خالص العمل صحيح النية، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص مسدود"[1].

كما عرّف الإخلاص بأنه: "إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة" ، وقيل:" تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين"، وقيل :" التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسه، والصدق التنقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا يتمان إلا بالصبر، وقيل:" الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيرا من باطنه، والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره"[2]، ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الإخلاص يجمع بين تصحيح النية الخالصة لله في كل أمور حياة الفرد صغيرها وكبيرها لله تعالى، كما يجمع بين صفاء الظاهر والباطن من عمل الفرد وقوله، والصدق والقصد.

فالإخلاص هو الحقيقة الإسلام، إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره، فمن يستسلم لله، فقد أخلص لله، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك، فكل من الكبر والشرك هما ضدّ الإسلام ورسالة الإسلام التي تتضمن الاستسلام لله، ويستعمل لازما ومتعديا، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وعديد الأمثلة من القرآن الكريم، ولذلك كان رأس الإسلام " شهادة أن لا إله إلا الله" وهي متضمنة لعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنية من العلوم والأعمال، وأنّ الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها، كما قال النبي ﷺ "الإسلام علانية والإيمان في القلب"[5].[6] ومن هنا يأخذ الإخلاص أهمية أهمية كبيرة وعميقة في الإسلام ويعّد أساس للإيمان.

---

[1]- أحمد فريد: تزكية النفوس وترتيبه كما يقرره علماء السلف – ابن رجب الحنبلي – ابن القيم- أبي حامد الغزالي-، تحقيق: ماجد بن أبي الليل، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 13.

[2]- منصور بن محمد المقرن: المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب، ج1، ص 235.

[3]- البقرة : 131.

[4]- البقرة 112.

[5]- أخرجه ابن أبي شيبة في رسالة " الإيمان " (5/ 6)، وعنه أبو يعلى (2923) ، وأحمد (4/ 124 - 125) ، والبزار (19/1)

[6]- منصور بن محمد المقرن: المجموع القيم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية وأعمال القلوب، ص 18- 19.

II. قيمة الإخلاص في التوراة.

اختلفت نصوص التوراة الدّالة على قيمة الإخلاص، بين الإخلاص في العمل لوجه الله وبين العبادات التي أمر الله بها، وهذا ما حاولنا استنباطه من خلال النصوص التوراتية نجملها فيما يلي:

1- قيمة الإخلاص في العمل لله:

أي عمل للفرد يجب أن يكون مقترنا بعلة وسبب، وغاية ومقصد يوجهه، ولهذا كان الإخلاص لله أول موجه لأعمال الفرد في التوراة، فما مدى التزام الفرد اليهودي بإخلاص عمله لله في التوراة؟

من خلال نصوص التوراة نجد أول تجسد لقيمة الخلاص في النفس البشرية من خلال قصة قايين وهابيل وتقديم القرابين لله، فالقربان أول ما تذكره نصوص التوراة حول الإخلاص، وإخلاص الفرد لله في العبادة والعمل، ويعّد القربان الذي قدمه أبناء آدم "قايين وهابيل" أول القرابين التي ذكرتها التوراة، وتظهر قيمة الإخلاص من خلال قبول ذلك القربان من عدمه ومدى الإخلاص الروحي في التقدمة والقربان للتقرب لله ، وجاء في سفر التكوين: "وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ"[1]، وذهبت التفاسير إلى أنّ الأسباب وراء عدم قبول الله لقربان قايين، وقبل قربان أخيه هابيل، إلى تراخي قايين في تقدمته أو ممارستها بلا حب وإخلاص، وقد يكون لأنّ قايين حين قدم لم يقدم أفخر ما عنده بل من أثمار الأرض وليس مثل هابيل الذي قدم من أبكار غنمه ومن سمانها فهو قدم أفضل ما لديه[2]، وهذا دليل الإخلاص في التعبّد لله.

فالقربان (منحة) والمنحة في المعاملات البشرية تعني هدية تكريم وولاء، وهو في المفهوم الطقسي يقصد بالقربان التقدمات سواء حيوانية، أو تقدمة من الغلال، ومن المشكوك فيه أنّ عدم وجود الدّم جعل تقدمة قايين بلا فائدة أو مرفوضة، "فَالآنَ هأَنَذَا قَدْ أَتَيْتُ بِأَوَّلِ ثَمَرِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتَنِي يَا رَبُّ، ثُمَّ تَضَعُهُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَسْجُدُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ"[3]، ويتضح أنّ هابيل قدم من أبكار قطيعه، أمّا قايين فكان متكبرا، كما أنّ إيمان هابيل إخلاصه كان عاملا مهما في قبوله[4]، فالقربان يمثل الفعل الأساسي في العبادة الخارجية، وهو فعل رمزي يعبّر عن أحاسيس باطنية

---

[1]- التكوين 4: 3.

[2]- أنطونيوس فكري: تفسير سفر التكوين، ص 70.

[3]- التثنية 26: 11.

[4]- ديريك كندر: التفسير الحديث للكتاب المقدس – العهد القديم – سفر التكوين –، ترجمة: بخيت متى، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، ط1، 1995م، ص 78.

لصاحبه، وهو أقرب إلى الأفعال الرمزية للأنبياء، وبالطقوس القربانية يتم قبول المنحة المقدمة للرّب ويتحقق التوحد مع الإله وينمحي الذنب عن الإنسان[1]، وهنا نكتشف السلوك غير الأخلاقي لقايين ولهذا لم يتقبل الله قربانه، فالتوراة تعطي في نصوصها أهمية كبيرة للقرابين والتقدمات التي تقدم للرّب، وتعد طقسا من الطقوس التعبدية والإيمانية ، التي تحمل بعدا روحيا مهما في الديانة اليهودية.

وفي الديانة اليهودية التقدمات والقرابين أحد المظاهر التي تجسد التعبد لله، بإخلاص "فَقَالَ مُوسَى: «لاَ يَصْلَحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟"[2]، وجاء أيضا " نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا"[3]، ولهذا أولت الشريعة اليهودية أهمية كبيرة لشرائع القرابين والتقدمات، وأخذت حيزا كبيرا من الأحكام.

فقد ارتبط الإخلاص في المفهوم اليهودي، بالصلاة ودعاء الله والتضرع إليه والتعبّد إليه دون غيره، والتقدمات والقرابين "بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، وَلَهُ اسْجُدُوا، وَلَهُ اذْبَحُوا، وَاحْفَظُوا الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبَهَا لَكُمْ لِتَعْمَلُوا بِهَا كُلَّ الأَيَّامِ، وَلاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى، وَلاَ تَنْسَوْا الْعَهْدَ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَكُمْ، وَلاَ تَتَّقُوا آلِهَةً أُخْرَى، بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَهُوَ يُنْقِذُكُمْ مِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِكُمْ"[4]، كما أنّ النبي داود (عليه السلام) يخلص التعبد لله في الصلاة المنسوبة إليه، "هَبُوا الرَّبَّ مَجْدَ اسْمِهِ، احْمِلُوا هَدَايَا وَتَعَالَوْا إِلَى أَمَامِهِ، اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ"[5]، وكانت من أهم الواجبات التي تدل على الإخلاص لله القرابين، والتي تعّد ركنا أساسيا من أركان العبادة اليهودية، وفي العهد القديم تستخدم كلمتا الذبيحة والتقدمة بشكل مترادف للتعبير عن القربان، وهي أن كل شخص يقدم عطية لله على المذبح، ففي العهد القديم كانت الذبيحة هي الطريق الوحيد للتقرب من الله، ولا يمكن حصول رضا الرب إلا بها، ولهذا من أجل أن ينال الفرد رضا الرب عليه أن يكثر من تقديم القرابين، "ومن حفظ الشريعة يكثر

[1]- رولان دوفو: بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد 42، 2010م، ج 2، ص 743.

[2]- الخروج 8: 26.

[3]- الخروج 8: 27.

[4]- الملوك الثاني 7: 36- 39.

[5]- أخبار الأيام الأول 16: 29.

من تقديم القرابين، ومن راعى الوصايا يقدم ذبيحة السلامة"[1]، وتعّد القرابين في الشريعة اليهودية تكريما للرب، جاء في سفر الأمثال: "أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ، فَتَمْتَلِئَ خَزَائِنُكَ شِبْعًا، وَتَفِيضَ مَعَاصِرُكَ مِسْطَارًا"[2]

والقرابين تقدم من الإسرائيليين في السر والعلن، فعندما كان بنو إسرائيل في مصر، يذكر التناخ أنهم كانوا يقدمون قرابينهم للرب سرا: "طول ذلك الوقت كان أبناء شعبك الصالحون يقدمون لك الذبائح في السر..."[3]، كما أنهم يقدمونها سواء كانوا داخل بلادهم أو خارجها[4]، رغم أنّه هناك من ربط التقدمات والقرابين بالهيكل وفي أورشليم، ورفض أن تقدم خارجه، خاصة زمن السبي، في المقابل نجد أنّ هناك من دعا إلى التعبّد ليهوه وتقديم القرابين أينما حلّ اليهودي، وانتشر هذا في ما بعد، أيام التواجد اليهودي في الحضارة الإسلامية وبعدها في أوربا، والتي بنيت المعابد اليهودية فيها وانتشرت أينما حلّ اليهود.

2- قيمة الإخلاص في عبادة الله.

قيمة الإخلاص من أهم القيم الروحية المسيّرة للنفس البشرية في سلوكها وتعاملها وتعبدها، وهي تمثل القصد في العمل والتعبّد سواء مع النفس، أو مع المعبود وهو الله، أو مع الثوابت والقيم الأخرى.

إقامة العهد في التوراة –كما سبق وأشرنا- نستطيع أن نفهم منها جانبا روحيا مهما، ودرسا قيما وإيمانيا وتعبديا في الديانة اليهودية، فالعهد ميثاق أقيم بين "يهوه" و"شعبه المختار"، والوعد الأول كان لإبراهيم (عليه السلام) ، "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً، وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ"[5].

فقد اختار الله ابراهيم كما تروي التوراة أبا لليهود، فأمره أن يترك أرضه ووعده أنه سيجعله أمة عظيمة ويباركه، وأن بنسله تتبارك جميع شعوب الأرض، " وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ

---

[1]- يشوع بن سيراخ 35: 1.

[2]- الأمثال 3: 9- 10.

[3]- الحكمة 18: 9.

[4]- أسامة عدنان يحي: الطقوس اليهودية قراءة في العهد القديم، ص 12- 13.

[5]- التكوين 12: 1- 3.

بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ» وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ"[1]، وكان الإخلاص في عبادة الله وإفراده بالعبادة شرط تحقق الوعد الإلهي لجميع نسل إبراهيم (عليه السلام).

ثم ظهر يعقوب (عليه السلام) وصرح له بذلك أيضا، وسمي شعب اسرائيل ابنه البكر، ثم ظهر بعد ذلك لبني إسرائيل في جبل سينا وقال لهم تكرارا "فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ"[2] و "فَاحْفَظُوا وَاعْمَلُوا. لأَنَّ ذلِكَ حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كُلَّ هذِهِ الْفَرَائِضِ، فَيَقُولُونَ: هذَا الشَّعْبُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ"[3]، وترجع التوراة اختيار بني إسرائيل من بين الشعوب لأن الآباء ابراهيم واسحاق ويعقوب (عليهم السلام) كانوا ممتازين بإيمانهم واعتقاداتهم به وبتقواهم وصلاحهم وسط الشعوب الأخرى، فأوصى هذا الشعب بعبادته تعالى وإخلاص التوجه والقصد، ولكي يعلم شريعته لباقي الشعوب[4]، وبهذا أصبح بنو إسرائيل جنس مميّز على سائر الأجناس، وأنهم مختلفين عن باقي الأجناس لهذا اختارهم الله عن باقي البشر، "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[5]، وتأسس على هذا أهم عقيدة ميّزت الديانة اليهودية، وهي عقيدة شعب الله المختار، بل إنّ التمييز العنصري اليهودي بنيت عليه مختلف باقي العقائد اليهودية، وأغلب قيمهم ومبادئهم وسلوكاتهم داخل المجتمع اليهودي وخارجه.

[1]- التكوين 17: 7- 9.

[2]- الخروج 19: 5.

[3]- التثنية 4: 6.

[4]- هلال فارحي: كتاب أساس الدّين – تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها-، ص 32- 33.

[5]- التثنية 14: 2.

III. قيمة الإخلاص في القرآن الكريم.

الإسلام منظومة دينية شاملة ومتكاملة، ذلك أنّ القيمة الواحدة في القرآن الكريم تتصل بمجموع القيم الأخرى والأخلاق وتتكامل معها، وهذا ما كانت عليه قيمة الإخلاص التي تتصل بشعور النفس وتوجهها في القول والعمل، فقبل أن يصل العمل أو القول الانساني لتحققه وتمييزه بين المخلص وغير المخلص، يظهر لنا بما يسمى " الدافع" (mobile) أو "الباعث" (motif)، وهما كلمتان معتبرتان بعامة مترادفتين تماما، فالباعث تصور فكرة الخير الأسمى حالة عقلية صرفة، تستخدم في تسويغ العمل المعتزم، وجعله معقولا، وبيان مطابقته للقانون أو الشرع[1]، فكل عمل أو قول يسريه دافعه ويتحكم فيه، ولهذا كان الاخلاص لله قيمة القرآن الكريم الأسمى التي تسير عمل الفرد وأقواله.

1- قيمة الإخلاص في الإيمان بالله.

تجمع قيمة الإخلاص في القرآن الكريم بين الدّين والسلوك، فوصف القرآن الكريم الإسلام بأنه دين خالص، أي مالا يشوبه شيء من النقص، أو التشويه أو التحريف، قَالَ تَعَالَى:﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[2]، فقد وصف الله تعالى الدّين بأنه لله خالصا، وقد بيّن الله أن رأس العبادات ورئيسها الإخلاص في التوحيد لله[3]، فعن قتادة في تفسير (ألا لله الدين الخالص) ذكر بأنه يقصد بها شهادة أن لا إله إلا الله[4]، وذهب بعض المفسرين إلى أنّ المقصود بالدّين هنا هو الطاعة والعبادات، ويجب أن تكون خالصة لله سالمة من أن يشوبها تشريك غيره في عبادته، فتدل الآية على إخلاص المؤمن الموحّد في عبادة ربه، أي أن يعبد الله لأجله، طلبا لرضاه وامتثالا لأمره[5]، وأردفه في الآية الكريمة بذم طريقة المشركين فقال: فقال: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، وهي الأشياء التي عبدت من دون الله، وقالوا أن الإله الأعظم أجَّل من أن يعبده البشر لكن اللائق أن يشتغلوا بعبادة

---

[1]- محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن – دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن–، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، د ب، د ط، د ت، ص421.

[2]- الزمر: 3.

[3]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 26، ص 421.

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 21، ص 251.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 23، ص 320.

الأكابر من خلق الله، مثل الكواكب ومختلف الأجرام السماوية، ثم إنّها هي تشتغل بعبادة الإله الأكبر[1]، وها ما ينافي الإخلاص في التعبد لله، الذي يقتضي أن يكون ما يقوم به الفرد من أوامر وترك ما نهي عنه إرضاء لله تعالى قصد الامتثال، كما أنه يكون خاليا من كل أشكال الرياء، بحيث لا يكون الحظ الدنيوي هو الباعث على العبادة، كأن يعبد الله ليمدحه الناس بحيث لو تعطل المدح لترك العبادة، ولهذا يعتبر الرياء الشرك الأصغر[2]، وفي حقيقة الإخلاص أشار أبي حامد الغزالي، أن الشيء إذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا، ويسمى الفعل الصفي المخلص إخلاصا، وإذا عرّفنا الإخلاص بضدّه فهو الإشراك، فمن ليس مخلصا فهو مشرك، إلا أنّ الشرك درجات فالإخلاص في التوحيد بضده التشريك في الإلهية، والشرك منه خفي ومنه جلي، كما أضاف إلى أنّ الإخلاص تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب[3].

تدل الآية القرآنية في سورة النساء أيضا على إخلاص الدّين والإيمان، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[4]، فقد شملت هذه الآية الكريمة مجموعة الصفات الأخلاقية والقيمية، التي تخرج الفرد من كفة النفاق إلى كفة التعّبد والصلاح، والنجاة من العقاب، أولها: التوبة، وثانيها: إصلاح العمل، فالتوبة عن القبيح، وإصلاح العمل عبارة عن الإقدام على الحسن، وثالثها: الاعتصام بالله، وهو أن يكون غرضه من التوبة وإصلاح العمل طلب مرضاة الله تعالى لا طلب مصلحة الوقت، لأنه لو كان غايته جلب المنافع ودفع المضار لتغير عن التوبة وإصلاح العمل سريعا، أمّا إذا كان غايته مرضاة الله تعالى وسعادة الآخرة، والاعتصام بدين الله بقي على هذه الطريقة ولم يتغير عنها، ورابعها: الإخلاص، والسبب فيه أنه تعالى أمرهم الأول: بترك القبيح، وثانيا: بفعل الحسن، وثالثا: أن يكون غرضهم في ذلك الترك والفعل طلب مرضاة الله تعالى، ورابعا: أن يكون ذلك الغرض وهو طلب مرضاة الله تعالى خالصا، وأن لا يمتزج به غرض آخر، فإذا حصلت هذه

[1]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 26، ص 421.
[2]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 23، ص 320.
[3]- أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4، ص 367.
[4]- النساء : 146.

الشرائط تحقق تمام الإيمان، والبعد عن أي نفاق، وكان أجرهم في الآخرة عظيما[1]، أجرا لا يعرف أحد كنهه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون[2].

ولذلك فإنّ الذين أخلصوا دينهم لله، أخلصوا له الطاعة والأعمال، ولم يريدوا بها إلا الله، ابتعادا عن الرياء، والله يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته[3]، ولذلك كان طلب القرآن الكريم لإخلاص الإيمان والتعبد والطاعة لله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[4]، فأمر بعبادة اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، أي الطاعة لله، ولدين الله الخالص، وهو الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله، الذي أمر به لأن رأس العبادات الإخلاص في التوحيد واتباع الأوامر واجتناب النواهي[5]، وهو ما أشارت إليه الآية السابقة كذلك، وما تشير إليه آيات قرآنية مختلفة، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾[6].

يأتي الإخلاص في القرآن الكريم، كثاني المراتب الروحية التي يدعوا ويؤسس لها القرآن الكريم ، فبعد أن أمر بالتقوى، أمر بالإخلاص في العبادة والطاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾[7]، بإخلاص خال من الشرك والرياء وغير ذلك، بانقياد وخضوع، وبهذه دعوة النبي (عليه الصلاة والسلام)[8]، كما تكررت الآيات القرآنية التي تأمر بإخلاص التوجه والدعاء لله تعالى وحده، دون غيره، راجين منه النجاة والخلاص خاصة في الشدائد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[9]، ومعنى مخلصين له الدين في هذه الآية ممحضين له العبادة في

---

[1]- فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، ج 11، ص 252.

[2]- محمد رشيد بن علي رضا: تفسير المنار، ج 5، ص 386.

[3]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 9، ص 341.

[4]- الزمر : 2.

[5]- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، ج 4، ص 50.

[6]- الزمر : 11.

[7]- الزمر: 14.

[8]- وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ط1، 1422هـ، ج 3، ص 2229.

[9]- يونس: 22.

دعائهم، أي دعوة ولم يدعوا معه أصنامهم، وليس المراد أنهم أقلعوا عن الإشراك في جميع أحوالهم بل تلك حالتهم في الدعاء عند الشدائد فقط، وهذا إقامة حجة عليهم ببعض أحوالهم[1]، مثل قوله تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]، ولكن من طبع المنافقين ألا يلزموا الإخلاص والدعاء والطاعة لله، رجاء أن تفرج شدائدهم وما هم فيه من مصائب، فإذا بهم بعدها يظلمون ويتجاوزون إلى غير أمر الله عز وجل في الأرض، بغير الحق[3]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[4]، وقال أيضا في سورة لقمان :﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[5]، فالجاحد الكفور هو المفرط في الكفر والجحد والإنكار والنفي[6]، وكانت عدوة عدوة القرآن لدعاء الله وإخلاصه له وحده في كل الأحوال، ومثاله قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[7]، والدعاء هنا الإعلان وذكر الله ونداؤه ويشمل الدعاء بمعنى سؤال الحاجة شمول الأعم للأخص، ويطلق الدعاء أيضا على العبادة، والأمر بالإخلاص يشير إلى طلب الدوام عليه، لأن المؤمنين قد دعوا الله مخلصين له، وأمر بالدعاء لإغاظة الكافرين، لأن محاولات الكافرين متواصلة لمحاولتهم صرفهم عن ذلك بكل وسيلة يجدون إليها سبيلا، فيخشى ذلك أن يفتن فريقا من المؤمنين[8]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[9]، وقال تعالى أيضا: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[10]، قال ابن

---

[1]- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 11، ص 141.

[2]- الأنعام : 40.

[3]- أبو محمد الحسين بن مسعود بن حد بن الفراء البغوي: تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج 2، ص 416.

[4]- العنكبوت: 65.

[5]- لقمان: 32.

[6]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 21، ص 192.

[7]- غافر: 14.

[8]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 24، ص 105.

[9]- غافر: 67.

[10]- البينة : 5.

عباس في تفسير هذه الآية الكريمة، أنّ ما أمروا به في التوراة والإنجيل، إلا بإخلاص العبادة لله بالتوحيد، فالإخلاص عبارة عن النية الخالصة، وتجريدها عن شوائب الرياء، والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه، والنية الخالصة لما كانت معتبرة، فيجب أن تكون في جميع المأمورات، كما أنّ الإخلاص محله القلب وهو أن يأتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له، ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر[1]، فلما كان الإخلاص ضرورة من ضروريات في حياة الإنسان، جاء التأكيد عليه مكررا في الآيات القرآنية ، فهو يدل على أنّ الله تعالى لا يقبل عمل مؤمن من صلاة أو زكاة أو حج أو جهاد وغيرها من الأعمال، إن لم يكن مخلصا فيه كل الإخلاص لله في السر والعلانية[2].

2- قيمة الإخلاص في العمل.

كما ارتبطت قيمة الإخلاص بالإيمان والتعبد لله، تجاوزته أيضا للقيم في التعامل والأحكام، خارج إطار الطاعات والعبادات، أولها القسط، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]، فالقسط وهو العدل، ويقع ذلك في حق الله تعالى، وفي حق الخلق، وفي حق النفس، فالعدل في حق الله الوقوف على حدّ الأمر من غير تقصير في المأمور به، أو إقدام على المنهى عنه، وألا تدّخر جهدا في طاعته، والاستجابة لأمره، وأمّا العدل مع الخلق فهو الانصاف، وأمّا العدل في حق نفسك فإدخال العتق عليها، وسدّ أبواب الراحة بكل وجه عليها، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نفس[4]، ويتكرر طلب الإخلاص في طاعة الله ابتغاء وجه الله تعالى[5].

فوصف القرآن الكريم الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) بالإخلاص لله في أكثر من موضع ومثاله قوله تعالى في وصف موسى (عليه السلام): ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[6]، فإذا قرئ "مخلصا" بفتح اللام فهو من الاصطفاء والاجتباء، كونه رسولا نبيا[7]، وإذا

---

[1]- علاء الدين بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 4، ص 457.

[2]- محمد الحسيني الشيرازي: الإخلاص سر التقدم، مكتبة الأمين، قم، إيران، ط2، 2003م، ص 165.

[3]- الأعراف: 29.

[4]- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: لطائف الإشارات – تفسير القشيري-، ص 530.

[5]- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن قائق غوامض التنزيل، ج 2، ص 99.

[6]- مريم : 51.

[7]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 21، ص 548.

وإذا قرئ بالكسر فمعناه أخلص لله في التوحيد في العبادة، والإخلاص هو القصد في العبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده،[1] غير مرائي[2]، وكذلك كان الوصف للنبي يوسف (عليه السلام)، أنّه من عباد الله المخلصين، ولهذا أبعد عليه كل الفتن، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3].

وكل عبد أخلص لله الإيمان والتعبّد، نجى من مكايد الشيطان والزيغ والخطأ، فقد استثنى إبليس المخلصين للتأثير عليهم في قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[4]، لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ، لأنهم أخلصوا لله العبادة من فساد أو رياء ولا يقبلون منه، وأنهم الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد الذين أخلصهم الله بالهداية والإيمان، والتوفيق، والعصمة، وهذه القراءة تدل على أن الإخلاص والإيمان ليس إلا والمخلصين صفة عباد الله، الذين أخلصهم الله لولايته، والذين أخلصوا دينهم لله[5].

والإخلاص ليس طريقا لنيل ثواب الآخرة فحسب، بل إنّ الإسلام عدّ قيمة الإخلاص أساس من أسس تقدم الإنسانية وهو سر كل تقدم يشهده البشر، فالإخلاص في تربية الأبناء ينبي مجتمعا متماسكا، يضمن له البقاء والرقي، والإخلاص في التعليم والتعّلم يسمو بالمجتمعات إلى مراتب عالية في الحضارة والعلم، كما أنّ الإخلاص في النصيحة والمشورة يؤسس لأرض خصبة للإنسانية والأخوة بين أفراد المجتمع، باختصار الإخلاص في أي عمل هو أقرب الطرق لتحقيق الأهداف المرجوة[6]، وما وما يعرفه عالمنا اليوم من تخلف للمسلمين وتقدم غيرهم ولو كانوا على غير دين الإسلام، نابع من عدم إخلاصهم في العمل، فالإخلاص أساس ينبثق منه كل رقي وتقدم ورقي للمجتمعات، فالإخلاص في القرآن الكريم أساس إيماني وتعبدي جوهري، تبنى عليه إيمان الفرد المخلص أو المشرك بالله، وهو الموجه والمقصد الأول والأخير لكل أعمال الفرد وسلوكه وتعاملاته، ولهذا كانت قيمة الإيمان من القيم التي اخترناها كأساس روحي لباقي القيم الروحية التي سنتناولها بالدراسة والتحليل.

---

[1]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 21، ص 548.

[2]- شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 114.

[3]- يوسف: 24.

[4]- الحجر: 40.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 23، ص 112.

[6]- محمد الحسيني الشيرازي: الإخلاص سر التقدم، ص 5- 6.

المبحث الثالث: قيمة تزكية النفس بين التوراة والقرآن الكريم.

من بين أهم القيم الروحية الفردية التي أردنا تناولها من خلال هذا البحث، قيمة تختص بالنفس وأحوالها واستقامتها، وهي من القيم الذاتية الفردية التي تستقل بالفرد وتكوينه الذاتي، إلاّ أنها لها أثر كبير في توجيه سلوكه الخارجي.

فالإنسان ذلك المركب من الروح والجسد، لا ينفك جزء عن الآخر، وقد ثبت أنّ النفس هي مركز الفرد أخلاقيا وقيميا وسلوكيا، وما تتصف به النفس من قيم روحية وأخلاقية وإنسانية، سيجد صداه في البعد المادي السلوكي والعملي، ومن بين أشمل القيم التي يجب على النفس التحلي بها، هي التزكية و التطهير، من كل ما يكدرها ماديا وروحيا، وهذا ما سنحاول تتبعه من خلال نصوص التوراة والقرآن الكريم.

I. مفهوم تزكية النفس.

1- مفهوم التزكية والنفس في معاجم اللغة:

تتشكل قيمة "تزكية النفس" – التي نحن بصدد معالجتها من خلال النصول التوراتية والقرآنية– من لفظتين " تزكية" والنفس":

فأمّا تزكية في اللغة العربية فتشتق من الفعل الثلاثي "زكا"، ومعناه النّماء، والزكاء قصد به ما أخرجه الله من الثمر، وأمّا قولنا أرض زكية أي طيبة سمينة، والزرع يزكو أي ينموا، والزكاة تعني الصلاح، ورجل زكي أي تقي، وزكّى نفسه تزكية: مدحها، كما تطلق الزكاة على المال المعروفة، وهو تطهيره[1]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾[2]، قال بعضهم: الذين هو للزكاة مؤتون، وقال آخرون: الذين هم للعمل الصالح فاعلون، وقَالَ تَعَالَى:﴿ خَيۡرًا مِّنۡهُ زَكَوٰةً ﴾[3]، أي خيرا منه عملا صالحا، وقال الفرّاء: زكاة صلاحًا[4]، والزكاة من كل شيء صفوته"[5]، أمّا في اللغة العبرية فتأتي كلمة "זך" بمعنى " صفاء وطهارة، ونقاء، والوضوح، أمّا "זכוך" فبمعنى التطهير والتصفية والجلاء[6]،

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ج 14، ص 358.

[2]- المؤمنون : 4.

[3]- الكهف : 81.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، ج 14، ص 358.

[5]- أحمد رضا : معجم متن اللغة، ج 4، ص 46- 47.

[6]- محمد آلنتونجي: معجم الطلاب – عربي – عبري، ص 116- 117.

و"זכוי" بمعنى التزكية والتبرئة وإبراء الذمّة[1]، وبها فقد اجتمعت معاني التزكية حول الصفاء والطهارة بين اللغتين العربية والعبرية، وإن زادت عليها معانى اللغوية في القرآن الكريم إلى النماء والزيادة.

أمّا النفس فقد اتخذت في اللغة كثير من المعاني، أبرزها بأنها تتطابق ومعنى "الروح"، فإذا قلنا جرجت نفس فلان، قصدنا بها روحه، كما تحمل معنى العندية[2]، كما تعرّف بأنها الجسد، ونفس الشيء ذاته، ورجل ذو نفس: أي خلق وجَلَد، وثوب ذو نفس: أي قوّة، كما ذكر ابن الأعرابي: النّفس العظمة والكبر، والنّفس العزّة والأنفة، والهمّة، والنفس عين الشيء وكنهه وجوهره، والنفس[3].

وهنا خلاف كبير بين اللغويين والفلاسفة والمختصين حول التفريق بين النفس والروح، فقال ابن الأنباري: "من اللغويين من سوّى بين النفس والروح، وقال بأنهما شيء واحد، إلّا أنّ النّفس مؤنثة والروح مذكّرة، وقال غيره: الروح الذي به حياة، والنّفس التي بها العقل"[4]، وقد سميّت النّفس نفسا لتولّد النّفس منها واتصاله بها، كما سمّوا الروح روحا لأنّ الروح روحا، لأنّ الرّوح موجود بها، ولقد كثر الخلاف حول الفرق بين النفس والروح، هل هما واحد ؟ أو النّفس غير الروح؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[5] ، ولم يقل: من نفسي، وقوله: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[6]، ولم يقل " ما في روحي"، ولا يحسن هذا القول أيضا من غير غير عيسى (عليه السلام)، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[7]، ولا يحسن الكلام: "يقولون في أرواحهم"، وقَالَ تَعَالَى:﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾[8] ، ولم يقل أن تقول روح، فأين الفرق إذا كان النّفس والروح بمعنى واحد؟ فإنما الفرق بينهما بالاعتبارات ويدّل لذلك ما رواه ابن عبد البّر في التمهيد:" إنّ الله تعالى خلق آدم وجعل فيه نفسا وروحا، فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاؤه، ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه"، فلا يقال في النفس هي الروح على الإطلاق حتى يقيّد، ولا

---

[1]- ربحي كمال: المعجم الحيث عبري – عربي، ص 153.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، ج 6، ص 235.

[3]- ابن منظور: لسان العرب، ج 6، ص 236.

[4]- محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس ، ج 16، ص 561.

[5]- الحجر : 29.

[6]- المائدة: 116.

[7]- المجادلة: 8.

[8]- الزمر : 56.

يقال في الرّوح هي النفس إلا بقيد[1]، وهنا يضبط التعريفين بنوع من التقييد، فنسب للنفس صفات قبيحة، واختصت الروح بصفات المدح وكل ما هو حسن.

وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية الغربية، فالنفس في اللغة الفرنسية "Ame" وفي اللغة الإنجليزية، "Soul "، ويقصد بها الجزء الروحي للشخص، الذي يعتقد أنه موجود بعد الموت[2]، وفي اللغة العبرية " נפש" (نفش) تجمع بين معاني النفس والروح والإنسان والنسمة[3]، فلم تفرق بين النفس والروح.

2- مفهوم "التزكية" و "النفس" في الاصطلاح.

انتقل الاختلاف كبير في المعاني اللغوية للفظ " النفس"، إلى معناها الاصطلاحي، فجاء في المعاجم الفلسفية لفظ النفس يقع بالاشتراك على معان كثيرة كذلك، مثل الجسد، والدّم، وشخص الإنسان، وذات الشيء، والعظمة، والعزة، والهمة، والأنفة، والإرادة[4].

أمّا مصطلح النفس في اللغة اليونانية فيقابله لفظ "psyché"، ثمّ أصبح معناه الروح، وفي الأساطير اليونانية كان ينظر إلى النفس أنها اتخذت شكل الطائر أو الثعبان، أو أنها ظل الإنسان المتوفي، وهنا اختلف الفلاسفة في تعريف النفس، فقد تصور طاليس النفس على أنها قوة محركة وأنها منتشرة في الكون، وهذا نابع من اعتقاده بأنّ الأشياء مملوءة بالآلهة، كما يرد لفظ " بسيشيه" في شذرات ديمقريطس وهي تعني العقل أو النفس، وثمّة قدر من "البيسيشه" في كل مكان أو بعبارة أخرى العالم كله حي[5].

أمّا أرسطو فقد عرّف النفس بأنها بدء الحياة[6]، وأنّها كمال أول لجسم طبيعي آلي، فمعنى قوله "كمال أول" إنّ النفس صورة الجسم، أو هي ما يكمل به النوع بالفعل، ومعنى قوله " آلي" إنّ

---

[1]- محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 16، ص 561- 562.

[2] - Oxford : Oxford Dictionary, p424.

[3]- ربحي كمال: المعجم الحديث – عبري – عربي، ص 312.

[4]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، ص 481.

[5]- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 649.

[6]- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، 1983م، ص 204.

الجسم الطبيعي مؤلف من آلات أي من أعضاء، أمّا أفلاطون فعرف النفس بأنّها ليست بجسم، وإنما هي جوهر محرك للبدن[1].

وقد جمع ابن سينا بين هذين التعريفين، فقال أنّ النفس جوهر روحاني، وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد، ويربو ويتغذى (وهي النفس النباتية) أو من جهة ما يدرك الجزيئات، ويتحرك بالإرادة (وهي النفس الحيوانية) أو من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي وهي النفس الإنسانية[2]، وهو يرى أن النفس حقيقة مغايرة للجسم ومتميزة عنه كل التميز، فلا يصح أن نقول أنّ النفس صورة الجسم، لأنّ هذا القول يجعل مصير النفس تابعا لمصير البدن، لذلك يقول ابن سينا: "ليس وجود النفس في الجسم كوجود العرض في الموضوع"، ويرى كذلك: أنّ النفس جوهر يدرك المعقولات ولهذا لا يمكن أن تكون جسما ولا أمرا قائما بجسم[3].

نستنتج من ذلك أنّ الجوهر الذي هو محل المعقولات، هو جوهر روحاني غير موصوف بصفات الجسم، وأنّ النفس تدرك الكليات وتدرك ذاتها بغير آلية جسمانية، أمّا الحس فإنّه يحس شيئا خارجيا ولا يحس ذاته، ولا آلته ولا احساسه، وكذلك لا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته[4]، وهذا يدل على أنّ النفس التي تدرك ذاتها، وتدرك ادراكها إدراكا مباشرا يجب أن تكون من طبيعة غير طبيعة القوى الجسمية[5]، ووفق ابن سينا بين مذهب الفلاسفة والمفسرين في تعريف النفس، فهو يعرّف النفس بقوله:" كمال أول لجسم طبيعي آلي"، وهذا مذهب أرسطو، ولكنه من جهة أخرى يجعل النفس والبدن متغايرين، ويجعل للنفس وجودا قبل وجود البدن، ثم (هبطت إليه من عالم أرفع) كما هو معروف في عينتيه المشهورة، وأنها " لا تموت بموت البدن، ولا تقبل الفساد أصلا "[6]، وهذا ما ذهب إليه أفلاطون وأفلوطين فيما بعد"[7].

---

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، ص 481.

[2]- ابن سينا: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1939م، ص 258.

[3]-المرجع نفسه، ص 29.

[4]- المرجع نفسه، ص 293 .

[5]- محمد خير حسن و حسن ملّا عثمان: ابن سينا والنفس الإنسانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص 115.

[6]- ابن سينا: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية، ص 302.

[7]- أحمد فؤاد الأهواني: تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد بن رشد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1950م، ص 47.

وبهذا فقد اختلفت آراء الفلاسفة حول النفس إلى اتجاهين، إمّا مادية (ديمقريطس ، أبيقور، الرواقيون، وبعض أوائل المسيحيين)، وإمّا روحية ولكن على نحوين: متحد بالجسم وعلى قدّه في النبات والحيوان، مفارقة في الإنسان (أفلاطون، أرسطو) ومنهم من لا يعترف إلا بنفس إنسانية (ديكارت وكثير من المحدثين)[1]، فقد أشار ديكارت إلى أنها لا مادية لأن جوهرها هو الفكر، وطبيعتها لا تتعلق بالامتداد ، ولا بخواص المادة التي يتألف منها البدن، وتتسم بالوحدة والبساطة[2].

أمّا مذهب فيلسوف العرب الكندي في النفس فقد اعتبرها جوهر روحاني، ولا فرق بينها وبين محتواها العقلي، أو محتواها الحسي المجرد، بل هي جوهر إلهي شريف، يفعل في البدن دون أن يداخله مداخلة جسمية، لأنّ الروح ليست جسما، وهي وإن كانت في البدن على نحو ما، فهي قادرة على أن تتجاوز حدوده، إذا تحررت من علائق الشهوة والغضب وتفرغت للنظر والبحث، وعند ذلك تقيم – كما يعبر فيلسوفنا- في عالم الحق أو العقل أو ديمومة وتقرب من الشبه بالله، فتكتسب من قدرة الله، ويسري فيها النور الإلهي وتصبح كالمرآة الصقيلة المحاذية للجانب الإلهي، وعند ذلك تعلم الحقائق والأسرار وتراها بنور الله.

والنفس في يقظة وفكر دائمين، لا تنام نهارا ولا ليلا، هي كما يذكر الكندي عند أفلاطون ويوافقه عليه، وعلامة اليقظة الحسية بطبعها تحيط بجميع الأشياء المعلومة، حسية كانت أو عقلية، وليس النوم بالنسبة للنفس إلا ترك استعمال الحواس، فهو ليس إلا نوم الحواس، وهو درجة من درجات التفكير، وهذا التفكير قد يكون عميقا جدا وصادقا جدا، لأن آلته هي العضو الأول والأساسي للإدراك – أعني المخ – من جهة، ولأن ملكات النفس قد تكون عنده متحررة من الحواس والمادة من جهة أخرى[3].

وكانت آراء الكندي في النفس ذات نزعة أفلاطونية وتوافق آراء أفلاطون، وهذا طبيعي لأن مذهب أفلاطون في النفس أكثر روحانية من مذهب أرسطو وأقرب إلى روح الأديان وهذه النزعة مشربة بروح إسلامية، كما تدل على ذلك العبارات التي يختم بها الكندي رسالته في القول في النفس، فهو يقول بعد كلامه عن النفس وروحانيتها وإمكان السمو بها: " والعجب من الإنسان

[1]- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 649- 650.

[2]- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ص 302.

[3]- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة حسّان، القاهرة، مصر، ط2، د ت، ص 69- 70.

كيف يمهل نفسه ويبعدها من باريها، وحالها هذه الحالة الشريفة... فقل للباكين ممن طبعه أن يبكي من الأشياء المحزنة، ينبغي أن يبكي ويكثر الدعاء على من يهمل نفسه وينهك من ارتكاب الشهوات الحقيرة الخسيسة الدنيسة المموهة التي تكسبه الشر وتميل بطبعه إلى طبع البهائم... فإن الطهر الحق هو طهر النفس لا طهر البدن، فإنّ الحكيم المبرز المتعبّد لباريه، إذا كان ملطخ البدن بالمسك والعنبر، ومن فضيلة المتعبّد لله، قد هجر الدنيا ولذاتها الدنية ... فيا أيها الإنسان الجاهل: ألا تعلم أنّ مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة، ثمّ تصير إلى العالم الحقيقي، فتبقى فيه أبد الآبدين؟ وإنما أنت عابر سبيل في هذا الأمر إرادة باريك عزّ وجل، فقد علّمته جلة الفلاسفة"[1].

وتعّد النفس مبدأ الحياة، أو مبدأ الفكر، أو مبدأ الحياة والفكر معا، وهي حقيقة متميّزة عن البدن، وإن كانت متصلة به، والنفس مبدأ الأخلاق، لأنه لا وجدان ولا إرادة ولا عزم لمن لا نفس له، تقول فلان ذو نفس : أي ذو خلق وجلد، وعلى قدر ما تكون النفس أقوى وأعظم وأكمل، تكون أخلاق صاحبها أثبت وأعز وأفضل[2]، أمّا أهل التصوف فاعتبروا النفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لابدّ من مجاهدة النفس وكسرها[3].

أمّا الجرجاني فيعرف النفس بأنها: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحّس والحركة الإرادية، والجوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النّوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أنّ النوم والموت من جنس واحد، لأن الموت هو الانقطاع الكلّي، والنوم هو الانقطاع الناقص"[4].

أمّا النفس عند علماء اليهودية يعرفها ابن ميمون، بأنها اسم مشترك، وهو اسم النفس الحيوانية عامّة، لكل حساس: مما فيه نفس حية، وهو أيضا اسم الدم، جاء في سفر التثنية "فلا تأكل النفس مع اللحم"[5]، وهو أيضا اسم النفس الناطقة أعني صورة الإنسان: "حتى الرب الذي صنع لنا هذه النفس"[6]، وهو اسم الشيء الباقي من الإنسان بعد الموت، كما تطلق في التناخ على الإرادة، جاء في سفر التكوين: "وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «إِنْ كَانَ فِي نُفُوسِكُمْ أَنْ أَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي، فَاسْمَعُونِي وَالْتَمِسُوا

[1]- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: رسائل الكندي الفلسفية، ص 279- 280.
[2]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، ص 482.
[3]- أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 3، ص 4 .
[4]- الجرجاني: التعريفات، ص 204.
[5]- التثنية 12: 23.
[6]- إرميا 38: 16.

لِي مِنْ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ"[1]،[2] يعني إن كان من غرضكم وإرادتكم، كما أنّ كل ذكر للنفس جاء منسوبا لله في التناخ هو بمعنى الإرادة.

II. قيمة تزكية النفس في التوراة.

عالجت نصوص التناخ النفس البشرية من جانبها المحسوس المادي فحسب، ولم تولي أهمية كبيرة للنفس وأحوالها وتطهيرها من جانبها الروحي، وفي مختلف النصوص التي تناولتها نجدها تتحدث عن الإنسان والحياة، وكان التركيز على الجانب المحسوس على أنه هو الحقيقة المطلقة، إضافة إلى التمييز اليهودي بين نفس الشعب المختار، وباقي النفوس لدى الشعوب الأخرى، فقد اعتبر التناخ النفس اليهودية هي النفس السليمة والإيجابية على الأرض، أمّا الباقي فهم مصدر كل سلبية، وخمول الذي لا ينتج شيء في واقع الأرض، وهي أمم لا تستطيع تغيير الباطل ولا أن تقيم الصحيح، ولهذا فقد انحرف سكان هذه الأرض عن السبيل، وبهذا فنفس اليهودي هي النفس المستقيمة والإيجابية والفعالة على الأرض[3].

ويتحدث موسى بن ميمون على أنّ الشرور التي تصيب النفس البشرية، والتي تحدث بين الأشخاص من بعضهم لبعض بحسب الأغراض والشهوات والآراء، هي نتاج الجهل وعدم العلم، وكل إنسان جاهل يفعل بنفسه على قدر جهله، وبغيره شرورا عظيمة في حق باقي الأشخاص، وبمعرفة الحق ترتفع العداوة والبغضة وتبطل أذية الناس بعضهم لبعض، وقد استدل ابن ميمون أنه لا يحصل ارتفاع العداوات والمنافرات والتسلطات هو معرفة الناس حينئذ بحقيقة الإله، "لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ"[4].

إنّ معظم الشرور الواقعة بالأشخاص هي من النقائص التي تصيب الأفراد، وهي شرور يفعلها الفرد باختياره، فجاء على لسان سليمان (عليه السلام): "الْفَقِيرُ السَّالِكُ بِكَمَالِهِ خَيْرٌ مِنْ مُلْتَوِي الشَّفَتَيْنِ وَهُوَ جَاهِلٌ، أَيْضًا كَوْنُ النَّفْسِ بِلاَ مَعْرِفَةٍ لَيْسَ حَسَنًا، وَالْمُسْتَعْجِلُ بِرِجْلَيْهِ يُخْطِئُ، حَمَاقَةُ الرَّجُلِ تُعَوِّجُ طَرِيقَهُ، وَعَلَى الرَّبِّ يَحْنَقُ قَلْبُهُ"[5]، فالفضلاء العلماء علموا حكمة هذا الوجود وفهموها

---

[1]- التكوين 23: 8.

[2]- موسى بن ميمون : دلالة الحائرين، ج 1، ص 93- 94.

[3]- إبراهيم الفني: التوراة تاريخا – أثريا – دينا، دار اليازوري، عمان، الأردن، د ط، 2009م، ص 233- 234.

[4]- إشعياء 11 : 9.

[5]- الأمثال 19: 1- 3.

وعلموا غاياتها، تبيّن لهم وجه الفضل والحقيقة في الكل، ولذلك جعلوا غاياتهم ما قصد بهم من حيث هم أناس وهو الإدراك، ومن أجل ضرورة الجسم يتطلبون ضرورياته من غير تطاول[1].

ومن جملة أغراض ومقاصد الشريعة اليهودية بحسب موسى بن ميمون هو إطراح الشهوات وتقصيرها ما أمكن، وأن لا يقصد منها إلا الضروري، وإن معظم الشرور بين الناس هو من النهم في الأكل والشرب والنكاح، وهذا معطل لكمال الإنسان، لأنه بتتبع الشهوات تبطل التشوقات الروحية، ويفسد البدن، ويتلف الإنسان قبل مقتضى عمره الطبيعي له، وتكثر الهموم والأنكاد ويكثر التحاسد والتباغض والتنازع على انتزاع ما بيد الغير، وهذا سببه أن الجاهل يجعل اللذة فقط غاية مطلوبة لذاتها، ولذلك جاءت تشريعات الله بشرائع تعطّل هذه الغاية وتصرف الفكرة عنها بكل وجه، ومنع من كل ما يؤدي لشره، ولمجرد لذة، وهذا مقصد كبير من مقاصد هذه الشريعة، عندما تتأمل نصوص التوراة كيف أمرت بقتل من ظهر أنه مفرط في طلب اللذة[2] .

وكذلك من جملة مقاصد الشريعة اللين والتأني، وأن لا يكون الإنسان غليظ بل مجيبا ومطيعا منيبا ومتأنيا، ومن مقاصدها أيضا الطهارة والتقديم، ويعني بذلك طرح الشهوات وإطراح النكاح والتقليل منه ما أمكن، واعتبرت التوراة طرح النكاح وترك شرب الخمر من القداسة، كما دعت الشريعة امتثال هذه الأوامر قداسة وطهارة، والتعدي على هذه الأوامر وارتكاب القبائح رجسا، وصحيح أنّ التوراة أيضا أمرت بالنظافة وتطهير الثياب والجسم وتنقية الأوساخ، وهو أيضا من مقاصد الشريعة، ولكن بعد تطهير الأعمال وتطهير القلوب، من الآراء المنجسة والأخلاق المنجسة، وقد ذمت نصوص التناخ من يقوم بتنظيف ظاهره سواء ماديا بالطهارة أو أمام الناس بالطاعات، لكنه في المقابل غارق في الشهوات بعيدا عن أعين الناس، وما كان هذا قصد الشريعة اليهودية بل القصد الأول تقصير الشهوة وتنظيف الظاهر بعد تنظيف وطهارة الباطن[3].

هذا هو الجانب الروحي الإيجابي التي ينبغي أن تكون عليه الديانة اليهودية الصحيحة، وما حاول بعض العلماء اليهود ترسيخه، لكن نصوص التوراة من جهة والتاريخ اليهودي من جهة أخرى لا يوحيان بهذه المعاني السامية في تزكية النفس، والاهتمام بالجانب الروحي، ذلك أنّ أول وصف توصف به الديانة اليهودية والنصوص التوراتية هو المادية البحتة، والنفعية المطلقة، في كل جوانبها، سواء الاعتقادية التي تعج بأمثلة التجسيد والمادية، وسواء التشريعات والأحكام اليهودية التي كانت

[1]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ج 2، ص 500.

[2]- المرجع نفسه، ج 2، ص 602.

[3]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ج 2، ص 603- 604.

مادية إلى أبعد الحدود، وصولا إلى الجانب الأخلاقي والقيمي في نصوص التوراة وما انعكس في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية عبر التاريخ.

فقسوة اليهود وتعاملاتهم المبنية على النفعية والمادية البحتة، لم تقم للجانب الروحي داخل نفوسهم قائمة، ذلك أن التعامل المادي الربوي الذي اختصت به الشرائع اليهودية، يعكس الجانب المادي لهم وحبهم للمال والتملك والتسلط على رقاب باقي البشر إضافة إلى اضاعتهم للأمانة واتصافهم بالغدر والخيانة في جل تعاملاتهم.

III. تزكية النفس في القرآن الكريم.

كانت عناية الإسلام موجهة بالدرجة الأولى لتزكية النفس وتهذيبها، والمراد من تزكية النفس تطهيرها من نزغات الشيطان، وتنمية فطرة الخير فيها، ومتى حصلت في النفس هذه التزكية غدت صالحة لغرس فضائل الأخلاق فيها[1]، فكان لتزكية النفس في القرآن لها أبعادها الروحية والتعبدية المختلفة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في عديد الآيات القرآنية، فتزكية النفس صلاحها، في إيمانها وتعبدها وعملها، وهي من فضل الله تعالى على عباده، كما أشارت إليه الآية القرآنية في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾[2]، فزكى في الآية بمعنى ما صلح، وهو من فضل الله تعالى على عباده إذا بلغ في طاعة الله مبلغ الرضا، فهو زكيّ، فإذا بلغ المؤمن من الصلاح في الدين إلى ما يرضاه الله تعالى سمي زكيا[3]، وهذا من فضل الله على عباده، لأنه هو الهادي إلى الخير ورحمته بالمغفرة عند التوبة، ولأن فتنة الشيطان عظيمة لا يكاد يسلم منها الناس لولا إرشاد الدين، لأنه جاء في القرآن الكريم ما توعد الشيطان الناس[4]، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[5]، وهنا تتداخل تزكية النفس وصلاحها مع الإخلاص لله تعالى إيمانا

---

[1]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط5، 1999م، ج 1، ص 39.

[2]- النور: 21.

[3]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 23، ص 348.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 188.

[5]- ص: 82- 83

وطاعة، لأن كلا القيمتين روحيتين تختص بالنفس وأحوالها، فتزكية الله لعباده طهارة وهداية لهم، وهي من فضل الله عليهم، لا بأعمالهم[1].

ارتبطت التزكية والصلاح في جانبها الروحي بالنفس، فكانت التزكية إحدى الصفات الملازمة للنفس، كدليل على صلاحها وتطهرها، ولهذا عبّر القرآن الكريم عن أحوال النفس، بثلاث أوصاف:

النّفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطّبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة.

النفس اللّوامة: هي التي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها.

النفس المطمئنة : هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلّقت بالأخلاق الحميدة"[2]، وهذه الأخيرة هي النفسية الزكية، الطاهرة في جوهرها، وهي سبيل فلاح الفرد، وطبيعي أنّه متى تزكت النفس وتهذبت طباعها، استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة[3]، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[4]، فتسوية النفس هي خلقها على السواء، من غير تفاوت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[5]، وما في المواضع الثلاثة من قوله: "وما بناها"، أو "ما طحاها"، و "ما سواها"، تدل على آثار قدرة الله تعالى وهي صفات الفعل الإلهية وهي رفعه السماء وطحوه الأرض وتسويته الإنسان.

ويقصد بالتسوية تمام خلقة الجنين من أول أطوار الصبا، والخلقة وإيجاد القوى الجسدية والعقلية، ثم تزداد كيفية القوى فيحصل الإلهام، ويطلق الإلهام إطلاقا خاصا على حدوث علم في النفس بدون تعليم ولا تجربة ولا تفكير، فهو علم يحصّل من غير دليل سواء ما كان منه وجدانيا كالانسياق إلى المعلومات الضرورية والوجدانية، وما كان منه عن دليل كالتجارب والأمور الفكرية

---

[1]- شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 12، ص 207.

[2]- الجرجاني: التعريفات، ص 204.

[3]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 1، ص 40.

[4]- الشمس : 7- 10.

[5]- الانفطار : 7.

والنظرية، وإيثار هذا الفعل هنا ليشمل جميع علوم الإنسان[1]، قال الراغب: "الإلهام: إيقاع الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى"[2]،

وقد خص القرآن الكريم النفس، بصفتين متناقضتين إمّا الفجور أو التقوى، فالذي زكى نفسه بأن اختار لها ما به كمالها ودفع الرذائل عنها، والتزكية: الزيادة من الخير، ومعنى: دساها حال بينها وبين فعل الخير، والفلاح: النجاح بحصول المطلوب، والخيبة ضده، أي أن يحرم الطالب مما طلبه، فالإنسان يرغب في الملائم النافع، فمن الناس من يطلب ما به النفع والكمال الدائمان، ومن الناس من يطلب ما فيه عاجل النفع والكمال الزائف، فالأول قد نجح فيما طلبه فهو مفلح، والثاني يحصل نفعا عارضا زائلا وكمالا موقتا ينقلب انحطاطا فذلك لم ينجح فيما طلبه فهو خائب، وقد عبر عن ذلك هنا بالفلاح والخيبة كما عبر عنه في مواضع أخر بالربح والخسارة، والمقصود هنا الفلاح في الآخرة والخيبة فيها[3]، وفي الكشاف: التزكية الإنماء والإعلاء، والتدسية النقص والإخفاء أي لقد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمى نفسه وأعلاها بالتقوى علما وعملا، ولقد خسر من نقصها وأخفاها بالفجور جهلا وفسوقا، وهناك من فسر التزكية بالتطهير من دنس، والتدسية بالإخفاء فيه والتلوث به[4]، وهنا أظهر القرآن الكريم أنّ من زكى نفسه فقد أفلح، وأنّ من غمسها في أدناس الكفر والمعصية، فقد خاب، فربط الفلاح بتزكية النفس بالإيمان والتقوى، وربط الخيبة بتدنيس النفس بالكفر والعصيان[5].

ولذلك أكدّ القرآن على الفلاح لمن تزكى قَالَ تَعَالَى:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ ﴾[6]، أي تطهر من من الشرك، والزيادة في فعل الخير والطاعات، فيشمل زكاة الأموال[7]، فالتزكية اسم مطلق جامع، وأكملها تزكية القلب عن ظلمة الكفر[8]، وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذلك

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 372.

[2]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 586.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 372.

[4]- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج 15، ص 362.

[5]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 1، ص 40.

[6]- الأعلى : 14.

[7]- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ص 741.

[8]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 31، ص 135.

كله فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها فالتزكية، الارتياض على قبول الخير والمراد تزكى بالإيمان[1] .

كان النبي ﷺ أكثر الناس تزكية وزهدا وتقى، وكان زهده ﷺ هي زهادة القادر الميسور، وليست تقشف المحروم المقهور، أو بتعبير آخر هي "الزهادة الإرادية" لا "الزهادة الاضطرارية الاستسلامية" ولا أقصد بذلك أنّه كان غنيا واسع الثراء والمال – على ثرائه- إلى جانب الشظف والزهد والتقشف، ولكن نقصد أنّ الله عرض عليه الدنيا بحلوها وثرائها، عرض عليه بصوت جبريل (عليه السلام) أن يجعل له الأخشبين ذهبا فاختار جانب المساكين، اختار جانب الكفاف حتى لا تشغله متع الحياة عن أصحابه، حتى لا تشغله حلاوة الدنيا عن مرارة الجوع الذي يمزق قلوبا وأكبادا، وهو القائل: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس"[2].

وحينما مالت نفسه بعض الميل عن الفقراء إلى بعض أغنياء قريش طمعا في إسلامهم، وكان شرطهم أن يخلو مجلسه من هؤلاء الفقراء، نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾[3]، وحينما كان ﷺ مشغولا بأمر جماعة من كبار قريش يدعوهم إلى الإسلام، جاءه "عبد الله بن أم مكتوم" الفقير الأعمى، – وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم- يطلب منه أن يعلمه مما علّمه الله، فعبس في وجهه وأعرض عنه لأنه شغله عن القوم الذين كان يطمع في أن يقوي الإسلام بدخولهم فيه، فنزل القرآن الكريم يعاتب الرسول عتابا شديدا، ويقرر قيمة القيم في حياة الجماعة المسلمة في أسلوب قوي اسم، كما يقرر حقيقة هذه الدعوة وطبيعتها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ ﴾[4]، وبعدها صار ابن أم مكتوم من أحب الناس إلى رسول الله – ﷺ– واستخلفه على المدينة، وعلى الصلاة بها حينما خرج لقتال المشركين في بدر، واستخلفه مرّة أخرى حين خرج لغزوة قرارة الكذر، وقربه إليه يوم فتح مكة، وجعله بين يديه وهو يسعى بين الصفا والمروة[5].

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 288.

[2]- أخرجه البخاري (6446)، ومسلم (1051).

[3]- الكهف: 28.

[4]- عبس: 1- 7.

[5]- جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، ص 108.

وتعّد تزكية النفس أمرا خاصا بكل فرد، ولا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى، بل تحمل كل نفس وزرها فحسب، وقد شملت تزكية النفس الإيمان بالغيب وخشية الله، وإقام الصلاة، وغيرها من صالح الأعمال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1]، كما ذكرت الآية إلى أنّ الإنذار لا يكون إلا لكل نفس ذاقت خشية الله، وتقواه فهي التي تطهر قلوبهم وتقربهم من ربهم حين مناجاتهم له كما جاء في الحديث «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2]، ولهذا فإنه لا ينفع الانذار والتخويف إلا مع من يخشى بأس الله وشديد عقابه، ليكون جزاؤهم في الدنيا تطهير من أدناس الشرك والذنوب والمعاصي، فنفع ذلك عائد إليه، أمّا من يتدسى بالذنوب والآثام، فضر ذلك راجع إليه، وإلى الله مصير كل عامل وهو مجازيه بما قدم من خير أو شر على ما جنى لنفسه[3].

ترتبط القيم الروحية التي تختص بفعل الروح والنفس وأحوال الفرد فيما بينها، فالتقوى والإخلاص وتزكية النفس والروح لا تكاد تنفصل الواحدة عن الأخرى، فمن زكى اتقى، ومن كان تقيا أخلص لله عملا وقولا، وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية في قوله تَعَالَىٰ:﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾[4]، فالذين يجتنبون كبائر الإثم، هم الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله، وأمّا الفواحش فهي الزنا وما أشبهه، ومما أوجب الله فيه حدا، وأمّا الاستثناء في قوله (إلا اللمم) يستثني الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به[5]، وقد أشارت الآية القرآنية إلى علم الله المطلق في كل شيء، وأحوال العباد من قبل خلقهم وأثناء خلقهم الأول وبعد خروجهم للدنيا، وهو أعلم بمن اتقى أي يعلم كل أعماله فيثيبه عليها، وقد شمل الخطاب الكفار، ردا على قولهم كيف يعلم الله كل شيء، وخطاب مع المؤمنين، ومع النبي ﷺ، وقد سبق قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[6]

---

[1]- فاطر: 18.

[2]- صحيح البخاري 48، و صحيح مسلم 9، وسنن ابن ماجه ، باب في الإيمان، ج 1، ص 24.

[3]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1946م، ج 22، ص 121.

[4]- النجم: 32.

[5]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 22، ص 542.

﴾[1] ، فقد علم الله تعالى كونك ومن معك على الحق، وكون المشركين على الباطل، والإعراض عنهم وتفويض الأمر لله، فهو أعلم بمن اتقى، والوجه الآخر للخطاب فهو للمؤمنين، بأنّ الله عالم بأول خلقكم حتى آخر يومكم، فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء، ولا تقولوا لآخر أنا خير منك وأنا أزكى منك وأتقى، فإن الأمر عند الله، ووجه آخر وهو إشارة إلى وجوب الخوف من العاقبة، أي لا تقطعوا بخلاصكم أيها المؤمنون، فإن الله يعلم عاقبة من يكون على التقى[2].

تكرر نهي القرآن الكريم وصف النفس وتزكيتها بالتقوى والصلاح رياء، في عديد الآيات، لأنها كانت صفة من صفات من سبق المسلمين، فجاء في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[3]، واختلف أهل التأويل، فيما كان اليهود والنصارى هم من يدعون ذلك، ويزكون أنفسهم، فقالوا :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ ﴾[4]، كما كان اليهود يفاخرون العرب وغيرهم بنسبهم ودينهم ويسمون أنفسهم شعب الله، وكذلك النصارى، في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[5]، كل هذا هذا من تزكيتهم لأنفسهم وغرورهم، ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله فيهم: "ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم" وقد ردّ الله عليهم بقوله: "بل الله يزكي من يشاء"، فالعبرة ليست العبرة بتزكيتكم لأنفسكم بأنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم لا يعذبون في النار وأنهم سيكونون أهل الجنة دون غيرهم؛ لأنهم شعب الله المختار، بل الله يزكي من يشاء من عباده من جميع الشعوب والأقوام بهدايتهم إلى العقائد الصحيحة، والآداب الكاملة، والأعمال الصالحة، أو شهادة كتابة لهم بموافقة عقائدهم وآدابهم وأخلاقهم وأعمالهم لما جاء فيه: "فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"[6].

وبرسالة الإسلام كان فضل الله عظيم في إرشاد الناس إلى طريق الحق، وعصمهم من الفتن والشرك، وكان هذا برسالة الإسلام التي حملها جميع الأنبياء إلى البشرية، مبشرين بها، وداعين إليها، وكانت رسالة النبي ﷺ خاتمة الرسائل السماوية للناس، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ

---

[1]- النجم 29.

[2]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 29، ص 272.

[3]- النساء: 49.

[4]- المائدة : 18.

[5]- البقرة: 111.

[6]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج 5، ص 126.

يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وحملت الآية على أنّ الإسلام رسالة ودعوة تزكية للنفس، وتطهيرها وهذا ما علمه النبي ﷺ للعالمين، وحمل معنى قوله "ويزكيكم " أي أن يذكر محاسن أخلاقكم بعد الإسلام، أو أن يكثركم، ويكونوا قوة من بعد ضعف، كما أشارت الآية إلى أنّ الإسلام جاء برسالة تعليم القرآن وما فيه من جواهر العلم والحكمة، وتفصيل كل شيء[2]، و"ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون"، من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم السابقة، والإخبار عن ما هو حادث وكائن، لم تكن تعلمها العرب من قبل، وهذا على يد النبي محمد ﷺ[3]، وهي دعوة إبراهيم وولده إسماعيل (عليهما السلام)، لهذه الأمّة لأنهما علما أنّ تعليم الكتاب والحكمة لا يكفي في إصلاح الأمم وإسعادها، بل لا بد أن يقرن التعليم بالتربية على الفضائل، والحمل على الأعمال الصالحة بحسن الأسوة والسياسة، وتطهيرهم من العادات الرديئة، وطبع النفوس على فضائل الأعمال والخير[4]، والتزكية التطهير من النقائص وأكبر النقائص الشرك بالله[5]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[6]، وقد كانوا قبل ذلك ليس لديهم استعداد لحضارة ولا مدنية، وقد أجاب الله دعاءه وكوّن منهم أمة كانت خير الأمم، سادت العالم وملكت المشارق والمغارب ردحا من الزمان، وكان فيها رجال حفظ لهم التاريخ صادق بلائهم، وعظيم سياستهم للشعوب التي انضوت تحت لوائهم، بما لم تجارهم فيه أرقى الأمم مدنية في عصرنا، عصر الرقى والحضارة"[7]، وقال فيهم تعالى أيضا: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[8].

الإسلام بجملة قيمه وتعاليمه الإيمانية والتعبدية والأخلاقية كلها سبيل وطريق تزكية النفس وطهرها وصلاحها، باطنا وظاهرا، وكلّها قيم مترابطة تجمع بين الإيمان الصحيح الذي لا شرك فيه

---

[1]- البقرة : 151.

[2]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 4، ص 123..

[3]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 3، ص 209.

[4]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج 1، ص 389.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص 723.

[6]- البقرة : 129.

[7]- مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 1، ص 218.

[8]- آل عمران : 164.

ولا رياء، والتعبد لله الواحد، وهو ما يجعل الفرد سليم الباطن، صالح الظاهر، والعمل والأخلاق والقيم، ولهذا كانت قيمة تزكية النفس اسم جامه لكل الطهارة والصلاح الروحي والأخلاقي، وهو كله من تعاليم الإسلام وما نقلته السنة النبوية الصحيحة، ولا يتم هذا إلا بتوفيق الله وإلهامه لكل خير.

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في القيم الروحية الشخصية بين التوراة والقرآن الكريم.

انطلاقا مما سبق تحليله ودراسته من القيم الروحية الفردية بين النصوص التوراتية والقرآنية نستشف جملة من أوجه الاتفاق أين تتقاطع معاني القيم في كل من النصين المقدسين، ولكن ما تلبث الفروق وأوجه الاختلاف أن تكون ظاهرة، تتميّز فيها القيم الروحية التوراتية عن القرآنية.

I. أوجه الاتفاق.

– التقوى من أول وأهم القيم الروحية الشخصية والنفسية المرتبطة باعتقاد الفرد ومبادئه الروحية، ولها ارتباط مع الجانب الإلهي، فالتقوى ترتبط بالخوف الله والتعبد له في كل من التوراة والقرآن الكريم، فتعبر التقوى في اللغة العبرية عن خوف الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتحقيق إرادته فلها ارتباط بالجانب العقدي.

– نجد معاني التقوى في القرآن الكريم تعبّر عن مخافة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما حمل المفسرون تكرار قوله تعالى:" واتقوا الله" على أداء الواجبات وترك المعاصي.

– قيمة التقوى في التوراة والقرآن الكريم تمتد من الجانب العقدي إلى الجانب التشريعي، فتربط النصوص المقدسة كل الأقوال والأفعال بتقوى الله ومخافته، ودعي كل فاعل للخير والفضائل انسانا تقيا.

– الإخلاص من القيم الروحية التي يقصد بها الصدق والولاء وسلامة النية، في كل من اللغتين العربية والعبرية، وهي العمل لوجه الله دون غيره، وتحري سلامة النية لله في كل قول أو فعل أن يكون خالصا لوجه الله.

– ارتبط الإخلاص في التوراة بإخلاص العمل لله في التعبدات والقربات لله كالقرابين، كما يستشف من العهد لبني إسرائيل جانبا روحيا مهما كونه ميثاقا للإخلاص في التعبد والإيمان والطاعة

لله وحده، ولكن متى غاب التعبّد لله في بني إسرائيل في الإيمان والقول والعمل لوجه الله غاب معه الإخلاص.

– ترتبط النفس والروح ارتباطا وثيقا، إن لم تكن النفس هي الروح عند أغلب الباحثين، فالنفس هي مركز الفرد أخلاقيا وقيميا وسلوكيا، وقيمة تزكية النفس هي قيمة يقصد بها تطهير النفس وصفائها ونقائها، وتعّد النفس مبدأ الحياة والفكر والحقيقة متميزة عن البدن والنفس مبدأ الأخلاق، واعتّد أهل التصوف النفس أصل جامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بدّ من مجاهدة النفس وكسرها، ومن هنا تأتي قيمة تزكية النفس التي قمنا بدراستها، من خلال نصوص التوراة والقرآن الكريم.

– اهتمت التوراة بالنفس وأحوالها وتطهيرها من جانبها الروحي، لكننا نجد المفارقة الأولى في أنّ التوراة اعتبرت نفس الشعب الله المختار، هي الحقيقة المطلقة واعتبرت النفس اليهودية هي النفس السليمة والإيجابية على الأرض ومتفوقة على باقي البشر، وقد كان مقصد الشرائع اليهودية بحسب موسى بن ميمون هو إطراح الشهوات والابتعاد عنها، وإيقاف الغطرسة والطمع النفسي، هذا من جهة لكن من جهة أخرى نجد نصوص التوراة تتعارض وتتناقض في هذه القيمة، ذلك أنّ الجانب المادي هو السمة البارزة في الديانة اليهودية وعقائدها وتشريعاتها، وكل سلوكاتها وتعاملاتها مبنية على النفعية والمادية البحتة.

II. أوجه الاختلاف.

– الاختلاف الذي يظهر في قيمة التقوى بين النصوص التوراتية والقرآنية هو التناقض الذي تحمله نصوص التوراة، فبينما نجد نصوصا تدعوا إلى التوحيد الخالص ومخافة الله وخاصة الوصايا العشر، نجد نصوصا تنقض هذا بسردها لتعدد الآلهة وشرك لليهود بالله، ومخالفتهم لعقيدة التوحيد الخالص التي هي أساس التقوى.

– إنّ نصوص التوراة ترتقي بالفرد اليهودي لتربطه بعلاقة حميمة وخاصة بينه وبين الله، كما تربط توحيد الله ومخافته وإخلاص التعبد لله بهذه العلاقة الخاصة بين إسرائيل والرب، من خلال التدخل الإلهي الدائم في التاريخ اليهودي وفي مختلف الأحداث التي تعرض لها اليهود عبر التاريخ.

– اقترن التعبّد لله وتقواه في التوراة بالعهد الإلهي لبني إسرائيل بإقامة مملكة أرضية، وبأن يكونوا شعب الله المختار، وهو العهد الإلهي الذي امتد بحسب التوراة من نوح (عليه السلام) إلى إبراهيم ثم يعقوب (عليهما السلام)، وانتقل إلي بني إسرائيل، وهو وعد مرتبط بطاعة الله، فتحقيقه كن مرتبط

باشتراطات وقيود، ولا يمكن استفاء الوعد إلا باستيفاء الشروط، غير أنّ نصوص التوراة تروي تنكر بني إسرائيل لربهم وحادوا عن طريق التوحيد، وتقوى الله، واستمر التاريخ اليهودي متذبذبا بين التوحيد والشرك.

– يتكرر ذكر كلمة التقوى وما يرتبط بها في آيات القرآن الكريم، وتنوعت معانيها بين الكف حفظ النفس وصيانتها عن المحرمات وأول الدلالات مخافة الله، فالتقوى في القرآن الكريم قاعدة نفسية وروحية وإيمانية للفرد يبلغ بها باقي القيم الروحية والسلوكية الأخرى، كما جعلت التقوى في القرآن الكريم معيارا للتفاضل وأساس للتمييز بين البشر الذين يحكمهم مبدأ المساواة المطلق. كما أنّ التقوى والإيمان وجهان لقيمة واحدة، فالتقوى خلاصة الإيمان بالله ومبتغاه لا شرك فيه بغير الله تعالى، وأساس لكل القيم الأخلاقية.

– الإخلاص في القرآن الكريم روح الإسلام وجوهره، إن لم نقل إنّ الإخلاص هو الإسلام في مفهومه التعبدي والاستسلام لله تعالى في كل أمور الفرد، فقيمة الإخلاص في القرآن الكريم تجمع بين الدّين والسلوك، فهي تجمع بين إخلاص التوحيد لله الذي لا يشوبه رياء أو تشويه أو تحريف، وبينّ إيمان السلوك، فكلما أخلص الإيمان أخلص التعبّد والطاعة لله.

– أولى القرآن الكريم للنفس اهتماما كبيرا، فكانت محور اهتمامه ومعالجته، انطلاقا من أنّ النفس مركز وجوهر الفرد، وكلما زكت النفس الانسانية وتطهرت وصفى جوهرها، صلح أمره واستقام، واختصت التزكية القرآنية للنفس البشرية بتزكية النفس من الشرك والكفر أولا، ثمّ التزكية بالدعوة لكل خير، كما ترمي تزكية النفس تجردها عن الماديات والزهد فيها، ويعّد النبي صلى الله عليه وسلم أرقى مثال للزهد عن الدنيا واعراضه عن الدنيا وملذاتها.

– إنّ مجموع القيم الروحية المرتبطة بالنفس والروح، التي تناولناها بالدراسة التقوى والاخلاص وتزكية النفس لا تكاد تنفصل عن الأخرى فمن زكي اتقى ومن كان تقيا أخلص لله عملا وقولا.

من خلال ما تقدم عرضه في أهم القيم الروحية الشخصية الأساسية التي اخترناها، والتي تعّد محاور التي تدور حولها أحوال الفرد روحيا وإيمانيا، نجد أنّ الديانة اليهودية تختلف بنصوصها المقدسة وما نصّت عليه، عن الإسلام والقرآن الكريم اختلافا كبيرا، تظهر فيه الفوارق العنصرية والقيم الروحية الموجودة في الديانة اليهودية، بل إنّ القارئ يكتشف وجود طرفين متناقضين في الديانة اليهودية، طرف يقوم على قيم إنسانية نبيلة، وطرف يحوي نقيض النص والقيم التي يحملها، ناهيك عن الممارسات اليهودية عبر المحطات التاريخية التي اتسمت عموما بالابتعاد عن القيم الروحية النبيلة، وانحصرت في قيم انعزالية عنصرية، وتمتّد إلى قيم لا أخلاقية.

أمّا في الإسلام والقيم الروحية الفردية القرآنية فالأمر مختلف عما هو في الديانة اليهودية ونصوصها التوراتية، فمصدر القيم في الإسلام، الوحي من الله، ولهذا تميّزت القيم بالقداسة، والهيبة في نفوس المؤمنين، واحترام وطاعة اختيارية مصدرها الإيمان اليقيني بالله، كما أعلى القرآن الكريم من شأن القيم الإنسانية المعنوية الروحية، لأهميتها ودورها المؤثر والكبير على القيم المادية الاقتصادية والاجتماعية.

في ختام هذا الفصل يمكننا أن نقول أنّ قيمة التقوى أول القيم الروحية والإيمانية التي خصتها التوراة والقرآن الكريم بالدعوة والارساء، ولها بعد عقدي مرتبط بقيمة التوحيد الذي تبنى عليه الديانتين اليهودية والإسلام، فالتوحيد في المعتقد اليهودي هو أول الوصايا والأوامر الإلهية، التي تقوم على تقوى الله وخشيته، إلا أنّ التوحيد اليهودي ارتبط بجملة من العقائد اليهودية المترابطة وفي مقدمتها عقيدة "العهد" أو "الوعد"، وعقيدة " شعب الله المختار"، التي جعلت من التوحيد اليهودي توحيدا مشروطا، أمّا التقوى في القرآن الكريم عماد التوحيد لله تعالى وإفراده بالعبادة، وأساس الإيمان ومنتهاه، والقاعدة الروحية والنفسية والإيمانية والتعبدية والسلوكية للفرد المسلم، كما عدّها القرآن الكريم أساس التمايز ومعيار التفاضل بين جميع البشر، مهما اختلفت الأجناس والأعراق والأنساب، وكذلك نجد قيمة الإخلاص قيمة روحية وإيمانية ترتبط بقيمة التقوى وتتداخل مع قيم التوحيد والتقوى، تؤسس لها نصوص التوراة والقرآن الكريم، ويراد بها قصد الله تعالى ورضاه في كل عمل الفرد، فالإخلاص في التوراة توجه لله تعالى بالطاعة وامتثال أوامره في كل العبادات والأخلاق والسلوكات، أمّا القرآن الكريم فقد جعل من قيمة الإخلاص روحه وأساس الإيمان وحقيقته، في كل أمر الفرد المسلم وكل أمور حياته، فكان مبدؤها ومنتهاها الإخلاص لله تعالى.

الفصل الثاني:

القيم الزوجية التعاملية

داخليا بين

التوراة والقرآن الكريم.

تمهيد:

إنّ القيم الروحية التعاملية أساس مهم داخل منظومة القيم، فأي قيم تختص بالروح، ستنعكس على السلوك الفردي داخل المجتمع، خاصة إذا كانت هذه القيم الروحية منبثقة من النصوص المقدسة، التي يتبعها أهلها ويؤمنون بها، وتعّد المصدر الأول الرئيسي لكل خصال أو شيم أو قيم أو سلوك وتعامل.

يأتي هذا الفصل كجزء مهم من البحث وهو يختص بالقيم الروحية المنبثقة من النصوص التوراتية والقرآنية، والتي تلزم أهلها بقيم تعامل داخل المجتمع سواء كان يهوديا أو مسلما، وللإشارة فإنّ قيم القرآن الكريم، لم تقتصر على التعامل مع الفرد الآخر المسلم، بل كانت إنسانية عامة، ولكن بحكم النصوص اليهودية المقدسة التي تفرق بين التعاملين، داخل الديانة وخارجها آثرنا هذا التقسيم، مع بيان الفروقات العميقة في النصوص القرآنية.

سنتناول من خلال هذا الفصل قيم أساسية روحية وأخلاقية رئيسية، تنبثق من النصوص التوراتية والقرآنية، وكان أساس الاختيار قائما على أهم القيم الروحية الأخلاقية، والتي تشترك فيها النصوص التوراتية والقرآنية، كما تبرز جانبين في القيمة الواحدة، فكل قيمة من القيم الروحية لها من الجانب الروحي الإيماني العميق، ولها من الجانب السلوكي والتعاملي، واختياري كان أيضا أساسه النصوص التوراتية ثمّ مقارنتها بما يقابلها في نص القرآن الكريم، لأحاول الإحاطة بجل القيم الروحية التي توردها النصوص التوراتية، بالاعتماد على الاستنباط من مختلف النصوص سواء كانت تاريخية أو تشريعية أو أخلاقية.

المبحث الأول: قيمة الصدق بين التوراة والقرآن الكريم.

الصدق قيمة تجتمع فيها أهم الأخلاق والصفات والشيم الحميدة، ولهذا نجد النصوص المقدسة قد اهتمت بغرس هذه القيمة بين أتباعها أشد الاهتمام، كما للصدق جانبه الروحي الإيماني والتعبدي، وكذا جانبه السلوكي والتعاملي، التي اختصت بابرازها كل من النصوص المقدسة اليهودية والإسلامية.

سنحاول من خلال هذا المبحث تتبع قيمة الصدق بين النصوص المقدسة اليهودية وكذا الإسلامية، من خلال استقراء هذه النصوص، لمعالجة جملة من الإشكاليات المعرفية التي تختص بدراسة قيمة الصدق بين الديانتين، وابراز مدى التوافق أو الاختلاف بينهما، ومعالجة أهمية هذه القيمة والدعوة إليها بين النصين المقدسين.

المطلب الأول: مفهوم قيمة الصدق.

1- المفهوم اللغوي للصدق.

يشتق لفظ "الصدق" من الفعل الثلاثي "صدق"، ويقال صدقت القوم أي قلت لهم صدقا، وإذا قلنا، رجُلٌ صَدْقٌ، نقيض رجل سوء، والمصادقة: المخالّة، وصدقه النصيحة والإخاء، أمحضه له، والصديق: المصادق لك[1]، والصِدق بمعنى "مطابقة الحكم للواقع"، و"مطابقة القول الضّمير، والمخبر عنه معا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما"[2]، وهو "ضدّ الكذب" وللمبالغة: "صدوق"، ولشدّة المبالغة: صدّيق[3]، ، ونقول: صدق النصيحة: مَحَضَها له، والصَّداقة في المودّة: إمحاض المحبة، صدق الاعتقاد في المودّة. الصّدِّيق: الدائم التصديق، اسم صدق في الحديث وصدق فلانا الحديث والقتال، والصّدق بالكسر الشدّة وهو رجل صدق وصديق صدق مضافين وكذا امرأة صدق، قال تعالى :"ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق"، أنزلناهم منزلا صالحا، والصداقة أي المحبة والصديق الأمين[4]، وكل ما نسب إلى الصلاح والخير أضيف إلى الصدق، ومعنى مبوأ صدق: منزل صالح[5]، تختلف المعاني في كلمة الصدق في اللغة العربية، لكنها تجتمع على الحق ومطابقة الواقع.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 194.

[2]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 26، ص 6.

[3]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج 3، ص 434.

[4]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج 3، ص 245.

[5]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج 3، ص 434- 435.

أمّا في اللغات الأخرى يقصد بالصدق (Honesty) والصفة منه " Honest" ويقصد بها الصريح، وقائل الحقيقة، دون غش أو سرقة فلا يخفي الحقيقة حول أي شيء[1]، أمّا "Truth " فهي الحقيقة ويعرفها قاموس أوكسفورد بأنها حقائق عن الأشياء التي تم اختراعها أو تخمينها، وتشير إلى الجودة أو حالة كونها حقيقة، أما " Truthful" فهو الصادق وهو الشخص الذي لا يقول إلا ما هو صحيح[2]، أما الصدق في اللغة العبرية فهو قريب من اللغة العربية، "**צדק**" (صِدِق) كما نجد الكلمة العبرية "כנות" يقصد بها الصواب والاستقامة والأمانة والعدالة[3].

ومن هنا فمعاني الصدق لا تختلف بين اللغة العربية واللغة العبرية وتجتمع معانيها حول نفس المفاهيم التي ترمي إلى الحقيقة والصواب ومطابقة الواقع ومعاني البر والصلاح.

2- المفهوم الاصطلاحي للصدق.

يعّرف الصدق بأنه الإبانة عن الحق، ونقل الخبر الصادق، وهو سبيل التفاهم والتناصح والتعاون بين الناس، وتسل الوقائع والحقائق، وبغابه يحضر الغش والخداع، ويستحيل التفاهم بين الأفراد أو تعاونهم، بين الناس، والصدق من الفضائل القيم التي أوصت بها وأجمعت عليها الأمم، في أخلاقها وشرائعها، التي سنت وأوجبت ودعت إلى قيمة الصدق، لما أثبتته تجارب الناس وخبرتهم في فلاح الصدق خيره، وفي خيبة وشر الكذب[4]، فالصدق قيمة روحية جمعت بين مراتب الإيمان ودرجاته، وبين القيم السلوكية والأخلاقية، باعتباره خلقا يتصف به الفرد قولا وعملا، مهما كانت ظروفه وعدم اللجوء إلى النفاق واختلاق الأكاذيب، كما أنّ لهذه القيمة أهمية كبيرة جداً على حياة الفرد وعلى المجتمع كافة.

وجاء في معجم التعريفات للجرجاني أنّ الصدق قول الحق في مواطن الهلاك، وأنّه التزام قول الحق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب والصّديق: هو الذي لم يدع شيئا مما أظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله[5]، وقال القشيري: "الصدق عماد الأمر، وبه تمامه وفيه نظامه، والصدّيق من صدق في أقواله وأفعاله وأحواله"[6]، ولذلك كان الصدق أنواع، صدق بالقول، وهو التحدث بالوقائع بالوقائع والحقائق من غير اللجوء للتحريف أو التغيير والتزوير، والصدق بالفعل وهو مطابقة الفعل

---

[1] - Oxford learner's pocket dictionary , p 213 .

[2] - Oxford learner's pocket dictionary , p 477 .

[3]- محمد آلتونجي: معجم الطلاب عربي عبري، ص 169.

[4]- عبد الوهاب عزام: أخلاق القرآن، مكتبة النور، مصر، د. ط، د.ت، ص 21.

[5]- الجرجاني: التعريفات ، ص 113.

[6]- أبو القاسم عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، ج 2، ص 363.

للقول، فالصادق لا يغش ولا يخدع، ويوفي بعهوده وقسمه. بالتزام أفعال الخير، والابتعاد عن أفعال الشر، واخلاص النية لله في أي قول أو فعل يقوم به، ولا يكون قصده الرياء.

المطلب الثاني: قيمة الصدق في التوراة.

الصدق من القيم الروحية التي أوصت التوراة بها، اتباعا مع النفس ومع الخالق والمعبود ومع الناس، وقد كان استعمال لفظة الصدق في التوراة بشكل متعدد في كثير من النصوص، ومنها ما يدل على تحّري تصديق الأخبار والأحداث وليس على قيمة الصدق، الدالة على الحق قولا وعملا.

دلَّت نصوص التوراة على قيمة الصدق من أول نصوصها فنجدها في مختلف النصوص التشريعية والتاريخية، وقد حاولنا أن نتتبعها من خلال هذه النصوص لنستخرج هذه القيمة، سواء بتتبع النصوص التاريخية التي روت أحداث متفرقة عبر التاريخ، أو من خلال النصوص التشريعية التي دلّت بشكل صريح ومؤكد على قيمة الصدق والأمر بها.

وتعّد الحقيقة والصدق ضرورية بالنسبة لنا كشعب، فيجب أن نتعامل مع بعضنا بأمان وأمانة، فالقيقة تمثل أيضا المثل والقيم ويجب علينا ليس فقط أن نكون معنيين بصدق الآخرين ولكن بالحقيقة الداخلية كذلك، فيمكن أن نصل إلى معرفة الذات فقط من خلال كونه صادقا مع نفسه، والأنبياء لم يؤكدوا فقط على أهمية الحقيقة بل ربطوا الحقيقة ولصدق مع المبادئ والمثل العليا والتعاليم اليهودية الأساسية، والمثل العليا الانسانية، السلام للعالم بأسره، من المساواة ومساعدة الفقراء والأرملة واليتيم وكذا الغريب[1].

1- نصوص تشريعية الدالّة على قيمة الصدق في التوراة.

أمرت التوراة في أكثر من نص باتباع قيمة الصدق قولا وعملا، وأوصت وأمرت بشكل مؤكد على الابتعاد كليا عن الكذب، من أوائل النصوص التي دلّت على أمر التوراة بالتزام قيمة الصدق والعمل بها، ما جاء في سفر اللاويين، كأمر لبني إسرائيل للابتعاد عن الكذب والاحتيال، والتزام الصدق، "لاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَكْذِبُوا، وَلاَ تَغْدُرُوا أَحَدُكُمْ بِصَاحِبِهِ"[2]، وهو نهي صريح لبني إسرائيل عن الاعتداء على أموال الغير أو الخداع والغدر، واقترن هذا بالنهي عن الكذب، وفي المقابل التزام الصدق، ولما اقترن هنا النهي عن الكذب بالنهي عن الاعتداء والغدر، فإننا نستشف من الفقرة أمرا

[1] - Jack Bemporad : "Ten Principles of Spiritual Judaism Commentary" , The Ollendorff , 2009, p 12.

[2] - اللاويين 19: 11.

بالتزام الصدق قولا وفعلا، لأنّ التزام الصدق قولا وفعلا يجر إلى عدم الاعتداء أو الغدر أو الاحتيال على الغير.

كما جاء في سفر الخروج: "اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ، وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ"[1]، وتدل الفقرة على الصدق في الشهادة، وللإشارة فقد شدّدت التوراة كثيرا في أحكام شهادة الزور التي نهت عليها وبكل أشكالها مع القريب اليهودي خاصّة، فأمرت التوراة بالصدق والنّهي القاطع عن الكذب في الشهادة التي يقدمها الفرد فجاء في الوصايا التوراة العشر"لا تشهد على قريبك شهادة زور"[2]، فلا يجب لليهودي لقريبه أن يضّر بسجيته أو بصيته، وسارق الصيت شر من سارق المال، لأنه يضر بإفساد الصيت أكثر من ضره بسرقة المال، وهو مع ذلك جاهل لأنه يضر غيره ولا ينفع نفسه، وشاهد شهادة الزور في المحكمة قد يتجاوز ضرره كل الضرر، وقد حكمت شرائع العالم بعقابه ولا سيّما الشريعة العبرانية[3].

وهذه الوصية تنهي اليهودي أمام المحكمة أن يشهد على قريبه حينما يكون "شاهد زور"، فهذه المحكمة تقوم بدورها استنادا إلى الثقة التي تضعها في الشهود، الذين حينما تنعدم الأدلة والقرائن، يؤكدون أو ينقضون أقوال المتخاصمين، وبذلك يتيحون للحقيقة أن تتضح، وبالتالي فإن مجال التحريم في هذه الوصية أوسع بكثير مما يفهم من ختام أحكام الشهود الكاذبين الواردة في سفر التثنية، "إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلَى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ، يَقِفُ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ بَيْنَهُمَا الْخُصُومَةُ أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، فَإِنْ فَحَصَ الْقُضَاةُ جَيِّدًا، وَإِذَا الشَّاهِدُ شَاهِدٌ كَاذِبٌ، قَدْ شَهِدَ بِالْكَذِبِ عَلَى أَخِيهِ، فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكُمْ، وَيَسْمَعُ الْبَاقُونَ فَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذلِكَ الأَمْرِ الْخَبِيثِ فِي وَسَطِكَ"[4]. فهي تتناول الأضرار الجسدية للإنسان فقط، إذن فهذه الوصية تهدف إلى الدفاع عن سير القضاء الذي تعتبر الثقة فيه ضمانا لسلامة الناس، ولهذا نصت الشريعة اليهودية على أنّ العبرة في أحكام القضاء لا بدّ وأن تكون على أقوال شاهدين أو ثلاثة، ولا تقبل الشهادة من شخص واحد، "لاَ يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى إِنْسَانٍ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْ خَطِيَّةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْخَطَايَا الَّتِي يُخْطِئُ بِهَا. عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْرُ"[5].

---

[1]- الخروج 23: 7.

[2]- الخروج 20: 16.

[3]- وليم مارش : السنن القويم في تفسي أسفار العهد القديم – شرح سفر الخروج- ، ص 93.

[4]- التثنية 19: 16- 20.

[5]- التثنية 19: 15

تكررت النصوص الدالة على الشهادة في التوراة، بكثير من التفصيل في حالاتها المختلفة، وعلى تحري الصدق مع الشهود، والابتعاد عن الكذب والغش والخداع، وتعدّته إلى التزام الصدق والأمانة مع الغريب، أي الذي لا يدين باليهودية، "لاَ تَقْبَلْ خَبَرًا كَاذِبًا، وَلاَ تَضَعْ يَدَكَ مَعَ الْمُنَافِقِ لِتَكُونَ شَاهِدَ ظُلْمٍ. لاَ تَتْبَعِ الْكَثِيرِينَ إِلَى فَعْلِ الشَّرِّ، وَلاَ تُجِبْ فِي دَعْوَى مَائِلاً وَرَاءَ الْكَثِيرِينَ لِلتَّحْرِيفِ. وَلاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ. إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا، تَرُدُّهُ إِلَيْهِ. إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعًا تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَحُلَّ مَعَهُ ، لاَ تُحَرِّفْ حَقَّ فَقِيرِكَ فِي دَعْوَاهُ، اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ، وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ. وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ. وَلاَ تُضَايِقِ الْغَرِيبَ فَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ نَفْسَ الْغَرِيبِ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[1]، أي لا تصدّق الخبر الكاذب لتبني عليه أحكامك، فالبناء على الباطل باطل، ولا يخفى ما في تصديق الشهادة الكاذبة من الضرر فقبول الخبر الكاذب ضلال وإضرار[2]، ويتصل الحّث على قيمة الصدق في الشهادة في نصوص التوراة، النهي القاطع الكذب والنميمة والفتنة وذم الغيبة، وهي الأمور التي تؤدي إلى الفتنة والإيقاع بين الناس[3].

امتّدت هذه الوصايا الأخلاقية في التناخ إلى خارج التوراة، والأسفار الخمسة، فقد وردت عديد النصوص في الأسفار الأخرى، ومنها ما جاء في سفر الأمثال: "شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ يَهْلِكُ"[4]، و"مِقْمَعَةٌ وَسَيْفٌ وَسَهْمٌ حَادٌّ، الرَّجُلُ الْمُجِيبُ قَرِيبَهُ بِشَهَادَةِ زُورٍ"[5]، زُورٍ"[5]، فاعتبرت شهادة الزور جريمة يستحق عليها من يمارسها العقاب، وكذلك في سفر المزامير، "شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ لاَ يَنْجُو"[6]. وأشير لقيمة الصدق كأرقى القيم الروحية في المزمور، "السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ، الَّذِي لاَ يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلاَ يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلاَ يَحْمِلُ تَعْيِيرًا عَلَى قَرِيبِهِ"[7]، في هذا المزمور وصف لطيف لسجايا الإنسان المتقي الله، السالك بالكمال هو سلوك وسيرة في هذه الحياة، أي طريقه مستقيم لا عوج فيه ولا التواء، ثمّ يصفه بأنه يعمل الحق أي يمارسه في حياته اليومية، فديانته ديانة العمل لا الكلام فقط،

---

[1]- الخروج 23: 1- 9.

[2]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، شرح سفر الخروج-، ص 104.

[3]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 262- 263.

[4]- الأمثال 19: 9.

[5]- الأمثال 25: 18

[6]- المزمور 35: 11.

[7]- المزمور 15: 2- 3.

ولكنه لا يقلل من قيمة الكلام فيصف كلامه بالصدق أيضا، إن إيمان التقي وعلاقته مع الله يجب أن تعقبها علاقته بنفسه ومع الآخرين أيضا، ولا يتكلم الصدق بلسانه فقط بل بقلبه أيضا أي أنه مخلص سليم النية، فهو ذو سلوك لا يعاب ويمارس عقيدته ويخلص فيها[1].

ولكن هذه الوصية التاسعة : "لا تشهد على قريبك شهادة زور" هي هذه وصية بدورها تؤكد أنّ ما يقيد اليهودي مما جاءهم به موسى (عليه السلام) ، لا يقيّده بالنسبة لبقية الناس من غير اليهود، فالأمر مختصر على القريب اليهودي ولا يشمل غيره[2]، ففي أحيان كثيرة تضاف كلمات مثل "رفيق" ، "غريب" أو حتي رجل معنى خاص، النص المعروف " تحب قريبك كنفسك"[3]، يعني أن تحب رفيقك اليهودي، لا أي إنسان، كذلك النص القائل: " لا تقف على دم قريبك"[4] يعني معاونة معاونة يهودي في خطر، ولكن من المحرم مساعدة من ليس يهوديا، أمّا الحث على الكرم تجاه الفقراء والأغراب، فيشمل اليهود فحسب، وحتى قوانين التعامل مع الأموات فتشمل جثث ومقابر اليهود فحسب[5].

من أقبح الصفات التي يتصف بها الناس من الخسّة والدناءة، وفساد الطّوية، وهو المطيّة ولكلّ انحراف، وقد تعمّقت هذه الخصلة في اليهود وباؤوا بأدنى مراتبها، وأبعادها فسادا وهو الكذب على الله عزّ وجلّ الذي لا تخفى عليه خافية.

2- نصوص تاريخية دالة على قيمة الصدق في التوراة.

في مقابل هذه النصوص التشريعية التي مرّت بنا، والتي حثت وأوصت وأمرت بالتزام الصدق، تري الحق واجتناب الكذب كخصال فردية وسلوكية، نجد أنّ هناك نصوص تاريخية في التوراة، ونقصد بها النصوص التي روت أحداث وقصص في نصوص التوراة، تدّل على أحداث عكس ما اوصت به التوراة وتنسب إلى الأنبياء والآباء عند بني إسرائيل صفات الكذب والغش الخداع، وتناقض في محتواها ما سبق من وصايا أخلاقية وتشديدات حول قيمة الصدق، سنحاول هنا تتبع أهم ما نسبته التوراة للأنبياء من كذب وغش وخداع:

---

[1]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر المزامير-، ص 29.

[2]- محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، ص 260- 261.

[3]- اللاويين 18: 19.

[4]- اللاويين 16: 19.

[5]- اسرائيل شاحاك وآخرون: القلم الجريء، ترجمة: البرّاق عبد الهادي رضا، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص 46.

وصفت التوراة الأنبياء بأحقر الصفات والتقليل من شأنهم ووصفهم بأوصاف ونعوت لا تليق، وهم الأنبياء الذين أرسلهم الله جل وعلا، لهداية الناس بل واصطفاهم على جميع خلقه، ومن أبرز الأمثلة التي نسوقها لما نسبته التوراة للأنبياء ما يلي:

- **إبراهيم عليه السلام:**

نسبت التوراة لإبراهيم (عليه السلام) صفة الكذب في أكثر من حادثة، فقد كذب إبراهيم (عليه السلام) لما قال عن سارة زوجته أنها أخته، لما وصل إلى مصر، "وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا، وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ، فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ، قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ"[1]، ووبخه فرعون على ذلك ولكنه أطلق سارة بهدايا كثيرة، وقد فسّر هذا على أنّه كان على اضطرار، ولكنّه أخطأ والظاهر أن ارتكابه إياه كان جبنا، فإنّه كان رئيس جند كبير رجاله متدربون في الحرب، ومع ذلك عرّض امرأته للخطر، واستعان بالخداع وهذا دلّ على ضعف إيمانه بالله، ولكن الكتاب المقدس لم يعتد أن يمثل أبطاله في صورة الكمال ويرفعهم على غيرهم من الناس بالنظر إلى طبيعتهم البشرية بل يميّزهم على سواهم بمداومتهم التقدم في التقوى بمعونة الله لا بقدرتهم[2].

وكرر هذا لما وصل أيضا إلى أرض جرار، وادعى أنّ سارة زوجته هي أخته، "وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جرار، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي"[3].

- **يعقوب (عليه السلام):**

أمّا أشهر ما نسبته التوراة في قصص الكذب والاحتيال والابتعاد عن قيمة الصدق، نسبتها التوراة لأب بني إسرائيل، فنسبت إليه الكذب والغش والخداع، في قصة أخذ البكورية، وهي أهم النصوص التي تؤسس عليها العقائد اليهودية، ورغم هذا إلا أنها تنافي قيمة الصدق: "وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنِي». فَقَالَ لَهُ: «ها أَنَا ذَا». فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي. فَالآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ،

[1]- اللاويين 12: 10.

[2]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر التكوين-، ص 104.

[3]- التكوين 20: 1- 2.

وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْدًا، وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ» وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ، وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلمتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُوَ أَخَاكَ قَائِلاً: ائْتِنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: اِذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَ ذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً». فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اِسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي». فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعِمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ، وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ، وَأَلْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلاَسَةَ عُنُقِهِ جُلُودَ جَدْيَيِ الْمِعْزَى. وَأَعْطَتِ الأَطْعِمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا. فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». فَقَالَ إِسْحَاقُ لابْنِهِ: «مَا هذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي». فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟». فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو». وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لآكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي». فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ، وَقَالَ: «انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ» وَحَدَثَ عِنْدَمَا فَرَغَ إِسْحَاقُ مِنْ بَرَكَةِ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ قَدْ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ إِسْحَاقَ أَبِيهِ، أَنَّ عِيسُوَ أَخَاهُ أَتَى مِنْ صَيْدِهِ، فَصَنَعَ هُوَ أَيْضًا أَطْعِمَةً وَدَخَلَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ لأَبِيهِ: «لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ حَتَّى تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ: «أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو». فَارْتَعَدَ إِسْحَاقُ ارْتِعَادًا عَظِيمًا جِدًّا وَقَالَ: «فَمَنْ هُوَ الَّذِي اصْطَادَ صَيْدًا وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ نَعَمْ، وَيَكُونُ مُبَارَكًا». فَعِنْدَمَا سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جِدًّا، وَقَالَ لأَبِيهِ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي». فَقَالَ:

«قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ"[1]، تردد يعقوب عندما سمع خطة رفقة الخادعة، ومع أنّه ناقش خطة أمّه بدافع خاطئ، وهو الخوف من أن ينكشف، إلّا أنّه احتّج عليها وأعطى رفقة فرصة أخيرة لمراجعة تدبيرها، لكن رفقة كانت قد استغرقت للغاية في خطتها حتى إنّها لم تعد قادرة على أن ترى نتائج ما تفعل[2].

إبراهيم واسحاق ويعقوب من أهم شخصيات العهد القديم، وترجع هذه الأهمية إلى طبيعة الله، لقد نالوا احترام جيرانهم المشوب بالحسد، بل بالخوف فقد كانوا أغنياء وأقوياء، وكان لكل واحد منهم لحظات من الضعف حيث ارتكبوا الكذب والخداع والأنانية، ولم يكونوا أبطال كاملين كما نتوقع، بل حاولوا ارضاء الله، ولكنهم كثيرا ما عجزوا كباقي البشر. وقد كان يعقوب الحلقة الثالثة في خطة الله لإقامة أمّة من إبراهيم، ولم يتوقف نجاح هذه الخطة على حياته، بل تحقق رغما عنها، فقبل أن يولد يعقوب وعد الله أنّ خطته ستتحقق من خلاله[3]، وهنا المهزلة التي تنسبها التوراة للأنبياء، بأن يمنح إسحاق بركته لولده يعقوب، وهو يعتقد أنه ابنه البكر عيسو، وكأنّ نبي الله لا يستطيع أن يفرق بين أبنائه، ويبدو واضحا في الرواية التوراتية اهارها لصورة من الأنانية والكذب، وأثرها في يعقوب إزاء أخيه عيسو، ومدى انخداع إسحاق وإصراره على حرمان عيسو، وتفضيل يعقوب عليه، حتى بعد أن عرف بخديعة يعقوب له، وحاشا أن يكون هذا الفعل من أنبياء الله عليهم السلام (إبراهيم ثم إسحاق ثو يعقوب عليهم السلام)[4].

كان لقيمة الصدق دور في حياة بني إسرائيل، وتكرر سؤال تصديقهم للأوامر الإلهية عن طريق أنبيائهم، وأولهم ما كان مع موسى (عليه السلام)، في تصديقهم لأمر الله إليه: "فأجاب موسى وقال: ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي، بل يقولون: لم يظهر لك الرّب"[5]، و"لكي يصدقوا أنّه قد ظهر لك الرّب إله آبائهم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"[6]، و" فيكون إذا لم يصدّقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى، وأنهم يصدّقون صوت الآية الأخيرة"[7]، "وقال الرّب

---

[1]- التكوين 27: 1- 35.

[2]- مجموعة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 72.

[3]- المرجع نفسه، ص 73.

[4]- محمد بيومي مهران: نبو إسرائيل – التاريخ-، دار المعرف الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1999م، جزء 1، ص 179.

[5]- الخروج 4: 1.

[6]- الخروج 4: 5.

[7]- الخروج 4: 8.

لموسى: "حتى متى يهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم"[1].

إنّ أتباع موسى (عليه السلام) كانوا أكثر الأقوام تكذيبا لأنبيائهم، رغم كل الآيات والمعجزات التي أحاطت بهم في كل العصور، فكان الانكار وعدم التصديق والإيمان صفة ملازمة لهم عبر التاريخ، وهنا تتقاطع هيه الصفة مع قيم أخرى كتقوى الله والاخلاص له لدى اليهودي، والتي تنبني على التصديق والإيمان.

المطلب الثالث: قيمة الصدق في القرآن الكريم.

قد أجمعت أخلاق الأمم وشرائعها على الدعوة إلى الصدق، والنهي عن الكذب وأكّدت تجارب الناس ما عرفوا في الصدق من خير، وما رأوا في الكذب من شر، ولهذا فقد كان القرآن الكريم ترجمان الدّين الحق والدعوة الصادقة، ويؤكد في آياته على الدعوة إلى الصدق ويشيد بذكر الصادقين، ويشتد في النهي عن الكذب ويلعن الكاذبين، كررت هذا آياته ودارت عليه دعواته.

الصدق والكذب نقيضان ويكونان في الأفعال وفي الأقوال، فقد يصدق الناس في تعبيراته الفعلية وقد يكذبون، فإذا كانت تعبيراتهم الفعلية مطابقة في دلالتها للحقيقة والواقع، فإنها تكون أفعالا صادقة، وإذا كانت غير مطابقة فإنها تكون أفعالا كاذبة[2]، فقيمة الصدق نقيض الكذب، وقد وردت في القرآن الكريم مادة (ص د ق) وما يشتق منها في مائة وخمس خمسين آية (155 آية) منها مائة وثمانية وعشرون آية في المعاني المتّصلة بالأصل اللغوي، وهو تحقيق صحة الأخبار وتقبُله عند سامعه، مثل قوله تعَالَى:﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[3]، ومعناها التصديق والاطمئنان.

ولما كان الصدق والكذب مما توصف بهما الأقوال والأفعال، كان لنا أن نقول: إنّ كل ذي دلالة مقصودة إمّا أن تكون دلالة صادقة وإما أن تكون كاذبة، والصادق منها ما واقع والحقيقة، والكاذب منها ما خالف الواقع والحقيقة.

فالصدق من القيم الروحية المطلوبة الصدق من المؤمنين في أقوالهم وأعمالهم، أمر الله تعالى به في نصوص القرآن الكريم، وارتقى لأن يكون من جوامع القيم الروحية، التي ترتقي إلى القيم الإيمانية والتوحيدية والتعبدية لله، وبين القيم الأخلاقية والسلوكية بين الناس في تعاملاتهم.

---

[1]- العدد 14: 11.

[2]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 1، ص 529.

[3]- المائدة: 113

1- الصدق قيمة إيمانية وعقدية.

لقيمة الصدق مكانة جليلة وعظيمة في القرآن الكريم، فجاء وصف الله سبحانه وتعالى، بصفة الصدق في عدّة مواضع، عن صدق الله في وعده وما أنزله لله تعالى للعباد والأنبياء، وما جاء في القرآن الكريم، هو أصدق الوحي الإلهي، منها قوله تعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾[1]، ومثلها في قوله تعَالَىٰ:﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2]، فالله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون، واتباع ملة إبراهيم الحنيفة، وهي ملّة الإسلام التي عليها محمد – صلى الله عليه وسلم–، ومن آمن معه[3]، وقد كان ذكر ابراهيم عليه السلام الأكثر ذكرا في القرآن الكريم بعد موسى عليه السلام، فقد ذكر في تسعة وستين موضعا، والوجه الظاهر فيه أنّ الإسلام هو الدين النيف المبني على التوحيد الذي أسس أساسه إبراهيم عليه السلام، وأتمه الله تعالى لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم[4].

والصدق من صفات الله تعالى، فهو الصادق في كل وعده قَالَ تعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾[5]، وتأكيد لوعد الله الصادق لأوليائه، ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله[6]، ولا وعد أحق من وعده، لأنه هو القادر على أن يعطي كل ما وعد به[7]، قَالَ تعَالَىٰ:﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[8]، وقَالَ تعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾[9].

---

[1]- النساء: 87.

[2]- آل عمران: 95.

[3]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص 386.

[4]- السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، د ب، ط3، 1873م، مج1، ص 209.

[5]- النساء: 122

[6]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، ص 567.

[7]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج 5، ص 352.

[8]- الأنعام : 115.

[9]- النساء : 87.

اقترن صدق الله تعالى بصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم في اخباره وصدق حديثه وسلوكه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[1]، وهنا اشارة للمؤمنين الذي أكّد القرآن الكريم تصديقهم لوعد الله ورسوله لهم بالنصر، وهي إشارة إلى بشارة وهو أنهم قالوا: هذا ما وعدنا الله وقد وقع وصدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقوله: ما زادهم إلا إيمانا بوقوعه وتسليما عند وجوده[2]، وتؤكد هذا في قوله تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3]، وكذلك صدق الأنبياء والمرسلين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[4]، فينسب الصدق إلى الله تعالى في ما وعد به، فكان من صفاته الصادق، وأكّد هذا القرآن الكريم في أكثر من آية، وبه اتصف الأنبياء والمرسلون، الحاملين لرسالة الإسلام والإيمان والتوحيد للبشرية، فلولا صدقهم وعصمتهم من الكذب، لما حُمِّلوا هذه الأمانة، ولذا أشارت عديد الآيات القرآنية إلى صدق وعد الله وتحقيقه، سواء في الدنيا أو الآخرة.

الصدق من أرقى الدرجات الإيمانية في القرآن الكريم، وقد أشارت إلى هذا قصص من القرآن الكريم، تدل على أنّ جوهر الإيمان قائم على التصديق والاطمئنان، ومنها قصة الحواريين مع النبي عيسى (عليه السلام)، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5]، وهنا طلب الحواريون من عيسى (عليه السلام) مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك، وإنما من باب العرض والأدب منهم، ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافيا للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى (عليه السلام) فقال: {اتقوا الله إن كنتم مؤمنين} فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا، فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم

---

[1]- الأحزاب : 22.

[2]- فخر الدّين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 25، ص 163.

[3]- الفتح: 27.

[4]- يس: 52.

[5]- المائدة: 112.

هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك، فقال تعالى:﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1]، وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، {وتطمئن قلوبنا} بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين، كما سأل الخليل (عليه الصلاة والسلام) ربه أن يريه كيف يحيي الموتى {قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: {ونعلم أن قد صدقتنا} أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، {ونكون عليها من الشاهدين} فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك[2].

والصدق من القيم المؤمنين، مع الله أولا قَالَ تعالى:﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤﴾[3]، أي أنهم حققوا ما عاهدوا عليه الله ورسوله، فالعهد عبارة عن وعد بفعل شيء في المستقبل فإذا فعله فقد كان صادقا، وخاصة فيما يرتبط بجهاد الصحابة مع النبي ﷺ[4]، وكذلك كان من وفوا بما عاهدوه عليه من الثبات والصبر على الجهاد في سبيل الله، فمنهم من مات أو قتل في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيله، لهذا ذكر الله أنّه سيجزي الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم، ويعذب المنافقين الناقضين لعهودهم إن شاء، بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة، وكان الله غفورًا لمن تاب من ذنوبه، رحيمًا به[5]، وهناك من حمل الآية على معنيين، أحدهما: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) – الذين هم عندكم مؤمنون – (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)، ورجال لم يصدقوا وهم المنافقون؛ لأن ظاهر هذا الكلام يدل على أن من المؤمنين الذين هم في الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا، فأمّا من كان في الحقيقة مؤمنًا فقد صدق عهده، والثاني: ذكر (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)؛ خصّ بعض المؤمنين بصدق ما عاهدوا وهم الذين

---

[1]- المائدة: 113.

[2]- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص 248.

[3]- الأحزاب : 23- 24.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 21، ص 308.

[5]- شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 160 و (مجموعة من المفسرين: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، دب، ط3، دت، ص 421) .

خرجوا لذلك: لم يكن بهم عذر فوفوا ذلك العهد؛ وتخلف بعض من المؤمنين للعذر؛ فلم يتهيأ لهم وفاء ذلك العهد لهم وصدقه؛ وكذلك يخرج قوله: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ)، أي: وفَّى بعهده. (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ)[1]، فالصدق في القرآن الكريم صدق الفعل والقول، فكما يصدق الإنسان بالإنباء عن الحق، يصدقه بتأدية الواجب منه، وارتبط الصدق بكل قيم الخير والفضيلة كالوفاء بالعهد والصبر.

دعا القرآن الكريم رسالة الإسلام وما جاء به الأنبياء باسم "الصدق"، لأنّ كلمة الصدق جامعة لكل الحق، والبّر والخير، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2]، فكل الظلم لمن كذّب ولم يؤمن بالله بإضافة الولد والشريك إليه، وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد ﷺ إذ جاءه من غير توقف وتفكر في أمره[3]، وهي رسالة الإسلام، فكفروا بالله وأبوا تصديق رسوله وامتنعوا عن اتباعه فيما يدعو إليه من التوحيد والشرائع التي أنزلها عليه، فذكرت الآية عقاب هذا التكذيب.

لتذكر الآية القرآنية تأكيدا آخر على رسالة الصدق التي داء بها النبي ﷺ وامتداحه ومن اتبع رسالته (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)، وهم أتباعه الذين نهجوا نهجه وساروا على طريقه- هم الذين اتقوا الله فوحدوه وبرئوا من الأوثان والأصنام وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه، وقيل هم أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا[4]، ثم ذكر ما وعدهم به من ثواب عظيم ونعيم مقيم فقال: (لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) أي لهم من الكرامة عند ربهم ما تشتهيه أنفسهم وتقربه أعينهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك جزاء من أحسن عملا، فأخلص لربه في السر والنجوى، وراقبه في أقواله وأفعاله، وعلم أنه محاسب على النقير والقطمير، والجليل والحقير.

ثم بين سبحانه ما هو الغاية لهم عند ربهم فقال: (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) وذلك أعظم ما يرجونه من دفع الضر عنهم والنفس إذا علمت زوال المكروه عنها كان لها في ذلك سرور ولذة تعدل السرور واللذة بجلب المنافع لها، (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) أي ويثيبهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساويها، وقدم تكفير السيئات على إعطاء الثواب، لأن دفع المضار

---

[1]- محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتوريدي: تفسير الماتوريدي (تأويلات أهل السنة)، ج 8، ص 369.

[2]- الزمر : 32- 33.

[3]- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 5، ص 43.

[4]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م، ج 7، ص99.

أهم من جلب المسار[1]، أجملت هذه الآيات القرآنية الحديث عن قيمة التصديق كقيمة إيمانية وروحية، ينبثق منها اليقين والإيمان الصحيح، فيكون له جزاء في الدنيا والآخرة.

وهذا ما أكدت عليه السنة النبوية، فقال الرسول ﷺ :"إنّ الصدق يهدي إلى البّر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنّ الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[2] ، والقرآن يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو لا يكتفي بأن يخبرنا أنّ الكذب هو رأس الفساد، بل يقدمه لنا على أنّه صفة النفس الكافرة، من حيث كان متنافرا مع الإيمان " الأخلاقي" يقول الرسول – ﷺ من حديث عن أبي هريرة :"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن"[3]، فهو ﷺ يمد هذا التنافر إلى جميع الكبائر والمحرمات الرئيسية، وعلى الأقل في لحظة ارتكابها، وفي هذه اللحظة يخرج الإيمان من أعماق القلب[4].

2- قيمة الصدق قيمة سلوكية.

تبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أنّ هناك شطرا كبيرا من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، تعتمد على صدق الكلمة والعمل، فإن لم تكن الكلمة معبرة تعبيرا صادقا، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف بها، إرادات الناس، ونعرف فيها حاجاتهم ونعرف فيها حقيقة أخبارهم.

لولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعا قائما على الكذب، لندرك مبلغ تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده، ويكون مصيره الانحلال والتفكك، ثمّ التخلف الحضاري، ثمّ الخراب والدمار[5]، والقرآن الكريم ترجمان الدين الحق والدعوة الصادقة، ويؤكد على الصدق ويشيد بذكر الصادقين، ويشتّد في النهي عن الكذب ولعن الكاذبين[6]، وكل الخير في الصدق، فقد بيّن القرآن الكريم أيضا أنّ الكذب يمنع صاحبه الهدى ويجور

---

[1]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 24، ص5.

[2]- صحيح البخاري (6094) و صحيح مسلم (2607) .

[3]- صحيح البخاري (2475) ، و صحيح مسلم (57) ، وصحيح ابن حبان (186) .

[4]- عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، ص 259- 260.

[5]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص 532.

[6]- عبد الوهاب عزام: أخلاق القرآن، ص 32.

به عن القصد، وإنّما يهدي الله من أخلص قوله وفعله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[1] .

الصدق في القول والفعل يبين صفاء النفس وخلوصها وصراحتها وحبها الحق، وميلها عن الباطل، ونفورها من المداجاة والمراءة والنفاق والخداع، وهو خلق يأبى التصنع ويربأ عن المذلة والخنوع، فكله حب الخير للناس، وتحكيم قوانين الله فيما بينه وبينهم، ولذلك كان الصدق شرعة القرآن وقانونه الحاكم، وصفة الأنبياء والصالحين عبر التاريخ، وفي مقدمتهم رسل الله وأنبياؤه، واختص القرآن الكريم جميع الأنبياء (عليهم السلام) بصفة الصدق، فقال تعالى في وصف إدريس (عليه السلام)﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴾[2]، وفي وصف إبراهيم (عليه السلام) أيضا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[3]، فكانوا من أهل الصدق في حديثهم وأخبارهم[4]، وحياتهم والصدّيق صيغة مبالغة، والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله، وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي: كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيا في نفسه، كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغا في الصدق، ومصدقا الله بآياته ومعجزاته، فكان إبراهيم (عليه السلام) جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء[5]، وكذلك كان الصدق صفة للنبي لإسماعيل (عليه السلام)، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾[6]، تشريفا له وإكراما، كالتلقيب بنحو: الحليم، والأواه، والصديق، ولأنه المشهور المتواصف من خصاله[7]، فهذا الذي استفتى يوسف- يوسف- عليه السلام- في رؤيا الملك وصف في كلامه- يوسف- عليه السلام- بمعنى يدل عليه وصف الصديق في اللسان العربي، وإنما وصفه به عن خبرة وتجربة اكتسبها من مخالطة يوسف- عليه السلام- في السجن[8]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[9]، وقرن القرآن الكريم بين صدق الأنبياء

---

[1]- الزمر: 3.

[2]- مريم : 56.

[3]- مريم: 41.

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 18، ص 202.

[5]- أبو القاسم الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 19.

[6]- مريم: 54

[7]- أبو القاسم الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 23.

[8]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 12، ص 286.

[9]- يوسف : 46.

الأنبياء والمرسلين ومن يلتزم بالصدق من الناس، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾[1]، فالصديقون هم قوم مثل الأنبياء في الفضيلة على ما بيّنت في الذريعة إلى مكارم الشريعة، وقد يستعمل الصّدق والكذب في كل ما يحق ويحصل في الاعتقاد نحو صدق ظنّي وكذب، ويستعملان في أفعال الجوارح.

غلب استعمال وصف الصدّيق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى، لأن تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين، وأحسن ما قيل في هذا المعنى كلمة الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن قال: «الصديقون هم دوين الأنبياء» وألحق بهم من اتصف بالصدق من العباد الصالحين، قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾[2]، واجتمعت في الآية صفات المتقين، وذكر أصول فضائل صفات المتدينين: وهي الصبر الذي هو ملاك فعل الطاعات وترك المعاصي، والصدق الذي هو ملاك الاستقامة وبث الثقة بين أفراد الأمة، والقنوت، وهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها وهو عبادة نفسية جسدية، والإنفاق وهو أصل إقامة أود الأمة بكفاية حاجة المحتاجين، وهو قربة مالية والمال شقيق النفس، وزاد الاستغفار بالأسحار وهو الدعاء والصلاة المشتملة عليه في أواخر الليل، والسحر سدس الليل الأخير لأن العبادة فيه أشد إخلاصا، لما في ذلك الوقت من هدوء النفوس، ولدلالته على اهتمام صاحبه بأمر آخرته، فاختار له هؤلاء الصادقون آخر الليل لأنه وقت صفاء السرائر، والتجرد عن الشواغل[3].

اشتملت قيمة الصدق على قيم إيمانية وعقدية، تختص بالإيمان بالله فالصدق أساس الإيمان والإقرار برسالة التوحيد والعبودية لله، ويرتقي ليكون قيمة تتعدى إلى سلوك الفرد وأخلاقه مع الغير وتشتمل الأقوال والأفعال.

3- مقام الصدق في القرآن الكريم.

الصدق من أهم مقامات الدّين والتديّن وأعلى الدرجات وأعزها، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور، فإنّ هذه الأمور لها مبادئ وغايات

---

[1]- النساء: 69.

[2]- آل عمران : 17.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 3، ص 186.

وحقائق، والصادق المحقق من نال حقيقتها، والصادق في جميع المقامات عزيز، ودرجات الصدق لا نهاية لها، وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض، فإن كان صادقا في الجميع فهو الصدّيق ، وقيل في حقيقة الصدق أنه ثلاث مراتب: صدق التوحيد ، وصدق الطاعة وصدق المعرفة، فصدق التوحيد لعامة المؤمنين، قال الله تعالى: "والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون"، وصدق الطاعة لأهل العلم والورع، وصدق المعرفة لأهل الولاية[1]، أي من أولياء الله وخاصة الخلق في التعبّد والطاعة والتقوى.

وجاء في الآية القرآنية أمر للنبي ﷺ بالدعاء بالصدق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[2] مدخل الصدق ومخرج الصدق أن يدخل الإنسان في كل الأمور إدخالا صادقا ملابسا للحق والخير، فيجعل تصرفه في الأمور كلها كما يجب عليه ويرجى منه، في غير رياء ولا تزوير ولا تضليل ولا غش ولا خداع، فجاء في القرآن الكريم جزاء المؤمنين المتقين[3]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾[4] ، وهنا زيادة الفضل لأهل الصّدق وأنه من السوابق العظيمة، وقال بعضهم: المراد مقام صدق، وأما المفسرون فلهم أقوال فبعضهم حمل قدم صدق على الأعمال الصالحة وبعضهم حمله على الثواب، ومنهم من حمله على شفاعة محمد عليه الصلاة والسلام[5]، كلما صدق الفرد في أقواله وأفعاله ارتقى في مقام الصدق، ويسمّى صدّيقا ويشتمل الإخلاص وصدق الإيمان والعمل والقول، والورع والزهد.

[1]- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 4، ص 388- 393.

[2]- الإسراء : 80.

[3]- عبد الوهاب عزام: أخلاق القرآن، ص 32.

[4]- يونس: 2.

[5]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 17، ص 187.

المبحث الثاني: قيمة الرحمة والإحسان بين التوراة والقرآن الكريم.

يقوم التعامل الإنساني على قيمي الرحمة والإحسان، فهما من القيم الروحية التعاملية المحورية في العلاقات الإنسانية، بعيدا عن التطرف والصراع، ولهذا كانت للنصوص الدينية المقدسة اهتمام كبير بالقيمتين، تأسيسا لهما، كمبادئ وقيم تحكم العلاقات البشرية.

سنحاول من خلال هذا المبحث دراسة قيمتي الرحمة والإحسان في كل من النصوص التوراتية والقرآنية، وقد آثرت الربط بين القيمتين لتداخلهم وتكاملهما الكبير، وهذا ما لاحظناه من خلال النصوص المقدسة التي تناولت القيمتين، كما أنهما قيمتين روحيتين أخلاقيتين شموليتين لجملة من الفضائل والقيم، وهذا ما سوف نتناوله في هذا المبحث، في دراسة تحليلية مقارنة بين التوراة والقرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف الرحمة والإحسان.

1- المفهوم اللغوي للرحمة والإحسان.

الرّحمة: الرّقة والتعطف، وتدل أيضا على المغفرة، وترحّم عليه: دعا له بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة[1]، والرأفة أشّد الرحمة[2]، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا، الرحمّان: الذي وسعت رحمته كلّ شيء، لا يقال لغير الله تعالى[3]، وقال الراغب: هي الرّقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرّقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقة، وهي من الله الإحسان والرزق والمغفرة، ومن الآدميين رقّة وتعطّف[4]، ولهذا آثرنا الجمع بين الرحمة والإحسان لتقارب المعاني اللغوية والاصطلاحية، فالإحسان في اللغة ضد الإساءة، وأحسن بمعنى أعطى فوق ما وجب عليه، وأحسن الشيء: أتقنه وعمله، كما تحمل كلمة الإحسان في اللغة معنى الجمال والملاحة والتزّين، فهو ضدّ كل شيء قبيح[5]، قبيح[5]، فمعاني الرحمة والاحسان تجتمع حول الرأفة والرقة والعطاء.

أمّا في اللغة العبرية فتشتق كلمة الرحمة من نفس الجذر مع اللغة العربية، "רחמים" وتقرأ (رَحَميم) ومن الفعل الثلاثي "רחם" (رَحِم)[6]، و"רחמנות" وهي الشفقة والعطف والرأفة، "

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، جز 12، ص 230.

[2]- المرجع نفسه، ج 12، ص 230.

[3]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج 2، ص 564.

[4]- أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ج1، ص 253- 254.

[5]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج 2، ص 90- 91.

[6]- محمد آلتونجي: معجم الطلاب عربي – عبري، ص 180.

רחמן" رحيم، ورؤوف وشفيق، "הרחמן" الرحمان من أسمائه تعالى[1]، أمّا إحسان "טובה" "طوبا" والفعل " أحسن" "היטב לעשות" وتقرأ " هيطيب لعسوت"[2].

الرحمة في اللغة الفرنسية " miséricorde" وفي اللاتينية "misericordia" مشتقة من "misecors" ويقصد بها من يملك قلب حساس تجاه التعساء والمعذبين، وهي الشفقة وغفران الذنب من طرف أحدهم، وتحمل معنى الرأفة " clémence" والتساهل" indulgence" المعذرة " pardon" وهو طلب الحصول على الرحمة، كما في اللغة العربية، وأمّا الرحمة الإلهية، وهي الغفران[3]، أمّا الإحسان " Charity" والذي يحمل في اللغات الغربية معنى الرحمة واللطف والعطف تجاه الآخرين، وكذا تدل على عمل المؤسسات الخيرية التي تقدم المساعدات للمحتاجين[4]. فلا نلاحظ اختلافا كبيرا بين معاني الرحمة والإحسان بين اللغات، وكلها تصي في الرأفة والعطاء والمساعدة وبذل الخير.

2- المفهوم الاصطلاحي للرحمة والإحسان.

تتقاطع المعاني الاصطلاحية للرحمة والإحسان، فالرحمة مشتقة من الرحم، وهي القرابة وأسبابها، وأصلها جميعا الرّحم وهو بيت الولد، فلهذا وجب على الإنسانية أن تتخلق بها، فأصل الإنسانية رحم واحد وأصل واحد من آدم وحواء (عليهما السلام) ، والرحمة خلق وفضيلة وقيمة سامية جدا، وهي دعامة قوية في بناء الفرد والمجتمع، ولها أثر عميق في تربية الفرد على أعلى مستوى من الإنسانية، والمجتمع على قدسية التراحم والحنو والرأفة[5]، فمن معاني الرحمة في اللغة رقة القلب، والعطف على الآخرين، وهي تقتضي قيمة الإحسان، فهي تطلق على إرادة فعل الخير، وقد فرّق بعضهم بين الرحمة والرأفة، بقولهم أنّ الرحمة إيصال المسرة إلى المرء، والرأفة دفع المضرة عنه[6].

وتجمع الرحمة بين العديد من القيم الإيمانية والتعبدية، فيقصد بها الإيمان والنعمة والرزق والنصر والفتح والعافية والمودة والسعة والمغفرة والعصمة والعفو، ويختلف الشعور بالرحمة باختلاف المثل العليا التي يتصورها الناس، فإذا كانت هذه المثل العليا مبنية على القوى المادية كانت الرحمة متقطعة، وإذا كانت مبنية على القوى الروحية كانت الرحمة أثبت وأوسع، ولا تنقلب الرحمة إلى محبة حقيقية إلا

---

[1]- ربحي كمال: المعجم الحديث عبري - عربي، ص 446.

[2]- محمد آلتونجي: معجم الطلاب عربي – عبري، ص 17.

[3] - Paul Rober : Le nouveau – Petit Rober, P 1608 .

[4] -Oxford : L'earner's pocket dictionary , p 68.

[5]- مليحة مرعي العدل: واحة الخلق العظيم – الرحمة-، دار الإيمان، الاسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص 14- 15.

[6]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1 ، ص 111.

حينما يعّد الانسان نفسه أخا لكل إنسان، كما أنّ الاحسان يطلق على كل ما ينبغي أن يفعل من الخير، وهو إمّا أن يكون ذاتيا يبقى ولا ينقطع، ويزيد ولا ينقص، وإمّا أن يكون عرضيا ينقطع، ويلحق فيه اللوم، ومقام المحسنين عند ابن مسكويه رتبة الذين يعملون بما يعلمون[1]، فإنّ المرء في نظره يتقرّب إلى الله تعالى بالإحسان إلى نفسه وإلى المستحقين من أهل نوعه، فمعنى الاحسان إذن هو العمل بالفضائل.

وقد أطلق (سبنسر) "Spencer" لفظ الاحسان في كتاب مبادئ الأخلاق (Principles of Ethics) على الواجبات والأفعال الأخلاقية التي يتخطى بها المرء حدود العدالة، كالمحبة، فإنه يعرض لمن كانت المحبة سيرته أن يحسن إلى غيره احسانا ذاتيا من غير أن يكون ذلك الاحسان واجبا عليه في الشرع[2]، "فالإحسان فعل ما هو خير للآخرين فضلا ومحبة"[3].

وترتقي الرحمة كما الإحسان إلى درجات إيمانية وعقدية، فالرحمة من صفات الذات الإلهية، لأنّ الله سبحانه أراد في الأزل أن يرحم عباده، وهي عند بعضهم الآخر من صفات الفعل، بمعنى أنّ الله قادر على أن يعطي عبده ما لا يستحقه من المثوبة، ويدفع عنه ما يستوجبه من العقوبة، لذلك قيل أن الرحمة ترك عقوبة من يستحق العقوبة، والله تعالى رحمن ورحيم، فالرحمن هو البالغ في الرحمة، غايتها التي يقصر عنها كل من سواء، والعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم، لا يزيد في رزق التقي بتقواه، ولا ينقص من رزق الفاجر بفجوره، والرحيم هو الرفيق بالمؤمنين خاصة، يستر عليهم ذنوبهم في العاجل، ويرحمهم في الآجل"[4].

أمّا الإحسان فهو أيضا " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"[5]، كما جاء في الحديث النبوي الشريف، وأمّا عند أهل التصوف، فهو تحقق العبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفا بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقينا ولا يراه حقيقة لهذا قال النبي ﷺ : "كأنّك تراه" لأنه يراه من وراء حجب صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة، لأنه تعالى هو الداعي وصفة لوصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح[6]. وقيل أيضا عن الإحسان: "يجمع كمال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله"، والإحسان نوعان إحسان في

---

[1]- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 123.

[2]- جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ص 46.

[3]- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 29.

[4]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 111- 112.

[5]- الجرجاني: معجم التعريفات، ص 13- 14.

[6]- رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة ناشرون، لبنان، د ط، 1999م، ص 16.

عبادة الخالق بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنّ الله يراه، والإحسان في حقوق الخلق وهو بذل المنافع من أي نوع كان لأي مخلوق يكون"، وقيل: "له ثلاث معان فعل الحسنات والإنعام على الناس ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله صلى الله عليه وسلم: "أن تعبد الله كأنك تراه"[1]، فلكل من الرحمة والإحسان جانبهما الروحي والايماني من جهة، والجانب السلوكي والأخلاقي، الذي يلتقي فيهما المعنيان في حب الخير للآخرين وتقديم المساعدة و فعل الخيرات.

المطلب الثاني: قيمة الرحمة في نصوص التوراة.

إنّ نصوص التوراة على اختلافها التشريعية والقانونية، تحث وتنص على قيمتي الرحمة والإحسان كما كان الأمر بالنسبة للقيم السابقة التي تناولناها بالدراسة والتحليل، وهذا ما سنحاول استنباطه واستخراجه من هذه النصوص، لمعرفة مدى توافقها أو تناقضها، ومدى حصرها من إطلاقها في تأسيسها لقيمتي الرحمة والإحسان.

الرحمة من القيم الأساسية الروحية تتبدى في سلوك الفرد مع نفسه ومع الغير، وهي تتجلى في كل مظاهر العطف والحنان والتعامل برفق، وحماية النفس والأفراد، وقد ترتقي حتى للرفق بالحيوان والنبات، وهي من أهم الأوامر الإلهية التي نصّت عليها التوراة، ومن الصفات التي نسبتها التوراة للذات الإلهية كذلك، ومن المقاصد الإلهية التي أمرت بها ، فجاء عند موسى ابن ميمون: "وكذلك من جملة مقاصد الشريعة: اللين والتأني، وأن لا يكون الإنسان فظاظة، وغلظة بل مجيبا مطيعا منيبا متأنيا، قد علمت أمره تعالى: فاختنوا قلف قلوبكم ورقابكم لا تقسوها أيضا، اصغ واستمع يا إسرائيل إن شئتم وسمعتم ، وقيل في الآتي لقبول ما يجي قبوله: وسمعنا وفعلنا، وقيل في ذلك على جهة المثل: اجذبني وراءك فنجري"[2] ، فكانت مظاهر الرحمة من التأني والرفق واللين في التعامل مقصدا نصّت عليه الشريعة اليهودية، ومن جملة الأوامر التي أمر الله بها بني إسرائيل اتباعها، وعلى اليهود وجوب الطاعة في كل الأوقات وفي كل الأماكن وفي كل الظروف، كما منحت التوراة حق إنزال أشد العقاب للخطايا التي يرتكبها الفرد، للضعف البشري ورغباته، التي يتعدى بها على غيره وأخوه اليهودي.

ولكن في المقابل تدل نصوص التوراة على أنّ الرحمة من صفات الله، فالله له دوران رئيسيان أولها العدل والآخر الرحمة، ويحمل اسم الله وفق الحاخامات اليهود " إيلوهيم" يحمل جانب من

[1]- سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف: التعريفات الاعتقادية ، مدار الوطن، د ب، ط2، 2011م، ص 20.

[2]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ج 2، ص 203.

العدل وآخر من الرحمة[1]، فرغم ما وصف به في التوراة بأنه صارم في العدل، لكنه أيضا واسع الرحمة والمحبة، والكلمات العبرية لصفات الله التناخية، في العدل والرحمة هي " ديّن" و "رحيم" وهي تطابق الكلمات العربية نفسها، الدّين كما في يوم الدين أو يوم القيامة، ورحمن أحد أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين الموجودة في القرآن، ولقد جاء امتزاج العدل الإلهي ورحمته في قول الرب لموسى، وعبر الرب من أمام موسى مناديا: "الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ، حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ"[2]، وترجم آخر هذا النص في رواية أخرى: "ولكنّي لا أعفي المذنب من العقاب"[3]، فرغم أنه رحيم ورؤوف بعباده، ولكن لا يفلت المذنب من العقاب، إلا بإحسان، فالإحسان معناه المبالغة في أي شيء في الفضائل، ومعلوم أنّ الفضائل تحمل معنين:

- الانعام على من لا حق له عليك أصلا.
- الانعام على المستحق بأكثر مما يستحق، وأكثرت الكتب النبوية من استعمال لفظة الاحسان، وهو الانعام على ما لا حقّ له عليك أصلا، ولذلك كل نعم تصل منه تعالى تسمّى إحسانا[4]، وهنا الرحمة الإلهية والاحسان إلى الخلق واحد في صفات الله كما تذكر التوراة.

تعددت النصوص التوراتية الدالة على قيمتي الرحمة والإحسان، سواء كانت تشريعية أو تاريخية، وقد حاولت هنا استنباط هاتين القيمين مما تورده التوراة من أحكام وتشريعات، تختص في ضبط العلاقة بين اليهودي وأخيه اليهودي، لنرى من خلالها الجانب القيمي والأخلاقي الذي حاولت هذه النصوص غرسه وبناءه في المجتمع اليهودي.

1- النصوص التوراتية الدالة على التعامل بقيمة الرحمة بين اليهود.

يطلق "ميدت هارحميم" بالعبرية على مرادف قيمة الرحمة، وهي النظر بعين الرأفة، وفيها كل مظاهر الرحمة[5]، من صفات الرّب في التوراة، فقد جاء من أقوال الرّب لموسى (عليه السلام): "فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ"[6]، وكذلك ترى " الأجاداه" أنّ القدوس تبارك وتعالى يقول :" إنّ إرادتي هي أن تحل رحمتي

---

[1] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 323.

[2]- الخروج 34: 6- 7.

[3]- روبن فايرستون: ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين، ص 78.

[4]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ج 2، ص 731.

[5]- رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 185.

[6]- الخروج 33: 19.

محل غضبي، وتكشف رحمتي عن صفاتي وأتصرف مع أبنائي بعين الرأفة وأغضب عليهم مع مراعاة الرأفة"[1]، وهي رحمة تختص ببني إسرائيل، فنقيض هذه الآيات يظهر في مظاهر القوة والغضب والاعتداء الذي يأمر بها الرب لإبادة وقتال غير اليهود، دون رحمة أو رأفة بهم، «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ، تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا"[2]، كما كنت أبرز أوصاف الرب في التوراة أنه "إله الجنود" وقائدا لكل الحروب والابادات التي خاضها بنو إسرائيل ضدّ الشعوب المجاورة لهم دون رحمة أو شفقة، كما أنّ الحاخامي جدل دائم بين عدالة الله ورحمته وشفقته، فلا تكاد تجد أي مقطع يعالج على وجه التقريب صفة الله كقاض، إلا وارتبط به التلميح إلى وجود الرحمة[3].

من مواقف الإحسان التي روتها التوراة، في قصص الأنبياء (عليهم السلام)، ما جاء عن إبراهيم (عليه السلام): "وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لأَبْرَامَ: «أَعْطِنِي النُّفُوسَ، وَأَمَّا الأَمْلاَكَ فَخُذْهَا لِنَفْسِكَ». فَقَالَ أَبْرَامُ لِمَلِكِ سَدُومَ: «رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ الإِلهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ آخُذَنَّ لاَ خَيْطًا وَلاَ شِرَاكَ نَعْل وَلاَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ، فَلاَ تَقُولُ: أَنَا أَغْنَيْتُ أَبْرَامَ. لَيْسَ لِي غَيْرَ الَّذِي أَكَلَهُ الْغِلْمَانُ، وَأَمَّا نَصِيبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعِي: عَانِرَ وَأَشْكُولَ وَمَمْرَا، فَهُمْ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ»[4]، لم تزل العادّة عند البدو إلى هذا اليوم، إنّ الذي يرد السلبي والسلب، يعطي النفوس ويبقى لنفسه ما بقي، ولكنّ أبرام لقناعته وإحسانه أبى أن يأخذ شيئا، وكان معظم غاية إبرام دفع الثمن ، وهو راجع إلى الإحسان والمروءة وشرف النفس، ترى هنا من سياسة أبرام أنّه حين كان لوطا مخالطا للكنعانيين كان هو منفرد عنهم، ولكنّه مستعّد للمساعدة في الوقت المناسب[5].

ومن الأحداث التي أرخت لها التوراة ما جرى مع النبي موسى (عليه السلام) وهو طفل رضيع، "فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتِ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ

---

[1]- براخوت: 7 (نقلا عن : رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 185).

[2]- العدد 33 : 51- 53.

[3]- آ . كوهن: التلمود –عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول الأخلاق ، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء"، ترجمة: جاك ماريتي، ترجمة إلى العربية: سليم طنوس، دار الخيار، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 65.

[4]- التكوين 14: 21- 24.

[5]- وليم مارش : سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر التكوين- ، ص 76.

وَقَالَتْ: «هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ»[1]، مما يدل على أنّ الرحمة والرفق والرأفة يمكن أن تكون في قلب الفرد، دون أن تأمره شريعة أو دين بهذا، فالرحمة قيمة إنسانية روحية، لا تختص بدين دون آخر، ولهذا لمّا فتحت الأميرة بنفسها السفط، ولعلها توقعت أن ترى شيئا غريبا فيه يحمل على العجب، وإذا هو صبي يبكي من الجوع أو من البرد أو عدم الراحة، فرقّت له وأشفقت عليه[2]، وهذا من مظاهر الرحمة التي نستشفها من قصص التوراة ونصوصها التاريخية ولو لم تكن نصوصها تشريعية، ومن أوامر التوراة.

إنّ حفظ الحياة أرقى المقاصد في الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وأي اعتداء على النفس البشرية، هو اعتداء على حق الحياة، ومخالفة لكل الشرائع والقوانين، سواء كانت سماوية أو وضعية، وأي حفاظ على الحياة والنفس البشرية، هو تطبيق لمقصد إلهي على الأرض، سواء انطلق هذا من قوانين وتشريعات صارمة، صانت النفس البشرية وحمتها من أي اعتداء، أو ينطلق من قيم وأخلاق وفضائل تتحلى بها الأفراد تجاه بعضهم البعض، وهذا ما نحاول استنباطه واستخراجه من النصوص التوراتية، فمهما كانت نصوصا تشريعية وقانونية صارمة، فهي تحمل في طياتها قيما وفضائل تحاول أن تغرسها في النفس البشرية، وكل قارئ التوراة، ناهيك عن الفهم اليهودي الذي يأتي ما بعد النص، الذي حصر القيم والأخلاق والتعاملات الإنسانية والروحية في نطاق محدد، وهذا ما سنحاول معالجته أيضا فيما بعد شرح النصوص وتبسيطها على ظاهرها، أمّا تطبيقاتها الواقعية، فهي محل النقد والمناقشة.

فيعتبر اليهود التوراة القانون الأساسي للحياة اليهودية، وهو في المقام الأول مدونة الأخلاقيات السلوكية، مع اثنين من المبادئ الأساسية هما: "حب الله فوق كل الأشياء" و"وأحب جارك كنفسك" وهي تعاليم أخلاقية والروحية، ويطالب القانون بمعاملة الآخرين معاملة كريمة[3]، فتحرم التعاليم التوراتية أي اعتداء لليهودي على أخيه اليهودي، بل إنّ نصوص التوراة تؤكد على الاعتقاد بأنّ حياة الإنسان لديها قيمة عالية ومهمة، بل إنّ هناك من جعل من قدسية الحياة البشرية في العهد القديم هو إسرائيلي بالنظر إلى باقي مدونات الشرق الأدنى القديم[4]، وهي من أهم النصوص التي نستنبط منها تأسيس التوراة لقيمتي الرحمة والاحسان بين اليهود، وتعّد الوصايا العشر المصدر

---

[1]- الخروج 2: 5-6.

[2]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر الخروج-، ص 13.

[3] - Martha A. Morrison and Stephen F . Brown: World Religions Judaism , p12 .

[4]- John Barton : Ethics in Ancient Israel, P 63 .

الأول لمجموعة القوانين والقيم والتي أرادت التوراة الأمر بها، والدعوة إلى اتباعها، ويعترف حكماء المشناه أنّ أي اعتداء على شخص ينطوي على ضريين منفصلين، فبالإضافة إلى الضرر المادي الذي يصححه المرء من خلال التعويض المالي، هناك أيضا ضرر غير ملموس وهو الضرر المعنوي والتي لا يمكن علاجه إلا بطلب المغفرة، وعدّ هذا جوهر أخلاقي تصالحي[1].

وفيما يرتبط بالرحمة والإحسان، تعّد وصية، والأمر: "لا تقتل"[2]، وتكررت بين سفري الخروج والتثنية، أهم وصية لحفظ النفس، والرحمة بها، وتحريم الاعتداء عليها، فالحياة حق محفوظ من كل القوانين السماوية والقوانين الوضعية عبر الأزمنة والعصور، قديما وحديثا.

فالنهي عن القتل شريعة كل الأمم، حتى الأمم التي ليست لهم شرائع مكتوبة، كما سجلت التوراة أول اعتداء على النفس البشرية في قتل قايين لأخيه، وهنا جاء أول أمر إلهي في النهي القاطع على الاعتداء على النفس البشرية، وحق الفرد في الحياة رحمة به، كما أنها هذه الوصية قديمة ، وردت قبل الوصايا العشر التوراتية، فجاء ضمن وصايا الله لنوح (عليه السلام): "وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيه، سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ"[3]، وتواتر في كل أرض وبين كل الأمم أنّ القتل المنهي عنه، وعرف الناس ذلك بالطبع والعقل[4].

وتؤكد الشريعة اليهودي على احترامها للنفس البشرية احتراما لا يعادله سوى العقاب على إزهاق هذه النفس، ولهذا نجد جريمة سفك الدماء في اليهودية موضع التحذير الثاني بعد التحذير من الشرك بالله في سلسلة الوصايا العشر، إذ ترفع اليهودية النفس البشرية إلى درجة القداسة وتتناسب مع التصور العقدي اليهودي للإنسان والكون والصورة الإلهية التي خلق الله الإنسان عليها، ولهذا كان قتل الانسان في اليهودية لا يعادله إلى قتل القاتل قصاصا[5].

وامتازت الشريعة الموسوية في ذلك بأن فرّقت بين القتل عمدا والقتل الخطأ، وتبرير قتل السارق، وقبل هذا التفريق والاستثناء أعلن القانون العام "لا تقتل" وجاء بالاستثناء بعده، فالتوراة

---

[1] - Louis E. Newman : Past imperatives –studies in the history and theory of Jewish ethics, P 87.

[2]- الخروج 20: 13 و التثنية 5: 17

[3]- التكوين 9: 5 – 6.

[4]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، – شرح سفر الخروج–، ص92.

[5]- خالد مصطفى هاشم: الجريمة دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2007م، ص 154.

تستخدم للقتل ثلاثة أفعال مترادفة هي الفعل " رَصَحْ" وهو الفعل المستخدم في صيغة الوصية "לא תרצח"[1] "لو تْرِصَحْ" (لا تقتل) ، والفعل "هَرَجْ" " הרג" "كي هاروج تهرجنو" "כי הרג ת הרגנו"[2]، أي (قتلا لا تقتله) ، والفعل المبني للمجهول من المجرد المعتل العين بالياء "ميت" وهو "هومَت" "יומת"(أميت): **"מות יומת"** (موت يومَت)" أي "يقتل قتلا"[3]، وهذا بإيراد تفصيل موسع في أحكام القتل والاعتداء نجدها بين نصوص التوراة، وقد نصّت فيها على أحكام مشددة، ولهذا تقسم الشريعة اليهودية أحكام إلى ما يلي:

- **القتل الواجب**: وهو ما يحدث في حالة الدفاع عن النفس، كما هو المستحق على الجناة في بعض الجرائم، كجريمة القتل العمد، أو الزنا، أو عقوق الوالدين، أو سرقة النفس البشرية، أو الردّة، وغيرها من الجرائم التي تستحق عقوبة الإعدام والقتل[4].

- **القتل المباح**: وهو ما يحدث أثناء الحروب: وهنا كانت التوراة سجلا حربيا يدعوا إلى القتل، جاء في سفر التثنية، "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ، وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ"[5]، فأي رحمة وتحريم للقتل وللاعتداء تنص عليه نصوص التوراة!، فقد فهم اليهود هذه الوصية أنهم لا يقتلون اليهود، أمّا غيرهم من الناس فدماؤهم حلال لهم، وهذا ما انعكس على التاريخ اليهودي عبر العصور، وأينما حلّوا، وما يشهده العصر الحديث من اعتداء دموي لليهود خاصة في فلسطين[6].

---

[1]- بولس الفغالي وأنطوان عوكر: العهد القديم العبري (ترجمة بين السطور عبري – عربي)، الجامعة الأنطونية، لبنان، ط1، 2007م، (الخروج 20: 13).

[2]- التثنية 13: 10

[3]- اللاويين 20: 9

[4]- خالد مصطفى هاشم: الجريمة دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، ص 156.

[5]- التثنية 20: 10- 17.

[6]- محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، ص 260.

- **القتل المحرم:** وهو المقصود به في الوصية، وهو القتل بالتربص ومع سبق الإصرار، وهو ما يكون بغير حق، وبخلاف الواجب والمباح ، وجزاء القاتل في هذه الحالة هو القتل، "من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا"[1]، فقد حُرم القتل في الوصية السادسة إجمالا وجاء هنا بعض التفصيل فإنّ الوصية لا ترهب حق الرهبة ما لم يُرتب عليها العقاب أو الجزاء، ولنا هذا أمران، الأول إن جزاء القتل هو قتل القاتل، وثاني إعداد ملجأ للقاتل بلا عمد، ومعاقبته القاتل بالقتل سُنّت منذ عصر نوح (عليه السلام)، مما يدل على أنّ تلك الشريعة ثبتت عند الناس من أقدم العصور، فشريعة الطور تثبيت للشرائع الحقّة التي كان عليها الناس قبل الكتاب وفرض إجلائها فعلا، حتى أنه أوجب أن يقتل القاتل ولو استجار بمذبح الله، "من جذب إنسان فمات يقتل قتلا"[2]، "وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت"[3]، وقد ورد في سفر العدد تفصيل لشريعة القتل العمد ومع سبق الإصرار، ومنها ما ورد في الإصحاح الخامس والعشرون من سفر العدد، وهو الاعتداء العمدي على الفرد اليهودي، وكتب الرابي "موسى بن ميمون" في " شرائع القتل" في التشريع الأول: "كل من يقتل يهوديا يعّد متعديا، وفقا لحظر القتل الذي ورد في العهد القديم، وإذا قتل عمدا أمام شهود، يقتل بالسيف..."[4] .

- **القتل بغير العمد:** وهو القتل الخطأ وأشارت إليه الشريعة اليهودية بكثير من التفصيل في أحكامها[5]، "ولكن الذي لم يتعّمد، بل أوقع الله في يده ، فأنا أجعل لك مكانا يهرب إليه"[6]، ويبقى ويبقى آمنا في ذلك المكان إلى أن تجرى المحاكمة وتتبين براءة من تعمّد القتل، فمدينة الملجأ للقاتل شيوخ بلدته فإذا وجوده قد قتل خطأ حموه وإلا عوقب، لأنّ "ولكن الذي لم يتعّمد، بل أوقع الله في يده" أي الذي يقتل عن غير عمد ولا مقصد شر، كأن الله يدفع إنسانا ليقتله بيده فيقتله بدون أن

---

[1]- (التكوين 9: 6) و (اللاويين 24: 17) و(العدد 35: 30- 31).

[2]- الخروج 21: 12.

[3]- الخروج 21: 14.

[4]- يتسحاق شابيرا و يوسيف إليتسور: شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)، ترجمة: خالد سعيد ومحمود مندور، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2011م، ص 28.

[5]- (للاستزادة أكثر ينظر: خالد مصطفى هاشم: الجريمة دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، ص 156- 358)

[6]- (عدد 35: 22) و (تثنية 19: 4 – 5) و (1 صموئيل 24: 4 و 10 و 17) (عدد 35: 1) (تثنية 19: 3) و(يشوع 20: 2- 3)

يتعهد[1]، وهذا حددت التوراة ستة مدن يلجأ إليها حتى يفصل القضاة في أمره، وتثبت براءته، وعندما يتحقق أنه قتل خطأ لا يحكم عليه بالقتل[2].

فالوصية التي تنهى عن القتل بشكل مطلق في نصوص التوراة، ليست نصا مطبقا ولا مطلق التطبيق مع كل اليهود أو مع غير اليهودي، بل إنّ من يطالع أسفار التوراة يجد في كثير من الأحيان أن حكم الشريعة نفسه ليس فقط أنه يسمح بقتل الإنسان، بل يأمر بقتل الإنسان، وقد تضمنت التوراة عقوبة الموت جزاء للعديد من المخالفات، ولذلك فإنّ الوصية بصورتها الغامضة هذه لا تحدّد لليهود كيف يتصرفون بموجبها، لأنهم لا يعرفون ما هي عمليات القتل التي تسمح بها الشريعة أو التي لا تسمح بها، ويقول "شالوم ألبك" في تفسيره لهذه الوصية: "إنّ هذا التحريم ليس إلا المبدأ الذي يعطي للعدل لونا خاصا، على غرار ذلك ورد في المشنا:" السنهدرين الذي يقتل واحدا في الأسبوع يدعى مخربا..." والربي " طرفون " وربي " عقيبيا" يقولان:" لو كنا في السنهدرين ما قتل إنسان على الإطلاق"، ذلك أنه حينما يكون هناك شك في كيفية التصرف، أو حينما يكون العمل محتملا لمبدأين مختلفين، فإنّه ينبغي التصرف وفقا للمبدأ الذي يستبعد سفك الدماء[3].

قد حاولنا هنا اظهار نصوص التوراة التي تأمر بالرحمة وتحرم الاعتداء على النفس البشرية داخل المجتمع اليهودي وبين اليهود، أمّا تعامل اليهود خارج إطار أفراد مجتمعهم فسنتناوله في الفصل المخصص للقيم الروحية التي تنص عليها التوراة خارج إطار الديانة اليهودية، وسنتناولها بالتفصيل، لما تحمله من تناقض بين هذه النصوص وغيرها.

ومن هذه الجوانب التي أردنا أن نتناولها، وهي تنتمي للنصوص التوراتية التشريعية، وتناقض قيمة الرحمة والدعوة لها وغرسها في نفس اليهودي و المجتمع اليهودي، فنجد فصلت التوراة في أنواع الاعتداءات التي تقع على الفرد، وبيّنت عقوبتها، التي تميّزت بالشديد، وتصل معظمها إلى حدّ القتل، فجاء على سبيل المثال في سفر الخروج: "وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ، وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً، وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلاً، وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً"[4]، فأي اعتداء على الانسان بالضرب أو الظلم عقوبته الموت والقتل، وجمع النص بين الاعتداء على أي شخص وبين الاعتداء على الوالدين بالضرب أو

[1]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القويم – شرح سفر الخروج-، ص 97.

[2]- نادي فرج درويش العطار: شرح أحكام شريعة التوراة شريعة موسى النص والتفسير، ط1، 2004م، مركز ابن العطار للتراث، مصر، ص 51.

[3]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 215.

[4]- الخروج 21: 14- 16.

الشتم وهنا كانت التوراة شديدة الحكم الذي نصّت عليه وهو القتل، أمرا منها بضرورة الرحمة للأفراد والأشخاص وحرمة الاعتداء عليهم، وكذا واجب الاحسان تجاه الوالدين، وقد تكرر هذا الحكم المرتبط بعقوبة القتل بين الأسفار الخمسة للتوراة في أكثر من نص، في سفر التكوين واللاويين والتثنية، فأحكام القتل في التوراة ترتبط بثلاثة اعتداءات على النفس البشرية:

– **ضرب الأب أو الأم:** "وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً"[1] لأنّ الأبوين هما السبب المباشر في وجود الابن، وبالتالي يكونين نائبين عن الله على الأرض[2].

– **سرقة الإنسان:** "إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَرَقَّهُ وَبَاعَهُ، يَمُوتُ ذلِكَ السَّارِقُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ"[3]، و "وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلاً"[4]، كما فعل إخوة يوسف (عليه السلام) بأخيهم، وهذا القتل هو بسبب الاعتداء على النفوس وعلى الحريات[5].

– **لعن الإنسان إحدى والديه:** "كُلُّ إِنْسَانٍ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. قَدْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ"[6]، الضرب غير الشتم، وكما نهى عن الضرب نهى عن الشتم أيضا، والسبب أنّ الشاتم يقتل: هو أنّ الوصية الثانية من الوصايا العشر، تقول: " أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ"[7]، فمن لا يكرمهما ولا يحسن إليها بالكلمة الطيبة والسلوك الحسن تقصّر أيامه بالقتل[8]. وقد فرض الله قتل مرتكب أحد هذه الذنوب دليل قاطع على شدّة كرهه تعالى إياها، فإن الوالدين نائبا الله فضارب أحد الوالدين، يعد معتديا على الله سبحانه وتعالى، ولعنة أحدهما أو الاستهانة بالله وإذا كانت لعنة تطلب من الله كان لاعن والديه طالبا من الله أن يلعن نائبه، وسابي الناس يقرب من القاتل لأنه يسلب من الإنسان حريته التي تتوقف عليها لذته بالحياة، فكأنه بسبه إياه وبيعه عبدا، أو استعباده إياه لنفسه سلب حياته، وكثيرون من الناس

---

[1]– الخروج 21: 15.

[2]– نادي فرج درويش العطار: شرح أحكام التوراة، ص 53.

[3]– التثنية 24: 7

[4]– الخروج21: 16. تكوين 37: 28

[5]– نادي فرج درويش العطار: شرح أحكام التوراة، ص 53.

[6]– اللاويين 20: 9.

[7]– الخروج 20: 12.

[8]– نادي فرج درويش العطار: شرح أحكام التوراة، ص 53.

يفضلون الموت على العبودية، لأنّ عاقبتهما عيش الشقاء إلى نهاية الحياة[1]، ولهذا نلاحظ مما سبق أنّ شدّة أحكام التوراة لا تتصف بالرحمة، هذا بناء على النصوص التي توردها.

كما ربطت التوراة بالعديد من السلوكات وحتى الحوادث التي قد يرتكبها الفرد تجاه أخيه، التي تنعدم فيها الرحمة والرأفة بأخيه الإنسان، ونصّت فيها أحكاما مشددة، لتمنع اعتداء اليهودي على أخيه اليهودي، ومن الأمثلة التي نسوقها في ذلك :

من أهم الوصايا التي ضمتها الوصايا العشر الواردة في التوراة والتي تكررت بين سفري اللاويين والتثنية، والتي نستشف منها جانبها الروحي والقيمي الأخلاقي، ونستطيع القول إن هذه الوصية توصي بالرحمة تجاه الأفراد، وتحريم الاعتداء على الفرد سواء في نفسه أو في ماله وممتلكاته، وصية "لا تسرق"[2] وقد تكررت بين سفري الخروج واللاويين والتثنية، فما يجب على اليهودي تجاه قريبه اليهودي، حرمة الاعتداء بأخذ شيء مما له، والشريعة اليهودية تهنى عن مثل هذا الاعتداء، وتوجب اعتزال أخذ ما للغير بغير رضاهم مطلقا[3]، وهذا مبدأ طبيعي وأصيل، ولكن إذا تذكرنا وصية الرب لليهود، مرتين بأن يسرقوا المصريين قبل مبارحة أرضهم، نجد أنّ هذه المبادئ، إنما تنطبق على ما يحدث بين بعضهم والبعض الآخر، لا مع غيرهم من الناس، ولهذا لا يدهشنا أنّ اليهود مارسوا حياة احتيال مستمرة مع جميع الأجناس والعناصر التي عاشوا معها[4]، وهذا ما سنحاول تناوله بالتفصيل في الفصل الخاص بالقيم الروحية التوراتية في التعامل مع غير اليهودي.

" لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يخدع أحد قريبه"[5]، فما يمكن أن يستخلص من هذه الوصية هو أنها تقرر حق الإنسان في الملكية الفردية، وتنهى نهيا تاما عن السرقة، أيا كانت، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويعد السارق من اغتصب ما لغيره، ويجب عليه التعويض عن السرقة، وإن لم يكن لديه التعويض يباع بسرقته، وكذلك أوصت الشريعة اليهودية بعدم سرقة عمل الأجير، وأوصت بأن يوفى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، "لاَ تَعْصِبْ قَرِيبَكَ وَلاَ تَسْلُبْ، وَلاَ تَبِتْ أُجْرَةُ أَجِيرٍ عِنْدَكَ إِلَى الْغَدِ"[6]، كما أنّه لم يكن النهي في التوراة عن السرقة والاعتداء على أموال الغير أو الاضرار بها، بل تعدته إلى الرغبة فيها، واشتهائها، "وَلاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلاَ حَقْلَهُ وَلاَ عَبْدَهُ

---

[1]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، - شرح سفر الخروج، ص 97.

[2]- التثنية 5: 19.

[3]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر الخروج-، ص 93.

[4]- محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، ص 260.

[5]- اللاويين 19: 11

[6]- اللاويين 19: 13 .

وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ"[1] وهذه الوصية مبدأ عام للشريعة التوراتية، والنهي فيها عن أصل كل قول وعمل محظور، فلم تكتف بالنهي عن الأقوال والأعمال المحرمة فزادت عليه النهي عن أفكار القلب وأمياله الشريرة[2]، وتكرر هذا في نصوص التناخ خارج التوراة، "وَيْلٌ لِلْمُفْتَكِرِينَ بِالْبُطْلِ، وَالصَّانِعِينَ الشَّرَّ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ! فِي نُورِ الصَّبَاحِ يَفْعَلُونَهُ لأَنَّهُ فِي قُدْرَةِ يَدِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَشْتَهُونَ الْحُقُولَ وَيَغْتَصِبُونَهَا، وَالْبُيُوتَ وَيَأْخُذُونَهَا، وَيَظْلِمُونَ الرَّجُلَ وَبَيْتَهُ وَالإِنْسَانَ وَمِيرَاثَهُ"[3]، و"وَيْلٌ لِلْمُكْسِبِ بَيْتَهُ كَسْبًا شِرِّيرًا لِيَجْعَلَ عُشَّهُ فِي الْعُلُوِّ لِيَنْجُوَ مِنْ كَفِّ الشَّرِّ"[4].

ويدخل في السرقة كذلك من لا يزن بالقسطاس أو يكيل كيلا ناقصا، وقد أشارت الشريعة اليهودية، إلى النهي عن ذلك، "لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ"[5] وجاء في سفر التثنية كذلك، " لاَ يَكُنْ لَكَ فِي كِيسِكَ أَوْزَانٌ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ ... لأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذلِكَ، كُلَّ مَنْ عَمِلَ غِشًّا، مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ"[6]، ولم تجعل الشريعة اليهودية عقوبة الموت إلا لمن سرق إنسانا من إخوته من بني إسرائيل وباعة بيع العبيد، كما شبق وأن أشرنا، "إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَرَقَّهُ وَبَاعَهُ، يَمُوتُ ذلِكَ السَّارِقُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ"[7]، وورد كذلك في سفر الخروج: " وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلاً"[8]، فالسرقة تعتبر خسة وأمرا مكروها ومحتقرا حتى قبل الوصايا العشر، مما يدل على الإنسان بطبعه ينفر من هذا الأمر، ويحكم على السارق بالموت، فعندما لحق (لابان) بيعقوب (عليه السلام) واتهمه قائلا: لماذا سرقت آلهتي؟ (يقصد أصنامه)) شعر يعقوب ببشاعة التهمة وأجابه:" الذي تجد آلهتك معه لا يعيش"[9] وهكذا حكم على السارق بالموت، ومثل هذا الحكم نجده أيضا في في قصة يوسف وإخوته، فعندما اتهم إخوة يوسف بسرقة كأسه اشمئزوا من التهمة جدا وأجابوا في

---

[1]- التثنية 5: 21.

[2]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، ص 92- 93.

[3]- ميخا 2: 2.

[4]- حبقوق 2: 9.

[5]- اللاويين 19: 35.

[6]- التثنية 25: 13- 16.

[7]- التثنية 24: 7

[8]- الخروج 21: 16

[9]- التكوين 31: 30 – 32.

عزة نفس:" لماذا يتكلم سيدي مثل هذا الكلام" حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر الذي يوجد معه من عبيدك يموت..."[1].

وبطبيعة الحال فإن هذه الشريعة لم تطبق على بني إسرائيل عند خروجهم من مصر ولجوئهم إلى خداع المصريين واستعارة الذهب والفضة بحجة الاحتفال، وغادروا مصر دون رجعة ولم يردوا ما استعاروه، وكان ذلك بناء على وصية موسى (عليه السلام)، نفسه[2]: "بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ"[3].

كما أنّ الرحمة بالعجزة والضعفاء تعّد من الأسس الأخلاقية التي تبنى عليها الشرائع التوراتية، " لاَ تَشْتِمِ الأَصَمَّ، وَقُدَّامَ الأَعْمَى لاَ تَجْعَلْ مَعْثَرَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ. أَنَا الرَّبُّ"[4]، ويتعدى الأمر إلى الأمر بالرحمة بالحيوان، فقد جاء في التوراة، "لاَ تَنْظُرْ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَاقِعًا فِي الطَّرِيقِ وَتَتَغَافَلُ عَنْهُ بَلْ تُقِيمُهُ مَعَهُ لاَ مَحَالَةَ"[5]، وكذلك :"إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا، تَرُدُّهُ إِلَيْهِ، إِذَا رَأَيْتَ رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعًا تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَحُلَّ مَعَهُ"[6]، وتربي على احترام الشيوخ وكبار السّن رحمة واحسانا بهم، "مِنْ أَمَامِ الأَشْيَبِ تَقُومُ وَتَحْتَرِمُ وَجْهَ الشَّيْخِ"[7]، لكبرهم في السّن واختيارهم لأنّ عند الشيب حكمة وطول الأيام ولهم من الفهم والحكمة الكثير، وهذه الوصية التي كثيرا ما جاءت في الكتاب المقدس قال فيها علماء اليهود: "من اعتنى بالشيخ يجزي عل عنايته به كما يجزي على طلبه الله"، ولا يزال اليهود المراعين الشريعة إلى هذا اليوم يعتنون بإكرام الشيوخ، فإذا دخل طاعن بالسن بيتا، قام له كل من فيه من الشبان، ولا يجلسون إلا بعد أن يجلس ويأمرهم بالجلوس، ويعفى من ذلك العملة والصنّاع فإذا كانوا في أعمالهم ومرّ بهم الشيوخ لم يكن من الواجب عليهم أن يقفوا له[8].

---

[1]- التكوين 44: 7- 9.

[2]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 257- 261.

[3]- الخروج 3: 22.

[4]- اللاويين 19: 14.

[5]- التثنية 22: 4.

[6]- الخروج 23: 4- 5.

[7]- اللاويين 19: 32.

[8]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر اللاويين، ص 101.

كما أمرت بالرحمة والشفقة على اليتيم والأرملة، فتقول التوراة: "وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ"[1] وأيضا :" لاَ تُسِئْ إِلَى أَرْمَلَةٍ مَا وَلاَ يَتِيمٍ"[2].

ومنعت التوراة كل مظاهر الحقد والبغض أو الانتقام من الأخ والقريب اليهودي، في كثير من النصوص، منها: "لاَ تُبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. إِنْذَارًا تُنْذِرُ صَاحِبَكَ، وَلاَ تَحْمِلْ لأَجْلِهِ خَطِيَّةً"[3]، "لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ"[4].

جاء في الحكم والمواعظ لعالم أخلاقي يهودي في العصور الوسطى، " ألعازر روقياح من ورمس" : "أكرم أبويك، أصلح ذات البيّن كما وجدت إلى ذلك سبيلا، ارشد الناس بعطف إلى الطريق القويم، ثق بالذين يخافون الله، واتخذهم لك أصدقاء خلصاء"[5]

ومن الأفعال المتعلقة بالصدقة نذكر الاستجابة لسؤال الفقير بكرم،" لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ"[6]، وأيضا: "لاَ تَمْنَعِ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ[7]، وجاء كذلك :" مَنْ يَحْتَقِرُ قَرِيبَهُ يُخْطِئُ، وَمَنْ يَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ فَطُوبَى لَهُ"[8].

2- الإحسان تجاه اليهودي في التوراة.

أكدت التوراة على الإحسان إلى الوالدين في أكثر من نصّ، وشددت في عقوبة العصيان أو الاعتداء عليهما، بأي شكل كان -كما أشرنا-، وقد وردت هذه الوصية بصيغة " افعل " وليس بصيغة "لا تفعل"، لتأكيد الأمر: (احترم أباك وأمك)، وهذه الوصية الخامسة من الوصايا العشر ومن التعاليم الأساسية في الديانة اليهودية، وتتعلق بالتزامات الأولاد تجاه آبائهم، في حين لا تتناول أي من الوصايا العشر علاقة الوالدين وواجباتهم تجاه أطفالهم[9]، واعتبر الرابيين القدامى أنّ هذه الوصية كانت بمثابة جسر بين الوصايا الأربع الأولى التي تختص بالتزامات تجاه الله، والوصايا التي

---

[1]- اللاويين 25: 35.

[2]- الخروج 22: 22.

[3]- اللاويين 19: 17.

[4]- اللاويين 19: 18.

[5]- جوزف هـ . هرتس: خلاصة الفكر اليهودي عبر العصور، ترجمة: ألفريد يلور، دار بيليون، جبيل، لبنان، د ط، 2007م، ص 364.

[6]- التثنية 15: 11

[7]- الأمثال 3: 27.

[8]- الأمثال 14: 21.

[9] - Byron L . Sherwin : Jewish Ethics for the Twenty –First Centry , Syracuse University Press , USA, 1 st Edition, 2000, p 88- 89.

بعدها التي تختص بالتزامات تجاه الآخرين، فوصفت من قبل الحاخامات بأنها كالجسر الذي يربط الله مع الإنسانية[1]، ووصية احترام الأب والأم هي من الوصايا التي بين الإنسان وقريبه، ووردت قبلها وصية "لا تقتل" و " لا تزن" ولا تسرق" و" لا تكذب"، لتأكيد أن الذي يخطئ بعدم اكرام والديه هو أكثر خطيئة من الذي يرتكب الجرائم التالية لها، فطاعة الوالدين سلوك أخلاقي منبعه الدين عند فيلون وهي من العبادات التي تبني نظاما أخلاقي ينظم العلاقة بين الله والإنسان من ناحية وبين الإنسان والكون من ناحية أخرى، ويترتب على هذه العلاقة المزدوجة لطاعة الوالدين " ثوابان أو جائزتان هما امتلاك الإنسان للقيم الطيبة والثانية هو الخلاص من الموت بأن يمنحه حياة أبدية"[2].

وقد وردت وصايا مشابهة لهذه الوصية تتعلق بالعلاقات بين الوالدين وأبنائهم: "من ضرب أباه وأمه يقتل قتلا"[3] وهي الفقرة التي تكررت في نفس الإصحاح في الفقرة السابعة عشرة، ولكن مع مع استبدال الشتم بالضرب: "ومن شتم أباه وأمه يقتل قتلا"، "وكل إنسان سبّ أباه وأمه فإنه يقتل، قد سب أباه أو أمه دمه عليه"[4] ، و"ملعون من يستخف بأبيه وأمه"[5]، كما وردت عدّة أحكام بشأن الابن المعاند الذي" لا يسمع لقول أبيه ولا قول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما"[6]، فنلاحظ مدى التفصيلات التي أوردتها نصوص التوراة فيما يخص البر والاحسان للوالدين، بتحريم كل أشكال الاعتداء عليها، أو أي سلوك غير لائق تجاههما، وأنزلت في ذلك أقسى العقوبات.

يقول التلمود الأورشليمي عن وصية إكرام الأب والأم أنها سداد دين :" قال ربي أبين: إنّ مسألة سداد الدين واردة في نص الوصية، وهي " لكي تطول أيامك وتصيب خيرا في الأرض"، وقال الربي ليفي:" عظيم هو الأمر الذي ينطوي على سداد الدين أكثر من هو الذي ليس بسداد دين"، واحترام الأب والأم هو سداد دين لأنه كل ما يفعله لأبيه ولأمه ليس إلا سداد لدين لأنهم راعوه على أحسن ما يكون في ولادته وتربيته وتعليمه"[7]، وقد توسع "ابراهيم ابن عزرا" في فكرة تكريم الآباء بأنها جودة بشرية فطرية، ووفقا له فمن الطبيعي أن يعبر الفرد عن امتنانه تجاه أولئك الذين كانوا أسخياء معه، وفي المقام الأول من بين أولئك الذين يستحقون الامتنان هم الوالدين[8].

---

[1] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 220.

[2]- حمادة أحمد علي: فلسفة الدين اليهودي، ص 298.

[3]- الخروج 21: 15.

[4]- اللاويين 20: 9.

[5]- التثنية 27: 16.

[6]- التثنية 21: 18.

[7]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 207.

[8] - Byron L . Sherwin : Jewish Ethics for the Twenty –First Centry , p 91.

"إنّ كل وصية في الكتاب المقدس تحدد مدى الثواب الحاصل عن القيام بها، فحول هذه الوصية بالذات يقال لنا: "لكي تطوى أيامك على الأرض" ومغزى طول الأيام ليس في هذه الدنيا فحسب، بل وفي الآخرة أيضا"[1]، وطول العمر هو المكافأة الموعودة لمراقبة هذه الوصية والالتزام بها، في حين أن تقليص الحياة هو العقاب المهدد في حال انتهاكها، وكما أشرنا أيضا فإنّ بعض المفسرين اليهود في العصور الوسطى أخذوا وعد المكافأة على ظاهرها، فأضافوا وعود الازدهار والمكافأة الروحية في الحياة الآخرة[2]، ومعنى هذا أن من يحترم أباه وأمه حتى شيخوختهما ويهتم بما ينقصهما ويمنع عنهما كل ما يسيء إليهما، فإنّه بأعماله هذه يطول أيامهما، وهو بهذه الأعمال يكون قدوة لأبنائه ويعلمهم كيف ينفذون وصية احترام الأب والأم، وحين يتقدم به السن فإنّ أبناءه سوف يتصرفون بهذه الطريقة وبذلك تطول أيامه، وقد كتب الربي " يوسف بيخور شور": "إذا تمسك بهذه الوصية، سيحترمك أبناؤك ويساندوك في وقت الشيخوخة، فلا تموت في غير أوانك"[3].

يضع الكتاب المقدس الأبوين بمنزلة موازية لمنزلة الله العلي، من حيث الاحترام والتكريم، وتنصّ الوصايا العشر على مبدأ :" أكرم أباك وأمّك" كما جاء أيضا في متن الكتاب، " أكرم الله من مالك" وكذلك فإنّ " فخف الآن من أبيك"، " وتخافوا الرّب إلهكم" هما من الوصايا الإلهية، بينما نرى أنّ جزاء الابن العاقّ الذي يبادر بالخطيئة إمّا إلى أبويه الأرضين أو تجاه الأب الأعظم للكون هو الجزاء عينه، تماما كما هو مكتوب، " من يلعن أباه وأمّه فجزاؤه القتل" ، وأيضا :" كل انسان يجدّف على الله بالباطل، يحمل وزر موته على عاتقه" ويقول الربّانيون :" للإنسان ثلاثة رفاق في حياته: الله وأبوه وأمه" ويقول الله:" من يكرم أبويه فقد أكرمني، كما لو كنت معه مقيما"، ولهذا فإن حقيقة واجبات نحو الوالدين ووجوب المحبة لهما تعد نوع من الواجبات نحو الله تعالى، ويقول العلماء إنّ الله يمزج بين واجبات نحو الوالدين ونحو الله تعالى، فإي عمل تجاه الوالدين من أم أو فرح يعتبر عملا موجها لله تعالى، " مَنْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يَنْطَفِئُ سِرَاجُهُ"[4]، وفعلا فإنّ الوالدين يمثلان الله على الأرض، فإنهما يحيطان الأولاد بالاعتناء والحرص والمحبة كالله تعالى[5].

وهذا يتأتى باحترامهما واكرامهما دائما وطاعتهما في طلباتهما، وقبول ما يصدر من سلوكات، وأن يكونا قدوة صالحة للأبناء، ووجب عليهم أيضا اكثار العناية بهما واحترامهما في سنّ

---

[1]- أحمد ايبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، ص 275.

[2] - Byron L . Sherwin : Jewish Ethics for the Twenty –First Centry , p 90.

[3]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 205 – 208.

[4]- الأمثال 20: 20.

[5]- هلال فرحي: كتاب أساس الدّين – تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها-، ص 54.

الشيخوخة، وحتى بعد موتهما ومفارقتهما على أبناء متابعة نصائحهما بالأسوة الحسنة والسلوك، وبالتزكي عن أرواحهما بعد الوفاة[1]، وهي من مظاهر الإحسان لهما، وعلى عكس العديد من الوصايا الأخرى في التوراة، لم يكن تكريم الوالدين نشاطا مقصورا على اليهود، بل نجده يمارس على نطاق واسع في العديد من الثقافات الشرقية والغربية، ومنه تعاليم التي جاء بها أفلاطون وكونفوشيوس أنّ الطفل يجب أن يكرم والديه، لأنّ تكريم الوالدين ينظر إليه على أنه صفة إنسانية عالمية، ويعتقد المفكرين اليهود مثل " يهودا لوف" (Judah Loew) أنّ ميل الطفل لتكريم والديه ميزة الطبيعة البشرية[2].

يعّد الإحسان من الركائز التي يستند إليها اليها العالم، فقيل: "بقاء العالم يقوم على فضائل ثلاثة: الشريعة، وتوحيد الله وعبادته، والإحسان الفعّال" وأسفار الشريعة الخمسة (التوراة) تبتدئ وتختتم بالإحسان، وإنّ تأدية أي معروف أو فضل تجاه إنسان دون الطمع في الحصول على مقابل هي من مظاهر الإحسان، ويكون هذا في حالتين التكرّم بفضل على شخص ليس له علينا فضل سابق، أو تأدية خدمة أو فضل لشخص رغم كون ذلك يترتب عليه استجرار قدر من المشقة علينا ومن الكسب له أكبر مما يستحق، والرّحمة المذكورة في أسفار التوراة هي من الإحسان لأنها ما يقدّم دون مقابل ودون رفض من طرف الشخص الممنوحة إليه، والصدقة أيضا نوع من الإحسان، لكنّه يوجه فقط إلى الفقراء والمحتاجين، أمّا الإحسان ذاته فيمكن توجيهه على حدّ سواء إلى الفقير والغني، وإلى ذي الشأن والوضيع، حتى أنّ بوسعنا أيضا أن نمارس الإحسان تجاه الأموات بأن نحضر شعائر جنازتهم، وهذا هو عين الرحمة والصّدق، فإن تكرمنا على امرئ ما، من الممكن عبر توالي الأيام أن يقوم بردّ الجميل، أمّا الإحسان تجاه الأموات فهو منتهى الرّحمة، إذ أنّه غير قابل للرّد، وفي ثلاثة أمور يكون الإحسان خيرا من الصدقة، فقد يتم تأدية الإحسان عن طريق المال، أمّا الإحسان فبالمال أو بغيره، والصّدقة الموجهة للفقير فحسب، أمّا الإحسان فللفقير والغنيّ، والصدقة تتم للأحياء، أمّا الإحسان فللأموات والأحياء[3].

[1]- هلال فرحي: كتاب أساس الدّين، ص 55.

[2] - Byron L . Sherwin : Jewish Ethics for the Twenty –First Centry , p 90.

[3]- أحمد إيبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، ص 263.

إنّ الديانة اليهودية لا تعتمد على السخاء بالإحسان والعطاء، كما أنه لا يمكن ترك الأمر عاما ومبهما جدا، كما جاء في الوصية: "افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ"[1]، كان هناك سن متطلبات قانونية لتقديم المساعدات للمحتاجين[2]،

بل إنها تطالب بالعطاء كجزء من الشريعة الإلهية، أي أنّ الإحسان ليس خدمة للفقراء بل هو حق من حقوقهم، وإضافة إلى هذا فإنّ المانح مجبر العطاء، ففي التاريخ الأول لبني إسرائيل ، ولما كانت مهنتهم الرئيسية هي الاعتماد على الزراعة، أمرت الشريعة اليهودية بأن لا تحصد زوايا الحقول من أجل ترك نصيب الفقراء، إضافة إلى هذا فلا يلتقط ما يتناثر ويسقط في أثناء الحصاد والقطف ويترك للمساكين[3]، "وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ، وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ، وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"[4]، وتكرر أيضا الأمر في نفس السفر، "وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ، لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي حَصَادِكَ، وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"[5]، ففي هذه الفقرة تبيّن أن الإحسان إلى المساكين من الوسائل التي يحصل بها الإسرائيليون على القداسة التي تقدرهم، على أن يذكروا قداسة الله، إنّ الله محسن إلى جميع خلقه، ويعد ما يحتاج إليه كل حي،" اَلرَّبُّ عَاضِدٌ كُلَّ السَّاقِطِينَ، وَمُقَوِّمٌ كُلَّ الْمُنْحَنِينَ، أَعْيُنُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى، وَأَنْتَ تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ، تَفْتَحُ يَدَكَ فَتُشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضًى، الرَّبُّ بَارٌّ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَرَحِيمٌ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ"[6]، فوجب على شعبه بني إسرائيل أن يلتفتوا إلى حاجات المحتاجين، وبهذا جعل الله بالشريعة أنّ للمساكين حقا أن يأخذوا جزءا من غلال الأرض، فأغناهم بذلك عن أخذ الإحسان السّري الذي لا يخلو من احتقار السائل وظلم المسؤول، ولم يعيّن مقدار ما يجب أن يترك بلا حصاد هنا، والذي قاله علماء الناموس أنه يجب أن لا يقل المتروك عن جزء من ستين من غلّة الحقل، ويجب أن يترك على أطراف الحقل لكي يسهل على البائسين حصده[7].

---

[1]- التثنية 14: 11.

[2] -Byron L . Sherwin : Jewish Ethics for the Twenty –First Centry , p 133.

[3]- روبن فايرستون: ذرية إبراهيم – مقدمة عن اليهودية للمسلمين-، ص 155.

[4]- اللاويين 19: 9- 10

[5]- اللاويين 23: 22 .

[6]- مزمور 145: 14 و 16.

[7]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير العهد القديم – شرح سفر اللاويين-، ص 95.

كما أمرت التوراة بالإحسان تجاه المساكين، بإطعامهم وكسوتهم والاهتمام باليتيم والأرملة، فيصف سفر التثنية منح الصدقة على أنها من الصفات الإلهية: "الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا"[1]، وكل هذه الأوامر يتعلم اليهود منها أن يقلّدوا طيبة الله في معاملاتهم الإنسانية[2]، ومن المعاملات التي أوصت بها التوراة كذلك إحسانا بالفقراء والمساكين، "وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ، لاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ، فِضَّتَكَ لاَ تُعْطِهِ بِالرِّبَا، وَطَعَامَكَ لاَ تُعْطِ بِالْمُرَابَحَةِ"[3]، ونهى فيه عن أخذ أقل ربا من فقراء الإسرائيليين، وأكد ذلك بما في اللاويين، "إِذَا افْتَقَرَ افْتَقَرَ أَخُوكَ فَبَاعَ مِنْ مُلْكِهِ، يَأْتِي وَلِيُّهُ الأَقْرَبُ إِلَيْهِ وَيَفُكُّ مَبِيعَ أَخِيهِ"[4]، وذلك كله متعلق بالفقير لأنه هو الذي يحتاج إلى ذلك فكان أخذ الربا منه إثما، والنهي عن مثل هذا الربا ظاهر كل الظهور[5] الظهور[5] في: "لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا"[6].

كما أمرت التوراة بحفظ الأمانة، واعتبرت خيانة الأمانة خيانة للرب، "إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ، وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوبًا، أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ"[7]، ويجحد الإنسان الإنسان صاحبه الوديعة والأمانة، واغتصابه شيئا فجعل المسيء إلى أخيه مسيئا إلى نفسه تعالى، لأنه هو رب شعبه ومنشئه وحاكمه[8].

وقد دعا أحبار اليهود لسلوكات ومعاملات أخلاقية وإنسانية، تنم عن قيم روحية تأمر بها التوراة، ويلتزم بها الفرد اليهودي، ومنها حسن الضيافة والكرم، نذكر منهم " أبرهام"، وما يروى عنه أنه كان مضيافا وفاتحا بيته لعابري السّبيل، وقدّم لهم القوت بكل كرم، وكان لما يشكره الضيوف على أريحيته يجيبهم: "لا تشكروني، إذ أنني لست مالك هذا المكان، بل اشكروا الله خالق السموات والأرض، ولذلك أعطانا مثالا في كرم الضيافة علينا أن نحتذيه، كما هو مكتوب في أمثال الأجداد،" فليكن بيتك مفتوحا كملجأ، وليلاقي الفقير مأواه بين جدرانه بكرم وطيب" فعندما يدخل أولئك بيتك فتلقاهم بعين السّماح وعاجل ببذل خبزك وملحك أمامهم فلعلّ الفقير يكون جائعا، ويحجم

---

[1]- التثنية 10: 17.

[2]- روبن فايرستون: ذرية إبراهيم – مقدمة عن اليهودية للمسلمين-، ص 155.

[3]- اللاويين 25: 35- 36.

[4]- اللاويين 25: 25.

[5]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير العهد القديم – شرح سفر اللاويين-، ص 102- 103 .

[6]- التثنية 23: 19.

[7]- اللاويين6: 2.

[8]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير العهد القديم – شرح سفر اللاويين-، ص 17.

مع ذلك عن طلب الطعام، وحتى إن كان ثمّة كثيرا من المزعجات التي تؤرق ذاتك، فعليك أن تخفي شؤونك عن ضيوفك، وعليك أن تواسيهم، إن كانوا بحاجة إلى الكلم الطيّب، ولكن لا تُلق بمشاكلك الخاصّة أمامهم، وتذكّر كم تصرف أبرهام بلطف أمام الملائكة الثلاثة، وهو يحسبهم من بني البشر، وكم عاملهم بحسن الضيافة، قائلا:" وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ، لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ"[1]، عليك أن تكون على الدّوام ودودا، وعندها إذ تدعوا الله يستجيب لك.

والله يعرف إن كان القلب الذي يتجه إليه بالدعاء قد أدّى إليه كل ما بوسعه من إمكانيات، فخلال المدّة التي كان فيها الهيكل قائما، كان الله يتلقى بالنعمة ذاتها قربانا ممّن يقدم حفنة من الطحين أو ثور أضحية، ولذا فالآن أيضا تعّد تقدمة الفقير مقبولة بالدّرجة ذاتها التي تقبل بها أقصى تقدمة يمكن أن يقدمها الغني، إذا كان القلب صافيا منحازا للرب، ويصّر الرّبانيون ويؤكدون على أنه يجب تجنّب قصر عمل الصّدقة على الشعب اليهودي فحسب، لأنّ شريعة موشيه تحضّ على الرفق بالغرباء المقيمين بينهم وإكرامهم، وحتى البهائم لم تغفل في دستوره الفائق الرحمة[2]، " قال الرابي يهوداه: "لا يجلسن أحدكم إلى طعامكم، حتى يطمئن إلى أن جميع الحيوانات العائدة إلى رعيته قد نالت قوتها" وكان الرابي يوحنان قال بأنه يحسن في نظر الله أن نكون طيبين وكرماء تجاه الغرباء، وبالدرجة ذاتها التي يحسن بها في نظره أن نبكر في الفجر لدراسة شريعته، وذلك لأن الخصلة السالفة ليست إلا تطبيقا محضا لشريعته، وقال كذلك: "من كان رفيقا بأبناء قومه تُغفر له ذنوبه، وكان كل من هذا الرابي والرّابي أبّا قالا بأن من الخير إقراض الفقراء بدلا من إعطائهم، لأن ذلك يعصمهم عن الشعور بالمهانة من فقرهم، وهو بالحق أسلوب معونة لهم أكثر إحسانا، والرّبانيّون يرشدون على الدوّام بأنّ الرّفق هو أكبر من مجرّد إعطاء الحسنات، ذلك بأنه يضم كل ما هو طيّب ويفوق بكثير قيمة الدّعم المادي المجرد[3]، كما يرتبط بالإحسان قيمتي التسامح والتواضع في الأدب الأخلاقي اليهودي، مما يدل على أنّ هذه الفضائل بطريقة ما مرتبطة ببعضها، وتعبر عن السلوك السليم تجاه الآخرين، بغض النظر إذا كانوا أقل منه شأنا[4].

---

[1]- التكوين 18: 3- 5.

[2]- أحمد إيبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، ص 264- 265، 267.

[3]- المرجع الأول، ص 268.

[4] - Moshe Sokol : Judaism Examined –Essays in Jewish philosophy and ethics, Touro College Press, New York, 2013, P 251 .

ودفاعا عن اليهودي نصّت التوراة، "لاَ تَسْعَ فِي الْوِشَايَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ. لاَ تَقِفْ عَلَى دَمِ قَرِيبِكَ"[1]، ومعنى هذه العبارة مبهم وهي في النص العبري:" לא תעמד על-דם רעך" (لا تعمد على دم رعّك)، أي لا تقف على دم صديقك أو صاحبك أو أخيك في البشرية، وهذا هو المقصود بالقريب في النص، وفسّر علماء الناموس هذه العبارة بقولهم " يجب عليك أن لا تقف غير مكترث بأخيك، وهو عرضة لأن يسفك دمه ويجب أن تسرع إلى مساعدته وإنقاذه ولو عرّضت حياتك للخطر، مثل أن تدفع عنه اللصوص أو الوحوش المفترسة، وغير ذلك من المهلكات أو يجب أن لا تقف ساكتا إذا وقف قريبك أمام الحاكم وحكم عليه ظلما لعدم بيّنات، تبرئته وأنت تعرف أنه بريء وتقدر أن تدفع عنه البينات[2]، وهذا رحمة وإحسانا بالأخ اليهودي، بالدفاع عنه، ودفع أي ظلم يطاله

المطلب الثالث: قيمة الرحمة والإحسان في القرآن الكريم.

الرحمة أحد ركائز وأسس الكون والطبيعة والعلاقات الإنسانية، فبدونها يزول التواجد البشري على الأرض إن لم تزرع الرحمة في أطرافه، ولم تغرس في النفوس البشرية، فالرحمة والشفقة والاحسان للغير عماد التواجد الإنساني وأساس البناء الاجتماعي المتين، وبزوالهما طغى الإنسان على أخيه الإنسان، ولم يكن له رادع للإبادة والطغيان والتجبّر في الأرض.

1- الرحمة من صفات الله تعالى.

لقد تكرر لفظ الرحمة ومشتقاتها (325 مرة) في القرآن الكريم، ومنها تكرار صفة الرحمن والرحيم، والرحمن هو الذي تتصف ذاته بالرحمة، لأن الله هو الخالق والرازق والمعطي والرحيم، لأنّه يرحم غيره ويعفو عن خطايا الناس بالمغفرة، وفي رأي آخر أنّ الرحمن هو المنعم بجلائل النعم، والرحيم هو المنعم بدقائقها، كما قيل إنّ الرحمن هو مانح البركات والرحيم هو الذي يعفو عن السيئات، والرحمان هو الواسع الرحمة، والرحيم وهو الدائم الرحمة، الذي تتجدد رحمته[3]، ولقد وسعت رحمة الله كل شيء، فبرحمته يهدي عباده إلى سبيل سعادتهم، وبرحمته ينزل عليهم الشريعة الكفيلة بتحقيق الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، وبرحمته يغفر للمسيء ويستجيب للمضطر، ومن رحمته ارسال

[1]- اللاويين 19: 16.

[2]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر اللاويين-، ص 96.

[3]- عبد الرزاق نوفل: الرحمن الرحيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 17- 18.

الرسل والأنبياء، ولهذا كتب الله على نفسه الرحمة، ووصف نفسه بأنّه أرحم الراحمين، ومن أسمائه الحسنى الرحمان الرحيم[1].

ولهذا يعّد التصديق برحمة الله، جزء لا يتجزأ من الإيمان بالله وبأهم صفاته تعالى، وهو وحده مختص بها بين عباده، قَالَ تَعَالَى:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2]، وقد حملت الآية القرآنية بين المفسرين على وجهين لفهم الرحمة الإلهية، أولها أن تقسيم رحمة الله تعالى بين عباده، تختص بالنبوة والرسالة، التي يصطفي بها من يشاء من عباده، وثانيها رحمة الله التي تتمثل في معايش الناس وغناهم أو فقرهم وكل رزق للناس، وهذا لحكمة الله تعالى في التسخير وفي النظام الكوني الذي يحكم الحياة الدنيا[3]، فالنبوة والرسالة أول الرحمات الإلهية التي نزلت على عباده، وأي اعتراض عليها، هي أعراض عن شطر من الإيمان بالله، وهو أهم ما ذهب إليه المفسرون في هذه الآية الكريمة، ومن النبوة يأتي باقي التدبير الإلهي الذي لا تتدخل فيه أي سلطة من غير الله تعالى وإرادته، فالله تعالى هو الذي أوقع التفاوت بين العباد فجعل هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا، ولا أحد من الخلق بقادر على تغيير هذه الأحكام ولا الخروج عن قضائها، وكذلك كان شأن اختيار الأنبياء والرسل، واصطفائهم بالرسالة، وهي أحكام تبنى عليها المعاملات والخدمات بين الأفراد في المجتمع، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، فلو كانت كل أحوال الناس سواء لم يخدم أحد أحدا، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن تسخر أموال الأغنياء للفقراء والأجراء، هذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم، وغيرها من المعاملات والخدمات بين الناس في المجتمع[4].

فالرحمة من القيم الروحية النبيلة، والتي تظهر عظمتها من خلال هذا الكون، فالأرض الميتة يمن الله عليها برحماته، فتنبت وتتحول إلى جنة غناء، قَالَ تَعَالَى:﴿فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]، فتتجلى من خلال الأرزاق التي يمن بها الله تعالى على عباده، بإحياء الأرض بعد موتها، بنعمة المطر الذي يحيي

---

[1]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 2، ص 16.

[2]- الزخرف: 32.

[3]- فخر الدّين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 27، ص 630.

[4]- أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 4، ص 109.

[5]- الروم: 50.

الأرض[1]، وباطن هذه الرحمة حياة القلوب بالذكر[2]، فالرحمة صفة الله التي تتعلق بإمداد مخلوقاته في الكون بشتى النعم، ودلّت عليها الآثار الدالة على وجوده وتصرفه بما فيه رحمة للخلق، ومنها معجزة إحياء الأرض بعد موتها، وهي واحدة من تلك الآثار لرحمة الله على الناس[3]، ورحمة الله للبشر شملت كل مراحل حياة الإنسان من بداية خلقه لما كان نطفة في رحم أمه، ثمّ رعاه بعنايته فهيأ له قلب الأبوين بعد ولادته، حتى يصلب عوده، ويعتمد على نفسه فيجد الكون مسخرا له.

فشملت الرحمة الإلهية أي نعمة حسية أو معنوية، كالرزق والصحة والأمن والعلم والحكمة، إلى نحو ذلك مما لا يحاط به، فمفاتيح الخير ومغاليقه كلها بيده سبحانه، فما يعطى من خير فلا يستطيع أحد منه ولا إمساكه، وأي خير يمسكه فلا يبسطه ولا يفتحه لهم فاتح، لأن الأمور كلها بيده، ومنه البذل والعطاء، والمنع والإمساك[4]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5]، وهو العزيز القوي الغالب، يتصرف يتصرف في ملكه كما يشاء الحكيم في فعله، يضع الأمر في موضعه المناسب، ولا معقب لحكمه، وكل ما يفعله فهو لحكمة بالغة[6].

وهي رحمة تجلت في كل الكون كبيره ودقيقه، وكذلك أكّد القرآن الكريم، أنّ الله وسع كل شيء رحمة وعلما[7]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا...﴾[8]، وأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها، وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ها هنا[9]، وهي رحمة تسع ذنوب العباد وخطاياهم، وعلم إلهي يحيط بكل أعمال العباد وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم[10]، والكون علويه وسفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى ووسعته[11] .

---

[1]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 485.

[2]- أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري: تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ، ص 122.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 21، ص 124.

[4]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 22، ص 104.

[5]- فاطر : 2.

[6]- وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ج 22، ص 221.

[7]- أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 21، ص 355.

[8]- غافر: 7.

[9]- محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 5، ص 52.

[10]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 24، ص 47.

[11]- عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 732.

ذكر القرآن الكريم، أنّ رحمة الله مطلب البشر والإنسان، وتطلق الرحمة على كل سعة وغنى وصحة، ورزق ورخاء، وقد قصد أيوب (عليه السلام) الله تعالى في دعوته لرفع ما مسه من ضر، بصفة الله تعالى الذي تشمل كل عطائه، وهي الرحمة، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1]، وكذلك ما يدعوه الناس لله تعالى إذا مستهم كل شدة وعسر، وهنا أيضا الرحمة هي كل يسر وتوسيع عن كل شدة، وكل رزق من الله ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2]، و قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3]، فإذا أذاق الله رحمة، من صحة بدن، ورزق ورغد، وجاه ونحوه فرح بها الإنسان فرحا مقصورا عليها، لا يتعداها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم[4]، أمّا كل ما يعاكس رحمة الله تشمل كل سوء، وهنا القرآن الكريم قابل الرحمة بعكسها وهي السيئة، وهي تشمل كل سوء من مرض أو فقر، أو نحوهما، وهنا أشار القرآن الكريم إلى سخط الإنسان بزوال رحمة الله عليه أو تغيرها.

2- الرحمة من صفات الأنبياء والرسالات السماوية.

إنّ الرحمة من أنبل القيم الروحية، المنبثقة من قيم الإيمان والتوحيد فالله الواحد الأحد من أعظم صفاته أنّه رحمن رحيم، كما أنها من ناحية أخرى قيمة اجتماعية سلوكية، تؤلف بين أفراد المجتمع الواحد، وتنبثق عن القيمة من نفوسنا وتظهر في المجتمع وتتحول إلى سلوك عملي رفيع.

فقيمة الرحمة كفيلة أن تربط بين أبناء المجتمع، وتمكن من بناء أمّة متماسكة، وإنّ كل ما تعاني منه المجتمعات اليوم من جشع في السلطة وكسب المال وترفع في الجاه والنفوذ، وكل مظاهر الحقد ومختلف الأمراض الأخلاقية في المجتمع، أدّت إلى طمس القيم الإنسانية والتي نادت وأسّست لها الرسالات السماوية المتعاقبة، وما دعا إليه الأنبياء والرسل.

والرحمة قيمة التي لا تفرق بين دين أو فكر، أو مال أو نسب أو لون أو جنس، فهي قيمة مشتركة بين أبناء الكون أجمع، وإن نزعت هذه القيمة من قلوب الناس حلّ محلها العجب بالذات،

---

[1]- الأنبياء: 83.

[2]- الروم: 33.

[3]- الروم : 36.

[4]- عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 762.

والتكبر والغرور والحسد والطمع والجشع وسائر الأمراض التي تؤثر على سلوك واجتماع الناس وتآلفهم.

والرحمة كما هي قيمة روحية معنوية، هي أيضا رحمة مادية، والإنسان بحاجة إلى الجانبين من هذه القيمة، فكما هو بحاجة إلى الرحمة المادية، هو بحاجة إلى رحمة الله المعنوية والروحية، والتي تحفظه في نفسه فيزداد استقرارا واطمئنانا، وتحفظه في دينه فيزداد صلاحا واستقامة، وتحفظ ماله وعرضه ومجتمعه، ولهذا أرسل الرسل والأنبياء، وأنزل الوحي ليكون رحمة لهذا الإنسان، بل للكون أجمع **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾[1]، فبعث الأنبياء للبشرية، وما نزل من الوحي والكتب السماوية، هو رحمة من الله على عباده، لما فيها من تقويم للناس وهداية، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2]، فقد كانت التوراة الكتاب التي خاطب الله بها موسى (عليه السلام)، وهي أتت بعد الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط[3]، ضياء لبني إسرائيل، لحاجتهم في أمر دينهم، وهدى وبيانا لهم ورحمة لمن عمل بها منهم، وإرشادا إلى الأعمال الصالحة والحق[4]، ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم، فيشكروه عليها ولا يكفروا[5]، كما كانت التوراة في وصف القرآن الكريم البصيرة، ونور القلب الذي يستبصر به، يستبصر بها لمعرفة الحق من الباطل وإرشادا، لأنهم كانوا يخبطون في الضلال، ورحمة لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة[6].

كما وصف القرآن الكريم أيضا بأنه رحمة للناس أجمعين، كما كانت التوراة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

[1]- الإسراء: 86- 87.

[2]- القصص: 43.

[3]- محمد طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 20، ص 129.

[4]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 239.

[5]- أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 20، ص 583.

[6]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 417.

وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[1]، والآية فيها من الدلائل على أنّ القرآن الكريم، هو وحي إلهي كما كانت التوراة المنزلة على موسى (عليه السلام)، وقد عبر عن «التوراة» ب (كتاب موسى) للتذكير بأنه كما أنزلت التوراة كتابا على بشر، كذلك أنزل القرآن على محمد ﷺ، وقد اجتمعت فيها مزايا أنها قدوة وموجه لمن يؤمن بها، ومرشد إلى ما يجب عمله، أو اجتنابه، كما كانت أيضا رحمة تسوق الخير والنفع، وكذلك كان القرآن الكريم قياسا على كتاب موسى (عليه السلام) أي التوراة، مصدق ومهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة، وهذا ثناء عظيم على القرآن بأنه احتوى على كل ما في الكتب السماوية وجاء مغنيا عنها ومبينا لما فيها. والتصديق يشعر بأنه حاكم على ما اختلف فيه منها. وما حرف فهمه بها[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ...﴾[3]، كما كان القرآن الكريم، يحمل بين طياته جانبين الانذار والبشرى، فهو منذر لكل كافر عاصي، وبشرى للمحسن[4]، ومن يعمل به في كل أمره.

فالقرآن الكريم أعظم رحمة نزلت للبشرية، ولجميع الخلق خاتما للرسالات السابقة، ومهيمنا ومصححا وهاديا، وقد وصف القرآن الكريم بأنه رحمة، في أكثر من آية، وقد حمّل النبي ﷺ تبليغه للبشرية، وهو أعظم شرف خصّ به (عليه السلام)، وهو رحمة من الله له، وحمله مسؤولية تبليغ القرآن فكان ذلك علامة على أنه أعد له الجزاء بالنصر في الدنيا والآخرة. كذلك إعطاؤه إياك الكتاب عن غير ترقب منك بل بمحض رحمة الله واصطفاء له[5]، لما فيه من أخبار الماضين، وما فيه من تشريع، فيه سعادة البشر في معاشهم ومعادهم، وآداب هي منتهى ما تسمو إليه النفوس وتطمح إليه العقول[6]، وهو الرحمة العظمى من الله على البشرية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[7]، فهو رحمة لمن آمن به، ببيان الحق وإزالة الباطل، وتذكرة بعقاب الله الذي حل بالمكذبين من قبل، وبما سيحل بهم من النكال والوبال، وبما سيكون لمن اتبع سنتهم وكذب بالآيات بعد وضوحها[8]،

---

[1]- الأحقاف : 12.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 26، ص 26.

[3]- المائدة: 48.

[4]- شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 191.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 20، ص 195.

[6]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 20، ص 105.

[7]- العنكبوت: 51.

[8]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 21، ص 10.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]، لأنّ القرآن الكريم، لم يكن كسابق الكتب السماوية، التي تحرفت وضاعت نصوصها عبر الزمن، فالمتأمل للقرآن الكريم يجد فيه من دلائل الإيمان والتوحيد، وبيان الصفات والأفعال الإلهية، ما لا نجده في شيء من الكتب، وفيه من الشرائع مطابقة ما يوافق ويطابق العقل، وليس فيه مكان للتناقض أو التهافت، فكان هدى ورحمة من هذه الجهات، فكان القرآن معجزا ببلاغته وفصاحته، كما أنه هدى ورحمة للمؤمنين[2].

إنّ خير مثال في العالمين عن تجسد قيمة الرحمة، هو النبي ﷺ، فرغم الأذى الذي تعرّض له، إلّا أنه كان الرحمة المهداة للعالمين جميعا، فكان للمشركين وإن عادوه حظا منا، قَالَ تَعَالَى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[3]، وكان رحمة للعالمين، وللكون والحيوانات والجماد والصغار والكبار، والغني والفقير والأبيض والأسود، والمسلم والكافر والقريب والبعيد، وصدق وصف القرآن له، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، ورحمة للإنسانية ورحمة للعالمين، وقد تجسّد ذلك في شخصه ﷺ وفي تعاملاته مع أصحابه وأعدائه على السواء، ودعا (عليه السلام) لهذه القيمة والخلق الروحي فقال: "لا يرحم الله من لا يرحم الناس"[5]، وكلمة الناس لفظة عامّة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دين، وذهب العلماء إلى أنّ الرحمة التي يدعو إليها هي رحمة لجميع الخلق، فيدخل فيها المؤمن والكافر والبهائم، المملوك منها وغير المملوك[6].

وقد أقسم الرسول ﷺ حديث آخر قائلا: "والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيمّ قالو يا رسول الله: كلنا يرحم، قال: "ليس برحمة أحدكم صاحبه ، يرحم الناس كافة"[7]، فرحمة فالفرد المسلم لا تختص بالأخ المسلم فقط، بل يرحم كافّة الناس دون تمييز.

---

[1]- النمل : 77.

[2]- فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 24، ص 571.

[3]- آل عمران: 159.

[4]- الأنبياء: 107.

[5]- البخاري: 7376 ومسلم (2319).

[6]- راغب السرجاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، موقع: www.rasoulallah.net ، ص 76.

[7]- البيهقي: شعب الإيمان (06011) وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة (761).

3- الرحمة والإحسان خلق واجب بين الناس في القرآن الكريم.

اقترن الإحسان بالإيمان والإسلام، في المنظومة القرآنية فهو من مراتب الإيمان والعمل به، والإحسان يعّد من أعلى درجات الإيمان، والاتباع لتعاليم الإسلام، والالتزام بها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وليس له أجر عند الله إلا الفوز بالجنة، فمن استسلام النفس لطاعة الله، بالانقياد والخضوع وإذلال النفس في طاعته وتجنب معاصيه، خالصا لله لا يشوبه شرك، وفي ذلك دلالة على أن المرء لا ينتفع بعمله إلا إذا فعله على وجه العبادة في الإخلاص والقربة، ويتبع كل هذا الإحسان، كصفة وقيمة ملازمة للمرء في إسلامه وإيمانه وطاعاته[2]، وتكرر هذا في آية أخرى، من القرآن الكريم في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾[3]، فكل الإسلام والطاعة في الإحسان الذي هو عمل بأمر الله وطاعته بإخلاص، وهذا كان أمر الله تعالى لعباده في جميع الرسالات السماوية السابقة، وأولها اتباع ملة ابراهيم الحنيفة والمستقيمة، على منهاجه وسبيله[4] مسلما مخلصا[5]، واستمسك بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه[6]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[7]، فالإحسان أعلى طبقات الإسلام وأرفعها، وهو في الحقيقة عبارة عما يجعل المرء متفانيا في الإسلام لصلته بالله بحب متأصل ووفاء صادق، وبذل وتضحية بالنفوس والنفائس، والإحسان قائم على حب الله الذي يحمل المرء ويحضه على ابتغاء مرضاته[8].

ترد مادة "الإحسان" ونحوها فيما يقرب من أربعين (40) موضعا في القرآن الكريم، وهي تظهر عنايته بقيمة الإحسان، كما ترد في الحديث النبوي الشريف عشرات المرات كذلك، مما يدل على المكانة السامية التي تحتلها قيمة الإحسان، فعلماء الأخلاق يقولون إنّ الإحسان خلق جامع

---

[1]- البقرة: 112.

[2]- فخر الدّين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 4، ص 7.

[3]- النساء: 125.

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 9، ص 250.

[5]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي-، ج 2، ص 292.

[6]- المرجع نفسه، ج 6، ص 291.

[7]- لقمان: 22.

[8]- أبو الأعلى المودودي: الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د .ط، 1980م، ص 62- 63.

لجميع أبواب الحقائق، وفيه لب الإيمان وروحه، ولعلّ أساس التعريف بالإحسان هو العبارة النبوية الجليلة التي يقول فيها المصطفى ﷺ : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك"، والإحسان على هذا الأساس هو كمال الحضور مع الله تعالى، والمراقبة الجامعة لخشيته، والإخلاص له، بأن يحسن الإنسان قصده، فيجعله خالصا متجردا لله، فلا يستجيب له ولا يطيع إلا كلمة ربّه، وأمر دينه وأن يقدم على ما أمره به في قوة وعزم، فلا ضعف أو وهن، وأن يصفي نفسه من الشوائب والأهواء، وأن يجعل نفسه كالمهاجر الدائم لله عزّ وجل.

وقيمة الإحسان فضيلة تطوي بين جناحيها فضائل، فإنّه من السهل أن تتقبل قول العلماء: إنّ الإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، فيقال أحسن فلان إلى فلان، إذا أكرمه وأنعم عليه، والثاني في الفعل كأن يعلم علما حسن، وأن يعمل عملا حسنا، وهذا من قبيل قول علي رضي الله عنه :" الناس أبناء ما يحسنون"، أي منسوبون إلى ما يعملونه من عمال حسنة. وقد ورد ذكر الإحسان بمعنى الزيادة عن الواجب، والتفضل بما ليس مفروض[1].

إنّ الإسلام دين الرحمة والإحسان الحكيمة العاقلة، التي تضع الأشياء في مواضعها، ولذلك نجد النصوص القرآنية أو السنّة النبوية تحتوي توجيهات ملحّة للتحلي بخلق الرحمة، وحثا على مظاهرها العملية وآثارها في السلوك، فبالانتقال بقيمتي الرحمة والإحسان إلى الواقع الإنساني والسلوكي، كقيمة روحية تحكم العلاقات البشرية، كان للقرآن الكريم إشارات عميقة لهذه القيمة، والتأسيس الاجتماعي لها، والحثّ والدعوة إليها، كأساس للتعامل بين الأفراد في بناء اجتماعي سليم، القائم على القيم الأخلاقية والروحية والانسانية، وقد اهتم القرآن الكريم، بأول خلايا هذا البناء الاجتماعي، وهي الأسرة، القائمة على ميثاق غليظ بين فردين، وترعاه قيم روحية تعاملية، أساسها المودة والرحمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2]، وهي ما يجمعهما من مودة في حال السعة والرخاء والسرور، ورحمة والرأفة والرقة وعطف قلوب بعضهم على بعض وقت الشدّة، وقال السدي: المودة هي المحبة، والرحمة هي الشفقة،[3] إذا نزل بأحد الطرفين البلاء والشدة؛ وهذا معروف عند الناس أن يتراحم بعضهم على بعض في حال نزول البلاء والشدة،

[1]- أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ج 1، ص 44- 46.

[2]- الروم: 21.

[3]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 17.

وتوادهم في حال السعة والسرور[1]، كما أشارت السنة النبوية إلى خلق الرحمة داخل الأسرة لما لها من أهمية في البناء والتماسك الأسري، وأثرها على النشأ والأجيال التي تكبر تحت غطاء الرعاية الأسرية، فقد روي عن البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"[2]

وقد ذكر القرآن الكريم صورا عملية لقيمة الرحمة في البناء الأسري، وهي صورة التعامل مع الوالدين، لما يبلغ بهما الكبر أو غيره، فذكّر الإنسان عندما كان ضعيفا، وهيأ له قلب الأبوين حنانا ورحمة، فهذا الإحسان لا ينقضي بحال كبر الأبوين، وقد رجعا إلى الضعف الأول أو أشد، من هنا كانت قيمة الرحمة لترد هذا الإحسان من قبل الأبناء والمجتمع[3]، كنوع من ردّ الجميل والاعتراف بحسن الصنيع، ومجازاة الإحسان بالإحسان، وخصّهما القرآن الكريم من الله تعالى بالعطف والبر الإحسان إليهما، وقرن هذا بعبادته تعالى وطاعته[4]، كما نلاحظ في الآية الكريمة، بقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[5]، فالعلاقة التي يضعها القرآن الكريم بالوالدين قائمة على الاحترام والتقدير والرحمة والإحسان، لما يتحمله الوالدين من تعب ونصب في سبيل تربية ورعاية الأبناء، بل جعل الله تعالى طاعة الابن لوالديه في المرتبة الثانية بعد طاعة الله الذي خلقهم وسواهم ورزقهم، وفيها من التكريم العظيم من الله للوالدين، وليذكر الأبناء بفضل الوالدين عليهم[6]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[7]، ففي هذا النص يوصي الله الإنسان بالإحسان لوالديه، مُبيّنا على وجه الخصوص متاعب الأم بولدها،

---

[1]- أبو منصور الماتوريدي: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ج 8، ص 261.

[2]- صحيح البخاري (6013) .

[3]- بدر العبري : القيم الخلقية والإنسان – رؤى وتأملات في المفاهيم القرآنية–، دار سؤال، بيروت، لبنان، ط1، 2016م، ص 71- 74.

[4]- راغب السرجاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، ص 55.

[5]- الإسراء: 23- 24.

[6]- محمد بهائي سليم: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، ص 168.

[7]-الأحقاف: 15.

لإشعارها بمبلغ استحقاقها للإحسان والرعاية، شكرا لها على ما قدمت من عطاء دفعت إليه دوافع الرحمة[1]، فكان الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف، والتي تتطلب بذلا ورحمة، وحنانا وخدمة ومخالفة لأهواء النفس، وصبرا وتسامحا وطاعة في المعروف، وكل ذلك يحتاج إلى مخزون جم في جملة من فضائل الأخلاق والقيم[2].

فجاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين والنهي عن عقوقهما ولو بكلمة جارحة، كما أنه تعالى لم يمدح الذّل ولم يقبله من عباده إلى في مقام الوالدين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[3]، وعلى أنّ أعظم البّر يكون في حال حال بلوغ الوالدين الكبر، أحدهما أو كلاهما، وهو حال الضعف البدني والعقلي، الذي قد يؤدي بهما إلى العجز[4]، وقد أبان الله تعالى أنّ برّ الوالدين والإحسان إليهما شريعة من شرائع الله في الأديان السابقة، فنجد في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا ... ﴿٨٣﴾﴾[5]، وأثنى على يحي (عليه السلام) بأنه كان بارا بوالديه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾[6]، وحدّث عسى (عليه السلام) عن نفسه وهو في المهد، المهد، بأنه برّ بوالدته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾﴾[7]، فدلت جملة جملة النصوص القرآنية على أنّ الأمر بالإحسان للوالدين مما وصى الله به، وهذا يدل على أنّ هذا الأمر شريعة ربانية منذ أول الشرائع التي أنزلها الله للناس وهو ما نلاحظ تماثله بين التوراة والقرآن الكريم.

يقول ابن حزم الأندلسي: "ليس في العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه، لكن ما سماه الله تعالى حسنا فهو حسن وفاعله محسن"، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾[8]، وما سماه الله تعالى قبيحا فهو حركة قبيحة وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء في العالم حسنا حسنا فهو كله من عند الله تعالى حسن، وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك

---

[1]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص 21.

[2]- عبد الرحمان حبنكة الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص 26- 27.

[3]- الإسراء: 24.

[4]- راغب السرجاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، ص 55.

[5]- البقرة: 83.

[6]- مريم : 13- 14.

[7]- مريم : 32.

[8]- الرحمان: 60.

قبحه فهو قبيح، وبعض ذلك حسنه فهو حسن..."[1]، فتجلت أول مظاهر تمسك المسلمين بقيمة الرحمة، ما تجلى في الحروب وفتوحات المسلمين، ومن أشهر الأقوال التي حفظها التاريخ ، ما قاله أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ الأول، ليزيد بن أبي سفيان عندما أرسله لتحرير الشام: "إنك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له – يعني الرهبان – ثمّ قال: إنني موصيك بعشر: لا تغدر، ولا تمثل، ولا تقتل هرما، ولا امرأة، ولا وليدا، ولا تعقرن الشاة، ولا بعيرا إلا ما أكلتم ولا تحرقنّ نخلا، ولا تخربنّ عامرا، ولا تغل ولا تبخس".

وكان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الألوية: "امضوا بتأييد الله، ولزوم الحق، فقاتلوا في سبيل الله... ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند الظهور..."، وقال عمر بن عبد العزيز لقائد جيشه ابن الجراح: "اغزوا بسم الله في سبيل الله... ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا"[2].

ويضاف إلى الرحمة في أنها تضم مبدأ الرفق الذي هو مبدأ إنساني عام في نظر الإسلام، فهو يضم ويشمل كل جوانب الحياة، كما يعّد سمّة مميزة للفرد المؤمن، وعنصرا يقوي الإيمان وفضيلة تزين العمل، وتعدت الجانب الإنساني والتعاملي بين الأفراد إلى مختلف مكونات الطبيعة والكون، مع النبات والحيوان وكل شيء محيط بنا، يقول الدكتور " أنريكو أنساباتو" في كتابه (الإسلام وسياسة الخلافة): "لا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الإسلامية، وأن لا نغفل شأن، أو أن تمسه يد بسوء وأنه أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتا" [3].

وكان الأمر بالإحسان مطلقا، وحتى ولو اعترضك عمل سوء، فالمقابل يكون بالأحسن، وهو الخير الزائد مطلقا، لأنّ مقابلة السيئة بالحسنة أثرها عميق، على النفس وعلى العلاقات بين الأفراد، ولو كان عدوا، فهي سكينة لكل شر، وإزالة للعداوة، وتثبيت للخير في القلوب، حتى أنه تعالى وصل بثمار هذا العمل إلى أن ينقلب العدو صديقا، وشديد الولاء أيضا[4]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَسْتَوِي

---

[1]- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ج 2، ص 66.

[2]- ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، د.ت، جز1 ، ص 128- 129 .

[3]- محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية – دراسة تاريخية وتربوية تحليلية–، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، د ط، د ت، ص 43.

[4]- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، ج 8، ص 341.

ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[1]، فلا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته[2]، وهنا وقال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الإساءة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي صديق قريب[3]، وجاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[4].

اشتمل الإحسان في القرآن الكريم على مجموعة خصال وشيم وقيم،قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5]، فالمحسن ينفق في السراء والضراء، في العسر واليسر، في الغنى والفقر والرخاء والشدة، ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل»[6]، وقد وردت عديد الأحاديث النبوية الشريفة حول واجب الانفاق والتصدق وفضلهما.

كما أنّ كتمان الغيظ وعدم اظهاره، بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه، وهو من أقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الجور شاء»[7]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[8]، والإحسان إلى الغير إنما يكون بإيصال النفع إليه وبدفع الضرر عنه وقيل الإحسان أن تحسن لمن أساء إليك، والإحسان يجمع الخصال السابقة، وهي الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه، والعفو عن الناس فيما أساؤوا به إليهم حتى لا يظهر عليه،

---

[1]- فصلت 34- 35

[2]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 21، ص 472.

[3]- الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 4، ص 89.

[4]-سنن الدارمي(2833)، باب حسن الخلق، ج 3، ص 1837.

[5]- آل عمران: 134.

[6]- أخرجه التِّرْمِذِيّ.

[7]- سنن ابن ماجه، (4186)، باب الحلم، ج 2، ص 1400، سنن أبي داوود، باب كظم الغيظ، ج 4، ص 248.

[8]- صحيح البخاري (6114)، باب الحذر من الغضب، ج 8، ص 28، وصحيح مسلم (2609)، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، ج 4، ص 2014.

وهي تكملة لصفة كظم الغيظ، وبجماعها يجتمع كمال الإحسان[1]، ولما كانت هذه الخصال إحسانا إلى الغير، كان جزاء ذلك محبة الله وهي أعظم درجات الثواب[2]، كما أنّ وصف من أوصاف المتقين، المتقين، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات بل صاغه بهذه الصيغة تمييزا له بكونه محبوبا عند الله تعالى[3].

لم يقتصر الإحسان على اقترانه بهذه الصفات السابقة في القرآن الكريم، بل اقترن أيضا بخصال وشيم أخلاقية أخرى، في قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[4]، وأولها العدل وهو إعطاء الحق إلى صاحبه، وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات، إذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته، ومأمور بالعدل في المعاملة مع خالقه، ومع المخلوقات من أصول المعاشرة العائلية والمخالطة الاجتماعية وذلك في الأقوال والأفعال، وأما الإحسان فهو معاملة بالحسنى ممن لا يلزمه إلى من هو أهلها، والحسن ما كان محبوبا عند المعامل به ولم يكن لازما لفاعله، وأعلاه ما كان في جانب الله تعالى، وفي قوله ﷺ أبلغ وصف للإحسان بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وفي الحديث النبوي الشريف، «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»[5]، ومن الإحسان أن يجازي المحسن إليه المحسن على إحسانه إذ ليس الجزاء بواجب، فإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول وفروع آداب المعاشرة كلها في العائلة والصحبة[6]، فالإحسان قيمة شاملة لكل مناحي الحياة، بداية من أنها قيمة روحية وإيمانية، فالإحسان فالإحسان هو منتهى الإيمان وجوهره، إلى تجسده في مختلف مظاهر الرحمة والإحسان وتتجلى سلوكيا لتشمل كل التعلات الفردية والسلوكية والأخلاقية مع غيره، كما لا تفرق قيمتي الرحمة والإحسان بين المسلمين وغيرهم، بل هي قيم أخلاقية لا تفرق بين الناس حسب جنسهم أو لونهم أو ديانتهم أو مكانتهم الاجتماعية وفقرهم وغناهم.

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 4، ص 91.

[2]- الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج 1، ص 298.

[3]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج 4، ص 111.

[4]- النحل: 90.

[5]- صحيح مسلم، 1955، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، ج 3، ص 1548، سنن ابن ماجه، (3170) ، باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ج 2، ص 1058.

[6]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 14، ص 260.

المبحث الثالث: قيمة العفة بين التوراة والقرآن الكريم.

إنّ استقراءنا للنصوص الدينية المقدسة التوراة والقرآن الكريم، يكشف لنا جملة من القيم الروحية التي تؤسس لها النصوص الدينية وتدعوا إليها، وفي هذا الجزء من البحث المخصص للقيم الروحية التعاملية داخل المجتمعات اليهودية من جهة أو الإسلامية من جهة أخرى، تبرز لنا أهمية ضبط العلاقة التي تحدد للأفراد حقوقهم وممتلكاتهم، وما لهم حق فيه باستغلاله دون الاعتداء على الغير في مالهم أو أعراضهم.

من هنا يأتي اختيارنا لقيمة العفة التي تجمع في معناها التنزه على كل اعتداء على ما لا يجوز للفرد أخذه بغير حق، وكل الشهوات والملذات، وأول ما يظهر في قيمة العفة هي حفظ الأعراض وضبط العلاقة بين الأفراد والجنسين الأنثى والذكر في إطار القيم الروحية والأخلاقية التي تحدها الشرائع والنصوص الدينية.

المطلب الأول: تعريف العفة.

1- مفهوم العفة في اللغة:

العفّة: الكّف عمّا لا يحل ويجمل، عفّ عن المحارم والأطماع الدّنية، واستعفّ: طلب العفاف، والاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء[1]، وهو الكّف عن الحرام، والسؤال من الناس، وعفّ عن الشيء: صبر وتنزّه"[2]، والعفّة كما عرفها الأصفهاني في مفردات القرآن، هي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة عليها، وأصل مادة عفّة، يدل على أمرين، أحدهما الكّف عن القبيح، ولذلك قيل: إنّ العفة هي الكّف عمّا لا ينبغي، والآخر قلّة الشيء، وتطلق العفّة أيضا على الابتعاد عمّا لا يحل ولا يَجْمُل، كقولنا: عفّ الرجل عن الحرام، والعفيفة هي المرأة الخيّرة، والتي تصون عرضها وشرفها[3]، والتعفف هو "الاقتصار على أخذ الشيء القليل، وهو أيضا طلب العفاف، والمتعفف هو الذي يحاول الاتصاف بالعفّة عن طريق الممارسة وقوة الإرادة، وكذلك يقال للشخص التارك للسؤال إنّه متعفف والاستعفاف كالتعفف"[4].

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، جز 9، ص 253.

[2]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج 4، ص 149.

[3]- الأصفهاني: المفردات غريب القرآن الكريم، ص 440.

[4]- أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ص 1.

أمّا العفّة في اللغة العبرية (צְנִיעוּת): عفّ (هزّاهِر) (הזהר) والعفاف (פרישות)[1]، وهو التنسك والزهد والتقشف، وكبح الشهوات[2]، والعفيف (צָנוּע) بمعنى متواضع محتشم وغير مغتر بنفسه[3]، والعفّة و عفاف: في اللغة الفرنسية (chasteté): هي سلوك الشخص العفيف، بمعنى النقاء، والحكمة والفضيلة، وعلاقة خالية من العلاقة الجنسية والإثارة الجنسية، وتعني كبح الشهوة، كما يقصد بالعيش في العفة، العفة الطواعية، أو إلزامية، والعفة: الامتناع عن ممارسة الجنس، والذي يفرض الزهد المطلق كالكهنة ورجال الدين، والنساء المتدينات، العفة حزام لمراقبة الشهوة، العفة ضد: البذاءة، والفساد والفجور، المجون، الفحشاء، النجاسة، والشهوة والإثارة الجنسية[4]، و"الامتناع عن الملذات الجنسية، وفي التطبيق الامتثال للأخلاق وتكريس خالص لله، أي أن تكون العفة نذر لله"[5]، وهنا نلاحظ أنّ معاني العفّة في اللغة تتقارب بين اللغات العربية وغيرها، وترمي جلها إلى كبح الشهوات والابتعاد عن الملذات والتنسك والزهد فيها.

2- مفهوم العفّة الاصطلاحي:

العفّة هي كفّ النفس عن المحارم، وعمّا لا يجمل بالإنسان فعله، ومنها العفّة عن اقتراف الشهوة المحرمة، وعن أكل المال الحرام، وعن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله ممّا لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية، وممّا يراه الناس من الدناءات كالجشع، والتعرّض لمحقرات المنافع عن طريق التطفل، ويأتي في مقابل العفّة الدناءة والخسّة في كثير من صورها، والعفّة من مكارم الأخلاق والدناءة والخسة وكل ما ينافي العفّة من رذائل الأخلاق[6].

المطلب الثاني: قيمة العفة في التوراة.

اهتمت التوراة بقيمة العفّة بشكل كبير، والحرص على الأعراض وحفظها، ووردت عديد النصوص الدالة عليها، والمحرمة لأي شكل من أشكال الاعتداءات، ودعت وأسست للعفة وصيانة العرض والشرف والابتعاد عن كل قبيح، ورذائل الأعمال.

نجد موسى بن ميمون يعطى أهمية كبيرة لقيمة العفّة والتطهر، والابتعاد عن الملذات، واعتبرها من جملة مقاصد الشريعة اليهودية، وأمر بالزهد واطراح النكاح واجتنابه، أو تقليله ما أمكن، وعلل

---

[1]- محمد آلتونجي: معجم الطلاب عربي- عبري، ص 244.

[2]- ريحي كمال: المعجم الحديث عبري- عربي، ص 388.

[3]- ريحي كمال : المعجم الحديث عبري- عربي، ص 406.

[4]- Paul Robert : Le nouveau – Petit Robert- , Le Robert , 2009 , Paris , p 404 .

[5]- La Rousse : Le Petite Larousse Illustré , Paris, 2011,P 200 .

[6]- عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، جز 2، ص 581.

هذا بما جاء في التوراة: "وقدستم اليوم وغدا ... قال لا تقربوا امرأة"[1]، فقد صرح بأن القداسة اطراح النكاح، كما صرح أيضا بأنّ ترك شرب الخمر ومختلف الملذات قداسة: "فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً"[2]، " إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ"[3]، وكما سمّت الشريعة امتثال هذه الأوامر قداسة وطهارة، وكذلك سمّت التعدّي على هذه الأوامر وارتكاب القبائح رجسا[4]، وقد اعتبر ابن ميمون أنّ من واجب المؤمن، ألا يهتم بنظافة ظاهره فقط، وإن كانت مهمة أيضا في الشريعة، ولكن هذا لا يكون إلا بعد تطهير الأعمال وتطهير القلب من الآراء والأخلاق المنجسة، فمن مقاصد الشريعة تقصير الشهوة وتنظيف الظاهر بعد تنظيف الباطن[5].

من أهم الوصايا العشر التي وردت وأكدت عليها التوراة، التي تنهى نهيا قاطعا عن الرذائل، وأولها الزنا، "لا تزن"، وهي شريعة تتوقف عليها سلامة البيت وصيانة العرض، فالزنا عدو أهل البيت وشر ما ينشأ فيه من المعاصي وقاطع علاقات الزواج الطاهر، ومتلف اتحاد الزوجين وهادم أركان الترتيب الاجتماعي، وقد نهت عنه الأمم بالقتل وكذا الشريعة الموسوية: "وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ، وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةِ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا، دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا، وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَّتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا. قَدْ فَعَلاَ فَاحِشَةً. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمَّهَا فَذلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرِقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لاَ يَكُونَ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمْ"[6].

«إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْلٍ، يُقْتَلُ الاثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ، إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ"[7].

---

[1]- الخروج 19: 15.

[2]- الخروج 19: 5- 6.

[3]- اللاويين 11: 44.

[4]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، جز 2، ص 603.

[5]- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، جز2، ص 604.

[6]- اللاويين 20: 10- 14.

[7]- التثنية 22: 22- 24

"لا تزن" وهي وصية تحرم العلاقات بين رجل وزوجة رجل آخر، وذلك هو معنى الفعل العبري المستخدم في الوصية، وهو " نأف" في لغة " المقرا" "ואיש אשר ינאף..."[1]، "وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبة"[2]، والعديد من النصوص في التوراة والتناخ عموما، الدالة على "الزنا"، ونظرا لوجود فعل مرادف في العبرية للفعل " نأف" (ינאף) للدلالة على الزنا هو " زانا"، فقد حاول المفسرون أن يحددوا فارقا في الاستخدام بين الفعلين " نأف" و "زانا" وأشاروا استنادا إلى أدلة المقرا إلى أنّ الفعل " نأف" يستخدم في حالة إتيان فعل الزنا مع فتاة عذراء، ومع البنات المتزوجات الفعل " نأف" ولكن هناك شواهد في المقرا تشير إلى أن كل من الفعلين يستخدمان دونما تمييز سواء أكان فعل الزنا مع امرأة متزوجة أو مع فتاة لم تتزوج بعد[3]، "وَإِذَا رَاوَدَ رَجُلٌ عَذْرَاءَ لَمْ تُخْطَبْ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا يَمْهُرُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً. إِنْ أَبَى أَبُوهَا أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا، يَزِنُ لَهُ فِضَّةً كَمَهْرِ الْعَذَارَى"[4]، وقد كانت مراودة العذراء عند الأقدمين ذنبا أعظم مما هو عند المحدثين، وكان لأبي العذراء أن يأخذ من المراود مالا كثيرا، وكان هذا الجزاء ينقص إذا تمّ الاتفاق أن تبقى المراودة زوجة للمراود، وإن كان الموارد مما لا يرضاه أبوها زوجا لابنته كان له أن يأخذ منه ما يستطيع مستحقها، أن يجعله مهرا لها[5]، لها[5]، إنّ خطية المراودة قبل الزواج ثقيلة الجزاء وهو أن يعطي المراود أبا العذراء خمسين شاقلا، وقد عرفت عظمة هذه القيمة عندهم في تلك الأيام، وقد عرفت من سفر الخروج أنّ لأبي الابنة أن يمنع من زواجها ولكن المراود لا مهرب له منه في طريق من الطرق[6]، وتتناقض أحكام التوراة هنا وكأنّ للأب الحق في شراء عرض ابنته، أو استغلال هذا الأمر لكي يحصل أموال من المعتدي على ابنته، وهذا جانب مما يعاب على مثل هذه النصوص في التوراة.

وحسب ابن عزرا فإنّ أي اتصال بامرأة بما يتناقض مع حكم الشريعة هو زنا، وقد وسع المفسرون دائرة حدود التحريم، الذي تتضمنه هذه الوصية ليشمل كافة العورات المحرمة، وبذلك تجعل الوصية الزواج هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الأسرة، وتنهى عن الفسق والفجور بأي امرأة حرمها التشريع اليهودي، سواء كانت امرأة رجل أو مطلقة أو أرملة أو عذراء أو من العورات المحرمة، والشريعة اليهودية بالرجوع إلى تفاسير هذه الوصية، في أجزاء متفرقة من التوراة، لم تنه عن الزنا فقط،

---

[1]- اللاويين20: 10 (العهد القديم بالعبري).

[2]- اللاويين 20: 10

[3]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 235.

[4]- الخروج 22: 16- 17.

[5]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم- شرح سفر الخروج-، ص 100- 101.

[6]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم- شرح سفر الخروج -، ص 75.

بل نهت كذلك عن تعريض النساء للظروف التي تجبرها عن الزنا، "لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنا، لألا تزني وتمتلئ الأرض رذيلة"، وقد جاء هذا مفصلا في سفر اللاويين[1].

وقد فصلّت هذه النصوص في العورات المحرمة في التوراة، "لاَ يَقْتَرِبْ إِنْسَانٌ إِلَى قَرِيبِ جَسَدِهِ لِيَكْشِفَ الْعَوْرَةَ، أَنَا الرَّبُّ، عَوْرَةَ أَبِيكَ وَعَوْرَةَ أُمِّكَ لاَ تَكْشِفْ، إِنَّهَا أُمُّكَ لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا. عَوْرَةَ امْرَأَةِ أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أَبِيكَ. عَوْرَةَ أُخْتِكَ بِنْتِ أَبِيكَ أَوْ بِنْتِ أُمِّكَ، الْمَوْلُودَةِ فِي الْبَيْتِ أَوِ الْمَوْلُودَةِ خَارِجًا، لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا. عَوْرَةَ ابْنَةِ ابْنِكَ، أَوِ ابْنَةِ ابْنَتِكَ لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا. إِنَّهَا عَوْرَتُكَ. عَوْرَةَ بِنْتِ امْرَأَةِ أَبِيكَ الْمَوْلُودَةِ مِنْ أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا. إِنَّهَا أُخْتُكَ. عَوْرَةَ أُخْتِ أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا قَرِيبَةُ أَبِيكَ. عَوْرَةَ أُخْتِ أُمِّكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا قَرِيبَةُ أُمِّكَ عَوْرَةَ أَخِي أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِلَى امْرَأَتِهِ لاَ تَقْتَرِبْ. إِنَّهَا عَمَّتُكَ، عَوْرَةَ كَنَّتِكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا امْرَأَةُ ابْنِكَ. لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا. عَوْرَةَ امْرَأَةِ أَخِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أَخِيكَ. وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ امْرَأَةٍ صَاحِبِكَ مَضْجَعَكَ لِزَرْعٍ، فَتَتَنَجَّسَ بِهَا، وَلاَ تُعْطِ مِنْ زَرْعِكَ لِلإِجَازَةِ لِمُولَكَ لِئَلاَّ تُدَنِّسَ اسْمَ إِلهِكَ. أَنَا الرَّبُّ"[2]، فقد نهت التوراة عن كل هذا وحرمته، ولم يذكر مع هذه العبارة قوله: "من بيت إسرائيل"، كما ذكر في غيرها من أمثالها، فاستدّل بها أنّه نهى بها الإسرائيليين والغرباء الذين بينهم، وكان القصاص على كل من يتعدى هذا رجالا ونساء كما فهم من أقوال علماء الناموس[3]، والنهي هنا عن الزنا والزواج معا، والذي عرف في هذا من علماء الشريعة مدّة الهيكل الثاني أنّ امرأة الأب ممنوع منها إلى الأبد مخطوبة للأب كانت أو متزوجة به، مطلقة او غير مطلقة أرملة أو غير أرملة، فإن اضطجع معها الابن وأبوه حي كان إثمه مضاعفا لكونها قريبته ولكونها امرأة رجل آخر، فيكون من هذا الإثم خطية رأوبين مع بلهة سرية أبيه أو سريته (تكوين 35: 22)، وخطية أبيشالوم مع سراري أبيه (2 صموئيل 16: 2- 23) و (1 ملوك 2: 17) ، ولم يكن ذلك زيجة محرمة بل كان زنا، لأن الزواج كان في حياة الزوجات غير مطلقة.

وأتبعها كل أشكال الشذوذ الجنسي "وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ. وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ بَهِيمَةٍ مَضْجَعَكَ فَتَتَنَجَّسَ بِهَا. وَلاَ تَقِفِ امْرَأَةٌ أَمَامَ بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا. إِنَّهُ فَاحِشَةٌ ... عَوْرَةَ امْرَأَةٍ وَبِنْتِهَا لاَ تَكْشِفْ. وَلاَ تَأْخُذِ ابْنَةَ ابْنِهَا، أَوِ ابْنَةَ بِنْتِهَا لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا. إِنَّهُمَا قَرِيبَتَاهَا. إِنَّهُ رَذِيلَةٌ[4].

---

[1]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 235- 244.(اللاويين 18: 1- 17)

[2]- اللاويين18: 6- 21.

[3]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر اللاويين-، ص 99.

[4]- اللاويين 18: 1- 17.

وجاء في سفر الخروج واللاويين: " لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك"[1]، وتكرر هذا في سفر التثنية، "لا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك"[2]، ومعنى هذه الوصية كان وما يزال محل خلاف بين المفسرين اليهود بسبب معنى الفعل المستخدم في صيغة الوصية، في سفر الخروج وهو الفعل "حمد" يعني الاشتهاء في القلب، أم أنه لم يتعدى ذلك الاشتهاء بالفعل، أي بالعمل من أجل استلاب الآخرين ما يملكونه بدافع الاشتهاء والحسد، وقد كان من أسباب هذا الخلاف هو أن صيغة الوصية في سفر التثنية استخدم فيها الفعل "هتآفيه" في مقدمة الوصية للإشارة أيضا إلى الاشتهاء، واستخدم الفعل "حمد" في النصف الثاني من الوصية وهو ما اعتبره البعض بأنه استخدام له مغزى في الفارق الدلالي بين الفعلين على نحو ما سنرى، ورد عن الربي " شمعون بن يوحاي " بشأن هذه الوصية ما يلي: "لقد وردت لا تشته (لو تحمود) وبعد ذلك يقول لا تشته بيت قريبك (لو تتآفيه) فما هي الشهوة (تآفاه) التي يعنيها وما هي الشهوة (حمدا) التي يجب أن يتمالك نفسه معها .." أما الربي يشمعئيل :" هل يمكن أن تكون الشهوة (حمدا) بالقول؟ ، إنّ التوراة تقول "لا تشته ما عليها من الذهب والفضة"[3] فهنا تمخضت الشهوة عن الفعل والوصية أيضا تعني أنه يقول بالفعل" ، وقد دعم الربي "ليفي بن جرشوم" هذا التفسير بقوله: "وموضوع الاشتهاء هو ان يسعى المرء لان تكون له كأن يقول إنه يعطي أموالا لقريبه لكي يطلق زوجته حتى يتزوجها هو ، أو لكي يبيعه عبده أو امته وثوره وحماره، لأن هذه الصفة سيئة جدا، أن يسعى المرء إلى استلاب قريبه ممتلكاته، ولقد تعلما ان الاشتهاء (ها حمدا) ليس بالقلب فقط ولكن لا بدّ أن يصحبه فعل على غرار ما ورد في التوراة "لا تشته عليه من الذهب والفضة"[4] وقالت التوراة " لا تشته أحد أرضك"[5] يعني بذلك أنه لا أحد يسعى في أخذها عندما تذهب للحج، وورد في التوراة كذلك "واشتهوا الحقول وسلبوها"[6] (ولذلك لزم أنه لا يخالف أحد هذا النهج ما لم يفعل فعلا يؤدي إلى حصوله على الشيء الي اشتهاه.

---

[1]- الخروج 20: 17.

[2]- التثنية 5: 21.

[3]- التثنية 7: 25.

[4]- التثنية 7: 25

[5]- الخروج 34: 24

[6]- ميخا 2: 2.

ووجه نظر ابراهام بنى عزرا أكثر توازنا، وفيما يلي أقواله التي وردت في تفسيره لنص سفر التثنية 5: 16: " إنّ كلمة "حمد" في اللغة العبرية تفسر على وجهين الوجهة الأولى بمعنى سرق واغتصب وأخذ ما لدى الآخرين بالقوة والاغتصاب، ومثل ذلك "لا يشته أحد أرضاك "[1]، والمعنى الثاني هو لغة شهوة القلب (تأف) التي لا تخرج إلى حيّز الفعل، وهنا نجد " لو تحمود " لا تشته بيت قريبك الوصية التاسعة في صيغة سفر التثنية،" ولا تشتهي امرأة قريبك (في صيغة سفر الخروج) والوصية العاشرة ... والدليل على أنّ " حمد" تعني نفس معنى " تأفا" هو ما قاله موسى في هذا الكتاب الذي فسر التوراة فقال " لو تتأفيه" بدلا من " لو تحمود"[2]، وللإضافة فإنّ الوصية العاشرة: "لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا أمته ولا ثوره ولا ماره ولا شيئا مما لقريبك"تمثل ذروة الوصايا السابقة فالنبرة الأخلاقية فيها ذات صدى عال، فهي لم تقف عند السلوك الخارجي فقط للفرد، بل تتجاوزه إلى السرائر والميول الداخلية ومن ثمّة تعّد هذه الوصية نهاية وذروة المنظومة القيمية والأخلاقية في سلسلة الوصايا العشر، غير أنّ السمو الأخلاقي هنا ليس مطلقا بل يظل نسبيا وداخليا في إطار الجماعة اليهودية فقط، وهو ما تعكسه كلمة "قريبك"[3]، و تقتصر منع الغصب والاشتهاء والاعتداء على ما في يد اليهودي فقط بحسب التوراة، وإذا تأملنا هذه الوصايا بصفة عامّة، نجدها وصايا بصفة عامة، نجدها وصايا صالحة لتنظيم الجماعة في أول أطوارها الحضارية، نظرتها نظرة قبلية ضيقة الحدود، وآفاقها لم تمتد إلى بعيد، إلى ما يمكن أن تكون عليه العلاقات الانسانية بصفة عامة[4].

إذا لاحظنا الاهتمام الكبير الذي أولته نصوص التوراة، لتقرير العفّة ومنع الرذائل داخل المجتمع اليهودي، وتنظيم العلاقات الأسرية، نجدها في المقابل تنسب هذه الرذائل والقيم الدنيئة إلى الأنبياء والرسل، في أكثر من موقع، حتى جعلت النبي يضطجع مع ابنتيه، أو زوجة جاره، و"أمنون بن داود" يعشق أخته "ثامارا" ويحتال حتى يخلو بها ويضطجع معها ولا عقاب، وحين أخطأ شكيم مع (دينة) ابنة يعقوب وأراد أن يصلح خطأه ويتزوج منها، فقال حمور أبو شكيم ليعقوب وبنيه:" ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم، أعطوه إياها زوجة، وصاهرونا تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا، وتسكنون معنا، وتكون الأرض قدامكم اسكنوا واتجروا فيها وتكلموا بها، " ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا:

---

[1]- الخروج 34: 24

[2]- رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية، ص 266.

[3]- خالد مصطفى هاشم: الجريمة دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، ص 109.

[4]- محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، ص 261.

«دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي، كَثِّرُوا عَلَيَّ جِدًّا مَهْرًا وَعَطِيَّةً، فَأُعْطِيَ كَمَا تَقُولُونَ لِي. وَأَعْطُونِي الْفَتَاةَ زَوْجَةً»، فَأَجَابَ بَنُو يَعْقُوبَ شَكِيمَ وَحَمُورَ أَبَاهُ بِمَكْرٍ وَتَكَلَّمُوا. لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ"[1] واشترطوا أن يتم ما أراد شكيم وأبوه إذا اختتنا وقومهما، وكذلك كان، ولكن وبعد اليوم الثالث: "فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا، ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ، غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ، وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ"[2]، فإذا عرفنا أنّ موسى وهارون والكهنة جميعا من سلالة (لاوي) لم يغب عنا ما فعله (لاوي) أصبح من شريعة موسى، وقامت الكهنة على تنفيذه دون تساهل، وبهذا صار الهدف إبادة الشعوب الأخرى، والاستلاء على كل ما يملكون[3].

إلا أنّ التوراة تحفل بأمثلة لا تحصى بأفعال وقصص تدخل ضمن الأعمال اللاأخلاقية التي ارتكبها أنبياء اليهود ومصلحيهم وملوكهم ومن هم في صفّ الوجهاء منهم، وقد يكون الأمر عاديا بالنسبة للبعض ممن ذكرناهم إلا أن الأنبياء وهم يرتكبون كل تلك الأعمال، وبكل قواهم العقلية فتلك جريمة لا تغتفر لهم أبدا، فهم مرسلون إلى الناس لإرشادهم إلى طريق الحق والصواب وإلى الأخلاق والسلوك القويم، فإذا كانزا لا يلتزمون بما يقولون فما بالك بعامة الناس، رغم أنّ النصوص التوراتية ريحة في تحريم الزنا، وتعتبرها التوراة فعلا قبيحا ونجسا[4]، "لاَ تَكُنْ زَانِيَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ، وَلاَ يَكُنْ مَأْبُونٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ"[5].

إنّ ما نسبته التوراة وبني إسرائيل إلى كبار أنبيائهم من ولوغ في المنكرات والفواحش، ليجعلوا منها مبررا لخطاياهم ويفلسفون فواحشهم بل ويضفون به على الرذائل صورة الشيوع الإنساني الذي لا يفلت من أحد من جانب، ثمّ هو الجانب الآخر يغري النفس بالتقليد والمحاكاة والاقتداء، ولا يكاد يفلت نبي كريم من هذا المصير المروع، الذي افتراه بنو إسرائيل.

---

[1]- التكوين 34: 8- 13.

[2]- التكوين 34: 25- 29.

[3]- كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط 2، 1988م، ص 198.

[4]- خالد مسّور: الاقتباس والجنس في التوراة، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط 1، 1997م، ص 85.

[5]- التثنية 23 : 17.

فقد حكت التوراة عن نوح (عليه السلام) شيخ الأنبياء الصبور والشكور، و تصوره سكيرا يشرب الخمر، ويتعرى داخل خبائه حتى يرى عورته أبنائه ويخبر أخويه ساخرا[1]، ثمّ لوط (عليه السلام) النبي الكريم ، تحيك حوله أبشع التهم من مؤامرة ابنته عليه حتى سقتاه خمرا فصار لا يعقل شيئا إلى الدرجة التي زنا فيها بابنته حتى حملتاه منه سفاحا[2].

ومن العجيب أنه كلما جلّت وعظمت منزلة النبي فيهم كان نصيبه من نسب الفواحش إليه أكثر وأضخم، فالنبي داود (عليه السلام) والذين ينشدون مملكته اليوم فقد خصوه وأهل بيته جميعا بأوجع نصيب التهم وجعلوا منهم أسرة تعيش في الخطايا والدنس والزنا[3]، وأمّا سليمان صاحب الهيكل فقد نسبوا إليه كل خطيئة وفجور فهو في زعمهم ابن المرأة الزانية بعد أن تزوجها داود[4]، وهو صاحب نشيد الانشاد ذلك الغزل الداعر، الذي ينسبونه إلى النبي الطاهر، ويتعبدون بتلاوته كأنه وحي مقدس وما هو إلا وحي الشيطان نفثه على لسان خليع ماجن من شعراء بني إسرائيل[5].

ولذلك فإنّ ما ورد من نصوص تحرم الزنا والفواحش هو من أوامر التوراة الحقة، التي جاء بها موسى (عليه السلام) وأمّا الأمر الثاني من اتهام الأنبياء بالزنا وارتكاب الموبقات وكافة الجرائم والفواحش هو من أكاذيب الأحبار الذين كتبوا هذه الأسفار وأضافوا إليها ما ليس منها[6]، ويتم التعبير عن حالة الاستخفاف بسلوك فوضوي إما لفظا أو ممارسة، ويعتبر العهد القديم بما حوى من أسفار التوراة وأسفار بني إسرائيل مرجعا خصبا للألفاظ الجنسية للتعبير عن الحالة المراد إيصالها إلى عموم الناس، وقد بدت أسفار بني إسرائيل والتوراة صورة من صور الفوضى الجنسية يستمد منها كل فعل جنسي غير محدود، ومن شرعية الاغتصاب إلى زواج المحارم إلى رخصة الفعل الجنسي غير المشروع، وينتهي بألفاظ جنسية سوقية تخرج العهد القديم من دائرة القداسة ومجمع القيم.

من مهام المصلح الاجتماعي لظاهرة الفساد الفردي والاجتماعي عدم التقريع والأخذ بأرق العبارات من أجل رفع القيم والمثل العليا الأخلاقية من أجل تحقيق الأحسن والأمثل، بينما نرى أنّ مثل هذا المنهج غير متوفر، من الصعب العثور عليه في ثنايا العهد القديم، ومنها: "أما أنتم فتقدموا

---

[1]- الإصحاح 9 من سفر التكوين

[2]- الإصحاح 9 من سفر التكوين).

[3]- صموئيل 2 اصحاح 11 وما بعده).

[4]- سفر الملوك الأول الاصحاح 11

[5]- عبد الستّار فتح الله سعيد: مختصر معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، ط1، 1995م، ص 38- 39.

[6]- محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص 335.

إلى هنا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية ... أمّا أنتم أولاد المعصية نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام"[1] قساوة في النص، وإصرار على إعطاء مفاهيم الضلال الديني دلالات جنسية.

من غرائب المنهج التربوي اليهودي ما أمر به الرب التوراة نبيه هوشع، حيث يقول كاتب التوراة: "أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: "اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ"[2]، وهذا يعني أنّ هوشع كان يمارس الزنا حسب العقد الذي تم مع الزانية، إذ طلب منها الامتناع عن ممارسة فاحشة الزنا وبالمقابل سيقوم هو الآخر بالتوقف عن الزنا، فهي ليست توبة لله بل عقد إيقاف الزنا بين زان وزانية، كما يعني النص أنّ مقاييس العقيدة والإيمان هي مقاييس جنسية، فانحراف البشر عن التوحيد وعن الإله الحق تعطي له التوراة صفة الزنا وتطلب من نبيها أن يقترن بامرأة زنا، وفي هذا التخبط وفوضى المفاهيم، يحدث إرباكا في تمييز المفاهيم، لأنّ العاقل يميّز بشكل جدي بين الكفر والزنا وبين الانحلال الاجتماعي وبين الشرك، وهذا النهج في وضع المفاهيم بغير موقعها يحدث في حالة من الاستهانة والاستخفاف بالقيم، وتهوين بالأبعاد الروحية مما يسفّه الثواب والعقاب ويعطي مبررا بشكل مقصود أو غير مقصود لمزيد من الانحراف والفوضى الجنسية بسبب الإفراط في الألفاظ الجنسية في غير مواقع[3].

وتقع التوراة هنا في تناقض كبير بين نصوصها، فلا نجد مكانا فيها للتعفف والحياء والعفة عن المحارم والمحرمات، بل أنها تنسب الزنا والفواحش والفجور لأشراف القوم من بني إسرائيل ومصلحيهم وأنبيائهم، وهذا ما له تأثير كبير على القيم الاجتماعية ويخلق فوضى جنسية وأخلاقية لها تأثير سلبي مباشر على البناء السليم للمجتمع.

---

[1]- إشعيا 56: 4و3

[2]- هوشع 3: 2.

[3]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 83- 84.

المطلب الثالث: قيمة العفّة في القرآن الكريم.

قيمة العفّة هي ضبط الغرائز والرغبات، والتحكم في جموحها ونزواتها، فنجد أنّ العقلاء في كل عصر وفي كل قطر ينظرون إلى المتصوفين المتعففين نظرة إكبار وتكريم، بينما يمقتون ويزدرون أولئك الذين تستعبدهم أهواؤهم، وينفلت من أيديهم زمام شهواتهم، وإنّ الفكر الإنساني يستنكر الانطلاق من هذه الغريزة، فالفطرة الإنسانية غير الفطرة الحيوانية، الإنسان مجموعة من الغرائز والميول والقوى والملكات، يقي بعضها بعضا ويحد بعضها بعضا، في ضوء الفكر الذي يقوم بالموازنة بينهما، وتحت قيادة الإرادة التي تتولى تنسيقها، بحيث تتعاون وتتساند، ولا يبغي بعضها على بعض، فإذا انطلقت إحدى هذه الغرائز عند امرئ، انطلاقا يخضع إرادته ويتمرّد على أوامر عقله، فقد تعطلت فيه خاصة الإنسان، خاصّة العقل الذي جعله الله عقالا للهوى.

فأي وجدان سليم يطيب له أن يرى حيوانا في ثوب إنسان، ولا يقف الأمر عند هذا الحّد يفقد قيمته الإنسانية في نفسه، دون أن يتعدى شره وضرره إلى غيره، ولكنه بهذا المسلك المنحرف يترك في أسرته، وفي جماعته وفي أمته وفي البشرية عامة آثارا بشعة شنيعة، إنّ الشخص الذي تستعبده هذه الشهوة، هو في غالب الأمر أناني، يستبيح لنفسه ما لا يبيحه لأهله وعشيرته، إنه يرضيه أن يلثم أعراض الناس، ولكنه لا يطيق، ولا يكاد يتصور، أن يلثم أحد عرضه، يحسب المفتون – حين يقتنص لذائذه في غفلة من أهله، أنهم لن يقتنصوا كذلك لذائذهم في غفلة منه، ولكن القصاص العادل لا يلبث أن يدينه كما دان، من حيث يشعر أو لا يشعر، جزاء وفاقا.

وهذه الرذيلة إذا انتشرت في أمّة أنهكت قواها المادية والمعنوية، وتفشت فيها الأمراض الخبيثة وسقطت همتها، وتحولت أهدافها من المثل العليا، إلى الشهوات الدنيا، وهناك تكون بداية نهايتها، فلا تلبث أن تقع فريسة في أيدي أعدائها[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾[2].

وبتحليل دوافع العفّة نجدها ترجع إلى أكثر من أساس خلقي، وذلك لأننا إذا وضعنا المثيرات ونظرنا إلى دوافع النفس تجاهها، ثمّ نظرنا إلى القوة الضابطة التي تضبط النفس عن تلبية دوافعها فيما لا يحل أو فيما لا يجمل بالإنسان فعله، تكتشف لنا مجموعة من العوامل التي ترجع إلى مجموعة من

[1] – محمد عبد الله دراز: من خلق القرآن، تحقيق: عبد الله ابراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية، قطر، 1979م،

[2] – الإسراء: 16.

الأسس الأخلاقية، تدخل في هذا المجال، منها الصبر ومنها الخوف من عاقبة تلبية الدافع، ومنها الطمع بثواب الكّف، ومنها حبّ الحق الذي يجعل صاحبه يكف عما لا حقّ له به[1].

ويدل الجذر (ع ف ف) في العربية على معنيين، أولهما مادي والآخر مجّرد، فالأصل الأول استعمل منه العُفة، والعُفافة (بضم العين)، كما يقصد بها (العِفّة) بكسر العين الكّف عن المحارم والأطماع الدنيّة ، في القرآن الكريم ذكرت المادة في أربعة مواطن، منها:

أولا– التعفف عن الماديات وأموال الناس: وهذا في قوله تعَالَىٰ:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[2]، يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء من التعفف، وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم[3]، ومعنى العفة في اللغة ترك الشيء والكف عنه، وأراد من التعفف عن السؤال فتركه للعلم، وإنما يحسبهم أغنياء لإظهارهم التجمل وتركهم المسألة[4]، وهي علاماتهم المميزة لهم التي يعرفون بها، واختلفت تفسيرات في صفاتهم، فقيل هي التخشع والتواضع، أو حسن صبرهم، وإظهارهم الغنى[5]، وعدم تعرضهم وكتمانهم حاجتهم[6]، وقال الربيع والسدي: أثر الجهد من الفقر والحاجة وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع وقال ابن زيد: رثاثة ثيابهم والجوع خفي، ولكن هذا لا يتوافق مع ما وصف الله لهم، "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف"، بل المراد شيء آخر هو أن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعا في قلوب الخلق، كل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم وذلك إدراكات روحانية، لا علات جسمانية، وكل ذلك إدراكات روحانية لا جسمانية، روي أنهم كانوا يقومون الليل للتهجد ويحتطبون بالنهار للتعفف، عن رسول الله – ﷺ –: "إن اللهَ يحبُّ الحيِيَّ الحليمَ العفيفَ ويبغضُ الفاحشَ البذيءَ السائلَ المِلحِفَ إن الحياءَ من الإيمانِ والإيمانُ في الجنةِ والفحشُ من البذاءِ والبذاءُ في النارِ "[7].

---

[1]– عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 2، ص 581- 582.

[2]– البقرة: 273

[3]– عبد الرحمان السعدي: تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، ص 116.

[4]– فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ج 7، ص 68.

[5]– الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 5، ص 594.

[6]– ابن القيم الجوزية: تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ، ص 174.

[7]– صحيح البخاري، (2018)، وصحيح مسلم (47) .

وعن رسول الله – ﷺ –: "لا يفتح أحد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله تعالى، لأن يأخذ أحدكم حبلا يحتطب فيبيعه بمد من تمر خير له من أن يسأل الناس"[1]، ولهذا أضافت الآية أنهم لا يسألون بإلحاح، فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما النفقة من حيث هي على أي شخص كان، فهي خير وإحسان وبر يثاب عليها صاحبها ويؤجر[2]، فعلى المسلمين أن يبحثوا عن أحوال الفقراء المتعففين، ويمدّوهم بحقوقهم التي فرضها الله في أموال الأغنياء، وينبه أن يكونوا فطنين لمعرفتهم وهذا ما نبه عليه القرآن الكريم[3].

وفي قوله تعالى مخاطبا أولياء اليتامى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾[4]، وبعد أن أمرت الآية التي تسبقها بإيتاء اليتامى أموالهم، وبإيتاء النساء مهورهن، أتى في هذه الآية بشرط للإيتاء يشمل الأمرين معا وهو ألا يكون كل منهما سفيها، مع بيان أنهم يرزقون فيها، ويكسون مادامت في أيديهم مع قول المعروف لهم حتى تحسن أحوالهم، وأنه لا تسلم إليهم الأموال إلا إذا أونس منهم الرشد، مع شرط عدم الإسراف في أكل أموال اليتامى، فمن كان من الأولياء غنيا فليعف عن الأكل من أموالهم، ومن كان فقيرا فليأكل بما يبيحه الشرع، ويستجيزه أرباب المروءة[5]، وقد رخصت الآية لضروب من الأكل، وهو أن يأكل الوصي الفقير من مال محجوره بالمعروف، وهو راجع إلى إنفاق بعض مال اليتيم في مصلحته، لأنه إذا لم يعط وصيه الفقير بالمعروف ألهاه التدبير لقوته عن تدبير مال محجور[6]، واستعفف تدل اللفظة على الاقتصاد والتعفف عن المسألة، وقال النخعي، وروي عن ابن عباس: من كان من الأوصياء غنيا فليستعفف بماله ولا يتوسع بمال محجوره ومن كان فقيرا فإنه يقتر على نفسه لئلا يمد يده إلى مال يتيمه[7].

---

[1]– مسند عمر، 1/ 19.

[2]– عبد الرحمان السعدي: تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، ص 116.

[3]– عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 2، ص 583.

[4]– النساء: 6.

[5]– مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 4، ص 186.

[6]–شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 41.

[7]– محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 4، ص 246.

ثانيا– التعفف بغض الأبصار وحفظ الفروج ونحوهما مما يفضى إلى الزنى والرذائل:

فأمر بإنكاح الأيامى، لأنه الوسيلة لبقاء هذا النوع، وحفظ الأنساب الذي يستدعى مزيد الشفقة على الأولاد وحسن تربيتهم ودوام الألفة بينهم، ثم ذكر حكم من يعجز عن ذلك لعدم وجود المال لديه، ثم رغب في مكاتبة الأرقاء، ليصيروا أحرارا في أنفسهم وفى أموالهم يتزوجون كما يشاءون، وبعدئذ أردف ذلك النهى عن إكراه الإماء على الفجور إن أردن العفة، ابتغاء ظل زائل من عرض الدنيا، ثم ختم هذا ببيان أنه أنزل عليكم في هذه السورة وفي غيرها آيات مبينات لكل ما أنتم في حاجة إلى بيانه من أحكام وآداب وحدود زاجرة، وعقوبات رادعة، وقصص عجيبة عن الماضين، وأمثال مضروبة، لتكون عبرة وذكرى لكم[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ... ﴾[2]، فليلزموا جانب العفّة، ولا يفعلوا ما لم يأذن به الله، وترمي الآية الكريمة إلى الإشارة إلى من لا يجدون قدرة مالية على الزواج، حتى يغنيهم الله من فضله، فيتهيأ لهم زواج مناسب لهم[3]، بعد منع النفس من غلبة الشهوة الجنسية وصيانتها عن الحرام، وهنا تطلب العفة العفة عن الزنا والحرام، للذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة حتى يوسع عليهم من رزقه[4]، وقد تضيق بالفرد فيتعذر عليه الزواج، كعدم وجود المال أو يكون ممن لا يملك حرية نفسه، كالعبد والأمة، أو ما لا يقدر على سداد صداق ونفقة ومهر المرأة، وأمر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح بأي وجه تعذر[5]، وقد جاء في الحديث الصحيح: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[6]ليجتهد في العفة حتى يغنيه الله من فضله، ويفتح عليهم[7] ، أمر كل من تعلق به الأمر بالإنكاح بأن يلازموا العفاف في مدة انتظارهم تيسير النكاح لهم بأنفسهم أو بإذن أوليائهم ومواليهم[8]، ونهت بقية الآية الكريمة على الاكراه على البغاء وهو الزنى ، وهو محرم مطلقا[9] ، وروى

---

[1]– مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 18، ص 104.

[2]– النور: 32– 33.

[3]– عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 2، ص 583.

[4]– الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، جز 3، ص 295.

[5]– القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 12، ص 244.

[6]– صحيح البخاري (5065)، ج 7، ص 3، وصحيح مسلم (1400)، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه، ج 2، ص 1018.

[7]– وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 8، ص 228.

[8]– محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 18، ص 218.

[9]– وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج 18، ص 228.

النسائي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الأداء"[1].

كما حثّ القرآن الكريم على التعفف عن التبرج وإبداء الزينة بالنسبة للمرأة، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[2]، والاستثناء في الآية الكريمة عن وضع الحجاب، خصّ القواعد من النساء، ويقصد بها العجائز، وهنّ اللاتي لا يطمعن في الزواج لكبر سنهن، ورغم هذا نهاهنّ عن التبرج، وهو التكلف في إظهار ما يخفى من الزينة، والاستعفاف من الوضع خير لهن، فيلبسنها خير لهن من أن يضعنها[3]، لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب، بعثا منه عن اختيار أفضل الأعمال وأحسنها، كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى، وأن تصدقوا خير لكم[4]، كما نهى القرآن الكريم يعن دخول الأجانب البيوت إلا بعد الاستئذان والتسليم والتسليم على أهلها، وبين أن في ذلك الخير كل الخير لهم، فإن لم يجدوا فيها أحدا رجعوا لما لذلك من كبير الأثر في المجتمع الإسلامي، بصيانة الآداب العامة، وحفظ الأعراض والأنساب، واستثنى في هذه الآيات دخول الأقارب بعضهم على بعض، ودخول المملوكين على سادتهم، وبين أن الاستئذان لا يكون في جميع الأوقات، بل في ثلاث أوقات هي عورات لأرباب البيوت، لما فيها من رفع الكلفة وقلة التحفظ في الستر، ثم ذكر أن النساء الطاعنات في السن إذا لم يطمعن في الزواج فلا حرج عليهن إذا لم يستعملن الزينة، وعليهن أن يتعففن جهد الطاقة[5].

إنّ من أسس قيمة العفة التي بناها القرآن الكريم، تحريمه للزنا بشكل مطلق، وهو وطئ الرجل المرأة بغير وجه شرعي، وهو منكر حرمه الله على كل مؤمن، ويحاسب مؤتيه حسابا عسيرا، والزنا فضلا عن أنه ينحدر بصاحبه إلى مرتبة اللاإنسانية والحيوانية التي تنساق خلف الغرائز لإشباعها، فهو من الكبائر التي لا تليق بالجنس الإنساني الذي استخلفه الله في أرضه ليعيش فيها بالحق والعدل والصلاح والتقوى لا بالفسوق والعدوان، والحكمة في تحريم الزنا حفظ الأنساب وتنظيم العلاقات

---

[1]–سنن النسائي، باب فضل الروحة في سبيل الله، ج 6، ص 15.

[2]– النور : 60.

[3]– الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 19، ص 218.

[4]– الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 255.

[5]– مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 18، ص 131.

الأسرية، وحماية لحقوق الغير، فلا يعتدي إنسان بهذه الفعلة المنكرة على حق غيره عدوانا يؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية، وبالتالي تفكك روابط المجتمع وانحلاله وبث الفوضى فيه.

وقد شاء الله بواسع علمه وعظيم إحاطته بطبيعة النفس البشرية ونوازعها وحفظا للنوع الإنساني من الانقراض، تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة بهذا الرباط الشرعي المقدس، وهو الزواج الذي أقره الله وأمر به في كل شرائعه ووضع له من الأصول والشروط والضوابط ما يحفظ به حقوق الزوجين، وزاد التشريع القرآني على ذلك أن أباح للمسلم الزواج بأكثر من واحدة حتى الرابعة تحصينا له وحفاظا عليه من الانزلاق إلى جريمة الزنا، وحتى لا يكون لمؤمن بعد ذلك عذره إذا ما سولت له نفسه ارتكاب هذه المعصية، ومن فعلها بعد ذلك فإثمه كبير، ولهذا كان التحريم قاطعا[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[2]، وشدد في عقوبة مرتكبي هذه الكبيرة، في أكثر من آية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وجعل الله للزانية أكبر إثما إذا كانت متزوجة، لأنها تركت ما أحل الله ورغبت فيما حرّم، وخانت عهدها لزوجها، ولهذا حكم عليها القرآن الكريم بعزلها عن المجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾[4]، فالقرآن الكريم حدّ الحدود والشرائع لتكون سدا منيعا للنفس البشرية للوقوع في هذه المنكرات.

[1]- محمد بهائي سليم: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 156.

[2]- الإسراء: 32.

[3]- النور: 2.

[4]- النساء: 15.

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في القيم الروحية التعاملية مع الآخر من نفس الديانة بين التوراة والقرآن الكريم.

إنّ الديانة اليهودية ديانة مغلقة داخلية لا تتجاوز القيم الروحية المستنبطة من خلال نصوصها المجتمع اليهودي، أمّا نصوص القرآن الكريم التي أسست لقيم روحية إنسانية شاملة للمسلمين ولغيرهم، وبناء على هذا كانت القيم التعاملية مع الآخر التوراتية والقرآنية لا ترقى للمقارنة فيما بينها، ذلك أنّ المبدأ الأول لا يتفق بين التوراة والقرآن الكريم، ولكن سنحاول ابداء هذه الفروقات وأوجه الاتفاق إن وجدت من خلال القيم الروحية التي تناولناها بالدراسة.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق.

- تجتمع في قيمة الصدق مجموعة من القيم الروحية الأخلاقية والإنسانية، وترقى لأن تكون قيمة إيمانية وتعبدية للخالق، وكان اهتمام النصوص الدينية المقدسة التوراة والقرآن الكريم اهتمام كبير، لغرس هذ القيمة في النفوس، فهي تجمع في معانيها في اللغتين العربية والعبرية كل الحقيقة والصواب والعدل والأمانة، والاستقامة في القول والعمل.

- الصدق من القيم التي دعت إليها التوراة في تعامل اليهود الداخلي فيما بينهم وكانت أحد الوصايا العشر التوراتية النهي المطلق عن الكذب وتحري شهادة الصدق والابتعاد عن الغدر والخيانة كما كان للتوراة لتحري قيمة الصدق في المجتمع اليهودي تفصيلات كثيرة في أحكام القضاء وتقديم الشهادة في القضايا، لإصدار الأحكام العادلة.

- الصدق نقيض الكذب ويرتبط بالأفعال والأقوال، والصدق في القرآن الكريم من أرقى وجوامع القيم الروحية التي تجمع بين القيم الروحية والقيم الأخلاقية والسلوكية بين الناس في تعاملاتهم، فيرتقي الصدق ليكون قيمة إيمانية ترتبط بذات الإلهية، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في نسبة الصدق لله تعالى وهو الصادق في قوله ووعده، كما أنّ جوهر الإيمان قائم على الصدق والتصديق بالوحي الإلهي، فالصدق قائم على التصديق برسالة الإسلام والالتزام بها، والعمل بها في كل تعاملات الفرد مع المسلمين وغيرهم.

- الرحمة والإحسان قيمتين روحيتين متداخلتين ومتكاملتين ضمن منظومة القيم الأخلاقية، وتجمعان بين القيم الإيمانية والتعبدية والسلوكية، فأساس العلاقات الإنسانية مبني على الرحمة والإحسان، فتضم الرحمة كل فضائل التراحم والرأفة، أمّا الإحسان فهو فعل كل ما ينبغي من خير وفضائل.

– تجلت الرحمة في التوراة من خلال مظاهر التأني والرفق واللين في التعامل ومقصدا نصّت عليه الشريعة اليهودية ومن جملة الأوامر الإلهية في التوراة، والرحمة أهم صفات الذات الإلهية في التوراة وتجمع صفات العدل والرحمة، فالله رؤوف بعباده ولكن عادل ولا يفلت المذنب من العقاب، ولكنها رحمة تختص ببني إسرائيل وحدهم، دون غيرهم من البشرية.

– الرحمة أساسا من أسس القيم الروحية القرآنية، وأساس عقدي وإيماني وصفة من صفات الله تعالى، واسم من أسمائه الحسنى، والتصديق بها جزء لا يتجزأ من الإيمان والتوحيد بالله وصفاته تعالى، فالله تعالى أقام موازين الكون على الحق والرحمة، ورسالة الإسلام هي رحمة من الله لعباده، كما أنّ كل النعم الحسية والمعنوية كالرزق والصحة والأمن والعلم والحكمة من رحمات الله التي تتجلى في الكون كبيره ودقيقه.

– الرحمة قيمة أخلاقية نبيلة تنبثق من قيم الإيمان والتوحيد، وهي رابط متين يبنى عليه التماسك الاجتماعي، كما أنها تتجسد ماديا في العطاء والبذل والصدقات وهنا نجدها ترتبط بقيمة الإحسان.

– الإحسان والرحمة تتجلى مظاهرهما في تعامل الفرد مع غيره، وبدايتها مع أسرة الإنسان، وهي اللبنة التي يبنى عليها المجتمع، التي بنيت على ميثاق غليظ ترعاه القيم الروحية أساسها المودة والرحمة، كما تجمع تماسكها الإحسان بين أفراد الأسرة وكذا المجتمع، وأول ما يتجلى ذلك الإحسان تجاه الوالدين، وهو شريعة ربانية، عمود أخلاقي تشترك فيها التوراة والقرآن الكريم.

– تنظم العلاقات الإنسانية تشريعات وحدود نصتها الشرائع المقدسة والنصوص الدينية لتعطي كل ذي حق حقه، وتمنع الاعتداء على حقوق الغير في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فكان التعفف والتنزه قيمة روحية أخلاقية تعاملية، نصت عليها الشرائع الدينية، يتطهر بها القلب عن الشهوات والملذات والابتعاد عن كل فجور أو خلق سيء، وهطا ما أسست له التوراة والقرآن الكريم.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف.

– تتناقض نصوص التوراة وتتعارض في قيمة الصدق بالدعوة إليها وترسيخها في المجتمع اليهودي، لتأتي نصوص أخرى تعارضها وتأمر اليهودي بالكذب والخداع مع غيره خارج إطار الديانة اليهودية، بل وتنسب نصوص التوراة الكذب والابتعاد عن الصدق للأنبياء والرسل،

وهو ما يتجلى في قصة البكورية التي أخذها يعقوب زورا وكذبا، وهي الأساس الذي تقام عليه الديانة اليهودية.

– النبي صلى الله عليه وسلم هو الملقب بالصادق الأمين في صدق حديثه وسلوكه قبل النبوة وبعدها، وبها اتصف الأنبياء والمرسلون الذين نفى عليهم القرآن الكريم ونزههم عن كل كذب أو رياء أو خيانة عكس ما يرد عليهم في التوراة.

– الصدق أساس التعامل الإنساني ورابط كل العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية وأين غابت هذه القيمة في المجتمع تفككت روابطه وانحلت أواصره.

– يتميّز الصدق في القرآن الكريم من المقامات التي يرتقي فيها الفرد في قيمه وأخلاقه، حتى يسمى صديقا في إيمانه وإخلاصه في قوله وعمله وكل أمره.

– من مقاصد الشرائع السماوية حفظ النفس البشرية من كل اعتداء، لكن التوراة تحرم أي اعتداء لليهودي على أخيه اليهودي فحسب، فكانت وصايا تحريم القتل تتكرر في التوراة، وتنهى عن كل أشكاله بين اليهود، كما تحرم كل أنواع الاعتداءات بين اليهود قولا وفعلا، وكل أنواع الظلم والاعتداءات الجسدية أو المعنوية، أو الاعتداءات على الأموال، كلها سلوكات تنفي التعامل بالرحمة والإحسان بين اليهود نهت عنها التوراة وحرمتها.

– كما كانت الرحمة بكل مظاهرها وأشكالها خاصة باليهود كانت قيمة الإحسان تقتصر على اليهود فحسب، وأولها الاحسان للوالدين باحترامهما واكرامهما، وتكررت وصايا احترام الوالدين وتحريم كل اعتداء عليهما بأي شكل من الأشكال، كما تبني التوراة قاعدة أخلاقية مهمة من قيمة الإحسان في خدمة الفقراء والمساكين والأرملة واليتيم.

– الرحمة في القرآن الكريم لا تفرق بين الناس في الدين أو الفكر أو الفكر أول المال أو النسب أو لون أو جنس، حتى أنّ المسلم مطالب برحمة حتى الحيوان وكذا الجماد، فهي قيمة قرآنية إنسانية شاملة للبشرية، وأسس القرآن الكريم للتراحم الشامل بين البشر دون تفريق وتمييز.

– اقترن الإحسان والإيمان والإسلام في منظومة القيمية الروحية القرآنية، فالإحسان أعلى مراتب الإيمان فهو عمل خالص بأمر الله وطاعته، وقيمة ملازمة للمؤمن في إسلامه وإيمانه وطاعته وأعماله، فكانتا قيم الرحمة والإحسان من القيم التعاملية التي أمر بها القرآن الكريم، فلقد عدّ الإحسان خلق جامع لجميع أبواب الحقائق وهو لب الإيمان وروحه.

– نجد الرحمة والإحسان خلق المسلمين في كل أحوالهم فيما بينهم وبين غيرهم سواء في حال السلم أو الحرب، وهذا ما وثقته النصوص التاريخية للمسلمين، فيما نجد ما يعاكس هذه

القيم والأخلاق في التاريخ اليهودي وتعاملهم مع غيرهم سواء زمن السلم أو الحرب، بل إنّ التوراة تأمر بالاعتداءات البشعة تجاه غير اليهودي.

- نجد التوراة تنهي وتحرم الزنا في الوصايا العشر، وتدين كل اعتداء على الأعراض وعدّ أي اتصال بامرأة بما يتناقض وأحكام الشريعة هو زنا، وتجعل من الزواج أساس متينا للعلاقة بين الجنسين، والبناء الأسري السليم، كما فصلت في المحرمات والنهي عن كل شذوذ جنسي وغيرها، ولكن نجد نصوصا توراتية تعارض هذه القيمة وتنسب هذه الرذائل والأخلاق الدنيئة للأنبياء والرسل (عليهم السلام)، في أبشع صور للاعتداءات المحرمة، كما نجد التوراة تحفل بصور عديدة ترويها لأحداث وقصص ارتكبها ملوكهم ومصلحيهم تنم عن ابتعاد مطلق وتجرد من كل قيم التعفف والحياء والترفع عن كل فسوق وفجور وفواحش.

- العفة قيمة شاملة لضبط النفس والروح عن رغباتها ونزواتها المادية والمعنوية، وترجع بالفطرة البشرية لأصولها الإنسانية السليمة وتمنع عنها جموحها الحيواني، فكان التعفف في القرآن الكريم سامل لكل ما ليس للمرء حق فيه، فأمر بالتعفف عن الماديات والأموال بغير حق، والتعفف بحفظ الأبصار فلا يمتد البصر إلى ما في يد غيرك، كما هي عن التعفف عن النظر إلى كل حرام، والعفة بحفظ الفروج الذي يفضي إلى الزنا والوقوع في الرذائل، وحدّ فيها القرآن الكريم حدودا زاجرة وعقوبات في الدنيا والآخرة، ليبني في القرآن الكريم في النفوس سدا منيعا يمنع الوقوع فيها.

- لم ينسب القرآن الكريم الرذائل والوقوع في المنكرات للأنبياء والمرسلين أو المصلحين في أقوامهم، كما نسبت التوراة للرسل والأنبياء، بل إنّ القرآن الكريم عصم الأنبياء الرسل عن الوقوع في هذه الفواحش مطلقا لأنهم خير من اصطفى من البشر وخصهم برسالاته.

الفصل الثالث:

القيم الروحية في التعامل مع الآخر خارجيا بين التوراة والقرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

يعّد هذا الفصل نقطة مفصلية ومهمة لما تقدم في بحثنا، باعتباره جزءا نقديا من جهة وتطبيقيا من جهة أخرى في نظرة كل نص إلى من لا يؤمنون به، نحاول من خلاله معالجة القيم الروحية ونظرتها نحو الآخر الذي لا يؤمن بها، ولا ينتمي للنسيج الديني اليهودي من جهة أو الإسلامي من جهة أخرى، رغم أن هذا الأخير الإسلام والقرآن الكريم لا يفرق بين القيم التي يلتزم بها المسلم في تعامله سواء مع أخيه المسلم أو غيره من أصحاب الديانات الأخرى، ولكن هذا التقسيم جاء على بناء آخر وهو طبيعة العلاقة التي تجمعه بالآخر، والذي اعتبرناه نقطة مشتركة نستطيع من خلالها جمع المتفرق بين اليهودية والإسلام، وهي من الحالات التي تنص عليها القوانين الدولية، ألا وهي في حالتي السلم والحرب، وهي أهم حالتين يمكن أن تجمع بين طرفين، لضبط العلاقة والقيم التي تسييرها.

وقبل معالجة القيم التي ارتأينا معالجتها تحت نطاق السلم أو الحرب، والتي تضبط علاقة اليهودي بغيره الذي لا يؤمن باليهودية، أو المسلم وعلاقته بغير المسلم ، أردنا معالجة قيمة روحية وسياسية وأخلاقية وفلسفية تعّد من القيم المركزية في التعامل مع الآخر خارج نطاق الديانة وداخلها كذلك، ولكنها قيمة تحكم العلاقات العامة بين جميع الناس، وهو من القيم الروحية العالمية وإنسانية.

المبحث الأول: قيمة العدل بين التوراة والقرآن الكريم.

العدل من القيم الإنسانية الثابتة والمشتركة، التي لا تتغير مفاهيمها و تعريفاتها أو تختلف بين الثقافات واللغات، فهو التوازن الاجتماعي المنشود، وإعطاء كل ذي حق حقه، لكن يحدث أن تختلف قيمة العدل في تطبيقاتها داخل المجتمعات، أو في ضبط السلوك والتشريعات الدينية كونها عادلة أو غير عادلة، كما قد ينجر عن الرؤية السطحية للقوانين والتشريعات الدينية، الحكم عليها بأنها غير عادلة، وهذا لغياب النظرة التحليلية المعمقة للديانات.

وهكذا كان حال اليهودية والإسلام اللذين ينطلقان في قيمة العدل من العدل الإلهي القائم في الكون، ثم العدل الذي أمرت به النصوص الدينية (التوراة والقرآن الكريم) كونهما الوحي الإلهي الموجه للبشر، والذي أرادت به الذات الإلهية أن يكون الميزان الذي يقام به العدل بين الخلائق، بما احتواه من تشريعات وقوانين وأوامر ونواهي، وهذا لا يعني التطابق التام في قيمة العدل بين النصين المقدسين، وهذا ما سنحاول استظهاره في هذه القراءة التحليلية للتوراة والقرآن الكريم، ونظرتهما للعدل وتطبيقاته التشريعية والقانونية، ومدى شمولية العدل الذي ينص عليه كل من التوراة والقرآن الكريم من عدمها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم قيمة العدل.

1- المفهوم اللغوي للعدل:

يعرّف العدل في اللغة العربية مشتقا من الفعل الثلاثي" عدل"، والصفة منه "عادل"، فعدله بكذا أي ساواه وأقامه، وعدّل الحكم: أقامه، وعدّل الشيء: قوّمه، وعدّل الشاهد: زكّاه وقال أنّه عدْل، وعدّل الميزان: سواه، فالعدلُ هو الحكم بالحق[1]، وما قام في النفوس أنّه مستقيم، وهو ضدّ الجور، والعدلُ: السويّة، والاستقامة، وفي أسماء الله سبحانه " العدل"، هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم[2].

وفكرة العدل بمعنى المساواة أو التساوي تستخدم بمعنى مساواة هذا الشيء بذاك، ويمكن التعبير عن هذا المعنى بمصطلحين: كيفي وكمّي، الأول يشير إلى مبدأ المساواة المجرّد الذي يعني المساواة في الحقوق، أمّا المصطلح الثان فيؤكد مبدأ العدل التوزيعي، وأحسن ما يعبر عن هذه المصطلحات : نصيب وقسط ، قسطاس، وميزان وتقويم أي جعل الشيء مستقيما.

وعلى هذا يكون المعنى الحرفي لـ (عدل) في اللغة العربية مزيجا من القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهو يفيد: الانصاف، الميزان، الاعتدال، والاستقامة، أمّا منطقيا فالعدل الإلهي مركّب من كل هذه القيم والفضائل[3].

وقال الراغب: العَدل، والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، والعدل والعِدل متقاربان، لكن العَدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، والعِدل: فيما يدرك بالحاسة كالمكيالات"[4].

ولفظة "عدل" تتطابق مع لفظ عدالة في اللغات اللاتينية،"Justice"، و"Equitability" ويعني بها المثل الأخلاقي الذي يسعى القانون إلى دعمه في حماية الحقوق والمعاقبة على الأخطاء[5]، وأمّا العدالة في اللغة العبرية: "ישר "[6] و" ישר" ويقصد بها مستقيم وعادل وأمين[7].

---

[1]- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مج 4، ص 46- 47.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، مج 11، ص430 .

[3]- مجيد خدوري: مفهوم العدل في الإسلام، دار الحصاد، دار الكلمة، سوريا، دمشق، د ط، د ت، ص 22.

[4]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 325.

[5] - Elizabeth A . Martin : Dictionary of Low , Oxford university press, 5th Edition , 2003, p 257.

[6]- محمد آلتونجي: معجم الطلاب عبري – عربي، ص 240.

[7]- ريحي كمال: المعجم الحديث عبري – عربي، ص 209.

2- المفهوم الاصطلاحي للعدل:

يعرّف العدل بأنه القصد في الأمور، وهو الإنصاف والمساواة بين الناس، وهو الحكم بالاستواء، وتحري المساواة والمماثلة بين خصمين، بأن لا يرجح أحدهما عن الآخر قط، بل يكونان سواء، حتى يصل كل ذي حق حقّه، والعدالة أو المعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، والعدل نقيض الظلم والجور، والعدل له مرادف هو القسط[1]، "فمفهوم العدل والظلم يتصلان أشد الاتصال بمفاهيم الشرعية والخطيئة، فالظلم بالبداهة ينطوي على الخطيئة، والظالم على الدوام ظالم تجاه شخص، باغتصابه حق شخص أو يمنعه عنه بالأذى ويمتهن كرامته، وأمّا العدل فهو نوع من الشرعية التي تنطوي على فكرة أنّ المرء قد قام بواجبه حيال شخص وهو واجب يقابل حقا، ومثلما يكون الفعل شرعيا عندما يكون عدم القيام به خاطئ، كذلك فإنّ الفعل يكون عادلا عندما يكون عدم القيام به ظالما"[2].

العدل الأخلاقي هو العدل وفق أسمى الفضائل التي تقيم معيارا للسلوك الإنساني، إذا كان العدل الشرعي يوجب على الإنسان الالتزام بحد أحنى من الفرائض، فإنّ العدل الأخلاقي يحض المرء على الامتثال للأسمى معيار ممكن للخير، والعدل أعظم الفضائل، كما يقول أرسطو ويتضمن جميع الفضائل، ويعّد القرآن الكريم مصدر لأسمى الفضائل[3].

"إنّ العدل بمفهومه الأدنى هو اللاظلم ولا يكفي في الواقع قولنا أنّ الظلم والعدل يعنيان اغتصاب الحقوق ومراعاتها، بل إننا إذ نصف فعلا بأنّه ظالم إنما ندل على أنّه ينطوي على انحياز يرجح جانب الشر على الخير، والاساءة على الاحسان، إنّ فعل القتل والسرقة فعلان ظالمان ولكنهما في الواقع أيضا فعلان خاطئان أو جريمتان، لأنّ الانحياز الناتج عن وقوعهما يختفي تمام خلف سمتهما العامة من حيث أن كلا منهما خطيئة أو جرم، ولكن نقّر على الفور بظلمهما الصارخ إذا عرفنا أنّ القاتل أو اللص إنما اتبع هواه وهو يحتقر بفعلته حقوق الآخر كل الاحتقار، فكل فعل عادل بالمعنى الدقيق هو امتناع الانسان عن الإساءة إلى الآخرين وإلى أملاكهم وسمعتهم"[4].

---

[1]- أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ص 22.

[2]- عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، ص 508.

[3]- مجيد خدوري: مفهوم العدل في الإسلام، ص 131.

[4]- عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، ص 508 - 509.

يقول شوبنهور: "إنّ كل كائن حي يميل إلى أن يعتبر نفسه أنه إرادة الحياة كلها، أي أنّه يؤكد نفسه على حساب الآخرين، ولكن العدالة الصحيحة هي التي ترفض هذه الدعوى البيولوجية وتوجب ألا يكون للشخص سوى حصته من الوجود، ولا مناص من أن يشترك الآخرون في هذا المطلب العادل"، وقد ميّز أرسطو منذ القدم، ثلاثة أضرب من العدالة: عدالة شعارها مساواة حسابية وهي تسود دنيا المبادلات وذلك عندما يكون حدا التبادل متساويين أحهما مع الآخر أو كل منهما مع حد ثالث، والضرب الثاني من العدالة عدالة توزيعية، وهي تظهر عندما يكون من العدل توزيع حصص متساوية على أشخاص غير متساوين، وأخيرا هناك عدالة رادعة قمعية، وقد كان شعارها العين بالعين والسّن بالسّن، وجعلت فيها شدة العقوبة تتساوى مع شدّة الأذى أو الشر المقترف. وإنّ تعدد أنواع العدالة هذه إلا كاشف ينم عن صعاب بنائها على فكرة المساواة بين أشخاص الفاعلين وطبيعة فعالهم، وغير خاف أن المساواة بين الناس ليست من صنع الطبيعة، بل هي قيمة يتطلع إليها السلوك الانساني ليجعلها رائدا ومعيارا، وما تساوي الناس في حقل العدل والظلم إلا اعتبار ناجم عن اتصافهم بالقيمة الانسانية الواحدة، قيمة الشخص الإنساني وكرامته[1].

إنّ مصطلح العدل أخذ أبعادا متنوعة في الفكر الإنساني، اختلفت بين بعده السياسي، والعدل الكلامي أي الذي تناوله علم الكلام في جانبه الديني والعقدي، والعدل الفلسفي والعدل الأخلاقي والعدل القانوني والاجتماعي، واختلفت المذاهب والمدارس الفكرية أشد الاختلاف في العدل، من مدرسة فكرية إلى أخرى ومن مفكر إلى آخر حتى في المدرسة ذاتها،

فالعدل السياسي الذي غالبا ما يعّد هدف الحكم والدولة الأساسي، وقد عدّه أرسطو من أوسع مجالات العدل، وميزانه يرجع إلى قرار الدولة فيما تراه عدلا أو جورا، وقد تكون إرادة الحاكم عادلة أو لا تكون، كما قد تكون قوانين الدولة تتضمن بعضا من عناصر العدل الفقهية والأخلاقية والاجتماعية.

وينطلق العدل السياسي في الإسلام انسجاما مع نظامه العام من الله تعالى، والذي يمارس إرادته عبر الأنبياء والحكام الذي خلفوه، والمؤمنون مأمورون بالتقيّد بالشريعة وبالطاعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ... ﴿٢٦﴾ ﴾[2]، وقد اختلفت المذاهب والمدارس الفكرية الإسلامية أشّد الاختلاف في العدل السياسي، أمّا العدل في علم الكلام فهو العدل وفقا للمذاهب التي وضعها المتكلمون عن ذات الله وإرادته، واتفق المتكلمون على أنّ العدل

[1]- عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، ص 511- 512.

[2]- ص: 26.

الإلهي يفيض من الله، وأنّ الله هو الحكم النهائي، لكنهم اختلفوا في طبيعة هذا العدل، أهو تعبير عن إرادة الله وقدرته، أم هو تعبير عن ذاته وصفاته؟ فانقسم فيه المسلمون إلى مدرستين مدرسة الوحي (النقل) ومدرسة العقل، واستمر الخلاف حول طبيعة العدل الإلهي، وفي قدرة الإنسان على تحقيقه في الحياة الدنيا، وفي مصير الإنسان في الآخرة أيضا[1].

أمّا العدل الفلسفي على خلاف العدل الديني، هو عدل بموجب العقل، وليس بموجب الوحي، وقد خاض فيه علماء الإسلام والفلاسفة تأثرا بالفلسفة اليونانية بدعوة اللجوء إلى العقل لتوفير أساس عقلاني للعدل الإلهي، وكان الكندي أول فيلسوف يتناول مسألة العدل في إطار مفهومين الإسلامي واليوناني معا، وكان من بين من وضع الأسس الأولى لتناول العدل كمفهوم عقلاني[2].

أمّا العدل الأخلاقي الذي نحن بصدد بمعالجته، هو عدل وفق أسمى الفضائل التي تقيم معيارا للسلوك الإنساني، يقول أبو بكر الرازي:" الهدف الأسمى الذي من أجله خلقنا، وإليه نساق ليس تحقيق الملذّات الجسدية، بل اكتساب المعرفة وممارسة العدل: فهذان المسلكان هما سبيلنا الوحيد للخلاص من هذا العالم إلى عالم ليس فيه فناء ولا ألم"[3]، "فإذا كان العدل الشرعي يوجب على الإنسان الالتزام بحد أدنى من الفرائض، فإنّ العدل الأخلاقي يحض المرء على الامتثال لأسمى معيار ممكن للخير"[4].

أمّا اليهودية فإنّها تنظر للعدل كقيمة أخلاقية، وهي من أهم المفاهيم المركزية التي تميّز اليهودية، وهي تضم العديد المفاهيم التي تدور حولها، وهي من صفات الله في التوراة، وتدعوا لإقامة العدل وفقا لقوانين الله[5].

تتقاطع المفاهيم حول العدل بين الإسلام واليهودية أنه من أهم القيم الأخلاقية والإنسانية، كما لها جانب روحي وعقدي مركزي في الديانتين وهو العدل الإلهي، فالعدل صفة من صفات الله، التي تقوم عليها النصوص التوراتية والقرآنية، وإن تباينت الرؤية نحو هذا العدل وماهيته وطريقته وتطبيقاته بين اليهودية والإسلام وهذا ما سنحاول معالجته.

---

[1]- مجيد خدوري: مفهوم العدل في الإسلام، ص 29 - 59.

[2]- المرجع نفسه، ص 102- 109. (انظر: م. أ . أبو ريدة: رسائل الكندي الفلسفية، القاهرة، 1950م، ج 1، ص 27- 31)

[3]- المرجع نفسه، ص 131.

[4]- المرجع نفسه، ص 131.

[5] - Encyclopedia Judaica, Second Edition, Vol 11 , p 579 -578

المطلب الثاني: قيمة العدل في التوراة.

العدل من المفاهيم الجوهرية في الديانة اليهودية، وتظهر في العديد من السياقات، وتتجسد في عدالة الله الكاملة والخالصة ولهذا يطلب العدالة من قومه (اليهود)[1]، فنجد جاء ذكر العدل مع بدايات التوراة، في سفر التكوين كشرط لنيل العهد الذي أقامه الرب مع إبراهيم (عليه السلام) "لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ"[2]، وجاء أيضا: "حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ، حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟"[3]، فمفهوم العدل والمساواة من المفاهيم والقيم الجوهرية في اليهودية، وهذا نستشفه من قصة آدم وحواء، فإذا كان جميع البشر ينحدرون من مجموعة واحدة من الآباء، إذن من الواضح أننا جميعا متساوون، كما أنّ مفهوم الإنسانية متأصل في أنّ كل إنسان مصنوع في الصورة الإلهية[4].

ركزت التوراة في قيمة العدل على العدل في القضاء، وأحاطتها بعديد الأحكام التي تختص بالشهود والقضاة لضمان العدل في الأحكام وتجنب الظلم، ولهذا اختص الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التثنية بأحكام العدل في القضاء، ومنها ما جاء في سفر التثنية: "إذا كانت خصومة بين أناس وتقدموا إلى القضاء ليقضي القضاة بينهم فليبرروا البار وليحكموا على المذنب"[5]، المذنب"[5]، ليقام عدل في القضاء ومحاكمة المذنب.

وتضع التوراة أسسا صالحة للتعامل الإنساني، بحيث تساعد على تحقيق العدل، وعلى أن تستل الأحقاد والضغائن: "لاَ يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى إِنْسَانٍ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْ خَطِيَّةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْخَطَايَا الَّتِي يُخْطِئُ بِهَا، عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْر"[6]، فكانت أحكام الشهادة مشددة في التوراة، وتعدتها حتى إلى وجوب شهادة ثلاثة أشخاص، ونهت عن الرشوة بكل أنواعها، التي قد تجر حكما ظالما، "وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ"[7]، وقد فرض كل أهل العدل من أرباب القضاء العقاب عليها، وكان شأنها كذلك بين قدماء

---

[1] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 260.

[2]- التكوين 18: 19.

[3]- التكوين 18: 25.

[4] - Jack Bemporad : "Ten Principles of Spiritual Judaism Commentary" , p 14.

[5]- التثنية 25: 1.

[6]- التثنية 19: 15.

[7]- الخروج 23: 8.

قدماء الأمم على ما أفاد هيرودوتس اليوناني، وقال يوسيفوس المؤرخ العبراني أنّ اليهود كانوا يقتلون القضاة والمرتشين[1]، " قُضَاةً وَعُرَفَاءَ تَجْعَلُ لَكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ حَسَبَ أَسْبَاطِكَ، فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ قَضَاءً عَادِلاً. لاَ تُحَرِّفِ الْقَضَاءَ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى الْوُجُوهِ، وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي أَعْيُنَ الْحُكَمَاءِ وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الصِّدِّيقِينَ، الْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبِعُ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ"[2]، فللعدل أهمية كبيرة في التناخ.

جاء في التوراة كذلك "لاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ"[3]، هذه الحكمة من أعمق المميزات الأساسية للدين اليهودي، إذ بينما هو يفرض مواساة الفقير والعطف على المسكين، نراه يخشى من أن تمتهن العدالة لصالح المسكين في إحدى الدعوات القضائية، ولو كان غير محق فيها، يخشى أن يخترق قانون العدالة لا لسبب إلّا لأنه مسكين، فالعطف والشفقة هما من الانفعالات النفسية التي لها مكانها ومناسبتها، ولكن حتى هذا الشعور النبيل يجب أن يكتم أمام العدل[4]، وتكرر هذا في سفر اللاويين "لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلاَ تَحْتَرِمْ وَجْهَ كَبِيرٍ، بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ"[5]، أي يجب على الحكام أن يعدلوا في الأحكام، وألا تحابوا أو لا تعاقبوا المسكين البريء لأجل الغني، بل يجب على القضاة أن ينصفوا ويحكموا لفقير إذا كان الحق معه، ولو كان على غاية من الفقر وينصفوه من الغني ولو كان في أعلى درجات الغنى، ويجب أن يكون الجميع متساوون أمام القاضي أو الحاكم، فلا يكرم الغني ويهان الفقير[6]، وفي سفر التثنية، تكرر كذلك الأمر بالقضاء بالحق والعدل، "وَأَمَرْتُ قُضَاتَكُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: اسْمَعُوا بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ وَاقْضُوا بِالْحَقِّ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَأَخِيهِ وَنَزِيلِهِ، لاَ تَنْظُرُوا إِلَى الْوُجُوهِ فِي الْقَضَاءِ، لِلصَّغِيرِ كَالْكَبِيرِ تَسْمَعُونَ، لاَ تَهَابُوا وَجْهَ إِنْسَانٍ لأَنَّ الْقَضَاءَ لِلهِ، وَالأَمْرُ الَّذِي يَعْسُرُ عَلَيْكُمْ تُقَدِّمُونَهُ إِلَيَّ لأَسْمَعَهُ"[7]، فأمرت التوراة بالحكم بالحق والعدل دون النظر من يكون المحكوم عليه في مكانته أو وجاهته، بل الجميع متساوون أمام القضاء.

---

[1]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم -شرح سفر الخروج-، ص 105.

[2]- التثنية 16: 18- 20.

[3]- الخروج 23: 3.

[4]- د. جوزف و هـ. هرتس: خلاصة الفكر اليهودي عبر العصور، ترجمة: ألفريد يلور، دار ومكتبة بيبلون، جبيل، لبنان، د ط، 2007م، ص 40.

[5]- اللاويين 19: 15.

[6]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم- شرح سفر اللاويين-، ص 96.

[7]- التثنية 1: 16- 17.

وأكدت التوراة على العدل كثيرا باعتباره من أسس حياتهم ومعاملاتهم التجارية وتعاملاتهم مع الضعفاء والفقراء[1]، ولهذا أكدّت التوراة على العدل في الميزان والكيل: "لاَ يَكُنْ لَكَ فِي كِيسِكَ أَوْزَانٌ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ. لاَ يَكُنْ لَكَ فِي بَيْتِكَ مَكَايِيلُ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ، وَزْنٌ صَحِيحٌ وَحَقٌّ يَكُونُ لَكَ، وَمِكْيَالٌ صَحِيحٌ وَحَقٌّ يَكُونُ لَكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذلِكَ، كُلَّ مَنْ عَمِلَ غِشًّا، مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ"[2]، و"لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ"[3]، فالعدل في الميزان والكيل من جمل القداسة، وغاية هذه الوصية الأولى إيجاب العدل، ووقاية المسكين من الغبن فإن الأغنياء قادرون على العناية بأنفسهم، وأمّا الفقراء فيضرون بالوزن والكيل لعجزهم عن وقاية أنفسهم من الغبن، والظلم ويزيد فقرا[4]، فجعل الجور في القياس والوزن كالجور في القضاء والجامع بينهما إضافة الحقوق، وكثيرا ما نهى الكتاب المقدس عن هذا الجور، كما أنّ علماء الناموس حكموا على من يجور ويظلم في القياس والوزن والكيل التي هي كالجور في القضاء بخمسة ذنوب: إنه ينجس الأرض، و يدنس اسم الله، ويكون علّة ذهاب السكينة، وهلاك بني إسرائيل، وقالوا خطية الغش أو الجور بالقياس والميزان والكيل أعظم من خطية الزنا، وأقاموا نظارا أي مراقبين في كل مكان على ذلك أي النظر في كل من القياس والوزن والكيل[5].

لإرساء العدل في القضاء اشترطت التوراة في تحري الشهادة الصادقة، لإصدار أحكام القضاء ولأكثر من شاهد، وتحرت في الشهادة الصدق، والابتعاد عن شهادة الزور، "لاَ يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى إِنْسَانٍ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْ خَطِيَّةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْخَطَايَا الَّتِي يُخْطِئُ بِهَا، عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْرُ"[6] فكان لا بدّ لإقامة دليل باتفاق شاهدين على الأقل، ويستثني من إحضار إحضار الشهود الوالد الذي يطلب إصدار حكم بإعدام ولده العاق، كما ينص القانون صراحة على أنّ كل دعوى يجب أن تؤخذ فيها شهادة شاهدين على الأقل، وأقوال الشاهد الواحد لا تكفي

---

[1] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 260.

[2]- التثنية 25: 13- 16.

[3]- اللاويين 19: 35.

[4]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، شرح سفر التثنية، ص 81 -83.

[5]- المرجع نفسه، ص 102.

[6]- التثنية 9: 15 – 16.

لإدانة المتهم، واستصدار الحكم بإعدامه، ويروي المؤرخ اليهودي "يوسف بن متى" أنّ القوم ما كانوا يقبلون شهادة النساء والعبيد"[1].

وشددت في مناقشة الشهود، وعلى عقوبة شهادة الزور، "إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلَى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ، يَقِفُ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ بَيْنَهُمَا الْخُصُومَةُ أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، فَإِنْ فَحَصَ الْقُضَاةُ جَيِّدًا، وَإِذَا الشَّاهِدُ شَاهِدٌ كَاذِبٌ، قَدْ شَهِدَ بِالْكَذِبِ عَلَى أَخِيهِ، فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكُمْ. وَيَسْمَعُ الْبَاقُونَ فَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذلِكَ الأَمْرِ الْخَبِيثِ فِي وَسَطِكَ، لاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ، يَدٌ بِيَدٍ، رِجْلٌ بِرِجْلٍ"[2]، وضعت شريعة الانتقام هنا على وجه الشدة لكن الانتقام وكل فيها إلى القضاة لا إلى كل إنسان ليفعل ما يشاء، "لا تشفق عينك، عين بعين أي قلع عين جزاؤه قلع عين القالع" ونحو ذلك، " سن بسن" أي كسر سن الكاسر أو قلع سن القالع، وذلك كله يكون بحكم القضاة، فليس لأحد أن ينتقم لنفسه[3]، فكان من حق القاضي أن يوقع نفس العقوبة التي كانت ستقع على المتهم، إذا ثبت عدم صحة شهادته[4].

لكن هذا النظام الداخلي القائم في القضاء عند بني إسرائيل، لا ينفي عدم وجود اختراقات لهذا النظام، فنجد نصوصا خارج التوراة أي الأسفار الخمسة، تروي حوادث في تاريخ بني إسرائيل، لم يكن العدل قائما بينهم، فقصة "نابوت اليزرعيلي" وبستان كرمه، على أنه لم يتعذر على القوم من بني إسرائيل إدانة رجل بريء، وذلك بالتحريض على شهادة الزور ضده، ونجحت الملكة "إيزابيل" في تحريض رجلين على الشهادة زورا، بأنّ "نابوت" قد جدّف بالله والملك، ومن ثمّ فقد حكم عليه بالإعدام، ورجم الحجارة حتى مات، وأخذ الملك "أخاب" بستانه[5].

وللإشارة وحسب ما قدم الباحثون في أحكام القضاء اليهودية التي يراد بها إقامة نظام عادل، لا يظلم فيه أحد أنّ نظام العقوبات فيه، هو النظام الذي كان سائدا في حضارات الشرق الأدنى القديم، وهو مبدأ القصاص "العين بالعين والسن بالسن" فنجد هذا القانون قائما منذ القدم في

---

[1]- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل –الحضارة الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية–، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1999م، ج 4، ص 675.

[2]- التثنية 19: 17- 21.

[3]- وليم مارش: سنن القوم في تفسير أسفار العهد القديم- شرح سفر التثنية–، ص 67- 68.

[4]- محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل ، ج 4، ص 675.

[5]- الملوك الأول 21: 1- 29.

القوانين وأبرزها قانون حمورابي وغيرها من التشريعات – التي سبق الإشارة إليها في الفصل الأول من البحث-.

ويرى اليهود أنّ قوانين العدالة المنصوص عليها في أسفار موسى الخمسة، وهي تهدف لكبح شر قلب الإنسان، وهو ليس مجرد كتاب قواني بل هو عمل قائم على القانون الإلهي، وهو قانون عظيم موجه لبني إسرائيل، وإنّ أوامر الكتب الخمسة لموسى قصيرة وحاسمة ولا لبس فيها، على وزن "أنت يجب" و "لا يجوز لك" ولا مجال فيها للتردد بين الله والمتلقي، أي شعب إسرائيل، في مبادئ مطلقة لا خيار أمام شعب إسرائيل سوى الرد عليها ب " سنفعل ونطيع"، ومن الأمور التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في مناقشة الكتب الخمسة لموسى، أي التوراة أنها كانت موجهة إلى أناس محاطين بالثقافات الوثنية المصرية والكنعانية، كما يجب أن نضع في عين الاعتبار أنّ الإسرائيليين في تلك الأيام كانوا بدو رحل فكانت حياتهم – مقارنة بجماعات الفلاحين المرتبطة بالأرض- حرة ومتكافئة نسبيا[1].

إنّ قوانين العدالة في أسفار موسى الخمسة شاسع، من أجل تحسين النظام الاجتماعي، ولهذا يمكن تقسيمها إلى عدة موضوعات رئيسية: حماية الضعفاء، القضايا بين فرد وآخر، العلاقة بين الفرد والمجتمع، وإجراء المحاكمات العادلة[2]، ولم يقتصر على أسفار التوراة بل كانت ضمن تعاليم الأنبياء (عاموس، هوشع، ميخا، أشعيا) الذين جعلوا من العدالة الاجتماعية عنصرا أساسيا في تعاليمهم، مطالبين بحماية الضعفاء والأرملة واليتيم والغريب والفقير والمظلوم، وأسسوا لمفاهيم رئيسية "البر، والاستقامة، واللطف والمحبة[3].

- **حماية الضعفاء:** وتشمل في التوراة الفقراء والأيتام والمرضى واللاويين، فلا يجوز كما سبقت الإشارة إليه إساءة معاملة أي أرملة أو يتيم، كما لا يجوز إهانة الصم أو وضع حجر عثرة أمام المكفوفين، أمّا اللاويين فقد أعطي كل الأعشار في إسرائيل نصيبهم في مقابل الخدمات التي يؤدونها، كخدمات خيمة الاجتماع، فأسفار موسى الخمسة تكرر دائما مطالب العدالة والمساعدة تجاه الضعفاء مع التأكيد عل أن هذه إرادة الله دائما.

---

[1] - Arie Lova Eliaw : Biblical Humanisme For Modern Israël ,P 27.

[2] - libid , p 27.

[3] -Mal Leicester, Celia Modgil and Sohan Modgil: Education,Culture and Value – Spiritual and Religious Education-, p 27.

- **القوانين بين الأفراد:** تتعامل معظم قوانين الكتاب المقدس مع هذا النوع من المخالفات الجنائية إلى جانب القتل الذي يعّد أبشع الجرائم، وباقي الجرائم المفصلة في التوراة هي الخطايا والتجاوزات التي تمارس عادة حتى يومنا هذا، مثل السرقة، وشهادة الزور والتعدي على ممتلكات الغير، الرشوة ، عدم دفع الأجور وما إلى ذلك، ويتم التصدي لمختلف هذه الجرائم في أسفار موسى الخمسة من خلال عدد لا يحصى من النصوص التي تنص على الابتعاد عن هذه الجرائم والتعدي على حقوق الغير.

- **قوانين إجراء المحاكمات:** تؤكد أسفار موسى الخمسة مرارا وتكرارا على عدد من أسس القوانين مثل العدالة بدون الإحسان وقواعد الإثبات والشهود والأحكام الرادعة، ويتم التعبير عن هذه القواعد التوراتية والتي تشمل أيضا النظام القانون لقضاة إسرائيل كأوامر إلهية، كما أنّ وصية التصرف بالعدل هي من الله ومنذ وقت مبكر منذ زمن إبراهيم[1]، فمجمل القيم السابقة التي تناولناها بالدراسة هي قيم تجتمع في قيم العدل التي يجب أن تتحقق في المجتمع وتوصي بها التوراة.

المطلب الثالث: قيمة العدل في القرآن الكريم.

تدل مادة (ع د ل) في اللغة على معنيين متقابلين أحدهما الاستواء، والآخر الميل، وقد تكررت مادة "العدل" بمشتقاتها في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثين مرّة، وقد يشير هذا التكرار – ولو من ناحية المظهر على الأقل– إلى عناية القرآن الكريم بالحديث عن العدل، و"العدل" نفسه هو اسم من أسماء الله الحسنى، فهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، ولفظ العدل في الأصل مصدر سمّي به فوضع موضع وصف " العادل" ولفظ " العدل"، أبلغ في الدلالة على صفة العدالة من لفظ" العادل"، فينفي أولا عن ذاته العلية صفّة الظلم، ومثال قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾[2]، ويصف الله ذاته القدسية بالعدل والقسط، في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3]، فالله جل جلاله كما تخبرنا هذه الآية الكريمة هو من يقوم بتحقيق العدل في الدين وفي الكون، فيأمر بعلم ويقضي بحكمة، وشريعته تحقق العدالة بين مطالب البدن ومطالب الروح، وهو الذي يأمر بالعدل والتوسط دون إفراط أو تفريط[4].

---

[1] - Arie Lova Eliaw : Biblical Humanism For Modern Israël ,P30 - 31.

[2]- البقرة: 57.

[3]- آل عمران: 18.

[4]- أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ص 22- 23.

وقيمة العدل في الإسلام قيمة عالية ومتألقة تتصدر كل القيم والثوابت التي يدعو إليها الدّين، والمقصد الأول للشريعة، والعدل في العرف الإسلامي ضدّ الجور والظلم وهو يعني جماع قيم الإسلام وخاصته الحضارية أي الوسطية والتوازن، الذي يحقق الإنصاف بإعطاء كل إنسان ما له وأخذ ما عليه[1]، ونجد العدل في القرآن الكريم اتّخذ عدّة معاني وتوظيفات للمصطلح بمختلف الاستعمالات، أولها العدل في الحكم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ...﴾[2]، والحكم بالعدل يحتاج إلى أمور، أولها فهم الدعوى من المدعى والجواب من المدعى عليه، ليعرف موضوع التنازع والتخاصم بأدلته من الخصمين، كما يجب ألا يكون الحاكم متحيّز إلى أحد الخصمين، وعليه أن يكون على دراية بالأحكام الشرعية ليفصل بين الناس، على مثاله من الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة، وأن يكون كذلك من ذوي الكفاءات لتحمل أعباء الأحكام[3].

كما كان من معاني العدل في القرآن الكريم، الأمر بالعدل في الأحكام والأقوال والأفعال والأخلاق، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ...﴾[4]، والعدل بمعنى الفدية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[5]، وبمعنى الإنصاف في المال والنفقة ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾[6]، أمّا دلالة السواء أي المساواة على الإنصاف والعدل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[7]. ويمكن أن يأتي يأتي لفظ العدل في سياق يدل على المعاني السابقة، ومنها معنى الشرك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[8].

---

[1]- محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان – ضرورات لا حقوق-، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1985م، ص 55.

[2]- النساء : 58.

[3]- مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 5، ص 72.

[4]- الأنعام: 152.

[5]- البقرة: 123.

[6]- النساء: 3.

[7]- آل عمران: 64.

[8]- الأنعام: 1.

تعدّ قيمة العدل من القيم الجامعة لكل المعاملات بين الناس وهي الشهادة، والقضاء، والتعديل، والتجريح، والمشاورة، والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات، والمؤاجرات، والوعود، والوصايا، والأيمان وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق: بإبطالها، أو إخفائها، مثل كتمان عيوب المبيع، وادعاء العيوب في الأشياء السليمة، والكذب في الأثمان، ومنه التزام الصدق في التعديل والتجريح وإبداء النصيحة في المشاورة، وقول الحق في الصلح، وأما الشهادة والقضاء فأمر العدل فيهما ظاهر، وإذا وعد القائل لا يخلف، وإذا أوصى لا يظلم أصحاب حقوق الميراث، ولا يحلف على الباطل، وإذا مدح أحدا مدحه بما فيه، وأما الشتم فالإمساك عنه واجب ولو كان حقا فذلك الإمساك هو العدل لأن الله أمر به[2].

وأخذ العدل في الإسلام بعدا دينيا واجتماعيا، فالعدالة هي الاعتدال في الأحوال الدينية، وذلك باجتناب الكبائر وترك الصغائر، ومظهرا لأمانته، وقيل صفاء السريرة واستقامة السيرة [3]، فالعدل هو قصد الحق، وهو ما غلب في الاستعمال القرآني، وقد أمر به القرآن الكريم في عديد الآيات وحث عليه من الجملة القيم والأخلاق التي بنى القرآن عليها دستوره الأخلاقي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4]، وهنا اختلف المفسرون في شرح معنى العدل في هذه الآية الكريمة، فهو الإنصاف والإحسان إلى الناس، وعن ابن عباس: أنّ العدل هو التوحيد، ويليه الإحسان الذي يقصد به أداء الفرائض، كما قيل أنّ العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأمّا الإحسان، الإخلاص فيه. فهنا لما اجتمعت قيميتي العدل والإحسان في نفس النص القرآني، اختلف في تفسير معنى اللفظتين، فقيل أيضا أنّ العدل هو التوحيد كما سبق وأن أشرنا، ولكن يتبعه

[1]- الأنعام: 152.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 8، ص 169.

[3]- نوال كريم زرزور: معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م، ص 99- 122.

[4]- النحل: 90

الإحسان الذي يقصد به العفو عن الناس، وقيل: العدل في الأفعال والإحسان في الأقوال[1]، وقال ابن عيينة أنّ العدل استواء السريرة والعلانية، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته[2]، فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي[3]، كما أنّ الإمام العادل هو الحاكم بالسوية، وهو خليفة الله فيحفظ المساواة فهو لا يعطي ذاته من الخيرات أكثر مما يعطي غيره، ولذلك قيل أنّ الخلافة تطهر الإنسان[4].

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره[5]، فالعدالة موجودة في ثلاثة مواضع، أحدهما قسمة الأموال والكرامات، والثاني قسمة المعاملات الإرادية كالبيع والشراء والمعاوضات[6]، وعن قتادة: إن الله تعالى أمر عباده بمكارم الأخلاق ومعاليها، ونهاهم عن سفاسف الأخلاق ومذاقها[7]، واتبعت هذه القيمة بقيم أخلاقية أخرى أولها إيتاء ذي القربى، وهي صلة الرحم، وينهى عن الفحشاء، وهي ما قبح من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، والمنكر، ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، وأمّا والبغي فهو الكبر والظلم، ولما اجمعته هذه الآية من مجامع القيم والأخلاق التي أمر بها القرآن الكريم، فقد قال عنها ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية[8]، وتكررت الآيات القرآنية التي تجمع بين قيمة العدل ومجمل القيم الأخلاقية والتعاملات الإنسانية والعلاقات بين الأفراد، فالعدل في القرآن الكريم جاء بمعنى الإنصاف

---

[1]- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ج 6، ص 37.

[2]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي–، ج 3، ص 93.

[3]- عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 447.

[4]- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص 98.

[5]- عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 447.

[6]- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص 94.

[7]- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 6، ص 37.

[8]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 3، ص 93.

في الحكم والقضاء، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾[1]، وهذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع، الأمانة في كل شيء في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والودائع، وارتبط هذا بالأمر بالعدل في الأحكام، قال الضحاك: بالبينة على المدعي واليمين على من أنكر، وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكام، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[2].

والعدل القرآني هو العدل المطلق الشامل الذي لا يختلف بين زمان وزمان، ومكان ومكان وأمّة وأمّة وهو الذي تستوي فيه نفس الإنسان وغيره، ويستوي فيه القريب والبعيد، والصديق والعدو، فهو أن يعطي الإنسان كل ذي حق حقه، في كل حين وفي كل أرض، وفي أي ظرف، والعدل القرآني أن يصرف الإنسان أمور نفسه وأمور الناس على قانون لا عوج فيه ولا زيغ ولا استثناء ولا ظلم أو محاباة، وأن يسيّر أعماله على قانون إلهي لا تبديل فيه ولا تحويل، كما كان الأمر الإلهي في القوانين التي تحكم الكون، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴾[3]، وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنّ العدل الذي يأمر به الله من قوانين الله المثبتة في خليقته، وكذلك كان الأمر الإلهي للناس، في أعمالهم على هذه الأرض، لتستقيم أمورهم ومعيشتهم، فالعدل الإلهي نظام شامل في العالم وفي الاجتماع البشري، لا يستقيم فيه شيء فيهما بدونه[4].

فكان اهتمام معظم الكتاب الذي عنوا بالعدل الأخلاقي بمظاهر العدل العملية، وسعّوا إلى وضع ما يمكن تسميته خططا أخلاقية للسلوك البشري، وذلك بتأليف أدلّة للعامة من الناس، وأظهرت قلّة منهم مثل ابن مسكويه والرازي اهتماما بالنظرية الأخلاقية، فحاولوا وضع معيار للعدل تتجسّد فيه القيم الإسلامية، وبيّنوا أنّ العدل الأخلاقي ليس مجموعة من الواجبات الدينية والقانونية

[1]- النساء: 58.

[2]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 258.

[3]- الرحمان : 7- 10.

[4]- عبد الوهاب عزام: أخلاق القرآن، ص 11- 12.

وحسب، بل التزامات أخلاقية أيضا ومنازع نحو الخير أو الشر ينبغي للإنسان العمل بمقتضاها إذا أراد أن يتبع العدل وفق معيار أخلاقي[1].

العدل من القيم التي أمر بها القرآن الكريم، ولا تختص بسلوك وقيم المسلمين فيما بينهم فحسب، بل تتعداه لغير المسلمين، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾[2]، فقد ذهب المفسرون إلى أنّ العدل هنا يخص الأحكام المرتبطة بأهل الكتاب الذي عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، ففي قوله تعالى: "وأمرت لأعدل بينكم" أي في جميع الأحكام التي اختلف فيها أهل الكتاب، ولا مانع لهذا مهما بلغت عداوتهم للمسلمين والإسلام من العدل بينهم، ومن العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل[3]، بعد أن أمرهم سبحانه فيما سلف بالوحدة في الدين وعدم التفرق فيه، وذكر أنهم قد تفرقوا فيه من بعد ما جاءهم العلم، بغيا وحسدا، وعنادا واستكبارا- أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الاتفاق على الملة الحنيفية والثبات عليها والدعوة إليها وألا يتبع أهواءهم الباطلة، ثم أمره بالإيمان بجميع الكتب السماوية، وبالعدل بين الناس والمساواة بينهم وبين نفسه، فلا يأمرهم بما لا يعمله، أو يخالفهم فيما نهاهم عنه[4]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢ ﴾[5]، أي وإن اخترت الحكم، فاحكم بينهم بالقسط وهو العدل[6].

وهناك من خصّ الآية القرآنية "فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم" بالتخيير بين الحكم بينهم والإعراض عنهم وتركهم إلى رؤسائهم، وهذا التخيير خاص بالمعاهدين دون أهل الذمة، فلا يجب على حكام المسلمين أن يحكموا بين الأجانب الذين هم في بلادهم وإن تحاكموا إليهم، بل هم مخيرون يرجحون في كل حال ما يرونه من المصلحة، وأمّا أهل الذمة فيجب الحكم بينهم إذا

---

[1]- مجيد خديوري: مفهوم العدل في الإسلام، ص 135.

[2]- الشورى : 15.

[3]- عبد الرحمان السعدي: تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، ص 755.

[4]- مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 25، ص 27.

[5]- المائدة : 42.

[6]- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج 6، ص 328.

تحاكموا إلينا، لأن من أخذت منه الجزية تجرى عليه أحكام الإسلام في البيوع والمواريث وسائر العقود إلا في بيع الخمر والخنزير، فإنهم يقرون عليه، ويمنعون من الزنا كالمسلمين فإنهم نهوا عنه ولا يرجمون، إذ من شروط الرجم الإسلام، وأتبع هذا بالحكم بالعدل والقسط، بلا ظلم أو جور، أي وإن اخترت أن تحكم بينهم فاحكم بالعدل الذي أمرت به، وهو ما تضمنه القرآن واشتملت عليه شريعة الإسلام[1].

ويستعمل القرآن الكريم أيضا مصطلحا آخر يعادل معنى العدل، وهو "القسط" واستعمل الجذر (ق س ط) للدلالة على معنيين متضادين هما: العدل والجور، وتتم التفرقة بينهما في أنّ القِسط بكسر القاف بمعنى العدل، والقَسْط بفتح القاف بمعنى الظلم، وقد تكررت المادة في القرآن الكريم خمسا وعشرين (25 مرّة) دلّت على العدل في جلّ المواضع التي ذكرت فيها، حيث جاء منها ثلاث وعشرون (23 آية) تدل على العدل بمعنييه الحسّي والمجرّد، أمّا القسط بمعنى الجور فورد في آيتين فقط بهذا المعنى، وقد عبّر القرآن الكريم عن العدل في الوزن الحسّي بلفظ القسط، قال تعالى على لسان شعيب، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[2]، بعد أن أمر سبحانه بالقسط في الكيل والميزان، وفي اليتامى والنساء، عمم الأمر هنا بالقسط بين الناس، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾[3]، والقوام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في طاعته، والقسط في حقوق الآدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك. فتؤدي النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة وغير ذلك[4].

---

[1]- مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 6، ص 121.

[2]- هود : 85.

[3]- النساء: 135.

[4]- عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 208.

لأن قوام أمور المجتمع لا يكون إلا بالعدل، وحفظ النظام لا يتم إلا به، وبما فيه من الشهادة لله بالحق ولو على النفس والوالدين والأقربين وعدم محاباة أحد لغناه أو لفقره، لأن العدل مقدم على حقوق النفس وحقوق القرابة وغيرها، وقد كانت سنة الجاهلية محاباة ذوى القربى.

فأمر الله تعالى بالقسط وشدد على الإتيان به مستوفيا تاما لا نقص فيه، وقد أمر الله بإقامة الصلاة وإقامة الشهادة وإقامة الوزن بالقسط تأكيدا للعناية بهذه الأشياء، وجعل العناية بإقامة القسط على وجهه صفة ثابتة راسخة في النفوس، والعدل كما يكون في الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان أو يحكمه الناس فيما بينهم، يكون في العمل كالقيام بما يجب بين الزوجات والأولاد من النصفة والمساواة بينهم، ولو سار المسلمون على هدى القرآن لكانوا أعدل الأمم وأقومهم بالقسط، وقد كانوا كذلك ردحا من الدهر حين كانوا مهتدين بهديه، ولكن قد خلف من بعدهم خلف نبذوا تلك الهداية وراء ظهورهم فصارت تضرب بهم الأمثال في ظلم حكامهم وسوء أحوالهم.

وقد أمر القرآن الكريم بشهادة الحق ولو كانت على النفس وأقرب الناس كالوالدين، وبأن تتحروا الحق الذي يرضاه ويأمر به من غير مراعاة أحد ولا محاباته، ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن يثبت بها الحق عليكم، أو على والديكم وأقرب الناس إليكم كأولادكم وإخوتكم، إذ ليس من بر الوالدين ولا من صلة ذوى الرحم أن يعانوا على ما ليس لهم بحق الإعراض عن الشهادة عليهم أوليها والتحريف فيها، بل البر والصلة في الحق والمعروف، وليس من شك في أن الحياة قصاص، فالذين يتعاونون على الظلم وهضم حقوق الناس، يتعاون الناس على ظلمهم وهضم حقوقهم، فتكون المحاباة من أسباب فشو الظلم والعدوان والمفاسد التي لا يؤمن شرها.

وقال قتادة في هذه الآية: هذا في الشهادة، فأقم الشهادة يا ابن آدم ولو على نفسك أو الوالدين أو على ذوى قرابتك وأشراف قومك، فإنما الشهادة لله وليست للناس، والعدل ميزان الله في الأرض، به يرد الله من الشديد على الضعيف، ومن الصادق على الكاذب، ومن المبطل على المحق[1].

وكان من القرآن الكريم أيضا أن أمر بالعدل وقرنه بقيمة التقوى، فأمر بحكم عدل مهما كانت الأحكام في حق قريب، والعدل في القرآن الكريم من حيث جوهره ليس قاعدة من قواعد الحكم الإسلامي فقط، بل هو مثل أعلى من حقائق وقيم الإسلام الكبرى التي حضّ على تحقيقها، وإشاعتها بين الناس[2]، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ

[1]- أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 5، ص 181.

[2]- محمد الصادق العفيفي: الفكر الإسلامي مبادؤه وقيمه، ص 165.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾[1]، فلقد جمعت التكاليف الإلهية للبشر في أمرين أساسيين وهما التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله، فقوله تعالى :"كونوا قوامين لله" إشارة إلى النوع الأول وهو التعظيم لأمر الله، ومعنى القيام لله هو أن يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من إظهار العبودية وتعظيم الربوبية، وقوله: "شهداء بالقسط" إشارة إلى الشفقة على خلق الله وفيه قولان: الأول: قال عطاء: يقول لا تحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك، ولا تمنع شهادتك أعداءك وأضدادك. الثاني: قال الزجاج: المعنى تبينون عن دين الله، لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه، "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا" كأن يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا، وأراد أن لا تعدلوا فيهم لكنه حذف للعلم.

فالعدل أقرب للتقوى وجاء النهي الأول على أن يحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا، لأنّه أقرب للتقوى، وفيه وجهان الأول: هو أقرب إلى الاتقاء من معاصي الله تعالى، والثاني: هو أقرب إلى الاتقاء من عذاب الله وفيه تنبيه عظيم على وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله تعالى، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه[2]، وهنا يحارب الله تعالى نزعة الهوى والبغضاء والميول الشخصية التي تجر بالإنسان بعيدا عن الصواب والحق، وعلى هذه القاعدة من النظرة الموضوعية المستقيمة يترتب استقلال القضاء[3]، وقد أتى وصف العادل أنه من أهل التقوى وهب أرقى مراتب الإيمان والطاعة لله، لأن من كان عادلا كان لله بعدله مطيعا، ومن كان لله مطيعا، كان لا شك من أهل التقوى، ومن كان جائرا كان لله عاصيا، ومن كان لله عاصيا، كان بعيدا من تقواه[4].

داء الأمم الظلم ودواؤها العدل، العدل الشامل المطلق الذي لا يختلف باختلاف الأزمان والأوطان والشعوب الأديان، فكل العلاقات الإنسانية في الإسلام قائمة على العدالة، واعتبار الناس جميعا سواء، وان كان ثمة تفاضل فبالأعمال والجزاء عليها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وكما كانت نصوص القرآن الكريم متظافرة في تحقيق العدل للأولياء، حرصت على تحقيقه للأعداء كذلك، وقد نصّ القرآن أنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم، فإنّ العدل مع الأعداء أقرب للتقوى، وقد

---

[1]- المائدة: 8.

[2]- أبو بكر الرازي: مفاتيح الغيب، ج 11، ص 320.

[3]- محمد الصادق العفيفي: الفكر الإسلامي مبادؤه وقيمه، ص 165.

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج 10، ص 97.

كان أساس كل العلاقات المنظمة لحياة الناس، هو العدل، فالعدل هو الشريعة التي قامت عليها رسالة الإسلام، وقامت عليها النبوات السابقة، والكتب المنزلة جميعا ما لم يمسها التحريف[1].

ففي السلم يكون حسن الجوار قائما على العدالة، وفي الحرب تكون العدالة باعثا، وكل المبادئ والقيم الإنسانية كالتسامح والحرية لا تتحقق إلا في ظل العدل، فلا يصلح أمر العلاقات الإنسانية في العالم إلا بميزان العدل، فلا يبغي القوي على الضعيف، ولا يضيع حق، ولكن لأن الأوضاع الظالمة طغت، صرنا نرى واقعنا قائما على الظلم بين الشعوب والأمم[2].

فالعدل في حقيقة أمره له أبعاد كثيرة نلمسها في القول والعمل والمال والحكم والعبادة، قال ابن القيم:" إنّ الشريعة الإسلامية مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في الدنيا والآخرة، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها التأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه"[3].

العدل القرآني عدل شامل متكامل يجمع بين قيم الروحية الإيمانية بالله تعالى، وبين القيم التعاملية الشاملة للمجتمع الإسلامي مع مختلف فئاته وأطيافه، وينتقل إلى العدل حتى مع غير المسلمين، وهذا ما ميّز قيمة العدل في القرآن الكريم عكس ما نجده في التوراة، التي اختصت قيمة العدل فيها داخل المجتمع اليهودي فحسب، كما يستشف من الأحكام والقوانين المتكررة والمشددة التي تحاول ضبط المجتمع اليهودي وتحقيق العدالة فيه، ولكنها مع غير اليهود تنقلب إلى قيم غير عادلة وجائرة.

[1]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1995م، ص 36.

[2]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 37.

[3] - ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1463هـ، ج 4، ص 337-338.

المبحث الثاني: القيم الروحية التوراتية والقرآنية مع الآخر في حالة السلم.

إنّ الحديث عن القيم الروحية التعاملية التوراتية أو القرآنية مع الطرف الآخر خارج الديانة، نجده يرتبط بالقيم الأخلاقية التي تضبط هذه العلاقة، والنصوص الدالة على ذلك من مصادر اليهودية والإسلام، ونفرق في ضبط هذه العلاقة بين حالتين أساسيتين وجامعتين لمختلف العلاقات التي تربط الشعوب والأمم مهما اختلفت أجناسها ومعتقداتها، وهما حالتي السلم والحرب.

ففي الحالة الأولى وهي علاقات السلم، التي تضبطها تعاملات مختلفة أخلاقية أو تعاملية أو معاملاتية مادية وخدماتية أو مالية بين الطرفين، كما تضبط حالات تواجد مختلف الفئات الدينية في مجتمع واحد، كحالات غير المسلمين في بلاد الإسلام، أمّا حالة الحرب وهي علاقة تصادمية استثنائية تجمع بين طرفين، نجد النصوص التوراتية والقرآنية لم تهملها كذلك، بل شرعت لها أحكاما وتشريعات تضبطها، وهذا ما سنحاول استنباطه من قيم روحية أخلاقية من نصوص التوراة والقرآن الكريم تختص بالحالتين .

المطلب الأول: القيم الروحية التوراتية في التعامل مع غير اليهودي في حالة السلم.

إنّ القيمة الأسمى للحياة الإنسانية وواجب كل إنسان بذل أقصى ما يستطيعه للتعايش مع أخيه الإنسان بسلام، ناهيك عن تقديمه أواصر التعاون والمحبة إذا ما احتاجها الطرف الآخر، وهذه العلاقة الإنسانية المجردة غير موجودة بالمرة في الشريعة اليهودية التي ترى في روح غير اليهودي روحا شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات[1]، ولا تعترف حتى بإنسانية غير اليهودي ناهيك عن احترام حقوقه، والتعايش معه، ولهذا اتخذت اليهودية من العزلة العنصرية قاعدة أو عقيدة اجتماعية أينما حلّ اليهودي عبر التاريخ.

ولما كانت الشخصية اليهودية ترى في الأغيار نظرة غير إنسانية لا تنم عن صدق مشاعر بل روح ملؤها الحقد والقتل والانتقام ، فحسب تعاليمهم إن إنقاذ حياة يهودي واجب لا يعلو عليه واجب آخر فهو يتقدم على جميع الواجبات الدينية الأخرى باستثناء تحريم أشنع المعاصي الثلاث فحسب (الزنى والقتل وعبادة الأوثان)[2].

[1]- محمد عبد الله الشرقاوي : الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، مصر، ص 190.

[2]- إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات، بيروت، 1966م، ص 136.

1- تشريعات التوراة الخاصة بغير اليهودي:

أول دليل لنا على العلاقة التي تحددها التوراة فيما يتعلق بعلاقة اليهودي بغيره اللااليهودي، هي أحكام التوراة المرتبطة بالغريب غير معتنق لليهودية، وسنحاول رصد أهم النصوص التوراتية الدالة على القيم المختلفة التي تأمر بها التوراة أن يعامل بها الغريب ، وابراز أهم تطبيقاتها في الواقع اليهودي عبر العصور، وإنّ أساس هذا التعامل هو العهد الذي قطعه الله مع بني إسرائيل، والذي يعّد أساس جميع الواجبات الأخلاقية الناشئة بموجبه، وكما يشير العالم الأخلاقي المعاصر " Shubert Spero " (شوبرت سبيرو) والذي اعتبر أنّ فعل ما هو صواب هو من الأصح فعله، كما أنه يدخل ضمن طاعة الله: "من الناحية المنطقية ، ليست هي الحالة أنني أفعل ما هو صحيح لأن هذا هو طاعة الله ، لكني أطيع الله لأنه من الصواب القيام بذلك"[1]، ومن وجهة النظر هذه فإنّ إسرائيل تمتلك حرية أخلاقية محدودة، والحرية في نطاق وفائهم بالواجب الأخلاقي، أمّا الاختيار فقد أخذ من أيدي الناس بالتدخل الإلهي نيابة عن بني إسرائيل في الماضي[2].

من بين النصوص التي أردنا الاستشهاد بها هو أحد النصوص المشتركة، الذي ورد ما بين سفر اللاويين والتثنية وكذا الخروج، "كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ ... أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَتَحْفَظُونَ كُلَّ فَرَائِضِي، وَكُلَّ أَحْكَامِي، وَتَعْمَلُونَهَا. أَنَا الرَّبُّ"[3]، وجاء أيضا ما بين سفر التثنية "وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[4]، " وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[5]، أي أن تكون منزلة الغريب وسط اليهود، كمنزلة المؤمن إيمانهم القائم بفروضهم كما يعتبر الوطني بلا أدنى تمييز، وزاد عليها فوق معاملته باحترام وإكرام وإحسان ومشاركته في الحقوق والعدل، فكما كان عليهم أن يحبوا القريب، كالنفس كان عليهم أن يحبوا ذلك الغريب كذلك، فهذه الشريعة الحسنة جذبت كثيرين من الغرباء إلى اليهود،

---

[1]- Spero Shubert. Morality: Halakha and the Jewish Tradition, New York, Ktav,1975,P 82.

[2] - Louis E. Newman : Past imperatives –studies in the history and theory of jewish ethics, p 75.

[3]- اللاويين 19: 34، 37.

[4]- التثنية 10: 18- 19.

[5]- الخروج 22: 21.

فكان في أيام سليمان في الأرض المقدسة من النزلاء والغرباء[1]، وتكرر النهي أيضا في "وَلاَ تُضَايِقِ الْغَرِيبَ فَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ نَفْسَ الْغَرِيبِ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"[2]، التي نهت عن مضايقة الغرباء والإساءة إليهم، وميل الحكام إلى ظلمهم[3]، ويبدو أن رحلة خروج اليهود من مصر، كانت مؤثرة جدا على طقوسهم وآدابهم بصفة عامة، وثلث عبادة اليهود خصصت للاحتفال بالخروج من مصر، ففي الإصحاح الثالث والعشرون من سفر الخروج[4]، فالكتاب المقدس مليء بقصص من المعاناة البشرية جنبا إلى جنب مع القدرة الدائمة على الإصلاح، وتؤسس لقيم الإصلاح والعدالة، خاصة مع الغريب، بألاّ يعيدوا ضيق مصر أينما ذهبوا؛ وبدلا من ذلك يوصي بالعدل ومعاملة الآخرين بالعدل، واحترام البيئة ، وتكريم الموتى، وإعطاء الصدقة ، وحب الجار، وتعليم الأطفال، ورعاية الأرملة واليتيم[5].

"وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ"[6]، وضعت هذه الشريعة الحسنة النافعة المملوءة بالمعروف والإنسانية والإحسان للغريب الذي ليس بيهودي في الأصل، بل للذي يؤمن إيمان اليهود، ويختتن ويسكن بينهم فكان عليه مع ذلك أن يصوم في يوم الكفارة مثلهم، ويأتي ما يأتونه من الذبائح وأن يعتزل أكل الدم والفريسة، وأن يراعي شرائع الطهارة والعفاف، وأن يكف عن التجديف وأن يلزم الآداب ومراعاة الشرائع الأدبية كالمولود إسرائيليا، "فلا تظلموه" بأن تعيّروه أنه من الأمم أو تفضلوا اليهودي الأصلي عليه في المعاملات وأن لا يدعوه دخيلا بل عليهم أن يعتبروه أخا لإيمانه بالإله الحق، ووحيه وقيامه بالفروض والسنن الشرعية[7]، أي أنّ هذه النصوص تختص بفئة معينة معينة من الغرباء غير اليهود وليس جميعهم.

وربما تجربة الخروج التي يصفها اليهود بالمثالية، والتي أورثتهم الاحتفال بعيد الفصح ، وهي أكثر الأعياد التي يحتفل بها جل اليهودي المتدينين منهم وغير المتدينين، فهم "يحتفلون "بالروحانية التي تسعى لتحقيق العدالة" لقد انتقلنا من العبودية إلى الحرية، معرفتنا مع الناس الاستعباد يساعدنا على

---

[1]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم –شرح سفر الخروج–، ص 102.

[2]- الخروج 23: 9.

[3]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، – شرح سفر الخروج–، ص 105.

[4]- محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، ص 262.

[5]- "A Jewish Spiritual perspective on psychopathology and Psychotherapy: A Clinician's View" , Journal of Religion and Health , no 4 , 2004 ,vol 43 , p 333

[6]- اللاويين 19: 33

[7]- وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم – شرح سفر اللاويين–، ص 102.

أن نكون حساسين لتجربة المحرومين ، ويحثنا على الاهتمام بقضايا الفقر والعدالة الاجتماعية .فكرة عيد الفصح تلك "لأنك كنت عبيداً في مصر، أنت تعرف قلب الغريب، "يتكرر 36 مرة في التوراة"[1] .

إلا أنّ التناقض الموجود بين نصوص التوراة لا يلبث أن يُظهر عكس هذه القيم في معاملة الغريب، فبينما تدعوا هذه النصوص اليهودية إلى احترام الغريب، ومعاملته بقيم تقوم على المحبة والإحسان، نجد عكس الوصف تماما وتتناقض معه، وتتبعها النصوص العرقية التي تعزز هذا الحقيقة " الشعب اليهودي مقدس ومختلف عن الآخرين"[2] فاليهود يحتقرون غيرهم ويطلقون عليهم اسم "الجويم"، بل إنهم زادوا على ذلك جعلوا في اللغة العبرية لفظة تدل على أي شعب من الأمم الأخرى غير اليهودية هي (جوى) بينما شعبهم يميّز عادة بكلمة (عام)، واقترنت كلمة جوى في عقولهم بالازدراء والاحتقار، فإذا قال اليهودي عن شخص أو أي شيء إنه (جوى) فهو يعني بذلك أنّه همجي بربري يجمع القذارة والنجاسة[3].

وفي حادثة الخروج نفسها التي حملها اليهود دلالات التحرر من العبودية وتحقيق العدل، يأتي الأمر الرباني ليوصي عباده، بما يتناقض مع هذه القيم تماما، "وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ"[4]، ولم يكتف الأمر التوراتي بالسرقة، بل أوضح كيفية حمل المسروقات بوضعها مع الأطفال حتى يكون هناك تمويه جيّد لتمرير ما تمت سرقته، ثمّ يتكرر الأمر بالسرقة، يقول الرّب لموسى مؤكدا:" تَكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ"[5]، حيث يذهب النّص إلى استغلال الصداقة وخداع كل رجل صاحبه وكل امرأة صاحبتها من أجل مزيد من السلب والسرقة، ومبرر ذلك هو الظلم والحرمان الذي لاقاه اليهود على يدّ المصريين[6].

---

[1] - "A Jewish Spiritual perspective on psychopathology and Psychotherapy: A Clinician's View" ,vol 43 , p 332.

[2] -André Gaillard: Le judaïsme et l'invention du racisme culture, p 29.

[3]- حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، سوريا، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص 109.

[4]- الخروج 3: 21- 22.

[5]- الخروج 11: 3.

[6]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 92- 93.

يعكس هذا المقطع سمة من السمات الرئيسية للشخصية اليهودية، وتبرز نزعة التخصيص بحيث يكون اليهودي مسؤولا أمام الإله عن الأذى الذي يلحقه بأخيه اليهودي، لكن بإمكانه أن يغش أو يسرق أو حتى يقتل غير اليهودي دون أن يكون مسؤولا أمام الرب، ودون أن يعتبر ذلك انتهاكا لتعاليم الدّين[1]، وعلى الدوام نلاحظ أنّ الأوامر التوراتية تبيح أموال الآخرين، في حال الحرب أو حال السلم وأنّ مفرداتها مفردات السرقة، أو هي أقرب إلى ذلك، مما يلغي الجانب التربوي الذي يقتضي الحفاظ على أموال الغير، تقول التوراة: " وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَحْصِ النَّهْبَ الْمَسْبِيَّ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، أَنْتَ وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَرُؤُوسُ آبَاءِ الْجَمَاعَةِ، وَنَصِّفِ النَّهْبَ بَيْنَ الَّذِينَ بَاشَرُوا الْقِتَالَ الْخَارِجِينَ إِلَى الْحَرْبِ، وَبَيْنَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ"[2]، في نص قصير استعملت مفردة "نهب" لمرتين، وهي مفردة كثيرة الاستعمال في أسفار بني إسرائيل، وهي من المفردات القريبة من مفردة السرقة، مما يوحي بأن نشاط جماعة بني إسرائيل لم يكن دينيا أخلاقيا، بقدر ما هو ممارسات قبلية زاهدة في الجوانب الأخلاقية والتربوية في حال الحرب أو السلم.

هذه السمّة هي المهيمنة على المفردات الفكرية والعقائدية للعهد القديم، فلا يوجد بناء عقائدي يؤصل للمفاهيم الدينية، ونرى المفاهيم المادية البحتة هي مدار الحدث ومدار الحجة خلال مفاهيم وتعاليم العهد القديم[3]، فاليهود ينظرون إلى أنفسهم بصفتهم جماعة دينية وقومية في ذات الوقت، ويعتقدون أن قوميتهم نتيجة لعلاقتهم الخاصة مع الخالق، الذي أخرجهم من مصر وقادهم أثناء فرارهم من المصريين، وهو الذي أرسل إليهم الشريعة والتوراة كشعب[4].

ولهذا كانت التوراة كتاب اليهود المقدس تزخر بالكثير من النصوص التي تقوي نزوع اليهود إلى التعصب الديني والعنصري، وتنشر التمييز بين بني إسرائيل على من عداهم من خلق الله، فهم في نظر التوراة شعب مقدس اختاره " يهوه" ربّ إسرائيل، ليكون شعبه المختار دون بقية الشعوب، فخاطبهم في سفر التثنية: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[5]، وخاطبهم كذلك " وَلكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا الْتَصَقَ

[1]- محمد أحمد النابلسي: النفس المغلولة سيكولوجية السياسة الإسرائيلية، ص 20.

[2]- العدد 31: 25- 27

[3]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 94- 95.

[4]- عبد الستار الراوي: الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، د ط، 2002م، ص 21.

[5]- التثنية 14 : 2.

بِآبَائِكَ لِيُحِبَّهُمْ، فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"[1]، وجاء في سفر الخروج كذلك، " وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا"[2].

ومن خلال هذه النصوص وغيرها نظر اليهود إلى أنفسهم على أنهم الشعب الذي اصطفاه الله، وفضله على العالمين، وأن غيرهم من الشعوب أقل منهم مكانة في درج الإنسانية، ويشترك في هذا باقي المدونات الكتابية اليهودية المقدسة في التراث اليهودي كالتلمود والمدراش، والتي نجدها توصي بألوان من التعصب اليهودي ضدّ أمم العالم، من ذلك أنهم يحرمون أن ترضع المرأة الإسرائيلية طفلا من غير اليهود حتى وإن تعرّض للموت من الحرمان من الغذاء، وتنصح بعض هذه التعاليم الطبيب اليهودي بألّا يعالج مريضا من الأمم الأخرى، بل تحرم على اليهودي كائنا من كان أن يصدق في النصيحة لوجه الله لرجل غير يهودي، أو أن يعيد إلى غير اليهودي شيئا فقد منه[3].

أمّا بالنسبة للأغيار فالمبدأ الأساس لديهم يقوم على وجوب الامتناع عن إنقاذ حياتهم فحكمتهم تقول بوجوب (ألا يرفع الأغيار من البئر ولا يدفعون إليه) ويشرح ابن ميمون ذلك بقوله: "أمّا بالنسبة إلى الأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم فينبغي ألا نتسبب في موتهم ولكن إنقاذهم ممنوع إذا كانوا على وشك الموت، فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط في البحر ينبغي الامتناع عن إنقاذه لأنه مكتوب، " وأنت لن تقف ضدّ دماء قرينك" ولكن الأغيار ليسوا أقرانك، وينبغي لليهودي الطبيب خصوصا ألا يعالج مريضا من الأغيار"، ورغم أنّ ابن ميمون كان طبيبا لامعا، إلاّ أنه يكرر هذا أكثر من مرة، وبهذا فإنّ أبسط مقومات الإنسانية هو حفظ الحياة وحقه في العيش، فلما كان هذا الحق غير مضمون في التعاليم اليهودية بل متعدي عليه، فمن الطبيعي أن تنطبع الشخصية اليهودية بسمات عدائية مقيتة تجاه كل نفس غير يهودية، ولا يترجى منها كل خير وتعاون مع الآخرين"[4]، وتصل إلى درجة الازدراء والاحتقار، فكانت فقرات التوراة مفعمة بالعنصرية ومغرقة بالنرجسية والتعالي والغطرسة[5].

ومن الأدلة التي نسوقها أيضا للدلالة على التفرقة العنصرية التوراتية، وعلى أنماط السلوك اليهودي النابع من عقيدة "شعب الله المختار"، وأولها الربا، وقد عرضنا من بين أهم القيم الروحية المرتبطة بالسلوك اليهودي داخل المجتمع اليهودي هي قيم مبنية على الإحسان والرحمة بأخيه

---

[1]- التثنية 10: 15.

[2]- الخروج 6: 7.

[3]- حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص 119.

[4]- عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج، د ب، د ط، د ت، ص 57- 58.

[5]- جميل خرطبيل: نقد الدّين اليهودي، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط2، 2007م، ص 94.

اليهودي، ولكن التناقض الذي نجده في نهاية كل نص من النصوص التوراتي القيمية، هو حصره داخل أفراد المجتمع اليهودي دون غيره من الأفراد، فالربا محرم بين اليهود، وهو في نفس الوقت شريعتهم تجاه غيرهم.

فنجد أنّ للدين اليهودي ونصوصه تأثير داخل جماعة الشعب، ويمكن أن يكون له تأثيرات بعيدة المدى على حياتهم الاقتصادية وتعاملاتهم المالية[1]، فنقرأ في نص التوراة: "لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَزْنِ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"[2]، والنص كما سبق أن تناولناه يشرح مجموعة من القيم الروحية السلوكية التي يسلكها اليهودي مع أخيه اليهودي، أمّا شهادة الزور على الآخرين، والاعتداء على حرمات الآخرين وممتلكاتهم فهي مباحة بحماية الدّين ونصوص التوراة، كما أن سفر التثنية شرّع تشريعا قاطعا في تحريم الربا وأن يقرض إسرائيليا بربا، بينما يشرع الربا تشريعا قاطعا على غير اليهود، "لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا، لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا، لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا"[3]، وهذا ما تؤكده الموسوعة اليهودية التي عرّفت الربا بأنه فرض فائدة على القرض، وقد حرمت التوراة الربا بين اليهود على وجه التحديد، لأنّ الاقتراض من المفترض أن يكون المال عملا خيريا لمساعدة شخص في أوقات صعبة، بدلا من أن يكون فرصة للربح، وتشير إلى أنّ الحاخامات توسعوا في الحظر فيما يخص كل شيء مقترض وليس فقط القرض المالي، إلا أنّ هذا محصور بين اليهود فقط، ولا يلتزم به اليهود مع غير اليهودي[4].

ولا تقف الأحكام عند معاملة غير اليهودي بالربا، بل إن وجد مالا مفقودا للأجانب فإنّه لا يغفر لليهودي للذي يرّد هذا المال[5]، كما يجوز له أن يشهد زورا على غير اليهودي، كما أنه مباح بل بل واجب غش الأجنبي "غير اليهودي"، وتتعداه إلى ممارسات أكثر شناعة وغير أخلاقية حيث أنه يجوز لليهودي الزنا بغير اليهودي[6].

---

[1] -Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalizme , translated by: M. Epstein, Batoche Books, Kitchener, Ontario, Canada, 2001, P134 .

[2]- الخروج 20: 13- 17.

[3]- التثنية 23 : 19- 20.

[4] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 541.

[5]- فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي: حقيقة اليهود، (دون معلومات النشر)، ص 17.

[6]- فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي: حقيقة اليهود، ص 17- 18.

على الرغم من تناقض التشريع اليهودي وغرائب تقنينه، نجد أنّ كل نصوصه تحمل عقدة التميّز والتفاضل، فمن مفاصل التعامل المالي بين اليهودي واليهودي أو اليهودي وأخيه الإنسان، نرى أنّ قوانين الربا في التوراة تحمل قوة التعالي، حيث تجيز الشريعة اليهودية استغلال اليهودي للإنسان وتحرم مثل هذا الأسلوب والممارسة بين اليهود أنفسهم، فجاء في سفر اللاويين: "وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ، لاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ، فِضَّتَكَ لاَ تُعْطِهِ بِالرِّبَا، وَطَعَامَكَ لاَ تُعْطِ بِالْمُرَابَحَةِ أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا"[1]، وتكرر في سفر التثنية: "لا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم بربا يدفعونه إليكم أو طعاما أو أي شيء آخر مما يقرض بالربا، ولا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم فيبارك إلهكم جميع أعمال أيديكم في الأرض التي أنتم داخلون لتمتلكوها"[2]، وهنا حرمت التعاملات الربوية بين اليهودي وأخيه اليهودي، والاقتراض بالربا، وكل المشتركون في قرض كهذا، المقترض والمقترض والشهود والكاتب الذي يكتب الوثيقة كلهم آثمون[3]، أمّا مع غير اليهودي فنجد التوراة توصي بكل أنواع التعاملات الربوية، والاحتيال، فذكر في سفر التثنية كذلك : "بل اقرضوا الغريب بالربا ولا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم"[4] فهو تأكيد على إلزام إلزام اليهودي بإقراض الغريب بربا.

وفي رق الإنسان لأخيه الإنسان نرى المنهج التربوي والانساني نفسه، وهو دليل على ازدواجية المعايير، فهناك تعاليم تأمر بفك رق اليهودي، وتعاليم بتشديد العبودية على غيره من بني البشر: "وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك، إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته، وإلى ملك آبائه يرجع، لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد... تستعبدونهم إلى الدهر"[5]، والتعاليم هنا واضحة بعدم جواز رق واستملاك اليهودي وذلك للسبب نفسه، لأنهم عبيد الرب، فلا يجوز بحقهم أي أمر تؤمر به الإنسانية سلبا، بحكم طبيعة الحياة وتطور الصراع الإنساني، أما بنو البشر فيجوز بحقهم الاستعباد والوقوع تحت الرق، بل يبقى الإنسان الآخر رقا مملوكا ما بقي حيا، إذ

---

[1]- اللاويين 25: 35.

[2]- التثنية 23: 20.

[3]- عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة: مصطفى عبد المعبود سيد، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، العدد 19، 2006م، ص 237.

[4]- التثنية 23: 22.

[5]- اللاويين25: 39- 46.

قال رب التوراة بحقه:" تستعبدونه إلى الدهر" أي لا مجال للحرية لبني البشر بحكم الرق اليهودي، بل الحرية كل الحرية لليهودي فقط، فهي العنصرية العرقية المبالغ فيها بحق الإنسانية.

- من خلال هذه النصوص نستنتج منظومتين من القيم:

1. قيم داخل التكوين اليهودي، حيث العلاقة حميمية مترابطة، قيم داخلية في صميم التكوين اليهودي لا تخرج إلى الأعلى وكأنها كتلة صلبة صماء.

2. ومنظومة قيم خارجية مع الإنسانية جمعاء يسودها الجفاف والقطيعة، الرابط الرئيسي بين هذا التكوين والوجود الإنساني هو العامل الاقتصادي، فبقدر المصلحة والتبادل النفعي تحدث العلاقة، فهي علاقات مادية بحتة غير إنسانية[1].

كما نجد أحكام العهود والمواثيق والأيمان التي يؤديها اليهودي للأجنبي لا قيمة لها ولا تلزم اليهودي بشيء لأنه لا أيمان بين اليهودي والحيوان، فالوفاء هو أساس العلاقة بين بني البشر، وانتفاء الوفاء بالعهد هو عزلة الناكث للعهود، لعدم دوام التعايش معه بسبب كثرة الخلل الناتج بالعلاقة معه، والغريب في التوراة أنّ من لوازم التدين عدم الوفاء بالعهد، يقول رب التوراة في سفر الخروج: " اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ"[2]، ويليه تأكيد ثاني بوجوب التحرز من كل عهد أو اتفاق: "اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ"[3]، فهي بذور العزل في العلاقة فيما بين اليهودي وأخيه الإنسان.

ثمّ يلي ذلك تصعيد آخر لمزيد من العزل، يحدثنا سفر التثنية :"لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ"[4]، أي دعوة إلى مزيد من التحايل وسوء التعامل يصل إلى حد عدم الإشفاق وهو تعبير واضح عن العنف، والأدق هو ترخيص باستعمال العنف للتحلل من الالتزام بالعهود، والدّين اليهودي هو الدّين الوحيد من بين الأديان سماوية كانت أو أرضية الذي يجيز استعمال القوة لنكث المواثيق المبرمة بين طرفين والتي كان أساسها التراضي والوفاء، وهذه دالة خطرة على التعالي والاستخفاف ببني البشر من قبل اليهودية، ثم تأتي الرعاية الإلهية لكل عزل، لأنّ السبب الحقيقي لكثرة عدم الوفاء هو التحصن في قطعة أرض للعيش في حياة عزلة خارج المجتمع الإنساني، كما نقرأ في سفر القضاة :"وَقُلْتُ: لاَ أَنْكُثُ عَهْدِي مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ وَأَنْتُمْ فَلاَ تَقْطَعُوا عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ هذِهِ

---

[1]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 31- 32.

[2]- الخروج 34: 12.

[3]- الخروج 34: 15.

[4]- التثنية 7: 2.

الأَرْضِ"[1]، فهو ارتباط عقائدي ديني مبني على قاعدة الابتعاد عن الإنسان، وعدم الانفتاح الاجتماعي والفكري والنفسي، ولذلك قال رب التوراة ملزما نفسه إنه لا ينكث بعهده معهم ما داموا ملتزمين بسياسة النكث للعهود مع بني البشر[2]،

كما أنّه إذا فكر أحد من الجويم أن يعتنق اليهودية، فإنّ الحاخام يبدأ بسؤاله والتشديد عليه لكي يفلح في صرفه عن دخول الديانة اليهودية، وعدم الدخول إلى جماعة شعب الله المختار، وإذا حدث وتم تهويده يبقى التفريق بينه وبين بني إسرائيل، ولا ينال المساواة حتى مع الزنادقة من بني إسرائيل، ويميّز باسم خاص هو (جير) أي (الجار، أو المستجير، أو الداخل تحت الحماية، أي أنه يعتبر من الموالي، فيحرم عليه وعلى سلالته من بعده إلى يوم القيامة أن يصاهروا أية أسرة يهودية تحمل لقب (لاوي) ، حاليا (ليفي) أو (كوهين)[3].

هذا النمط الفكري والحياتي أعطى اليهود خصوصية تأسست عليها طبقة اجتماعية وظيفية منسجمة مع وعي اليهودي لخصوصيته الدينية، وهذا ما جعل اليهود المعاصرين غير قابلين للذوبان في المجتمعات التي عاشوا فيها، ويرى العديد من الباحثين أن التعاليم اليهودية التي تمنع امتلاك الأرض والعمل في الزراعة قد لعبت دورها في منع انصهار اليهودي[4]، فلقد أسست النصوص التوراتية لقيم عنصرية فرقت بين اليهودي وغيره في كل التعاملات، وجعلت من الكيان اليهودي كيانا منغلقا عن ذاته، لا تربطه أي تعاملات إنسانية مع غيره، ولهذا كانت روح النص التوراتي مع مجموعة تعاليم اليهودية في الأخلاق تشكل نسقا للاستهانة بالغير والنظرة الدونية للآخرين وعدم احترامهم، ليتبيّن لنا مدى البعد النفسي والفكري والأخلاقي لليهودي، باستباحة مال الآخرين من خلال السرقة، وفي حال تعذر ذلك يكون بالاحتيال، وعند فقدان الوسيلة يكون السلب والغدر والخديعة[5].

هذه الأحكام التي تشرعها التوراة ضدّ من لا يدين باليهودية، تنبع من نظرة عقدية متجذرة باعتبار أنّ التوراة تنظر لغير اليهود أنهم أقل مرتبة من اليهود، وإلى أحد أهم الصفات المتجذرة في الشخصية اليهودية وهي الاعتزال والعنصرية، عبر التاريخ اليهودي وما تصفه التوراة أيضا وتؤسس له عبر مختلف المحطات التاريخية، وتجسدّ هذا في المراحل المتأخرة من التاريخ اليهودي داخل المجتمعات القديمة والحديثة، واتخّذ أشكالا مختلفة مثل: "حارة اليهود" في مصر، و" قاعة اليهود " أو المسبتة

---

[1]- القضاة 2: 2 .

[2]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 27- 28.

[3]- حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص 109.

[4]- محمد أحمد النابلسي: النفس المغلولة سيكولوجية السياسة الإسرائيلية، ص 17- 18.

[5]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 97.

(نسبة إلى يوم السبت) في اليمن، و"الملاح" في المغرب[1]، أمّا في شرق أوربا فإنّ مناطق الانعزال اليهودي اتخذت تسميات مختلفة، كالشتل[2] ، والقاهال[3]، وكذلك الجيتو، وهذا الأخير التي تعّد أشهر تسمية للتجمعات اليهودية في أوربا، وشكلت هذه المجتمعات الطوعية لأراض دينية كدراسة النصوص الحاخامية، وجمع الأعمال الخيرية ورعاية الأيتام والمرضى وتعكس الطبيعة الشاملة لحياة اليهود في العالم[4] .

وهذا الأخير "الجيتو" الذي أراد اليهود من خلاله أن يعيشوا منفصلين عن البقية من الشعوب لأنهم يشعرون بأنهم متفوقون على عامة الناس[5]، ولم يكن الجيتو عزل إنساني للوجود اليهودي، بل كان عزل يهودي للظاهرة الإنسانية، وهو مرجع هذا العزل هو حالة الشعور بالتفوق والأفضلية، وتحول هذا الشعور إلى عقدة هي نتيجة عقدة التعالي اليهودي على النوع الإنساني، وتعتبر المرجعية الدينية المتمثلة في التوراة وأسفار بني إسرائيل والتلمود القاعدة التربوية للتكوين النفسي والفكري والشخصية اليهودية، حيث الاستعداد للغلو إلى حد العزلة.

2- العنصرية والاعتزال اليهودي:

يعّد مصطلح العنصرية (بضم الصاد) من المصطلحات العربية الحديثة نسبيا، فلا نجد المصطلح بهذه الصيغة في أي من المعاجم اللغوية القديمة، بل نجد لفظ (العُنصر) التي يدل معناها على الأصل[6] وما في معناه من الجنس والنسب والحسب[7]، أمّا العنصرية في الاصطلاح فهي عقيدة تقوم تقوم على أنّ شعبا من الشعوب أو قوم من الأقوام أو جنسا من الأجناس البشرية أو قبيلة من القبائل أو عشيرة أو مجموعة من الناس، تتميّز بمجموعة من الصفات الجسمية والعقلية عن ما عداها، وإنها لذلك صاحبة الفضل في البناء الحضاري للإنسانية والمدنية ومؤهلة من أجل ذلك

---

[1]- رشاد الشامي: الشخصية اليهودية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، د ت، ص 13.

[2]- الشتل: صيغة التصغير لكلمة "شتوت" التي تعني " مدينة" وهي كلمة عبرية الأصل وكانت تعني "شتلة" أي زرع (أو شتل) كيان ما داخل التربة، والشتتل تجمع سكاني يهودي يبلغ عدد سكانه ما بين ألف وعشرين ألف(عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط د، 1982م، ص 26) .

[3]- القاهال: كلمة عبرية تعني "جماعة" وتستخدم للإشارة إلى المؤسسة اليهودية المعروفة بهذا الاسم في بولندا ثم في روسيا فيما بعد، فأسسوا نظاما إداريا قضائيا مستقلا يرأسه مجلس أعلى، تكون من مهمته فرض الضرائب وتعيين القضاة وإقامة المحاكم وتنظيم مختلف وانب الحياة اليهودية من الداخل.(عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، ص 26).

[4] -Howard . N. Lupovitch: Jews and Judaism in word history, Routledge, Madison Ave ، New York, USA, 2010, p 80.

[5] -Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalizme, p 167.

[6]- ابن منظور: لسان العرب، جز 4، ص 611 .

[7]- ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، جز 4، ص 370.

للقيادة والإمارة على الآخرين[1]، كما تعرّف العنصرية على أنها: "إيديولوجيا مبنية على الاعتقاد بوجود تسلسل هرمي بين الأجناس، فينظر الواحد للذي ينتمي إليه المرء متفوق والآخر سفلي"[2]وقد عرّفها روبرت مايلز "Robert Miles" على أنها أيديولوجية كذلك وترافقها استغلال الناس عمليا، وحيث يتم تصنيف الناس إلى مفهوم البعد علميا عن الأجناس المميزة[3]، كما نميّز نوعين من العنصرية باعتبار مصدرها ومصيرها، الأول جيني عالمي متأصل في الطبيعة البشرية، والآخر مكتسب طارئ فهو نظام ثقافي[4].

ولذلك فإنّ القانون اليهودي جزء من قانون النظام الديني كما هي الأخلاق اليهودية، فالناموس وقانون الأخلاق والنصوص الإلهية لا ينفصلان في اليهودية، ولذلك فإنّ الأخلاقيات الخاصة باليهودية والأخلاق اليهودية هي أساس مبادئ الدين اليهودي[5]، ففي حين أنّ معظم الأديان ليس لديهم سوى رابطة من الاعتقاد المشترك، تنشئ اليهودية رابطا محددا للعضوية، وهو رابط الولادة حيث ينتقل الطابع اليهودي عن طريق دم الأم، خاصة مع القانون الذي وضعه الحاخامات خلال طرد اليهود من قبل الرومان في فجر العصر الحديث[6]، واعتبرت اليهودية منذ بدايتها على أنها ديانة وطنية خاصة، مبنية على كشف محدد من الله لليهود، وأنّ اليهود الذين تلقوا من الله حكموا مجتمعهم وحده بالقانون المنزل، ولم ينظروا أبدا إلى ديانتهم الدينية والمعايير الأخلاقية والقيمية الملزمة لغير اليهودي، وهناك تقسيم حاد بين القواعد التي تحكم اليهود وتلك التي تطبق على بقية العالم، فمن الناحية التاريخية عاش اليهود على مر القرون في الغالب كأقلية داخل المجتمعات غير اليهودية، فكانوا إل حدّ كبير غرباء مع فرصة ضئيلة لممارسة السلطة السياسية على غير اليهود، ونتيجة لهذا الحرمان السياسي والاجتماعي فقد كان اليهود إلى وقت قريب نسبيا لم يواجهوا تحدي المتمثل في تطبيق القواعد القانونية والأخلاقية اليهودية على غير اليهودي في العالم، علاوة على هذه

[1]- محمد البهى: التفرقة العنصرية والإسلام، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1979م، ص 3.

[2] - André Gaillard : Le judaïsme et l'invention du racisme culturel, P 4 .

[3] -Mike Cole : Education ,Equality and Human Right Issues of gender , race , sexuality, disability and social class, Routledge, New York, USA,1 st edition, 2006, p 45.

[4] -Mike Cole : Education ,Equality and Human Right Issues of gender , race , sexuality, disability and social class, Routledge, P 4 .

[5] -Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalizme, P 134.

[6] - André Gaillard : Le judaisme et l'invention du racisme culturel, P 26 .

الاعتبارات فإنّه لا يمكن إدخال المعايير والقيم الأخلاقية اليهودية إلى عامة الناس باختلافهم نظرا لأنها تختلف اختلافا جذريا عن الأخلاقيات غير اليهودية[1].

كما اتخذ اليهود عقيدة "الشعب المقدس" أو "الشعب المختار" السمّة الأبرز في البناء العقدي اليهودي، من خلال السمات الخاصة المتفردة التي وصف بها هذا الشعب، الأمر الذي يقضي بتفوقه على الأمم الأخرى الدُنيا وانفصاله عنها، ولأنه شعب مقدس فقد دخلت وتغلغلت القداسة في نسيجه المميز وتحل فيه، وقد دخل مملكة الله، وانفرد وتفرّد عن عموم الأمم الأخرى، ومثل هذا الامتياز الروحي الخاص باليهود، رتب لهم حقوقا إضافية أو امتيازات فوق البشرية تجعلهم في السلم الأعلى للأجناس والأقوام والجماعات، وطبقا لهذا التصور المفارق للعلم والتاريخ، فإن الفيلسوف اليهودي "رونز فايج"[2] ينتهي إلى اعتقاد غارق في العرقية، مفاده إنّ اليهودي سمة بيولوجية يولد بها اليهودي وتظل ملازمة له[3]، ويعرف اليهودي بأنه كل شخص يولد لأم يهودية، وكل من يلتزم ويؤمن بالقانون اليهودي (الهلاخاه) ويشارك في الطقوس اليهودية ويؤمن بمبادئ التقليد اليهودي، وغير هؤلاء خارج عن إطار اليهودية كمجتمع وديانة[4].

وأصبحت عقد الانعزال والامتياز والاستعلاء صفة أساسية وميزة للنفسية والشخصية اليهودية، باستعمال النسب والعرق والموروث الديني، وهنا يتضح مدى أهمية الخرافة والأسطورة في خلق الإطار النفسي العنصري اليهودي لدرجة تتجاوز الحقيقة التاريخية، ناهيك إذا أخذت ميزة القداسة، مما عرض اليهود للكراهية والاضطهاد عبر التاريخ، منذ السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، ويليه التشريد الروماني منذ القرن الأول الميلادي، مما زاد من أسباب التحامهم وتعاونهم، ومقاومتهم لعوامل الفناء، وربطوا هذه الظاهرة باختيار إلهي لهم دون سائر شعوب الأرض، ومن هنا لا يتردد اليهود في تسمية أنفسهم "شعب الله المختار" حيث يعتقدون أنّ هذا الاختيار هو برنامج إلهي، وبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم، كذلك فإنهم يسمون أنفسهم " الشعب الأزلي" (عم عولام) و " الشعب الأبدي (عم نيتسح)، حيث يعتقدون أنهم مثل الله لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية له نهاية، و" الشعب المقدس"

---

[1] - Louis E. Newman : Past imperatives –studies in the history and theory of Jewish ethics, p 211.

[2]- رونز فايج (1886- 1929م) فيلسوف صهيوني ولد في ألمانيا، اشتهر بكتاب (نجمة الانعتاق) أحد أبرز أعماله، الصادر عام 1919م، ويعّد من بين المصنفات الكبرى في المسألة اليهودية.(عبد الستار الراوي: الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر، ص50)

[3]- عبد الستار الراوي: الفكر الفلسفي اليهودي والحديث والمعاصر، ص 52 -53.

[4] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 251.

(عم قادوش)[1]، كم كان للاختيار الإلهي لليهود على باقي البشر، انعكاس على شعورهم الدائم بالتفوق عرقيا وأخلاقيا، فاليهود يشعرون أنهم متفوقون أخلاقيا[2].

وتأكيدا لقيم العنصرية والتمايز اليهودي أوصى الرب بني إسرائيل أن لا يختلطوا بباقي الأمم أو يصاهروها[3]، فجاء في سفر يشوع، "وَلكِنْ إِذَا رَجَعْتُمْ وَلَصِقْتُمْ بِبَقِيَّةِ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ، أُولئِكَ الْبَاقِينَ مَعَكُمْ، وَصَاهَرْتُمُوهُمْ وَدَخَلْتُمْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ إِلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ لاَ يَعُودُ يَطْرُدُ أُولئِكَ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَيَكُونُوا لَكُمْ فَخًّا وَشَرَكًا وَسَوْطًا عَلَى جَوَانِبِكُمْ، وَشَوْكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، حَتَّى تَبِيدُوا عَنْ تِلْكَ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ إِيَّاهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"[4]، وقد تحول هذا الاستعلاء العنصري المشحون بالكراهية، وعدم الاعتراف بندية الآخرين، إلى اضطهاد من قبل الشعوب التي يعيش بينها اليهود، فكان هذا الفكر العنصري من أصل العنصرية بين اليهود، عنصرا أساسيا في غير اليهود لمعاداة اليهودية[5]، فالحاجز السيكولوجي الذي يفصل اليهود من غيرهم، تسبب لهم في اضطهادات ونكبات، وهكذا ظل الاستعلاء العنصري يجلب الكراهية، والكراهية تولد الحقد والحقد يغري بالاضطهاد[6].

ولو أننا تتبعنا تاريخ العنصرية اليهودية لوجدناه يتجاوز كل الحدود في عصور وكانت كلها عصور شقاء لليهود إذ يعيشون في القرن الخامس قبل الميلاد تحت سلطة الفرس، وفي القرن الرابع يصبحون رعية للإسكندر الأكبر اليوناني، ثمّ لخلفائه السلوقيين في الشام حينا والبطالسة في مصر أحيانا أخرى، ثمّ تقع عليهم قبضة الرومان في القرن الأول قبل الميلاد وما بعده، ليبقوا في حالة من الطرد والتشريد وسط الأمم في أركان العالم كله، فلا تقوم لهم قائمة حتى عام 1948م، الذي ارتفع فيه علم الدولة الصهيونية المغتصبة لفلسطين.

وفي بؤرة المهانة والتشرد على مدى ما يقرب من ألفي سنة ظل اليهودي يرفض التآخي مع غيرهم من الأمم، ويشجعهم أحبارهم وكهنتهم على هذه العزلة، يقول الربّي عقيبا في المشنة (وصايا الآباء 18/3) : " بنو إسرائيل أحبّاء الله لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم من هذا الحب،

---

[1]- رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 28- 29

[2]- جورجي كنعان: أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د ط، 1978م، ص 40.

[3]- ياسين سويد: التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتاباتهم – قراءة جديدة للعهد القديم-، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2007م، ج 1، ص 186.

[4]- يشوع 23: 12- 13.

[5] - André Gaillard : Le judaïsme et l'invention du racisme culturel, p 130 .

[6]- رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 30- 31.

وهو أنّ الله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة :" أنتم أولاد للرّب إلهكم"[1] وهو يشير بذلك إلى مواضع كثيرة في التوراة أوضحتها الفقرة السابقة التي استشهد بها، وفي الفقرة التي تليها يتأكد الغرور الإسرائيلي بهذه العنصرية في قوله[2]: "لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرّب لكي تكون له شعبا خاصا، فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض"[3]، فالشخصية اليهودية ترعرعت على الحقد والكراهية ونبذ كل أوجه التعاون والمحبة أو الدعوة إلى الحريات الإنسانية والعقدية، حتى تلك التي فطرت عليها الجبلة الإنسانية[4].

إنّ منظومة القيم في التشريع اليهودي التي تتحدث عن مجموع العلاقات الإنسانية تبيّن أنّ هناك خطا بيانيا نحو الأعلى في زيادة عزل اليهودي عن محيطة الإنساني من خلال تعاليم التوراة، بمجموع قراراتها التي تعطيه أفضلية نفسية وكبرا ذاتيا مبالغا فيه، فلا وفاء بعهد لأن اليهودي على الدوام الأفضل والأحسن، وتشرع قتل الآخر لأنّ اليهودي هو الأفضل، جواز اغتصاب نساء العالم لأنه الأكرم، ولا تعامل اقتصادي نزيه يسري على الجميع، إنها مطبات تتعاقب مع مرور الزمن لتشكل جدارا عالي البناء بين الإنسانية جمعاء، هذا التكوين القبلي الصغير هو الجيتو الحقيقي، هو العزل الفعلي الذي بناه اليهود عبر التاريخ على أنفسهم وعلى تاريخهم ووجودهم[5].

بالرغم من أنّ الدين اليهودي ومصدره الأول التوراة دين سماوي يحض على قيم الخير ونبذ الشر، كما تناولنا في مجموع القيم التي تحويها نصوص التوراة، إلّا أنّ التناقض المتجذر أيضا نجده بين النص والآخر، فما يلبث النص يحث على قيمة، حتى ينفيها النص الذي بعده.

---

[1]- التثنية 14: 1

[2]- حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص 109 – 110.

[3]- التثنية 14: 2.

[4]- إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ص 140- 141.

[5]- سعدون المشهداني: أثر النص المقدس في منظومة القيم، ص 34.

المطلب الثاني: القيم الروحية القرآنية مع الآخر في حالة السلم.

من أهم المبادئ التي يقوم عليها التوازن الاجتماعي هو مبدأ التعايش، وقد رأى علماء الاجتماع أنّ تحقق هذا المبدأ داخل المجتمع ينطلق من نوعين من القيم، قيم من الخارج تفرض على أفراد المجتمع هذا المبدأ، وأخرى تنبع من الداخل أي تلقائيا، فالإسلام يقوم على جملة من القيم والمبادئ تجعل من التعايش بين البشر غاية محققة، تبدأ من الطبيعة الاجتماعية التي فطر عليها البشر، والتي تجسد رسالة الاستخلاف على الأرض، بدءا من عملية التناسل لاستمرارية النسل البشري، ولم يترك الإنسان يعيش عبثا فقد أرسل الأنبياء والرسل، معلمين ومرشدين، ومنظمين للعلاقة بين العبد وربه، وتنظيم العلاقات بين المرء وغيره، كما زرع الله في الإنسان بذور الحب والخير، وهي من مبادئ الفطرية الإيمانية للفرد المسلم، وهو مبدأ يفرض خيرية الإنسان أساسا، وفي مقدمة ذلك التعايش بين البشر، فالحب هو جوهر التركيبة البشرية، مع تفضيل الإنسان للعمل الخير دئما، باكتسابه جهازا قيميا مميزا بين الخير والشر، حتى ولو لم يقترن ذلك بتنشئة اجتماعية هادفة، ولهذا فإنّ هذه الثقافة الفطرية لمفهوم الخير وتمييزه عن الشر، يفرض على البشر أنّ يتعايش فيما بينهم، لأنها تفرض وجود قيم تحمل الأفراد على التعايش فيما بينهم، بالإضافة إلى القيم التي يكتسبها الإنسان من خلال تنشئة صحيحة، تحمل مبادئ التعايش، وهناك مجموع القيم العبادية وهي التي المبادئ التي أنزلها الله تعالى، وهي قيم مطلقة باعتبار مصدريتها، فهي من عند الله تعالى[1].

هذه جملة المبادئ الأساسية التي ترسم للمسلم إطار تعامله وحياته، وتعاملاته مع أخيه الإنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم، سنتناول من خلال هذا المطلب قيم تعامل المسلم مع غيره غير المسلم، وإن كانت جميع القيم التي تناولناها في الفصول السابقة، والتي تختص بتعامل المسلم مع أخيه المسلم، هي شاملة لكل تعاملات الفرد المسلم سواء مع أخيه المسلم أو مع غير المسلم، لأنها قيم روحية إنسانية مطلقة، حددتها نصوص القرآن الكريم، وحثت عليها وأسست لها شريعة الإسلام وتعاليمه، أمّا القيم التي اخترنا تناولها في هذه الجزئية فهي قيم تختص بعلاقات المسلم الإنسانية عامّة، والتي أوجزناها فيما يلي:

1- قيمة الكرامة الإنسانية:

الإنسان خليفة الله في الأرض، والله تعالى سخر له ما في الكون جميعا، لخدمته، وفضله بالعقل وأعطاه الاستعداد للعلم بما في السماوات والأرض، وقد دلّ القرآن الكريم على هذه الكرامة في كثير

[1]- محمود البستاني: الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ط، 1994م، ص 69- 73.

من الآيات ، منها ما جاء في سورة الإسراء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]، وهذا التكريم لا يخص فردا دون الآخر، أو جنسا عن باقي الأجناس، بل هو تكريم لجميع البشر، قال رسول الله ﷺ :"يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ ألا لا فضلَ لِعَربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعَجميٍّ على عربيٍّ ولا لِأحمرَ على أسودَ ولا لِأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوى"[2]، فقد اعتبر الاسلام الناس أمة واحدة، ويجمعها رابط الإنسانية، وإن فرقت الأهواء فالأصل واحد، وإنّ اختلاف الألوان والألسن لهو من سنن الله في خلقه، كما أنّ اختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا، وأبلغ الآيات تعبيرا عن هذا المبدأ ، ما جاء في سورة الحجرات، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3]، وبهذه المساواة في القيمة الإنسانية التي تعتمد الأصل الواد والنسب الواحد، فلا يتصور في أحد من بني الإنسان أن يولد متميّز عن غيره في الكرامة والقيمة، أو فيما ينبغي له من حقوق وكيان، فلقد ولد الجميع متساوون في كل شيء، ثمّ منح الجميع بعد ذلك أدوات الفهم والتعقل والتفكير، وتيسرت أمامه سبل التفوق والنبوغ[4]، وأرشده إلى سبل التعارف والانتفاع بين الناس، وقد حارب الإسلام أيضا كل مظاهر التمييز سواء بالألوان، كما حارب التمييز بالعنصر والجنس، فالناس جميعا لآدم، ولكن اختلاف بين البشر سنة لله في خلقه، وماهي إلا سبيل للتكافل الإنساني والانتفاع بهذه الأرض التي جعله الله خليفة فيها بمقتضى التكوين، وبمقتضى ما آتاه الله تعالى من مواهب واستعدادات تجعل الكون كله مسخرا له[5]، وبها حفظ الإسلام كرامة الفرد، وساوى بين جميع الخلق مهما تنوعت واختلفت الأعراق والأجناس.

2- قيم السلم والأمان:

السلم أصل العلاقات الإنسانية بين الشعوب والأمم، والعلاقات الدولية، فالإسلام لا يسمح للمؤمنين أن يتدخلوا في شؤون الدول، وهو يحترم حق كل دولة في الوجود وحقها في السيادة والدفاع عن أراضيها وسيادتها، فلا شكّ أنّ الحرب في الإسلام ليست الأصل، ولا يسمح للمسلمين بابتداء

---

[1]- الإسراء : 70.

[2]- الصحيح المسند (1536).

[3]- الحجرات : 13.

[4]- محمد خضر: الإسلام وحقوق الإنسان،(دون معلومات النشر)، ص 11.

[5]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 20- 23.

الحرب من غير باعث، إمّا العدل أو الاعتداء أو الكرامة الإنسانية، فلا تكون حرب إلا كان من هذه القواعد ما يبررها[1].

3- قيمة التسامح:

دعا الإسلام إلى التسامح غير الذليل، فهو يبني العلاقات الإنسانية سواء أكانت بين الأفراد أو كانت بين الجماعات على التسامح من غير استسلام للشر وتمكين للأشرار، وقد ذكر الله تعالى ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن.

وهذا بشهادة اليهود بأنهم كانوا أفضل حالا تحت الحكم الإسلامي، وظلوا محميين قانونيا كأقلية، وفقا للتعاليم الإسلامية، وكانوا يسمون مع المسيحيين أهل الكتاب، باعتبارهم مجموعين في التوحيد، مما أكسبهم الحق في العيش دون مضايقة المجتمع المسلم، فكانوا أقليات دينية محمية قانونيا، وهذا بدفع مستحقات مالية، -ويقصد هنا دفع الجزية -، كما سمح لهم بممارستهم الدينية، وتظهر العلاقة اليهودية مع المسلمين أقل توترا وصداما مما كان عليه اليهود بين المسيحيين خلال العصور الوسطى، فكان اليهود يحظون بالحرية القانونية تحت حكم المسلمين، مما أسهم في الاتصال الاقتصادي والاجتماعي والفكري بين اليهود والمسلمين[2].

وقد طبق النبي ﷺ مبدأ التسامح في علاقاته بالمشركين وغيرهم، في معاهداته وفي حروبه، وكان الصفح الجميل أبرز ما يكون ظهوره عند الانتصار، فما كانت الحروب للثأر والانتقام بل لإعلاء الحق ودفع عدوان الباطل، ولذلك عندما فتح الله مكة وخضعت لكلمة التوحيد، كان الصفح الكريم من النبي ﷺ ، وتلتها العديد من المواقف للنبي عليه السلام في حروبه وغزواته لنشر الإسلام.

وبذلك يتبين أنّ الصفح والتسامح هو السياسية الإسلامية والقيم الروحية والتعاملية التي رسمتها النبوة في العلاقة بين المسلمين بعضهم ببعض، وخصوصا بين المسلمين وغيرهم، وهي سياسة مطلقة في حال السلم[3].

4- قيمة الحرية:

الحرية هي الإطار الذهبي الذي يعيش فيه الإنسان متميزا به عن باقي المخلوقات، فلقد منح عقلا وتفكيرا وإرادة، وفتحت له أبواب الاختيار والتمييز بمقتضى هذا العقل والارادة، لا سلطان

---

[1]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 50.

[2] -Michael L. Satlow: Creating Judaism History ,Tradition ,Practice, Columbia University Press, New York, 1893, P 190.

[3]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 27- 28.

عليه، فالحرية هبة ربانية لنبي الإنسان[1]، ومن أنواع الحرية التي حفظها القرآن للإنسان الحرية الدينية، وحرية المعتقد، فالدّين الإسلامي دين السماحة والسلم، يرفض أن يكره الناس على الدخول فيه قهرا، بل يدعوا الناس للدخول فيه اعتقادا واختيارا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...١٢٥ ﴾[2].

فالحرية مبدأ إسلامي يجب توافره لكمال الشخصية الإنسانية، وأهم حرية ينص عليها الإسلام احترام الإسلام لحرية التدين، وحرية العقيدة احتراما كاملا، فمنع الإكراه في الدّين، إذ نفى القرآن الكريم بالنّص أن يكون الإكراه طريقا للدين، ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحد على الدّين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ... ﴾[3]، وما أبيح القتال في الإسلام إلا حماية للحرية الدينية، ولمنع الفتنة والاضطهاد والاكراه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ﴾[4]، فلقد حمى الإسلام في ظل حكمه من غير المسلمين في عبادتهم وشعائرهم، ولا أدّل على ذلك إلا المعاهدة التي أقامها النبي ﷺ ليهود المدينة على حسن الجوار، وعلى ترك حريتهم الدينية يقيمون شعائرهم كما يحبون، كما عاهد عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس على حريتهم الدينية، فكان من نص معاهدته معهم: "هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"، فلقد أسس الإسلام للحرية الدينية على أساس التسامح والمعاملة العادلة النزيهة التي تحترم حرية الآخرين[5].

5- قيم الوفاء بالعهود والعقود:

إذا أعطى المسلمون الأمان لغيرهم وجب عليهم الالتزام بما يقتضيه عقد الأمان من عدم التعرض لمن ثبت له الأمان الخاص أو العام أو المؤقت، أو المؤبد ما لم يتنه أمانه إن كان مؤقتا، أو يبطل بنقض غير المسلمين للعهد، وإنما وجب الوفاء بالعهد مع غير المسلمين، بسائر أنواعه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ... ﴾[6].

---

[1]- محمد خضر: الإسلام وحقوق الإنسان، ص 21.

[2]- النحل : 125.

[3]- البقرة : 256.

[4]- البقرة: 193.

[5]- محمد خضر: الإسلام وحقوق الإنسان، ص 25.

[6]- المائدة: 1.

ووجب الوفاء بالعقود، سواء ما ارتبط بالأمان أو غيره، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]، كما حث الله تعالى على إجابة طلب الأمان الخاص من غير المسلمين، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، ومما يدل على ضرورة الوفاء بالعهد ما ورد في بيان عظم الجناية عليه أثناء عهده، كقوله ﷺ : "من قتل نفسا معاهدا لم يرح ريح الجنة"[3]

إنّ السبيل لاستقرار السلام، هو معاهدات الأمان وعدم الاعتداء، وإنّ المعاهدات لا تستمد قوتها من نصوصها، بل من عزيمة عاقديها بالوفاء، ولذلك حثّ القرآن الكريم على الوفاء بالعهد والميثاق بقوة، والنكث فيه من أسباب الضعف، وأشار القرآن الكريم إلى أنّ الوفاء بالعهود هو المقصد الأسمى الذي يتجه إليه المؤمن لتحقيق معنى الوحدة الإنسانية[4].

6- أحوال غير المسلمين في بلاد الإسلام:

الذمّة في اللغة العهد والأمان والضمان، وأهل الذمّة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وسموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ومع الفتح الإسلامي للأمصار والبلدان رحب بهم أهل الذمّة فقد أملوا الخلاص من الانقسامات الدينية والمذهبية، والخلاص من ظلم حكامهم، والاعفاء من الخدمة العسكرية، والتمتع بالحرية الدينية التي يسمح بها الإسلام مقابل دفع الجزية، وكان ترحيب أهل الذمّة عاملا على نشر الإسلام، فقد دعا المسلمون أهل الذمّة إلى الإسلام، واعلنوا أنّ المحارب إذا أسلم يصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولها دخلت جموع كبيرة من أهل الذمة إلى الإسلام، وأما من بقي على دينه عاملهم المسلمون بتسامح عظيم باعتبارهم أهل الكتاب[5].

ولا خلاف بين الفقهاء حول مشروعية عقد الجزية في الجملة، لأهل الكتاب والمجوس، ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

[1]- النحل: 91.

[2]- التوبة : 6.

[3]- صحيح البخاري، 6914.

[4]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 42.

[5]- علي حسن الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994م، ص 109- 110.

﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾[1]، حيث جعلت الجزية نهاية للقتال مع الكتابيين مما يدل على مشروعيتها وتحريم القتال بعد قبول أهل الكتاب بذلها.

ولما كان عقد الجزية عقدا يقتضي عيش غير المسلمين في ديار الإسلام، كان من الطبيعي أن تنشأ علاقات تعاملات بين الطرفين، ولم تخلف الشريعة الإسلامية ضبط هذه العلاقة في معاملة المسلمين لأهل الذمة، وسنحاول ضبط أهم القيم الروحية التي يضبطها القرآن الكريم في هذه العلاقة بين المسلمين وأهل الذمّة، فيجوز معاملة الذميين بالبيع والشراء ونحوهما ما لم تكون هذه المعاملات مما لا تقره الشريعة الإسلامية كالتعامل بالربا أو الاتجار في المحرمات كالخمر والخنزير، والضابط لذلك أنّ كل ما جاز في معاملة المسلم للمسلم جاز في معاملة المسلم للذمي، وأنّ ما لا يجوز في معاملة المسلمين لا يجوز في معاملة المسلمين لا يجوز في معاملة المسلم للذمّي.

عقد الجزية تقرير له من اليهود أو النصارى أو المجوس على دينه، ويصبح من أهل دار الإسلام من المسلمين والذميّين، وعلى هذا فيكون الذمي خاضعا لأحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالحرام والحلال والعقوبات فيما عدا ما يتعلق بالعقيدة أو الأحوال الشخصية فيتركون على ما يعتقدون في أديانهم.

لا خلاف بين الفقهاء أنّ المسلم لو اعتدى على مال الذمي عوقب بالعقوبات المقررة في الشريعة الإسلامية، كما أنه لا خلاف بينهم لو اعتدى على مال ذمي مثله أو على مال مسلم أنه يعاقب بالعقوبات المقررة في الشريعة الإسلامية، لأنه التزم بأحكام الشريعة الإسلامية حين دخل في عقد الذمّة[2].

إنّ من سماحة الإسلام في حروبه مع أعدائه الوفاء بالعهود والمواثيق والأعراف، بل حفظ أموال التجار الذين يقيمون في دولة الإسلام، وإن كانوا تابعين لدولة بينها وبين المسلمين حرب قائمة، حيث تحفظ للتاجر الحماية في النفس والمال، بل إنه يقرر أن العلاقة التجارية بين الشعوب لا تقطعها الحرب، ولذلك يقرر أنّ الذين يدخلون الديار الإسلامية من التجار مستأنسين، وقد أعطوا حق الأمان، يستمر أمانهم وإن كانوا منتمين لدولة معادية[3]، هكذا يحاول الإسلام توسيع دائرة الأمان، في إشارة واضحة إلى رغبة الإسلام في الحد من دائرة القتال.

---

[1]- التوبة : 29.

[2]- عباس شومان: العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، ص 41- 48.

[3]- محمد أبو زهرة: نظرية الحرب في الإسلام، سلسلة دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الدينية، مصر، العدد 160، القاهرة، مصر، ط2، 2008م، ص 53 .

المبحث الثالث: القيم التوراتية والقرآنية مع الآخر في حالة الحرب.

إنّ الحرب حالة عارضة غير مرغوب فيها، وينبغي تجنبها ما أمكن، ولكن إن كان لا بدّ منها، فينبغي تقيّد بقيود وسلوكيات تخفف قدر المستطاع من ويلاتها وآثارها المدمرة ماديا ومعنويا، فكانت الشريعة الإسلامية شريعة إنسانية إلى أبعد الحدود حفاظا على الإنسان وحياته، أمّا الشريعة اليهودية فقد كانت عكس ذلك تماما، خاصة أنها تنطلق من عقائد التميز العنصري والعرقي على باقي الشعوب، مما خلف همجية واستباحة للآخر في نفسه وماله وعرضه خدمة للمصلحة اليهودية، وهذا ما سنحاول تتبعه من خلال القيم التي تسنها النصوص التوراتية والقرآنية في حالات الحرب والصدام.

المطلب الأول: القيم التوراتية مع الآخر في حالة الحرب.

لقد ورد في الشريعة اليهودية أحكام عدّة تخلو جميعها من المفاهيم الإنسانية التي كرسها موسى (عليه السلام) توطيدا لكرامة الانسان وصيانة له من كل ما من شأنه أن يسيء إلى إنسانيته والرحمة والرأفة به، ومن الأحكام القيمية التي تجسد عدم احترام اليهود لكينونة الإنسان، ما شرعته اليهودية في أحكام القتل والحرب، ومن الأساليب الوحشية والتدميرية التي قام بها اليهود عبر تاريخهم، وحتى وقتنا الحاضر.

1- العدوانية في التراث اليهودي:

"يستخدم مصطلح "الحيرم" في العهد القديم، للدلالة على معان عديدة منها النذر والتخصيص ومصادرة الشيء من أيدي أصحابه، لكن الاستخدام الأكثر ذيوعا للمصطلح في أسفار العهد القديم قد ارتبط بالإحراق والتدمير والقتل والتخريب والإماتة والإبادة التامة والاستئصال"[1]، ويذكر هذا المصطلح في نصوص العهد القديم، يحمل معنين، أولهما ما يرتبط بالحروب ويعني الإبادة تامة لكل الكائنات التي تتم هزيمتها في الحرب، أمّا المعنى الثاني "للحيرم" فنجده في غير نصوص الحرب، وتعني التخصيص للرب[2].

وأول ما يلفت القارئ لنصوص التوراة اسهابها الكبير في ذكرها لظاهرة الحرب، بل إنّ النصوص المقدسة اليهودية على نقيض المسيحية والإسلام فإنها تؤسس لأعمال الإبادة الجماعية،

[1] – محمد جلاء إدريس: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، العدد 18، 2001م، ص 79 (نقلا عن: يعقوب كنعاني: معجم اللغة العبرية، تل أبيب، مج 5، 1964م)

[2] – محمد جلاء إدريس: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، 80.

وهي تسفر عن مذكرات لاهوتية فعالة للعنف المدمر ضدّ المجموعات الأخرى[1]، وتكاد تكون فكرة الصراع تشمله من أول نصوص العهد القديم إلى آخره، وتكاد تكون أسفاره تشبه ملحمة طويلة دامية في كثير من الأحيان[2]، كما نجدها تبرر للصراعات والصدامات بين اليهود وغيرهم، وحروبهم المستمرة وعداءهم ضدّ غيرهم عبر التاريخ حتى يومنا الحاضر، بأنهم لم تكن لهم قدرة على الدفاع عن أنفسهم أمام العنف الموجه ضدهم من قبل غير اليهود في الأوساط التي يعيشون فيها معهم، فلقد كان اليهود تحت رحمة الحكام المحليين، مع الكراهية والتمييز بين المسيحيين والمسلمين المحيطين بهم[3].

كما نجد قانون التوراة والميشناه والتلمود والقوانين اليهودية يعترفون بفئتين من الحرب المسموح بها، الحرب الالزامية والحرب الاختيارية، وقد قام موسى بن ميمون بتلخيص مبادئ الحروب المسموح بها في قوانينه" قانون ميشناه التوراة" على النحو التالي:

حرب اختيارية: "لا يمكن إشراك الناس فيها بدون موافقة من المحكمة العليا المكونة من الواحد وسبعين"، كما أشار إلى أنّ الحرب الالزامية هي الحرب ضد الدول السبع التي احتلت أرض كنعان في وقت الفتح الاسرائيلي، وهي حرب ضدّ العماليق، وحرب لإنقاذ الشعب اليهودي من الاضطهاد، أمّا الحروب في الوقت المعاصر فيعدها اليهود حروبا اجبارية، وهي حرب الدفاع عن النفس (الحرب على انقاذ الشعب اليهودي من الاضطهاد الذي يواجهونه)[4].

وعند قراءة كتاب التناخ بجميع أسفاره تتجلى لنا منذ البداية فكرة الصراع بين الخير والشر، وهي الفكرة التي تنطوي عليها فلسفة الحرب منذ أن خلقت البشرية حتى اليوم، فنجد أول الحرب التي ذكرتها التوراة هي تلك الحرب التي شنها إبراهيم (عليه السلام)، والتي دارت رحاها في غور الأردن، حيث كان هناك ملك تسميه التوراة " كدر لا عومر عيلام" يبسط سلطانه كحاكم طاغية مطلق في هذه الناحية، يخضع لها أمراؤها جميعا، واستمر خضوعهما له اثنتي عشرة سنة، وفي السنة الثالثة عشرة ثاروا ضدّه:" وفي السنة الرابعة عشرة أقبل " كدر لا عومر" والملوك الذين معه فضربوا

---

[1] -Steven Leonard Jacobs: Confronting Genocide Judaism, Christianity, Islam, Lexington Books, United Kingdom , 2009, p 7.

[2]- حسن ظاظا ومحمد عاشور: شريعة الحرب عند اليهود، د د ن، د ب، ط1، 1976م، ص 16.

[3] - Arye Edrei :Divine spirit and physical power: Rabbi Shlomo Goren and military ethic of the Israel defense forces , Theoretical Inquiries in Low, vol 7, P258 .

[4] -Arye Edrei : Divine spirit and physical power : Rabbi Shlomo Goren and military ethic of the Israel defense forces , p 268.

الرفائيين في عشتارون قرنايم والزوزيين في هام والإيميين في شوى قريتايم، والحوريين في جبلهم سعير إلى بطمة فاران التي غد البرية، ثمّ رجعوا وجاءوا إلى عين مشفاط التي هي قادش، وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامار ثمّ دارت معركة انتقامية أخذ فيها لوط ابن أخيه إبراهيم أسيرا، ونهب ماله لأنه كان من سكان سادوم، فجاء من نجا وأخبر " إبرام العبراني" وهو مقيم عند أشجار السنديان التي لممرا الأموري أخي إبراهيم أشكول وعانر، وكانوا أصحاب عهد مع إبرام"، فجمع إبراهيم رجاله وانتصر وخلص الأسرى واسترد المؤن والأموال، وبالطبع فإنّ صياغة رواية على هذا النحو في سياق روايات التناخ يكون الهدف منها واضحا، وهو الرغبة في اغتصاب الانتصارات وادعائها لبني جنسه تحفيزا لهممهم وغرسا للتقاليد القتالية في نفوسهم[1].

ثمّ نجد التوراة تطبع العقيدة الإسرائيلية بعد ذلك برباط وثيق، بين الحرب "حرب إسرائيل" و "رب إسرائيل" حيث يصبح هذا الرب هو "رب الجنود" الذي يحدد الأعداء، ويأذن بالحرب أو يمنعها، والذي يمهد لبني إسرائيل السبيل لتحقيق مآربهم في الغزو والاحتلال وطرد الشعوب أو يؤدي بشعبه إلى الهزيمة[2]، فسفر الخروج يبدأ بتصوير الرب كمقاتل الذي يقود شعبه في المعركة، ويحارب من أجلهم، بالطريقة التي يكشف بها الرب مساعدة بني إسرائيل للخروج من مصر، ودور الرب كمقاتل هو نموذج لكل المقاتلين الآخرين في حربهم[3]، ففي سلسلة الحروب التي ترويها التوراة وخاضها اليهود مع أعدائهم، والتي تأمرهم فيها الشريعة اليهودية بإبادة جميع الأقوام التي تقع في الأسر وقتلهم جميعا أطفالا ونساء وشيوخا ومحاربين وبهائم، "وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا، فَنَذَرَ إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ دَفَعْتَ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ إِلَى يَدِي أُحَرِّمُ مُدُنَهُمْ، فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَةَ»"[4]، "فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكُوا أَرْضَهُ"[5]، ولقد نذر بنو إسرائيل لله إذا حقق لهم طلباتهم وأمنياتهم أن يبيدوا جميع الشعب والمواشي

[1]- رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 147.

[2]- محمد جلاء إدريس: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، ص 3.

[3] -Tremper Longman III and Daniel G. Reid: God Is a Warrior (Studies in Old Testament), Biblical Theology, Carlisle, Paternoster, 1995, 31–47.

[4]- العدد 21: 1- 3.

[5]-العدد 21: 35.

بلا رحمة، وكأنها تقدمة لنذورهم، ولم يحاولوا إصلاح العلاقة بأعدائهم أو التفاوض معهم، أمّا مفاهيم وقيم الهدى والرحمة والعفو والتسامح فهي محذوفة من قواميسهم ولا يعرفونها زمن الحرب[1].

ولكن التناقض الموجود في نصوص التوراة، نجده أيضا مرتبط بنصوص الصدام مع اليهود، فنجد بعض الإصحاحات التوراتية تتحدث عن السلب والنهب وقتل الأبرياء من النساء والرجال في الحرب وانتهاك حقوق المحارب في الاستسلام، بينما نجد من ناحية أخرى أحكاما منسوبة للإله معاكسة تدعوا إلى الرأفة والرحمة بالفقراء والدخلاء ودفع استحقاقاتهم، "لاَ تَظْلِمْ أَجِيرًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ فِي أَرْضِكَ، فِي أَبْوَابِكَ. فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ، وَلاَ تَغْرُبْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، لأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ، لِئَلاَّ يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ"[2] و "لاَ تُعَوِّجْ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ، وَلاَ تَسْتَرْهِنْ ثَوْبَ الأَرْمَلَةِ وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي مِصْرَ فَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ هُنَاكَ، لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ. إِذَا حَصَدْتَ حَصِيدَكَ فِي حَقْلِكَ وَنَسِيتَ حُزْمَةً فِي الْحَقْلِ، فَلاَ تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا، لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ تَكُونُ، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدَيْكَ. وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلاَ تُرَاجِعِ الأَغْصَانَ وَرَاءَكَ، لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ. إِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ فَلاَ تُعَلِّلْهُ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ إِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ فَلاَ تُعَلِّلْهُ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ"[3].

وثمت أخلاقيات للحرب تصورها التوراة ووصاياها، ما جاء في سفر التثنية تحت عنوان شرائع الحصار وفتح المدن البعيدة، "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا، وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا، وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا" وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ

[1]- عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص 69.

[2]- التثنية 24: 14- 15.

[3]- التثنية 24: 17- 22

الرَّبُّ إِلهُكَ"[1]، يلخص هذا النص وصية الشريعة اليهودية تجاه المدن المحتلة، قتل وسلب ونهب وغنيمة من عند رب اليهود، والنص (لا تستبق منها نسمة ما) دليل على إبادة كل كائن فوق الأرض[2]، وفي التحريض على العدوان وتنمية الطبيعة العدوانية والاتكالية، لا يفتأ رب بني إسرائيل يحرض شعبه على العدوان وينمّي لديه الطبيعة العدوانية واغتصاب حق الغير، ويذكره دائما بأنه هو الذي يحارب عنه ولأجله[3]، فيقول له:" ثُمَّ أَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فَحَارَبُوكُمْ، وَدَفَعْتُهُمْ بِيَدِكُمْ فَمَلَكْتُمْ أَرْضَهُمْ وَأَهْلَكْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ"[4]، ومن بين المبادئ العسكرية والأخلاقية التي توصي بها التوراة كذلك، أنها أمرتهم أن يقاتلوا أعداءهم ولو كانوا أقل عدد منهم، فقد قال لهم:" قَدْ طَرَدَ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ شُعُوبًا عَظِيمَةً وَقَوِيَّةً، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ قُدَّامَكُمْ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُ أَلْفًا، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ الْمُحَارِبُ عَنْكُمْ كَمَا كَلَّمَكُمْ"[5]، فالإله يأمر كقائد حربي وكملك صارم يجب أن يطاع لأنه الإله، والطريقة الوحيدة لاكتساب عطفه ولاجتناب غضبه ليست إلا الخضوع له، والتزام أوامره، وكلما طال الأمد على اليهودية واليهود فحدث انفصام واسع بين الشرع الإلهي المستقيم، وبني إسرائيل، وظهر على القيم اليهودية بصمات وثنية لا أخلاقية[6]، وتحجرت الديانة اليهودية واستحالت طقوسا جامدة لا حياة فيها، ومظاهر خاوية لا روح فيها[7].

نصت جميع الشرائع على معاملة الأسرى معاملة حسنة بعد تجريدهم من سلاحهم، فهم لا قوة لهم في المقاومة والحرب، وما تسليم أنفسهم إلا لضعفهم وعدم تمكنهم من القتال، ولكن اليهود خالفوا ذلك وعمدوا إلى إلقاء الأسرى من أماكن عالية تمعينا في عذابهم دونما رحمة، فالإنسان اليهودي يتعامل مع الآخرين بمنطق القوة والحساب المادي، في سبيل تحقيق النفع العاجل على المستويين الفردي والجماعي، حتى جزاؤه أرضي، مما انتهى الحال بإنسان اليهودية إلى عبادة المادة من دون الله[8]، فأضحت اليهودية جملة من الشرائع المنغلقة ليس لها هدف أو مبرر أو غاية إلا الحرص على المصلحة الشخصية لليهودي، والجماعة اليهودية، مهما تطلب هذا من ثمن على حساب باقي الأفراد والشعوب، وتستعمل أشد القوانين وطرق الإبادة لتوسع المصلحة اليهودية أو حمايتها أو

---

[1]- التثنية 20: 10- 17.

[2]- عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص 71.

[3]- ياسين سويد: التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتاباتهم – قراءة جديدة للعهد القديم-، ج 1، ص187.

[4]- يشوع 24: 8.

[5]- يشوع 23: 9- 10.

[6]- جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، ص 59.

[7]- سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، مصر، د ط، د.ت، ص 8.

[8]- جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإنسانية، ص 64.

كسب مصالحها، وأي تشريع أخلاقي أو قيمي أو إنساني نجده لا يتعدى الأخ اليهودي، ومن يدين بدين اليهودية، وإلا فهم لا يدخل ضمن الدائرة الإنسانية أصلا.

2- عدوانية الشخصية اليهودية.

البناء النفسي لأي شخصية هو نتاج لمجموع الخبرات الفطرية والمكتسبة من المجتمع، وتعّد الشخصية اليهودية من أعقد الشخصيات التي يصعب تحديد سماتها، لاشتراك عوامل متعددة ومختلفة في بنائها وتركيبها، فالظروف التاريخية والاجتماعية والفكرية التي خضعت لها هذه الشخصية مختلفة ومتباينة ومتباعدة في كثير من الحالات، وبالرغم من ذلك يمكن تحديد بعض السمات الرئيسية التي يمكن وصفها بأنها غير ثابتة وغير دقيقة، لأنها لا تنطبق بنفس القدر على كل أنماط الشخصية اليهودية الإسرائيلية، فبالإضافة إلى الخصائص التي ميزّت النمط اليهودي الصهيوني، والتي احتفظت بها الشخصية اليهودية الإسرائيلية إلى حدّ بعيد، وخاصة الرغبة في الانتقام من الأغيار، والنزوع إلى اللجوء للعنف، وهي السمات التي ميّزت مرحلة الانتقال من الدونية إلى التبعية والسيطرة والثقة بالذات[1]، بحكم المراحل التي مرت بها هذه الجماعة، خاصة مراحل التشرد والتشتت والاضطهاد الذي أورث روحا عدائية كبيرة ضدّ الأغيار.

أمّا الشخصية الصهيونية اليوم وهي آخر المراحل التي وصلت إليها اليهودية، فالصهيونية فكر وسياسية اختزلت الديانة اليهودية بكل عقائدها وأحكامها وتشريعاتها، فهي فكر قائم على الفكر التوراتي واللغة العبرية التي أعادت إحياءها، التي تمد جذورها إلى التوراة وأسفار التناخ، فنجد من أبرز معالم هذه الشخصية اليهودية، العنصرية الدينية والعرقية تحت مقولة شعب الله المختار، وإعادة طرح فكرة المسيح المخلص والعهد الألفي السعيد لقيام دولة لليهود في فلسطين تمهيدا لعودة المسيا، كما طبع هذه الشخصية التناقض بين الشعور بالدونية والاضطهاد، والشعور بالتعالي ورسوخ العقلية العنصرية، واحتقار غير اليهودي والنظرة إليهم نظرة السيّد إلى الخادم، وعدم اعترافهم بندّية غيرهم، وحق غيرهم في العيش كبشر أحرار، إلى تآمرهم على غير اليهود مهما كان لهؤلاء فضل عليهم، والتعصب والغموض، يقول في هذا باروخ سبينوزا في مقالته "روح اليهودية": "تتخلل الديانة اليهودية البخل وروح المصلحة الذاتية"، وقال فولتير: "إنّك لن تجد في اليهود مجرد شعب جاهل ومتوحش زاول لمدّة طويلة أخّس أنواع البخل وأبغض أنواع الخرافات ، ويحمل كراهية لا تعادلها كراهية للشعوب التي تسامحت معه، وكانت سببا في ثرائه كافّة"[2].

---

[1]- رشاد الشامي: الشخصية اليهودية في إطار الجيتوية الإسرائيلية، ص 104.

[2]- ابراهيم يحي الشهابي: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام، ص 145 – 151.

أمّا مسيرة التكوين اليهودي في مفاهيم الحق والعدالة حلّلها مفكروهم الذين أبدوا اهتماما عظيما بها، يقول المفكر اليهودي (باروخ سبينوزا) (1623- 1766م) إنّ شعائر الديانة اليهودية لم تكن تختلف عن شعائر باقي الأديان فحسب، بل كانت مناقضة لها أشد التناقض وقد كان لا بدّ أن تتولد عن العار الذي كانوا يلحقونه بالأجنبي كل يوم كراهية شديدة له، كانت أشد تملكا بقلوبهم من أية عاطفة أخرى، وهي كراهية تتولد عن الإيمان والتقوى، بل كانت هي نفسها تعد تقوى وتلك هي بحق أقوى أنواع الكراهية وأشدها تأملا، وكان لا بدّ أن يقابلها كراهية متبادلة تكنها الشعوب الأخرى بدورها إلى العبرانيين وكل هذه الظروف مجتمعة، أعني حرية المواطنين في الدولة إزاء غيرهم من المواطنين والولاء للوطن والحق المطلق ضدّ الأجنبي وإباحة الكراهية الشديدة لكل من هو غير يهودي وجعلها واجبا مقدسا، والتمييز بالعادات والشعائر جعل كراهيتهم للشعوب ضمن قواعد من الطاعة تتضمن نتيجة النظام الصارم الذي نشأوا عليه ربط جميع أفعالهم الخاصة في الجيش وهكذا فإنّ الحق الإلهي لديهم جاء نتيجة لعهد العبرانيين يرون بأمر دينهم أنّه ليس عليهم أي واجب مقدس تجاه الشعوب الأخرى التي لم تشارك في هذا العهد"[1]، ولذلك فإن سبينوزا يرى أنّ القوانين السياسية للأمّة العبرية في حالتها القديمة، وبما أنّ هذه الدولة لم تعد موجودة فقد أصبحت قوانينها بالية، فلماذا لا يزال اليهود يتشبثون بقوانين التي اختفت من المشهد التاريخي، ولماذا حافظ الشعب اليهودي على تميزه بينما لم يعد هذا ضروريا، ويقدم سبينوزا هذا أنه يعود لأسباب خارجية، فيدعي أنه كان "كراهية غير اليهود" هي التي منعت اختفاء التميز القومي اليهودي، فإنّ كراهية الأمميين التي لم تتبدد بعد تحول اليهود حافظت على يهوديتهم[2]، "أمّا في العصر الحديث فقد سعت الحركة الصهيونية إلى تغيير جذري لطبيعة حياة اليهود، ودعت الشعب اليهودي إلى تحمل المسؤولية عن مصيره وللمرة الأولى في التاريخ اليهودي، بدأ تحديد سيادة اليهود على أساس القومية"[3].

3- نقد القيم العنصرية اليهودية.

إنّ النظرة العنصرية التي تميزّت المنظومة اليهودية عقديا وتشريعيا وقيميا وأخلاقيا كانت محل نقد حتى من طرف علماء اليهود أنفسهم، فاليهود وهم في الأسر البابلي الذي يذكره التناخ حاولوا أن يعوضوا عن عقدة النقص والدونية، بجعل أنفسهم فوق البشرية، وألصقوا بذلك بالإله يهوه

[1] - عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص 52.

[2] - Daniel. H. Frank and Oliver Leaman: Routeledge History of World Philosophies -History of Jewish philosophy- , Routeledge, 1993, Vol 2 , P676

[3] -Arye Edrei : Divine spirit and physical power : Rabbi Shlomo Goren and military ethic of the Israel defense forces , p 294.

ليكتسب ذلك صفة القداسة وكل متعصب للتناخ يعتقد أن ذلك أمر إلهي، ويعبّر عن هذا الفيلسوف الصهيوني " آحاد هاعام": "هذه الأفكار والمفاهيم هي مبادئ أخلاقية، فاليهود يشعرون بأنهم متفوقون أخلاقيا على جميع الأمم، وهذا الشعور يجسد نفسه في فكرة الشعب المختار، والاختيار غير مبني على حكم القوة لأنّ إسرائيل هي أصغر الأمم، وإنما هو قائم على اختيار الله لإسرائيل، كي يعبّر هذا الشعب عن أعلى نموذج أخلاقي"[1] وهذه الروح التي انطبع بها المؤمن كإنسان متفوق مختار كتعويض عن الشعور بالنقص، فنجد الأديب الصهيوني "حاييم يريبر" :" من أين أتى هذا الاحتقار من جانب اليهود للأغيار والشعور بالسمو عليهم؟ هل كان اليهودي عديم الشعور حقا وميتا إلى درجة لم يشعر معها أن حياة الأغيار أكثر غنى وأكثر جمالا من حياته؟ كلا إنّ هذا مستحيل ونحن لا نستطيع أن نصدق هذا... فإن كان هناك احتقار للأغيار فلم يكن سوى حسد طبيعي يشعر به الفقراء تجاه الأغنياء، والرهبان تجاه الفرسان، والعاجز تجاه القادر"[2]، فاليهودي العاجز أمام تفوق الآخرين الحقيقي والمجسد لم يجد حلا إلا هذا الادعاء لكي يخفف عليه هذه العقدة[3]، كما أن ادعاء النقاء العرقي اليهودي واجه نفس الانتقادات من علماء الأجناس والسلالات البشرية، فهم لا ينتمون بأي حال من الأحوال إلى سلالة واحدة، فاليهود لا يتماثلون عرقيا ونجد فيهم كل الاختلافات الجسدية المميزة بين السلالات البشرية، وهو إذن خليط من أجناس مختلفة، ومن علماء اليهود أنفسهم نجد أستاذ الأجناس في الجامعة العبرية وعميد كلية الطب "جيروفتش" قد توصل من خلال أبحاثه أن اليهود ليسوا شعبا بل طائفة دينية، تضم جماعات مختلفة من الناس اعتنقوا دينا واحدا، وأنّ مقدارا ضئيلا من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب وإسحاق، وأن يهود أوربا الشرقية لا ينتمون أبدا إلى الفصيلة اليهودية[4]، فالحقد اليهودي على أمم العالم، أظهرته أعراض العزلة والتقوقع في داخل مختارات تراثية تصلح لأن تكون سورا حصينا يحيط باليهود.

من بين الأمثلة التي نقدمها أيضا من علماء اليهود الذين أظهروا مقاومتهم للعنصرية والتعصب اليهوديين الطبيب اليهودي الأندلسي " موسى بن ميمون" (1135- 1204 م) فعلى الرغم من اعتزازه بقومه، كان أيضا شديد الاعتزاز بمعرفته بآثار الفلاسفة اليونان والمسلمين، وكان في كتاباته

---

[1]- جميل خرطبيل: نقد الدّين اليهودي، ص 95.

[2]- رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 32- 33.

[3]- جميل خرطبيل: نقد الدين اليهودي، ص 95.

[4]- عبير سهام مهدي: التعصب في الفكر الصهيوني، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2012م، ص 82- 83.

الدينية يصرح بأنّ الذين يؤمنون بالله ويفعلون الخير ويتجنبون الشر في هذه الدنيا لهم حظ في الآخرة، وإن لم يكونوا من بني إسرائيل، ولم يؤمنوا بالتوراة، كما كان في تعليمه الطب لا يجيز تلميذا من تلاميذه إلا بعد أن يقسم أمامه، أن يعالج المرضى بدون تمييز بين أديانهم وأجناسهم وألوانهم، ومن غير أن تتغير معاملته لفقيرهم عن غنيهم، ولأنّ الرجل كان بالنسبة للعصور الوسطى متحررا إلى هذا الحد، فإنّ يهود المغرب والأندلس اضطهدوه حتى ضاق ذرعا بتلك البلاد وهاجر إلى القاهرة، وأصبح كبير أطباء القصر الأيوبي.

وما فتأ أن عادت ميزة العنصرية تعاود الظهور بين اليهود في أوربا، وسادت أفكار التعصبية، ومقاومة كل رأي يعارض هذا الرأي، واعتبر الجامدون من اليهود الفيلسوف الهولندي "باروخ سبينوزا" (1632- 1677م) الذي رفع من جديد راية المقاومة لأفكار التعصب، واعتبر دعوته إلى ترك التعصب العنصري كفرا، فقد كان سبينوزا يقول إنّ: "إنّ اليهودية عقيدة، وشريعة وليست وطنا أو قومية أو جنسا، وأنّ اليهودي يمكن أن يؤدي شعائره في أي مكان في العالم، لأنّ الله لم يشترط القدس – أورشليم – كمكان وحيد ليقبل صلواتهم[1]، وإنّ المعبد اليهودي في أمستردام بالنسبة له معادل تماما عند الله لهيكل سليمان في فلسطين، وقد ترتب على ذلك أن أعلن المتعصبون من رجال الدّين طرده من حظيرة المؤمنين وإهدار دمه، واضطر إلى أن يترك أمستردام إلى قرية صغيرة يسهل على تلاميذه أن يحرسوه فيها من عدوان القتلة والسفاحين من المتعصبين، وهناك استمر في نشر مذهبه كما استمر في كسب رزقه من صناعة العدسات البلورية"[2].

ويذكر أيضا "جاكوب كلاتزكين"، الذي ينظر إلى الصهيونية على أساس بدعتها في تعريف القومية اليهودية، تعريفا اقليميا سياسيا وليس كنظرة دينية أو تراث روحي، فلا يمكن أن تقوم الصهيونية على فهم الهوية اليهودية التي ترتكز بدورها على المقاييس الروحية، لأن ذلك يعني عودة إلى التقييد بقيم نظرته القديمة، وليس هدف الصهيونية من الاستيلاء على فلسطين بدافع الرغبة في ايجاد قاعدة للقيم الروحية اليهودية بل لمجرد استعادة أرضنا وتحقيق حياتنا القومية على الأرض.

والصهيونية في النهاية تعارض القيم الأخلاقية في الدين اليهودية، فتجعل بدايتها الحقة، إقامة الدولة اليهودية واعطائها الطابع العلماني ثم ينتهي كلاتزكين إلى القول: "بأنّ الصهيونية لها نزعة

[1]- سيد فرج راشد: دراسات في الصهيونية وجذورها، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، ص 24.

[2]- حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص 97- 98.

إنسانية شاملة، إذ هي تسعى نحو الأخلاق والجمال، وتعمل على خلاص الإنسان في نفس اليهودي"[1].

المطلب الثاني: قيم قرآنية مع الآخر في حالة الحرب.

لم تكن الحروب في الإسلام حروبا دينية يقودها التعصب الديني ضدّ أتباع الأديان الأخرى، فالإسلام دين التسامح الذي يقر بوجود الأمم والشعوب على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، فكما بينا أنه لا إكراه في الدين، والمسلمون يقيمون علاقاتهم مع غير المسلمين على أساس من التعايش والسلم والأمان والتسامح، وضمان الحرية في المعتقد وإقامة الشعائر وغيرها.

فالإسلام يرى أنّ الحرب ظاهرة غير مرغوب فيها، تخرج عن أصل العلاقة الإنسانية والحياة البشرية التي تنبني على التفاعل السلمي والحضاري، أمّا القتل والاقتتال فهو انحراف عن المسار الطبيعي الذي ينبغي للشعوب سلوكه من أجل تحقيق رسالة استخلاف الإنسان على الأرض، ودوره في البناء والتعمير لا الهدم والتخريب، وبالتالي فالسلام هو الظاهرة الأسلم والأصح للمجتمعات البشرية في نظر الإسلام، ولهذا كان القرآن الكريم منظما لغرائز وميول وجشع الإنسان، ووصف القتال بأنه "كره للمؤمنين" وأطلق عليه اسم الجهاد لأنه نوع من المعاناة[2].

1- دوافع الحرب في الإسلام.

الحرب في الإسلام لا تقوم إلا لأسباب ودوافع محددة وليست عبثا، فالمسلمون لا يقاتلون إلا دفاعا عن السلام ومن أجل حقوق الإنسان وحريته، وإقامة العدل، والآية الكريمة التالية أكبر دليل على أنّ الحرب مكروهة أصلا، ولكنها مفروضة على المسلمين من قبل أعدائهم، الأمر الذي جعلها كتابا على المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[3]، الحرب إذن كره للمؤمنين ولكنها عندما تكون دفاعا عن العقيدة وفي سبيل الله تؤدي إلى إشاعة السلام وتعزيز التفاعل الودي بين الشعوب، وفي ذلك خير للبشرية جمعاء وليس للمسلمين وحدهم[4].

---

[1]- عبد الستار الراوي: الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، ص 67.

[2]- ابراهيم يحيى الشهابي: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام ، ص 44.

[3]- البقرة: 216.

[4]- ابراهيم يحيى الشهابي: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام، ص 46.

فالحرب شرعت في الإسلام بقصد حماية نشر الدعوة الإسلامية، وصيانة الدّين الإسلامي والحق والعدل، والفضيلة والقيم السامية العليا التي تقيم المجتمع الفاضل، وتصحح أوضاع الناس وأنظمة الحياة العامّة، ومحاربة الظلم ودفع العدوان والاعتداء، ومنع الفتنة في الدّين[1]، فكانت الحرب ردا على كل اعتداء وعدوان يقع بشكل مباشر أو غير مباشر على المسلمين وأموالهم أو بلادهم بحيث يؤثر في استقلالهم أو اضطهادهم أو فتنتهم عن دينهم أو تهديد أمنهم وسلامتهم ومصادرة حرية دعواتهم أو حدوث ما يدل على سوء نيتهم بالنسبة للمسلمين، بحيث يعتبرون خطرا محدقا أو يتطلبون حذرا احتياطيا، فهدف الحرب في الإسلام حرب رد الاعتداء على الأنفس والأموال وإن الاعتداء على الأنفس والأموال لون من ألوان ظلم الإنسان لأخيه الإنسان الذي يجب منعه ولو بالقوة.

والحروب في الإسلام لم تكن حروبا استعمارية أو اقتصادية لسلب الشعوب أموالهم، ونهب خيراتهم وثرواتهم، أو لنزعة عنصرية تعتمد على الشعور بأن شعبا ما هو أفضل الشعوب العالمية[2]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾[3].

إنّ القتال في الإسلام يُحرّم ما لم يقم سببه الرئيس وهو الاعتداء حيث إنّ القرآن الكريم، بمحكم نصوصه جعل الذين لا يقاتلون المؤمنين في موضع البّر إن وجدت أسبابه وأنّ الذين يقاتلون هم الذين يعتدون، جاء في الآية الكريمة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾[4] ، وذكرت آية أخرى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾

---

[1]- وهبة الزحيلي: أحكام الحرب في الإسلام وخصائصها الإنسانية، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط1، 2000م، ص 8 – 9.

[2]- وهبة الزحيلي: أحكام الحرب في الإسلام، ص 8.

[3]- النساء : 94.

[4]- الممتحنة : 8- 9.

﴾[1]، وندرك من خلال هذه الآية الكريمة حتى أنّه في حالة ردّ العدوان لا يكون باستعمال القسوة، بل الرحمة أول قيم المواجهة، مع عدم تجاوز حدود الله، والحرص على حفظ كرامة الإنسان وحفظ المنجزات الحضارية على الأرض دون هدمها أو تخريبها، فالقرآن الكريم يحث على التفاعل الإيجابي والتعاون الودي والسلمي، سواء بين الأفراد أو بين الأمم والشعوب[2].

2- الجوانب الإنسانية للمميزة للحرب لدى المسلمين.

لم يترك الإسلام الحرب دون تشريع وأحكام وقيم تضبطها، فلم يتركها لطغيان النفس البشرية، بل رسم لها حدودا وأحكاما وقيما أخلاقية وإنسانية، تحفظ النفس البشرية وعمران الأرض، فكانت أول القيم التي سنتها نصوص القرآن الكريم العدل الذي يعد هو قوام الحياة سلما وحربا، فإنّ الحرب في الإسلام من أهم قيمها العدل، ومنع الظلم، وقد شرّع القتال في الإسلام لتحقيق العدل ودفع الظلم حيث إنّ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان أمر مبغض إلى المسلم حيث دعاه الإسلام إلى أن يتمسك بالعدل وأن يبتعد عن الظلم ولو في أحلك الظروف ومنها وقت الحرب.

للحروب التي خاضها المسلمون مع غيرهم عديد من الجوانب الإنسانية، يمكن أن نوضحها في الجوانب التالية:

- لقد كانت الحرب قبل الإسلام، حروب إبادة لا تستثني أحدا، إلا أنّ الإسلام سنّ قوانين يحمي فيها النساء والصبيان والشيوخ وحتى رجل الدين، وكل من لا يحمل سلاحا ولا يعّد من المقاتلين، فكانت الحرب في الإسلام، حربا ضدّ المقاتلين وليس ضدّ الشعوب، فعم أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشا قال: "انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا ولا امرأة، ولا تغُلُّوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين"[3]، ويعلّق محمد أبو زهرة قائلا: " واستمرت الحال كذلك – أي استمرار الحرب ضدّ المقاتلين وغير المقاتلين- حتى جاء محمد – صلى الله عليه وسلم- بحروبه، فأعلن بلسان الفعال، لا بلسان المقال فقط أنّ القتل في الحروب لا يتجاوز الميدان، وأنّ الحرب ليست بين الشعوب، إنما هي بين القوات المسيطرة، فإذا اعتدى ملك أو زعيم قوم أو قائد جيش، فليس الشعب هو الذي المعتدى هو الذي قام بالاعتداء، ومعه القوة التي تؤيده وتناصره، ويتخذ منها أداة لاعتدائه"[4].حماية السكان المدنيين

---

[1]- البقرة: 194.

[2]- ابراهيم يحيى الشهابي: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام، ص 49.

[3]- أخرجه أبو داود (2614)، والبيهقي(18617) مطولاً، وابن أبي شيبة في «المصنف» (33790).

[4]- محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 103.

وأموالهم: والحرب مقصورة على الجيوش المتحاربة، ولا تتعداها لمن لا يشارك في الحرب، فلا يجوز شرعا قتل غير المقاتلين ممن يسمون حديثا بالمدنيين، من نساء أو أطفال أو رهبان وفلاحين وعلماء وغيرهم، إلا إذا قاتلوا بالفعل أو بالإمداد العسكري أو المادي أو بالرأي والمشورة والتخطيط، فجاء هذا مما نهى عنه الرسول ﷺ: "لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا"[1] (أو الولدان والأجير)، "لا تقتلوا امرأة ولا وليدا"[2]، فنهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان[3].

– كذلك فإنّ من مظاهر احترام الاسلام للمدنيين في الحروب النهي عن قتل الرهبان ورجال الدّين الذي لا رأي لهم في الحرب، لا بيد ولا بمشورة فهؤلاء لهم حصانة فلا تمس صوامعهم ولا تمّد إليهم أي يد بسوء، فهي وصية أبي بكر الصديق لجيوش المسلمين المتجهة إلى الشام ما يوضح أنّ الحرب في الإسلام تنهي عن قتل رجال الدين، فهي تفرق بين المقاتل وغير المقاتل، وأنّ أول ما نهى عنه أبو بكر هم قتل رجال الدّين، ذلك لأنه أرسل جنده إلى الشام التي كانت بها الأرض المقدس، والتي بها هياكل اليهود، وصوامع الرهبان، والمعابد التي عكف عليها العباد، فكان لا بدّ من أن يمنعه من أن يمتّد سيفه إلى أولئك الذي انصرفوا للعبادة فليس لهؤلاء شأن بالقتال[4].

– الحرب في الإسلام تقتضي الرحمة بالإنسانية من أجل دفع الطغيان والقضاء عليه، حيث إنّ ترك الطغيان والقضاء عليه، ومن فرض القتال على المسلمين لمنع الظلم وتأديب المفسدين في الأرض، حتى يؤمن جانبهم وينبعث العدل الذي ارتضاه الله لعباده، ويعيش الناس في أمن لا يشوبه قلق ولا اضطراب، ويستنبط مما سبق أنّ الحرب في الإسلام منهج وليست ضرورة قائمة بصورة مستمرة، إنما هي آخر الحلول التي يلجأ إليها المسلمون عند الضرورة، لعلاج مؤقت لحالات استثنائية.

– إنّ قانون منع الفساد ودفع الظلم قانون موضوعي من قوانين الحرب في الإسلام، حيث إن أرادت أمة الإسلام لنفسها العزة والكرامة، فالقتال في الإسلام قتال في سبيل الله، قتال في سبيل إنقاذ الضعفاء، ومقاومة الجبروت والطغيان، قتال لدحض عوامل الشر والفساد، ويشترك الإسلام في

---

[1]– أخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" 222/3، وأخرجه النسائي في "الكبرى" (8628) ، وابنُ ماجه (2842) ، وأبو يعلى (1546).

[2]– أخرجه أبو يعلى (1413)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (134) مطولاً باختلاف يسير، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»(5162).

[3]– وهبة الزحيلي: أحكام الحرب في الإسلام، ص 31.

[4]– محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص 36.

هذا مع القانون الدولي الإنساني، حيث إن معظم الاتفاقيات تدعوا إلى دفع الظلم ورد الاعتداء الواقع على الإنسان والبيئة.

- الحرب في الإسلام حرب تمتاز بالحكمة والرحمة والرفق حيث يتحكم في سيرها المنهج الرباني في قتال الأعداء والله تبارك وتعالى لم يفرض القتال والحرب إلا لغاية محدودة فإذا ما تحققت فلا حاجة للحرب، وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدل على المعنى الإنساني النبيل، لإعلاء كلمة الله، ونزع الفتن ويكون الدين كله لله، مع نهج مسلك رباني يمتاز بالرحمة والحكمة والرفق.

- كما أنّ حرب المسلمين تدعوا للرحمة بالأعداء عند النصر، حيث التزم المسلمين في حروبهم بالآداب الربانية، والقدوة الأولى في ذلك النبي ﷺ فقد كان عليه السلام مثلا أعلى لقيم الرحمة وحسن المعاملة والرفق والمسامحة والعفو عند النصر، وتجسد هذا مع مشركي مكة، إذ قال لهم:" اذهبوا فأنتهم الطلقاء".

- كما حرم الإسلام السلب والنهب، وكل أشكال التخريب للأرض والممتلكات، احتراما للإنسان وتكريما له، وهو احترام لم ترقى ليه جميع الديانات أو الأيديولوجيات قديمها وحديثها، بل حتى المعاصرة منها، فالإسلام ينظر بنظرة تكاملية وشاملة للبشرية، في وحدة إنسانية، فلا يجوز الحقد ولا خوض الحروب دون أسباب حقيقية ومبررات، أولها تعزيز كرامة الإنسان وتحريره، فحرم إتلاف أي شيء من أموال العدو من أبنية وزروع وأشجار وحتى حيوانات، ومنشآت مدنية كالجسور والطرق إلا للضرورة الحربية، لقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[1] .

- فقد التزم المسلمون في حروبهم بنماذج إنسانية مثالية رائعة، تعّد هي أسمى وأكرم المبادئ الإنسانية والأخلاق الرفيعة، التي كانت مثالا للإنسانية يحتذى به، أولها الوفاء بالعقود والعهود والمواثيق وتحريم الغدر والخيانة، وحرم الإسلام المساس بالمعاهدات أو نقضها من جانبهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ...﴾[2]

- احترام إنسانية الإنسان وتكريمه والشعور الصادق بالأخوة الإنسانية، يشعر المسلم أنه عضو في أسرة إنسانية كبرى، وتربطه بها رابطة الأخوة البشرية.

- وحرّم رسول الإنسانية محمد ﷺ كل ما يمس بكرامة الإنسان، فلم يجز التجويع والإظماء من غير مسوغ، ولا النهب والسلب للأموال ولا التمثيل بأشخاص العدو.

---

[1]- البقرة : 60.

[2]- النحل: 91.

– اعتبار مبدأ الفضيلة والتقوى أساس العلاقات الدولية في الحرب والسلم على حدّ سواء، والتقوى والفضيلة من القيم الشاملة لكل معاني الخير والسمو والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترفع عن الدنيا والتزام أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، فحرم البغي والظلم والتدمير والتخريب لغير الضرورة الحربية، ولا انتهاك الأعراض، ومعاملة الأسرى معاملة كريمة.

– العدالة المطلقة، فهي أساس العلاقات الإنسانية الداخلية والخارجية، لأن الظلم والطغيان أساس خراب المدن وزوال السلطة وانهيار النظم[1].

كانت هذه المبادئ العامة والقيم الأخلاقية التي تحكم الحرب في الإسلام، وهي في مجملها قيم إنسانية ابتعدت عن الاعتداء والقتال دون أسباب، ووضعت كرامة الإنسان واحترام انسانيته مبدأ لا حياد عنه، وهو ما شهد عليه التاريخ الإسلامي في مجمله، فقد طوقت القيم الأخلاقية والروحية والإنسانية ميع الأحكام الشرعية التي وضعها الإسلام قبل الحرب وفي أثنائها وما بعدها.

[1]– وهبة الزحيلي: أحكام الحرب في الإسلام، ص 31– 38.

الفصل الرابع:
خصائص وفاعلية القيم الروحية بين التوراة والقرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

بعد التحليل المفصل لأهم القيم الروحية الإيمانية والتعبدية والأخلاقية التي تناولناها بالدراسة والتحليل في إطار المنظومتين التوراتية والقرآنية للقيم، يأتي هذا الفصل ليحدد جملة الخصائص التي يمكن استنباطها من هذه القيم، ومدى توافقها مع القانون الدولي وحقوق الإنسان، والتزامها بمبادئه وتعاليمه، لنصل في ختام البحث إلى الأثر الحضاري لهذه القيم، ومدى فاعليتها لدى المؤمنين والملتزمين بها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: خصائص القيم الروحية التوراتية والقرآنية.

بعد التحليل المفصل لجملة القيم الروحية التوراتية والقرآنية التي تناولناها بالدراسة، نجد أنفسنا أمام استخلاص جملة من الخصائص التي تربط القيم الروحية المستنبطة من النصوص التوراتية، والقيم الروحية القرآنية التي تميّز كل مجموعة قيم عن الأخرى، سنحاول تحديدها كما يلي:

I. خصائص القيم التوراتية.

تختص القيم الروحية التوراتية بجملة من الخصائص والسمات المشتركة، قد لا نجدها في مجموع القيم لدى باقي النصوص الدينية المقدسة، وهذا راجع لطبيعة النص الديني اليهودي المقدس، الذي يعتبره جل الناقدين لتراكمات نصية عبر فترات زمنية متباعدة، مما ساهم في ايجاد كثير من الثغرات والتناقضات في تعاليمه ومبادئه، ونخص بالذكر هنا جانبه القيمي والأخلاقي، ومن هنا سنحاول مما سبق عرضه من جملة القيم الروحية التي تناولناها بالدراسة أهم خصائصها التي نجدها مشتركة ومميزة لهذه القيم.

1. الربانية والوضعية:

حسب الاعتقاد اليهودي فإنّ أسفار موسى الخمسة، كلام يهوه الذي أوحاه إلى موسى (عليه السلام) فكل ما جاء بين طيات نصوص التوراة، كلام إلهي مقدس، وبالتالي فإنّ ما رصدناه من قيم روحية هي قيم ربانية المصدر، فالله هو الذي أعطى التشريع التوراتي والعهد على جبل سيناء، ويلزم جميع اليهود بطاعة القانون الذي أنزله، ولقد أحصى اليهود ما يقارب 613 أمرا إلهيا صريحا في التوراة، (أي الأسفار الخمسة الأولى)، وهو ما حاولنا من خلاله استنباط القيم والمبادئ التي تبثها وترسخها هذه التعاليم والأوامر الربانية، ويمكن فهم هذه الأوامر بشكل جيّد باعتبارها أحكام السلوك بدلا من القوانين بالمعنى التشريعي الغربي، لأنها تشتمل على قواعد السلوك الأخلاقي والشعائر الدينية، ويأمر الله الشعب اليهودي باتباع كل هذه الأوامر ويشعر اليهود بوجوب طاعة هذه الأوامر الإلهية في كل الأوقات وكل الأماكن، حتى وإن كانوا لا يعيشون في وطن خاص بهم، وإنّ صاحب التشريع هو الله[1].

إلا أنّ الدراسات النقدية الحديثة أثبتت عكس هذا، فقد برهنت على أنّ التوراة اليهودية قد تعرضت للتحريف على مر السنوات، ولهذا فإنّ القيم التوراتية المنبثقة من جملة الشرائع اليهودية في النص التوراتي لا يمكن أن تكون كلها ربانية المصدر، وخاصة من خلال ما سقناه من قيم في الأديان

[1]- روبن فايرستون وآخرون: ذرية إبراهيم – مقدمة عن اليهودية للمسلمين، ص 77- 78.

والحضارات السابقة، وخاصة تلك التي جاورها اليهود في الشرق الأدنى القديم، فنلاحظ شبه تطابق بين التشريعات البابلية ومدوناتهم وبين الشرائع والنصوص التوراتية التي تحتوي القيم.

2. **التناقض:**

تتناقض القيم الروحية التوراتية فيما بينها، فبينما نجد بعض النصوص تتحدث عن السلب والنهب وقتل الأبرياء من النساء والرجال في الحرب وانتهاك كرامة المحارب في الاستسلام، واستعباد الرقيق وقتل الذكور والأسرى والاستعلاء على باقي الأمم، نجد في المقابل نصوصا من التوراة تأمر بقيم تعاكس هذه تماما وتتناقض معها، فنجدها تدعوا إلى الرأفة والرحمة بالفقراء والدخلاء ودفع استحقاقاتهم، والرحمة بالأرملة واليتيم والفقير، والاحسان إليهم[1]، كما نجد الطابع العدواني الذي تتسم به تصرفات اليهود، في اعتدائهم على الغير، في حروبهم وغيرها، بل إنّ قتل غير اليهودي هو تقرب إلى الإله، نجد في مقابل هذا ما يرد في التوراة، من النصوص اليهودية المقدسة وفي الوصايا العشر تحديدا تحرم الاعتداء فتذكر الوصايا " لا تقتل" و "ولا تسرق" وتحرم كل السلوكات والقيم البذيئة والرذائل.

3. **الخصوصية (شعب الله المختار):**

تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيما كاملا لشؤون الدين والدنيا معا، ونجد جزءا كبيرا منه في التوراة، أي الأسفار الخمسة الأولى، إلّا أنّ أول ما يلاحظ عليها هو أنها قائمة على التفرقة العنصرية، وتجعل اليهود الشعب المختار، وتنظر إلى ما عداه من الشعوب أنها وضيعة ولا ترقى في سلم الانسانية، فنجدها تضع نظمها وقوانينها على هذا الأساس، وفرقت تعاليمهم بين اليهودي وغيره في التعامل بالقيم والمبادئ، ومن أمثلة ذلك أنّ بين اليهود محرم أن يقتل اليهودي أخاه اليهودي، في حين واجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن" يضربوا رقاب جميع رجالهم البالغين بحد السيف" فلا يبقوا منهم أحد، ويسترقوا النساء والأطفال، وينهبوا ويستولوا على جميع الممتلكات، ومن أمثلة ذلك أيضا نجد أنّ التعامل بالربا بين اليهود، وأن لا يأخذ منه رهنا بدين، وإذا أخذ ما يلزم أخاه وجب عليه رده في أسرع وقت، أمّا غير اليهودي فمباح لليهودي أن يستغله ويتعامل معه بشتى أنواع الربا، وغيرها من الأمثلة من مبادئ وقيم التعامل التي سنتها التوراة بين اليهودي واليهودي، وبين اليهودي وغيره[2]، ولهذا كانت ولا تزال عقيدة شعب الله المختار أهم

[1]- عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص 51.

[2]- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الفجالة، مصر، ط1، 1964م، ص 31-32.

العقائد التي بنيت عليها اليهودية، ورتبوا على ذلك تفوقهم على غيرهم من أجناس البشر الأخرى (الجوييم).

كما أنّ التكوين اليهودي في قيم الحق والعدالة، حللها مفكرون واهتموا بها اهتماما عظيما، فيقول "سبينوزا" (1623- 1766م) المفكر اليهودي: إنّ شعائر الديانة اليهودية لم تكن تختلف عن شعائر باقي الأديان فحسب، بل كانت مناقضة لها أشد التناقض، وقد كان لا بدّ أن تتولد عن العار الذي كانوا يلحقونه بالأجنبي كل يوم كراهية شديدة له، كانت أشّد تملكا بقلوبهم من آية عاطفة أخرى، وهي كراهية تتولد عن الإيمان والتقوى، بل كانت هي نفسها تعد تقوى، وتلك بحق هي أشّد أنواع الكراهية وأشدها تأملا وكان لا بد أن يقابلها كراهية متبادلة تكنها الشعوب الأخرى بدورها للعبرانيين وكل هذه الظروف مجتمعة: أعني حرية المواطنين في الدولة إزاء غيرهم من المواطنين، والولاء للوطن والحق المطلق ضدّ الأجنبي وإباحة الكراهية الشديدة لكل من هو غير يهودي، وجعلها واجبا مقدسا والتمييز بالعادات والشعائر وجعل كراهيتهم للشعوب ضمن قواعد من الطاعة تتضمن نتيجة النظام الصارم الذي نشأوا عليه ربط جميع أفعالهم الخاصّة في الجيتو، هكذا فإنّ الحق الإلهي لديهم جاء نتيجة لعهد جعل العبرانيين يرون بأمر دينهم أنه ليس عليهم أي واجب مقدس تجاه الشعوب الأخرى التي لم تشارك في هذا العهد"[1]، وهذا ما جعل اليهودي يعيش في عزلة تامة أينما حل في وطن من الأوطان.

أمّا نقاء العرق اليهودي هي كذبة روّج لها اليهود في العالم على اعتبار أنهم شعب الله المختار وينفي هذه الأكذوبة أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة تل أبيب " البروفيسور شلومو ساند" الذي أحدث كتابه "اختراع الشعب اليهودي" عام 2008م، مناقشات عاصفة في إسرائيل وخارجها عندما قال: "والسؤال الإجمال وربما الأصعب: ما هو مدى استعداد المجتمع اليهودي – الإسرائيلي للتخلص من الصورة العميقة التي تنسبه إلى "شعب مختار" والكف، سواء باسم تاريخ زائف أو بواسطة بيولوجيا خطيرة، عن تفخيم الذات وإقصاء الآخر من داخله؟"[2]، وأكّد بهذا بطلان هذه العقيدة القائمة على النقاء العرقي لليهود، والتي بنيت عليها جل العقائد والقيم والسلوكات اليهودية.

[1]- باروخ سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 412.

[2]- ناجي البطة: التجربة الصهيونية في تحقيق التنمية، دار البشير، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 9.

4. المادية:

تقوم القيم التوراتية على المادية، وتفسر كل نشاطات الإنسان أنها نابعة من الجسد ولا مجال للجوانب الروحية، وجعلت من تلبية الحاجيات المادية هدفا لها، أما المجتمع والدين الأخلاق فكلها لا أهمية لها، وهذا راجع لخصائصها الذاتية مع ما استمدته من القيم الغربية التي تغذت بها، وما دعا إليه فلاسفتهم، مثل دارون وفرويد الذين مجدوا المادية المتغلغلة في النفوس ، التي جعلتهم ينكرون الجوانب الروحية والأخلاقية، وما المثل إلا خرافة يخدع بها الإنسان نفسه بها، وإنّ الحقيقة الوحيدة هي الحقيقة المادية الواقعية.

ولقد دمرت المادية جميع القيم التي دعت إليها التوراة، وأصبحت هي المحرك للإنسان، فأصبح حب المال والثروات والتسلط حب متذر وعميق في نفس الفرد اليهودي، ويضخم الأنا فوق كل اعتبار بصورة مطلقة.

كما أصبحت المادية هي المعيار والميزان والمقياس الوحيد الذي يقيم بها كل شيء بما في ذلك الإنسان نفسه وما يتعلق به من أمور، وبذلك انحلت القيم وانتشرت عبادة المادة والذات، وأضحى اليهود في عالمنا المعاصر مصدر كل القتل والتعذيب والسرقة والزنا والاغتصاب والشذوذ الجنسي.

II. خصائص القيم الروحية القرآنية.

1. الربانية والقدسية:

القيم في الإسلام قيم ربانية المصدر والغاية، من عند الله سبحانه وتعالى، فمصدرها الأول القرآن الكريم، وهو تنزيل من الله تعالى:﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1]، وهذه الخاصية هي أعظم خصائص ومزايا القيم الروحية في الإسلام وقيم القرآن الكريم، ولهذا كان واجب الفرد المسلم الالتزام بها وتطبيقها[2]، ولهذا كانت تقوى الله والإخلاص له وتوحيده روح الإسلام وجوهره وأسمى القيم الروحية والإيمانية، كما أنّ خاصية القيم الربانية المصدر والغاية، تجعل المسلم من خلالها يبتغي بقيمه وأخلاقه وجه الله سبحانه وتعالى، فكل خلق أو قيمة تصدر من المسلم يبتغي بها وجه الله ومرضاته، وأمّا الجانب الآخر فإنّه رباني المصدر، فمصدر وهدف والغاية من هذه القيم هو القرآن الكريم فهي ربانية، "وفي هذه الحالة فإنّ المسألة المعنوية أو الروحية ليست عبثا وإنّما هي مسألة حقيقية وواقعية،

---

[1]- الواقعة: 80.

[2]- مانع بن محمد بن علي المانع: القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط، 2005م، ص 152.

وبناء على هذا فإنّ كل عقيدة، وكل نظام فكري اجتماعي يحتاج إلى سلسلة من الأفكار المعنوية، ولذلك فإننا بحاجة الأفكار والقيم فوق المادة، وأنّ القيم لا بدّ أن تكون قوية ومحرّكة ومقدسة، وعلامة قدسية الشيء هي اعتقاد الإنسان بأنه يستحق التضحية بحياته من أجله"[1].

فالقيم القرآنية مصدرها الشريعة الربانية متمثلة في تعاليم الإسلام جملة، وهو نظام ديني ودنيوي، وشملت جميع جوانب حياة الفرد في شتى العلاقات والجوانب، وكانت منظمة لكل حياة الناس ومنظما لكل علاقاتهم، فقد نظم الوحي علاقة الفرد بربه وخالقه، كما نظم علاقته ببقية البشر، تنظيما محكما وعلى أكمل وجه حيث تم التوازن بينهما، فتدخل القيم ضمن تشريع رباني من عند الله، وقد اختير للناس ليضمن لهم دوام الإصلاح، ولها تأثير كبير على الفرد وعلى المجتمع نظرا لأنها قيم مطهرة للنفوس مزكية للقلوب للخشية من الله ومراقبته في السر والعلن.

2. الشمولية والعموم:

إنّ الدائرة الأخلاقية والقيمية في الإسلام تغطي جميع شؤون الحياة، فهي ذات صلة بالعقيدة والعبادة والمعاملات، ومختلف العلاقات، علاقة الفرد بربه وبالأشخاص والأشياء، ولم تترك جانبا من جوانب الحياة الإنسانية بجميع مجالاتها الروحية أو الجسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أ عاطفية، فردية أو اجتماعية، إلا رسمت له الطريق الأمثل للسلوك الرفيع[2]، فنجد في قيم الإخلاص والصدق والتقوى كل قيم البعد عن الرياء والنفاق، والتخلق بأخلاق العبودية الحقة، والعبور من دائرة الأوهام إلى دائرة اليقين، بالتعبد والإيمان الخالص بالخالق سبحانه وتعالى.

وفي مجال العبادات تتوارد القيم الخلقية شتى متعددة، ابتغاء مرضاة الله، والانضباط بحدود مقررات الشريعة فيها دون تزيد أو إبداع، والنظام في الأداء، وهذه أسمى القيم التي يوصي بها القرآن الكريم على أن يتصف بها المؤمن والمسلم الحق.

وفي مجال العلاقات والمعاملات فهناك قيم خلقية وسلوكية التي سبق وأن أشرنا إليها، التي تتعلق بالأفراد وسبل المعاملة بينهم، فنجد قيمة الإحسان وأداء الواجب وحسن العشرة والتعاون على البر والتقوى، والعدل والأمانة والعفة وغيرها من القيم التي تتخلل مختلف الأنظمة من سياسية واقتصادية واجتماعية[3]، فكان الشمول خاصية تجعل من القيم منهجا كاملا يشتمل على جميع مظاهر النشاط الحيوي للفرد والمجتمع، وجميع علاقات الإنسان وكل جوانب حياته.

---

[1]- مرتضى مطهري: التكامل الاجتماعي للإنسان، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، ص 45.

[2]- مانع بن محمد بن علي المانع: القيم بين الإسلام والغرب، ص 156.

[3]- كايد قرعوش وآخرون: الأخلاق في الإسلام، دار المناهج، عمان، الأردن، ط2، 2001م، ص 53- 54.

أمّا العموم فإن القيم الروحية القرآنية ليست مقتصرة على بعض الأفراد في المجتمع دون غيرهم، أو تخص زمنا دون آخر، أو تختص بفئة دون أخرى، بل هي عامة للجميع ميسرة للجميع وفي قدر استطاعة جميع الناس، أفرادا أو جماعات وفي جميع الأوضاع والأحوال، وفي جميع الأمكنة والأزمنة بغير تفريق أو تمييز، كما أنّ قيم القرآن الكريم لم تختص بقوم دون غيرهم، وتنافي كل القيم الإسلامية القرآنية كل النزعات العنصرية والقومية، كما لاحظنا هذا في القيم اليهودية.

3. الملاءمة للفطرة:

جاء القرآن الكريم بقيم روحية تلائم الفطرة والطبيعة البشرية ويكملها، لا بما يضادها ويصادمها، وهنا كان اعتراف القرآن الكريم بطبيعة الإنسان كما خلقه الله تعالى، وبدوافعه النفسية وميوله الفطرية، فكانت القيم الروحية القرآنية قيم ملائمة لخصائص الطبيعة الفطرية في الإنسان الفردية منها والاجتماعية، فلا تطلب من الانسان التجرد عن انسانيته ومطالبه الفطرية والغرائزية والانسانية، بل تضبطها وتوجهها، لما فيه خير للفرد والمجتمع الإسلامي وكذا الدولي.

4. الإيجابية:

القيم في الإسلام قيم إيجابية فهي تبتغي ما فيه صلاح الإنسان وتحقيق مقصد الأسمى من الخلق، وهذه الإيجابية نجدها في الحث على الفضائل أو في النهي عن الرذائل، فدرء المفاسد، مقدم عل جلب المصالح، وإنّ من مظاهر الإيجابية هذه أنّ الأخلاق في الإسلام تسمو بالفرد والمجتمع نحو المكارم، وتنأى بالإنسان عن كل ما ينزل بقدره كونه خليفة الله في الأرض وهي تستشير دوافعه للعمل واستغلال الوقت والعطاء والبذل والتضحية والاتقان على المستوى الاجتماعي كما تدعو الفرد إلى الطهر النفسي والإخلاص والاستقامة والبعد عن اللغو والرفث.

وتذهب القيم القرآني والإسلامية عموما إلى أبعد من ذلك وهي أنها قيم تنشد تعدي الخير والنفع للآخرين، وهي قيم منفتحة على أبواب الخير، ولا تدعوا لأن يكون الفرد صالحا في نفسه فقط بل أن يكون صالحا ومصلحا، ولا يكفي أن يكون خيرا مع نفسه إلا إذا كان إيجابيا خيرا مع الآخرين بتفاعله مع مجتمع وينشر الخير ويصلح بين الناس ويعلم الجاهل ويرشد الضال، فتطلب منه أن يكون مؤثرا خيرا مع غيره، وهي قيم قرآنية تستمد إيجابيتها من إيجابية الإسلام ككل، فهو دين واقعي يذم العزلة وحجر النفس، بل هو دين واقعي متفاعل في حركة المجتمع، وتدعوا إلى التفاعل مع المجتمع والإصلاح فيه[1].

[1] – مانع بن محمد بن علي المانع: القيم بين الإسلام والغرب، ص 159.

إنّ موضوع إيجابية الأخلاق الإسلامية ليس موضعا لاختلاف، لكن المرء تأخذه الدهشة حين يرى ضعف الاستجابة المسلمين لهذه القيم والأخلاق خاصة العملية منها، وهذا يفسر لنا سر تخلف وتأخر المسلمين وتقدم غيرهم، وهذا يذكرنا بمقولة الامام " محمد عبده" حينما زار الغرب، وقد سئل عن انطباعه عن تلك المجتمعات، فقال: " لقد وجدت الإسلام ولم أجد المسلمين"[1].

5. الثبات والمرونة والتوازن:

القيم في الإسلام لا تعرف التطور فليس لكل زمان أو مكان قيمه وأخلاقه التي يملك الناس نزعها كما ينزعون ملابسهم أو يغيرونها، فهي ثابتة، وتستمد ثبتها كونها قيما وأحكاما شرعية، وهذه القيم معايير للسلوك الفردي والجماعي، ولا بدّ من أنّ هذه المعايير أن تكون منضبطة لا اختلاف فيها، وأمّا كونها أحكاما شرعية فهي أحكام شرعية تكليفية أمرا ونهيا، فضائل ورذائل، وهذه الأحكام لا تتلون وفقا لأهواء الناس وأذواقهم، وهناك فرد بين الأحكام والقيم الأخلاقية وبين التقاليد والأعراف الاجتماعية، فهذه الأخيرة تقبل التغيير والتبديل وبخاصة ما فسد منها[2]، أمّا القيم فهي ثابتة في جوهرها في كل زمان ومكان، وقد يحدث أن تنسجم مع أوضاع معينة لتستجيب مع متطلبات ذلك الوضع، مما يكسبها مرونة، أمّا أن تتغير في مجملها فهذا ما لا تتصف به القيم القرآنية، كما أنها قيم معتدلة ومتوازنة ليس فيها ظلم أو إجحاف بحق أحد.

فالقيم الروحية القرآنية تحدث التوازن الذي يجمع بين الشيء ومقابله، في اتساق وتناسق بلا غلو ولا تفريط، ومن ذلك التوازن بين حق الروح وحق الجسم، والتوازن بين الدنيا والآخرة، فالإسلام يزاوج بين الحياة الدنيا والعمل للآخرة، وكذلك التوازن بين الحقوق والواجبات، بإطلاق العنان للحقوق باسم الحرية، أو أن ينحرف ويفسد بكثرة الواجبات والأعباء، كما أحدثت القيم القرآنية بين الواقعية والمثالية، تعترف بواقع الإنسان الذي يعيشه، ويبقي المجال مفتوحا للرقي والسمو والاجتهاد[3].

6. الجمع بين الواقعية والمثالية:

تعتبر هذه السمة صفة سائدة في قيم وأحكام الإسلامية بعامة، وفي الجانب القيمي والخلقي بصفة خاصة، فهي تأخذ بعين الاعتبار واقع هذا الانسان من حيث تكوينه وقدراته وما هنالك من فروق في القدرات، و قيم قابلة للتطبيق بين الأفراد، وهي بعيدة من أن تكون معجزة للفرد في

---

[1]- كايد قرعوش وآخرون: الأخلاق في الإسلام، ص 57- 58.

[2]- المرجع نفسه، ص 56- 57.

[3]- مانع بن محمد بن علي المانع: القيم بين الإسلام والغرب، ص 163.

تطبيقها، مع مراعاة أنّ ليس فيها أي نوع من المشقة، وألا تتطلب أي جهد في العمل بها، ذلك أنّ تربية النفس وتهذيبها وتهذيب السلوك ومقاومة الرغبات والشهوات، كل ذلك يتطلب مجاهدة للنفس ومشقة ولكن يمكن احتمالها، فالقيم الإسلامية واقعية ومناسبة لطاقة البشر وهي ليست مثالية إلى حد أن لا يتمكن الفرد من تطبيقها والوصول إليها[1]، أمّا مثاليتها فتتجلى في دعوتها الإنسان للتسامي والتشبه بالملائكة الأطهار حيث وجد إلى ذلك سبيلا ، ومن مظاهر الجمع بين الواقعية والمثالية ما يلي:

- تطبيق مبدأي العدل والإحسان في مجال العقوبات، انسجاما مع قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[2]، فالعدل يعني المساواة في الفعل والاعتبار، وبموجبه يحق للمعتدي عليه أن يقتص من المعتدي تسكينا لشهوة الانتقام والغضب، وهذا التشريع واقعي يراعي الفطرة الانسانية وما فيها من دوافع، ومع ذلك نجد الإسلام يدعوا إلى العفو والصفح تكرما، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾[3] .

- مراعاة ما هناك من فوارق وقدرات على الالتزام بأحكام الدّين بين الناس، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾[4]، فالظالم لنفسه مقصر في الالتزام، والمقتصد وسط في ذلك يأخذ بالواجبات ويقصر في المندوبات، والسابق من أقام الفروض والسنن واتقى الله في كل شيء، ففي قوله تعالى أيضا: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[5]، يعبر عن حقيقة ما هنالك من فروق في القدرة على الالتزام الأخلاقي بين الناس.

- تقرير أن الخطأ واقع من جميع البشر، تقيّهم وفاجرهم، وليس هناك معصوم في السلوك، وشأن المؤمن العودة دائما بالتوبة والاستغفار[6].

---

[1]- يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1، 1985م، ص 146.

[2]- النحل: 90.

[3]- الشورى : 40.

[4]- فاطر : 32.

[5]- التغابن: 16.

[6]- كايد قرعوش وآخرون: الأخلاق في الإسلام، ص 54- 55.

فإذا أردنا أن نتعرف على الجانب الخلقي والقيمي في الحضارة الإسلامية، نجد منظومة متماسكة ومنتظمة، ليست بالقيم والأخلاق المجردة التي انحرفت بالفلاسفة وبعض المفاهيم الحياة الأخرى عن الحياة الواقعة للبشر وابتعدت عنها، وحلقت بهم في سماء مثاليات جوفاء من القيم الواقعية التي تفرزها الحياة الاجتماعية والاقتصادية في واقع الحياة البشرية، كما أنها ليست القيم الحيوانية البهيمية الشاردة التي نزلت بالإنسان إلى الحضيض، إنّ التعاليم الإسلامية في الفضائل والأخلاق جاءت لتنقل البشرية إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب والقيم، فالقيم في التصور الإسلامي أصل من أصول الحياة الإسلامية[1]، السليمة والمتوازنة التي جمعت بين الواقعية الخادمة لمصلحة الفرد والمجتمع وبين التوازن والوسطية التي لا افراط فيها ولا تفريط.

المبحث الثاني: قيم التوراة والقرآن الكريم مقارنة بالقانون الدولي.

من بين أهم الخصائص والمميزات التي أردنا إظهارها في هذا البحث، معرفة مدى توافق أو اختلاف بين ما أوردناه من قيم روحية توراتية أو قرآنية، وبين القانون الدولي، والتي تعد أهم وثائق معاصرة ومعايير توصل إليها الفكر البشري، تضبط قيم وسلوك وحقوق وواجبات علاقات الناس فيما بينهم، مهما اختلفت أعراقهم وأجناسهم ومشاربهم الدينية والثقافية، وتحظى باتفاق شبه كامل في عالمنا المعاصر.

يقوم القانون الدولي الإنساني على جملة من المبادئ والقيم الانساني التي تتميّز بكونها محل اتفاق بين أغلب الدول، وقد ذاع مصطلح حقوق الانسان بمعناه المتداول بعد الحرب العالمية، بعد صدور إعلان حقوق الانسان والمعاهدات المتصلة به، وهي مجموعة من القواعد والمعايير ذات المضمون الانساني السامي، وهي مجموعة القيم التي يحق لكل فرد أن يتمتع بها، دون تمييز حسب لونه أو جنسه أو عرقة وأصوله، وقد عمل المجتمع الدولي المعاصر على سنّ القوانين والمبادئ التي تحفظ للإنسان حقوقه وتمنع التعدي عليها، بداية من إعلان باريس في 16 نيسان 1856م، حول قواعد الحرب البحرية، وانتهاء بآخر هذه القوانين والقوانين والاتفاقيات، والاعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر من الأمم المتحدة عام 1948م، المتضمن لمجموعة القواعد القانونية الناظمة لحقوق الأفراد والشعوب، وغير قابلة للتنازل وتلزم الدولة بحمايتها، لنصل إلى اتفاقيات جنيف الأربع والبروتوكولات الملحقة بها عام 1977م، وهذا ما سنحاول مقارنته مع ما أسلفنا ذكره من قيم

[1]- توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، دار الوفاء، القاهرة، مصر، ط1، 1988م، ص 240.

روحية في التوراة والقرآن الكريم، ومعرفة مدى التوافق أو الاختلاف بينها وبين نصوص القوانين الدولية.

I. الكرامة الإنسانية بين التوراة والقرآن الكريم والقانون الدولي.

الكرامة الإنسانية هي عماد وجود الإنسان، ويشير لفظ الكرامة في اللغة العربية إلى العزازة والقيمة، والتعظيم والتنزيه[1]، فالكرامة الإنسانية قيمة مبنية على جوهر الإنسان وتحقيق إنسانيته، وهي مبدأ يشعر كل فرد بصورة غريزية بحقيقته وقوته، حتى لو اختلفنا في تحديد مضمونها، إلا أن منطلقها يتحدد في عدم معاملة الإنسان كشيء أو وسيلة، وإنما يجب الاعتراف به كصاحب حق[2].

والحق في احترام الكرامة الإنسانية هو مبدأ مطلق غير قابل للخرق أو التنازل، وهو حق مقدس، ومنذ القديم أسست القوانين لأجل حماية حقوق البشر، ومنع كل ما يمس الحقوق وكرامات الناس، حتى نصل إلى القانون الدولي الإنساني الذي نجده يقوم على جملة من المبادئ والقوانين التي تهدف إلى حل المشكلات الإنسانية المترتبة عن مختلف النزاعات، وأهم هذه المبادئ المعاملة الإنسانية، ويقصد به أنّ لكل شخص الحق في معاملة إنسانية كفرد، لا لذاته شخصيا ولا كوسيلة إلى غرض آخر، بل إنّ الحماية التي يتلقاها باعتباره انسانا فقط.

فنجد في المادة الرابعة من ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان: "لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحط بالكرامة"[3]، فالاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، وقد نادت الجمعية العامة للأمم المتحدة في إعلانها العالمي لحقوق الإنسان على مجموعة من القيم والمبادئ أولها ما جاء في المادة الأولى من الإعلان، "يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء"[4]، ويجب أن تحفظ كرامة الإنسان سواء في السلم أو الحرب.

---

[1]- ابن منظور : لسان العرب، ج 12، ص 510.

[2]- فواز صالح: مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية –دراسة قانونية مقارنة–، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ج 27، العدد 1، 2011م، ص 252.

[3]- المادة4، ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، ديسمبر 1948م.

[4]- المادة 1، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م، عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، دار الشروق، عمان، الأردن، 2003م، ج 5، ص44.

لكن قيم ومبادئ تعامل التوراة في الحروب والصراعات، تنص على ما يخالف هذه القيمة تماما، فنجد فيها "وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سُكَّانَ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبْقُونَ مِنْهُمْ أَشْوَاكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، وَمَنَاخِسَ فِي جَوَانِبِكُمْ، وَيُضَايِقُونَكُمْ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا"[1]، " فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلهُنَا أَمَامَنَا، فَضَرَبْنَاهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ، وَأَخَذْنَا كُلَّ مُدُنِهِ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، وَحَرَّمْنَا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ. لَمْ نُبْقِ شَارِدًا"[2].

أمّا في تعاليم الإسلام فإننا نجد في إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في عام 1990م الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامي اقراره بأن البشر جميعا أسرة واحدة وجميع الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية، دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس أو المعتقد الديني، أو الانتماء السياسي، أو الوضع الاجتماعي، أو غير ذلك من الاعتبارات، وأنّ العقيدة الصحيحة هي الضمان لنمو هذه الكرامة على طريق تكامل الإنسان"[3]، بل إن القرآن الكريم أحاط الإنسان بمكانة رفيعة وقيمة خاصّة ومكانة متميزة، فالله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وجعله أكرم المخلوقات وأمر ملائكته المطهرين أن يسجدوا له: قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[4]، ومنحه من العلم والمعرفة ما تفوق به على الملائكة الكرام، وتكريمه بالاستعداد الفطري الذي استأهل به الخلافة في الأرض وسخر له ما في الكون في أرضه وسمائه لخدمته والانتفاع به، وهذا ما يفوق ما منحته القوانين الدولية من حقوق تحفظ كرامة الإنسان، وتمنع عنه وتحرم أي اعتداء أو ظلم.

كما تؤكد القوانين الإنسانية الدولية عل احترام الجرحى والتعامل معهم إنسانيا، ولهذا السبب أعيرت أهمية كبيرة للمنظمات الطبية، ونشأت وتبلورت على أساس هذا المفهوم الكثير من مبادئ اتفاقية جنيف لعام 1949م، والبروتوكولين الملحقين بها، واتفاقية لاهاي بشأن قوانين وأعراف الحرب البرية المعقودة عام 1907م، وكذلك قوانين الحرب البرية، التي تبناها مجمع القانون الدولي عام 1880م، وتنص المادة 53 على حظر تدمير الممتلكات والأموال: "يحضر أي تدمير من قبل السلطة القائمة بالاحتلال للعقارات والممتلكات الشخصية المملوكة للأشخاص العاديين ملكية فردية

---

[1]- العدد 33: 55.

[2]- التثنية 2: 33- 34.

[3]- المادة 1: إعلان القاهرة لحقوق الإنسان 1990م، عروبة جبار الخزرجي: القانون الدولي لحقوق الإنسان، دار الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص 99.

[4]- ص : 71-72 .

أو جماعية"[1]، كما أنّ مجموع القوانين الدولية تنص على منع الحصار وقطع الماء والغذاء لإجبارهم على ترك بيوتهم، أو الاستسلام ومنع قتل الحيوانات إلا لسد الجوع، كما يمنع الإبادات الجماعية والتدمير المدن والتخريب، أمّا قوانين الحرب وقيمها في التوراة فهي معاكسة تماما لهذه المبادئ والقوانين، وهذا ما تشهد عليه نصوص التوراة "وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا"[2]، أمّا القانون الدولي الإنساني نجده يفرض على الأطراف المتحاربة احترام الضمانات الواردة في مواثيقه، وتقيّد أو تحظّر استخدام وسائل، وأساليب، وأسلحة معينة، في القتال، والقانون الدولي الإنساني، وإن كان لا يمنع الحرب، ولم يتجاهل ضروراتها، إلا أنه يسعى إلى الحدّ من آثارها حرصاً على مقتضيات الإنسانية، ويدعو إلى التفرقة بين الأهداف العسكرية، والأشخاص المدنيين، والممتلكات، أو الأعيان المدنية، وإلى "التناسب" في القيام بالأعمال الحربية .

ويقدم القانون الدولي حماية محددة لفئات معينة من المجتمع، وهي النساء حيث يتمتعن بمعاملة مساوة للرجال، كما يجب حمايتهن ضدّ كل صور الاهانة الشخصية، بما في ذلك الاغتصاب أو صور خدش الحياء، والحماية المقررة للحوامل والأمهات اللاتي يرضعن، وضرورة احتجاز النساء في أماكن منفصلة عن تلك المخصصة للرجال في حال احتجازهن كمدنيين أو كأسرى حرب[3]، وقد قررت اتفاقيات جنيف ثلاث واجبات تجاه ضحايا الحرب، هي حمايتهم، واحترامهم ومعاملتهم معاملة إنسانية، وعليه فمقتضى الحياة الإنسانية هو توفير الحد اللائق من متطلبات اللازمة لحياة مقبولة " الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية بمن فيهم أفراد القوات المسلحة، الذين ألقوا عنهم أسلحتهم والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضار يقوم على العنصر أو اللون أو الدين أو المعتقد أو الجنس أو المولد أو الثروة أو أي معيار مماثل آخر"[4].

ومن أهم المبادئ والقيم والتعاليم القرآنية مبدأ صيانة الحرمات، وهو يقوم على حق الفرد في صيانة ورعاية حرماته الشخصية، وهي حياته وسلامته البدنية والروحية وخصائصه الشخصية ومعتقده الديني ونحوها، ولقد الحرب في الإسلام حربا إنسانية تحافظ على كرامة العدو وإنسانيته، وظهر ذلك

---

[1]- أسعد دياب وآخرون: القانون الدولي الإنساني – آفاق وتحديات- ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م،ص 200.

[2]- التثنية 20: 16.

[3]- أسعد دياب وآخرون: القانون الدولي الإنساني – آفاق وتحديات- ص 204.

[4]- المادة3: اتفاقية جنيف لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان، أغسطس 1949م، عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، ج 6، ص 15.

في صور متعددة نذكر منها: أن الحرب في الإسلام ترعى حرمة الإنسان، وتمنع الاعتداء على أجساد وجثث القتلى، كما أنّ الإسلام ينهى عن الرق بالنار أثناء الحروب، بل إنّ قيم الإسلام تدعوا إلى حماية العدو العاجز عن القتال، وتحرم العقوبات الجماعية وإبادة العدو أو الخصم[1].

بالإضافة إلى مبدأ الإصلاح في الأرض ومحاربة الفساد، وهو مبدأ مقرر في الحرب كما هو مقرر في السلم، لذلك حرّم الإسلام التخريب في الحروب، فلا يصوّغ لقائد المسلمين أن يقوم بتخريب ديار الأعداء، كما دلّت نصوص القرآن الكريم أنّ أشنع عمل يقوم به الإنسان في علاقته بغيره هي سفك الدماء وإرادة العلو في الأرض والفساد فيها.

كما أنّ الحرب في الإسلام حرب تقتضيها الرحمة بالإنسانية من أجل دفع الطغيان والقضاة عليه حيث إن ترك الطغيان يتحكم في الضعفاء لا يكون من الرحمة في شيء، ومن ثم فرض القتال على المسلمين لمنع الظلم وتأديب المفسدين في الأرض، حتى يؤمن جانبهم وينبعث العدل الذي ارتضاه الله لعباده ويعيش الناس في الأمن، فالحرب في الإسلام منهج وليست ضرورة قائمة بصورة مستمرة.

ومن خلال استعراض هذه المبادئ، يمكن أن نتأمل في العلاقة بين القانون الدولي الإنساني، وأحكام الإسلام الحنيف، الذي سبق المدنية الحديثة إلى سنِّ القوانين التي تمنع الحرب ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، ووضع القواعد التي تحكمها وتلطِّف من آثارها إذا اضطر الجيش الإسلامي إلى خوضها دفاعاً عن المسلمين، أو رفعاً لظلم واقع على الشعوب، وألزم الجندي المسلم بواجبات وبأخلاقيات عظيمة، يجب عليه التحلي بها في سلوكياته ومعاملاته مع الآخرين من الأعداء، والمغلوبين في الحرب، والمعاهدين، أو المهادنين، وغيرهم.

والسلام هو القاعدة الرئيسة التي تنطلق منها العلاقات الدولية في الإسلام، ولكنه السلام الذي ينطلق من مقام القوة، ويحمي الحقوق.. وأما الحرب فهي الاستثناء عن تلك القاعدة، ويعدها الإسلام جريمة إن لم تكن عادلة، ولغرض مشروع كالدفاع عن الدين، ونشره، فالأصل في الإسلام أن الحرب ضرورة تقدَّر بقدرها، والقتال ليس هدفاً بحدّ ذاته، وإنما يهدف لكسر شوكة العدو.

ما يدل على تأكيد الإسلام على القيم والأخلاق، والسيطرة على نوازع الشر، هو دعوته الإنسان للجم غضبه، وكظم الغيظ، بل والعفو عن الناس، والإنفاق في سبيل الله في حالات الرخاء

[1]- أحمد حمدي أحمد علي: قيم الحرب في الإسلام –دراسة مقارنة بالقانون الدولي الإنساني، رسالة دكتوراه، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2012م، ص 145.

والشِّدَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[1].

وهكذا نجد أن الإسلام دعا إلى تأصيل الأخلاق الحسنة، والقيم الفاضلة، في النفوس، سواء في حالة السلم، أو الحرب، وما ذلك إلا رعايةً لحقوق الإنسان، التي قَلَّ أن تسلم حربٌ من انتهاكها، فمتى قامت الأخلاق، حميت الفضيلة، ورُعيت حقوق الناس سلماً وحرباً، وعاش الجميع في أمن واطمئنان، والنبي ﷺ هو أكمل إنسان يمكنه أن يتمم مكارم الأخلاق، وهذا ما ورد في الحديث الشريف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2].

لقد سبقت القيم الإسلامية قيم المجتمع الدولي وقوانينه بأشواط كثيرة، وبأكثر من ألف سنة، وتؤكد هذه التعاليم أنّ قواعد القانون الدولي لا تخرج من عباءة الاسلام بأي حال، بل إنّ كثيرا من قواعده تجدها في هذا الدين الحنيف وتعاليمه، ومن قيم الحرب في الإسلام وأسباب قيامها رد الاعتداء والإفساد في الأرض، والإسلام يحرم القتال ما لم يقم سببه الرئيس وهو الاعتداء، ومنع الفساد ودفع الظلم وهذا من القيم المشتركة بين الإسلام والقانون الدولي الإنساني، حيث إنّ اتفاقيات جنيف في معظمها تدعو إلى ظلم ورد الاعتداء الواقع على الإنسان والبيئة.

ومن الأمثلة التي نقدمها لتأكيد هذه القيم التي تعامل بها المسلمون أثناء حروبهم، نجد وصايا الخليفة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- لقائد الجيش العربي المتجه إلى فتح الشام: أسامة بن زيد – رضي الله عنه- وبين نظام البروتوكول الأول لسنة 1977م الملحق بأحكام جنيف الأربع:

قال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه-:" لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لأكله"، وجاء في يقول بروتوكول القانون الدولي: أن لا يكون السكان المدنيون محلا للهجوم، وأن تحضر مهاجمة أو تدمير المواد الغذائية أو المناطق الزراعية والمحاصيل والماشية، وكذلك يجب أن يكون النساء موضع احترام خاص والأمر يتحقق بالحماية لا سيما ضدّ الاغتصاب والاكراه على الدعارة.

ومن الأمثلة التي نسوقها أيضا من التاريخ الإسلامي، ما جاء في قرار الخليفة العباسي المعتصم بالله حين استولى على حصون أرمينيا بعد معركة حربية فأمر ألا يفرق بين أعضاء العائلات التي

[1]- آل عمران: 134.

[2]- البيهقي: السنن الكبرى 20782، ومسند البزار 8949.

وقعت في الأسر بنفس المبدأ، ولقد وصى الإمام على جنوده: إذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح، ولا تتخذوا دارا إلا بإذن، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا، ولا تعدموا النساء.

وقد سبق صلاح الدين بتصرفه المادة 27 من اتفاقية جنيف لعام 1949م، الخاصة بمعاملة أسرى الحرب والتي تقول:" تزود الدولة الحاجزة أسرى الحرب بكميات كافية من الملابس والملابس الداخلية، والجوارب بحيث يكون ملائما لجو الإقليم"[1].

قامت كل علاقات الإنسانية في الإسلام على احترام إنسانية الإنسان وكرامته، واعتبار الناس جميعا سواء، وواجب تكريم الإنسان واحترامه واحد يلتزم به المسلم كواجب أساسي في الصداقة والعداوة، والقول والعمل، والفعل والترك، بل ذهبت نصوص القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك حيث قررت أنّ حق الكرامة الإنسانية محفوظ للأعداء كما هو حق للأولياء، وإذا كان الاحترام هو الحّد الأدنى في معاملة المسلم لغيره، فإنّ المسلم مدعوا إلى أعلى من ذلك درجة، وأرفع مقاما، فنجد القرآن الكريم يدعوا إلى الصبر والعفو، ومقابلة الحسنة بالسيئة، أي أنه يدعوا إلى قيم الإحسان والرحمة.

II. الإبادة العرقية بين التوراة والقرآن الكريم والقانون الدولي.

تعتبر جريمة الإبادة العرقية من أكبر الجرائم في حق الإنسانية، حيث تمس أشخاص تجمعهم رابطة الدين والعرق واللغة، وقد قدمت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعريفا جريمة إبادة الأجناس بموجب قرار لها رقم "96" في 11 ديسمبر عام 1946م حيث ذكرت أنه:" إنكار حق الوجود لجماعات بشرية بأكملها، كالقتل الذي يمثل إنكار حق الشخص في الحياة..." ويمثل هذا مقدمة القرار لصدور الاتفاقية الدولية لمنع إبادة الجنس والعقاب عليها لسنة 1948م[2]، وبهذا أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة، أنّ إبادة الجنس جريمة في نظر القانون الدولي، وتتعارض مع أغراض ومقاصد الأمم المتحدة كما أنّ العالم المتمدين ينكرها، وقد نص القرار في مادته الأولى: "تؤكد الأطراف المتعاقدة أنّ الأفعال التي ترمي إلى إبادة الجنس سواء ارتكبت في زمن السلم أو في زمن الحرب، تعّد جريمة في نظر القانون الدولي وتتعهد باتخاذ التدابير لمنع ارتكابها والعقاب عليها"[3].

---

[1]- أنور الجندي: قراءة في ميراث النبوة إطار اسلامي للصحوة الإسلامية، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 50- 51.

[2]- أيمن عبد العزيز سلامة : المسؤولية الدولية عند ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، دار العلوم، مصر، د ط، 2006م، ص 22.

[3]- المادة 1: اتفاقية مكافحة جريمة إبادة الجنس البشري والجزاء عليها"، عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، مج 5، ص 41.

كما أوضحت الاتفاقية أنّ المقصود بعبارة إبادة الجنس البشري بأنه الفعل الذي يرتكب بقصد القضاء كلا أو بعضا على جماعة بشرية بالنظر إلى صفاتها الوطنية أو العنصرية أو الجنسية أو الدينية، وذكت مواد الاتفاقية أشكال هذا الاعتداء وجرائم الابادة بأنها:

- قتل أعضاء من الجماعة.
- الاعتداء الجسيم على أفراد هذه الجماعة جثمانيا أو نفسيا.
- اخضاع الجماعة عمدا لظروف معيشة من شأنها القضاء عليها كليا أو بعضها.
- اتخاذ اجراءات تحد من التناسل داخل هذه الجماعة.
- نقل الصغار قصرا من جماعة إلى أخرى.

فجرائم الإبادة العرقية أو الجنس البشري التي نصت عليها القوانين الدولية تشمل الجانبين المادي والمعنوي، وتعاقب عليهما[1].

إنّ قيم التوراة القائمة على العنصرية والاستبداد أفضت إلى أن يعامل اليهود غيرهم من الشعوب بكل قيم الاحتقار بل تعدته إلى العدوان والاعتداء، فنجد نصوصها تعاكس المبادئ التي جاءت بها الاتفاقيات الدولية المحرمة لكل أشكال التمييز والابادات العرقية، ومن الأمثلة التي نسوقها: " وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «انْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تُضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ» فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلاً: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالاً لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ. أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ» فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ، فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ... وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ، وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ، وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ"[2]، فالحروب التي قادها بنو إسرائيل كانت حروب إبادة للشعوب الأخرى، وهذا ما لاحظناه من قيم الحرب في التوراة.

أمّا قيم القرآن الكريم والإسلام فهي تحرم القتل والاعتداء على النفس البشرية بدون حق، وأحاطت الحرب بجملة من الشرائع لحفظ النفس والشعوب، فما بالك أن تنص أو تدعوا للإبادة العرقية، بل إنّ قتل نفس واحدة في الإسلام عظيم عند الله، ويصل إلى هلاك الأرض جميعا،

[1]- محمد سليم محمد غزوي: جريمة إبادة الجنس البشري، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، مصر، ط2، 1986م، ص 13.

[2]- العدد 31: 1- 11.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ... مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

بل إنّ القرآن الكريم يحرص حتى في ردّ العدوان ألا يكون المسلمون قساة، بل عليهم أن يكونوا رحماء وألا يتجاوزوا حدود الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[2]، فعليهم أن يتقوا الله تعالى في الإنسان الذي كرمه الله تعالى وكرّم حياته، ويحرص حرصا شديدا على المنجزات الحضارية ابتي يحققها الإنسان، ويحث على التفاعل الودي والتعاون السلمي سواء كان ذلك بين الأفراد أو بين الجماعات أو بين الشعوب والأمم[3].

ولهذا فإنّه إذا خاض المسلمون قتالا فإنهم يحرصون أهدافهم في المقاتلين وفي مصادر القوة العسكرية للعدو، دون التعرض للمدنيين بل أكثر من ذلك يقوم المقاتلون المسلمون بحماية المدنيين وبمعاملتهم معاملة إنسانية.

فالإسلام يحترم الإنسان ويكرمه احتراما وتكريما لم ترق إليه أيديولوجيات قديمة أو حديثة أو معاصرة، والإنسان ينظر إلى البشرية على أنها وحدة إنسانية، ويحرر الإنسان ويكرمه.

III. التمييز العنصري بين التوراة والقرآن الكريم والقانون الدولي.

من أهم المبادئ التي يقوم عليها القانون الدولي مبدأ عدم التمييز: يحظر على الدولة سواء في حالة السلم أو الحرب التفريق بين الأشخاص عل أساس اللون أو العرق أو الجنس أو الثروة أو الدين وغيره، فقد جاء في الاعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته الأولى والثانية: "يولد جميع الناس أحرارا في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء"[4]، وأيضا "لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون أي تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي، أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أي تفرقة بين الرجال والنساء"[5]، كما

---

[1]- المائدة: 32.

[2]- البقرة: 194.

[3]- إبراهيم يحي الشهباني: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام – صراعات وحروب أم تفاعل وسلام؟، ص 49.

[4]- المادة1، ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، ديسمبر 1948م.

[5]- المادة 2: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م، عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، ج 5، ص44.

جاء في إعلان الأمم المتحدة (نوفمبر 1963م)، خاص بالقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، ويقوم على مبدأي كرامة جميع البشر وتساويهم، فجاء في مادته الأولى: "يمثل التمييز بين البشر بسبب اللون أو الأصل الاثني اهانة للكرامة الإنسانية، ويجب أن يدان باعتباره انكارا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وانتهاكا لحقوق الإنسان وللحريات المعلنة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وعقبة دون قيام علاقات ودية وسلمية بين الأمم، وواقعا من شأنه تعكير السلم والأمن بين الشعوب"[1]

وجاء في الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد الصادر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، في نوفمبر 1981م: "لكل انسان الحق في حرية التفكير والوجدان والدّين، ويشمل هذا الحق حرية الإيمان بدين أو أي معتقد يختاره، وحرية إظهار دينه أو معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، سواء بمفرده أو مع جماعة، وجهرا وسرا"[2].

ولكن الأصول المتجذرة في الشخصية اليهودية، هي إيمانهم العميق بحقارة باقي الأمم غير اليهودية، ونسبوا إليها مختلف الصفات ولشتائم والأوصاف السيئة، أمّا هم فهم شعب الله المختار، الشعب الأزلي والشعب الأبدي، ويتعدى ذلك إلى إهدار دم الأمم الأخرى واستباحة أموالها وأعراضها وأوطانها، "وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ، لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا، وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ، لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[3]، وتكررت هذا الدرس العنصري وفي أوج الهمجية في عديد النصوص التوراتية[4]، وقد سبق لنا الإشارة إليها.

---

[1]- المادة 1: إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، نوفمبر 1963م، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م، ، عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، ج 5، ص142.

[2]- المادة 1: إعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصّب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد نوفمبر 1981م، عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، ج 5، ص 308.

[3]- التثنية 7: 2- 6.

[4]- حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1985م، ص 50.

نجد بعض الآراء في العصر الحديث أن الوصايا العشر تمثل عالمية المعايير الأخلاقية والتي تقوم عليها قوانين الولايات المتحدة لذلك ، هؤلاء الناس يجادلون ، يجب أن يتم عرضها في الأماكن العامة ، مثل المحاكم والمدارس لتشجيع المجتمع على اتبع معايير الكتاب المقدس من الأخلاق .يشير آخرون ومع ذلك ، على الرغم من أن القانون العلماني قد يكون جزئيا على الوصايا العشر[1]، لكن لو كانت الوصايا العشر لا تتناقض مع نصوص توراتية في نفس النص التوراتي، لكان هذا الأمر جائز، أمّا أنها تتناقض فيما بينها فلا يمكن اعتمادها معيارا أخلاقيا عالميا، دون أن ننسى الإشارة إلى أنّه هذه الوصايا تمتاز كونها خاصة وداخلية في تطبيقها ولا تتعدا إلى غير اليهودي.

أمّا القرآن الكريم فيقرر أن الإنسان أشرف الموجودات، فهو خليفة الله على الأرض، وحامل الأمانة، وكرامة الإنسان في أصول الإسلام الاعتقادية تشمل الجانب المادي والمعنوي له، وكذلك في جوانب العقيدة والسياسة والحياة الاجتماعية بجميع أنشطتها وكامل مظاهرها[2]، فالإسلام يدعوا إلى قيم إنسانية عليا ويعادي كل مظاهر العنصرية، وينحني الإسلام بالناس إلى الترابط فيما بينهم على أساس ينفي كل التمييز والتفرقة العنصرية، وينص على مبدأ المساواة بين جميع الناس في الاعتبار البشري ويرد كل أسباب التفرقة العنصرية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[3]، فالناس متساوون في الاعتبار البشري كما هم متساوون في النشأة والأصل، وإنّ الاختلاف في المجموعات البشرية التي تقوم على عصبية الدم أو وحدة اللغة، أو غيرها من المقومات الجامعة، فإنّ هذا الاختلاف هو مصدر للتقارب والتعارف والتفاعل فيما بينهم، والإسلام ضدّ كل تفرقة أو تمييز عنصري، فلا يفضل إنسان على إنسان ولا شعبا على شعب، ولا قبيلة على قبيلة، ولا جماعة من الناس على جماعة[4].

ومبدأ عدم التمييز العنصري مبدأ أصيل في القرآن الكريم و شدّد عليه، آمرا بالمساواة بين البشر جميعا، في القيمة الانسانية المشتركة، فهو أمّة واحدة، وينتمون إلى آدم، وأنّه لا تفاضل بينهم بسبب لون أو عرق أو لغة، بل كلهم لآدم وآدم من تراب. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ

---

[1] - Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, p 111 .

[2]- آمنة محمد نصير: إنسانية الإنسان في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1989م، ص 40.

[3]- الحجرات : 13.

[4]- محمد البهي: التفرقة العنصرية والإسلام، ص 5 -7.

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾[1]، وهو ما يتطابق ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الانسان، والقوانين الدولية.

المبحث الثالث: فاعلية الخطاب القيمي بين اليهودية والإسلام.

الإنسان منذ وجوده يسعى لتوازن الجانب الروحي والجانب المادي في حياته، وكلاهما يسيران جنبا إلى جنب، لا ينفصلان ويكونان معا كلا متكاملا يعبّر عن حقيقة وجوده، وإنّ وضع نظام قيمي لا يكون إلا بمراعاة هذا التوازن الذي يحقق مطالب النفس من جهة، ويحقق كلا المطلبين المادي والمعنوي، وأيما خلل أو قصور يؤدي إلى اشباع جانب دون الآخر، يترتب عليه اضطراب في الغايات والسلوك في نطاق الحياة الانسانية، وعليه فإذا ما اتجهت البشرية نحو وضع قيم ومعايير لها تستهدفها في حياتها فيجب أن يكون هناك تقدير لكل من الجانبين الروحي والمادي حتى يكون هناك التلازم الفعال بين الفكر والروح والسلوك[2]، وهذا ما أردنا تأسيسه في آخر هذا البحث، وهو الدور الفعال للتوازن المادي والروحي في حياة الفرد والحضارات الإنسانية، ونخص بالدراسة دائما اليهودية والإسلام.

I. فاعلية القيم الروحية وأثرها في اليهودية.

1- فاعلية القيم التوراتية بين اليهود.

إنّ القيم مفهوم واسع لا يمكن تأطيره إلا في حيّز وجوده الاجتماعي، فالقيم عبارة عن مبادئ سلوكية يتم من خلالها بلورة الأهداف الفردية والمجتمعية وهي مستمرة في الوجود لأنها قائمة على العاطفة، ولها أهمية كبيرة اجتماعيا، وحيث أنّ القيم على الصعيد الاجتماعي هي الموجه لسلوك الفاعلين بوصفها هدفا يعمل للمحافظة على نمط معين للمجتمع، فإنّ المقاييس التي تنبثق من جماعة ما تكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية، ويكون لها من التأثير في الجماعة بما تحويه من صفة الضرورة والإلزام.

فدفاعا عن اليهودية ينظر الرّبيون إليها بأنّ لها جانبا روحيا مهما تسعى لتحقيقه، وتطمح به إلى زرع الخلق النبيل ونظام أكبر يجسد قيم الحقيقة والجمال والخير والقداسة، فيرى اليهود أنّ أهمية الحياة المستقيمة بتشديد استثنائي في كل أدبيات الشعب اليهودي، فالنقاء في كل الحياة الخاصة والعامّة هو الفكرة الرئيسية للقوانين والتشريعات في أسفار موسى الخمسة، وباقي الكتب التاريخية

---

[1]- الإسراء: 70.

[2]- محرز الحسيني: الصراع الفكري بين المادية والروحية، دار لوران، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 17.

وأسفار الأنبياء إضافة إلى التلمود، وما تحمله الوصايا العشر شهادة سامية للحس الأخلاقي الذي تميّزت به إسرائيل القديمة، وكانت التشريعات اليهودية الصارمة تنم على بصيرة عميقة في الطبيعة الإنسانية ويعّد مقياسا عاليا في السلوك الاجتماعي، وقد انتقل هذا الوعي الأخلاقي من إسرائيل القديمة دون فساد إلى الشعب اليهودي الحديث[1]. من خلال ما يشير إليه الكتاب المقدس أن صورة الله في الانسانية مما يشير إلى خاصية إلهية روحية للبشر، كما تعلّم اليهودية أنّ الجانب الروحي مهم كما الجانب البيولوجي كما يذكر في سفر التثنية: "لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ"[2]، فالروحانية هي نمو داخلي يغذيه السلوك الأخلاقي، والروحانية تتعامل مع امكانيات الفرد الطبيعية ليرتفع في القيمة الأخلاقية[3].

وأمّا عن مكانة القيم والأخلاق في الديانة اليهودية، يمكننا العودة إلى ما قالته " Clifford Geertz" (كليفورد جيرتس) المتكرر في كثير من الأحيان عن نظام ديني: "تعمل الرموز المقدسة على تخليق روح الشعب- لهجة وشخصية وجودة حياتهم، وأسلوبها الأخلاقي والجمالي والمزاج ونظرة العالم- الصورة التي يحملونها هي مجرد الأفكار الأكثر شمولية للنظام، في المعتقدات والممارسات الدينية، يتم تقديم روح الجماعة على أنها معقولة من الناحية الفكرية من خلال إظهار أنها تمثل أسلوبا للحياة، تتكيف بشكل مثالي مع الوضع الفعلي للشؤون التي يصفها العالم، في حين أنّ وجهة نظر العالم أصبحت مقنعة عاطفيا من خلال تقديمها كصورة الوضع الفعلي للأمور ومرتب بشكل جيد لاستيعاب مثل هذه طريقة الحياة"[4]، وإذا كانت نظرة "Geertz" صحيحة فإننا نتوقع العثور على روابط بين المكون الأخلاقي لليهودية ونظرتها العالمية في كل مرحلة عبر تاريخها، في نظام ديني متكامل، والأخلاق سوف تعكس وتعزز بالكامل مجموعة من المعتقدات الدينية، بحيث قيم التعامل مع الأخر سوف يكون متسقا مع الأصل[5]، وبناء على هذا فإنّ جملة القيم الروحية التي تناولناها بالدراسة، قيم روحية إيمانية ترتبط بالعقائد والعلاقة بين العبد ومعبوده، وكذا قيم روحية سلوكية تعّد الترجمة المجسدة للقيم التي يتبناها الفرد، سواء اليهودي أو المسلم، ولعل قيمة التوحيد أهم وأول القيم

[1]- إسرائيل كوهين: الحياة اليهودية في العصر الحديث، ص 150.

[2]- التثنية 8: 3.

[3] -Jack Bemporad : " Ten Principles of Spiritual Judaism Commentary" , p 4.

[4] - Geertz Clifford: The Interpretation of Cultures, Basic Books, New York, 1973, P89-90.

[5] - Louis E. Newman: Past imperatives –studies in the history and theory of jewish ethics, p 222 .

التي تناولناها بالدراسة في الجانب اليهودي، بصفته أرقى وأول القيم الروحية الإيمانية، وأنتهي هنا إلى ما ذكره العقاد عن التوحيد اليهودي: "إنّ الوحدانية التي كان يدركها الإسرائيليون في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير ولكنها وحدانية تغليب لرب الأرباب، ولم يخط اليهود خطوة غير هذه الخطوة وهي أن لليهود إلها يعلو على آلهة غيرهم من البشر"[1]، أمّا الدكتور صابر طعيمة فيقول: "بعد البحث المستفيض في موضوع عقيدة التوحيد في العهد القديم، يمكن القول: إنّ الذي يؤكد بالبرهان القاطع والحجة الدامغة على أنّ موضوع العقيدة الدينية في الإله عند بني إسرائيل تفقد عقيدة التوحيد، ذلك أنه على ضوء التراث الذي انتهى إلينا لم يرق بنو إسرائيل بالفكرة الدينية ولم يعرفوا معنى التنزيه للإله الخالق، وبالتالي لم يعرفوا معنى التوحيد الخالص..."[2] وهنا تنتفي قيمة الإخلاص لدى اليهود المرتبطة بتوحيد الله.

يعّد الدين أقوى الروابط التي تحكم مجتمعات الإنسانية، وقد يتغلب في كثير من الحالات على أواصر الدّم والقرابة، ولكن المادية اليهودية أفقدت الإنسان جميع الروحانيات الدينية والتعبدية، وإذا أقمنا افتراضا يقوم على عدم إدراك اليهود لحقيقة الدين، نظرا لأنّ الدين مكانه كله في الوجدانيات، فإنهم حتما لا يدركون الحقيقة الروحانية للدين لاستفحال المادية بين اليهود،[3]، مما جعل الجانب التعبدي، ومختلف الأحكام والعبادات اليهودية مجردة من دلالاتها الروحية، ونلمس فيها فقدان صلة الضمير اليهودي بأفق المعنويات، فنجد مظاهر الطقوس والعبادات اليهودية مجرد تعبير عن تفاعلهم الحسي مع ما يشاهدون من صور شكلية، ولا يخرج عن آلية التقليد، كما توصل الباحثون إلى أنّه ليس في جملة العقيدة الدينية الإسرائيلية على مدى ضخامة أسفار التناخ، محاولات تتحدث فيها عن صور أخلاقية إيمانية، ففيها يقوم المؤمنون بالتبتل أو التعبّد لله بروح جماعية أو فردية، الأمر الذي جعل معظم علماء الأديان من الغرب يرجعون الصلوات والأدعية اليهودية التي جاءت في بعض فقرات التناخ، إلى مصادر تأثرت بها ونقلت عنها الصلوات اليهودية من بابل وفارس حين كانوا في الأسر وفقدوا كل مصادر الوحي الإلهي[4].

يشمل التحريف اليهودي للتعاليم الربانية عديد السلوكيات بين طياته، فهو يتضمن الكذب وشهادة الزور وأكل السحت، وخيانتهم لعهدهم مع الله، فقد وصلت الشخصية اليهودية مبلغا هاما

---

[1]- عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، دار الهلال، د ب، د ط، د ت، ص 361.

[2]- صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1979م، ص 363.

[3]- آلاء محمد عصام مصباح عشا: الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م، ص 139.

[4]- صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم، ص 390.

في الاستخفاف بأوامر الله، لأنها جمعت بين التحريف للنصوص المقدسة، وبين خيانة العهد للأوامر الربانية بالحفاظ عليها، وبالتالي فقد تكون تبعات هذا التحريف هي الأخطر والأصعب أثرا على الشخصية اليهودية، فمن سهل عليه تزوير آيات الله وعهده يسهل عليه ابتداء أن يزور أي نوع من القيم والعهود بل وأي شيء ممكن أن تطاله يد المحرفين، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في عديد الآيات التي تصف سلوك اليهود وطباعهم[1].

ولقد خلقت التحريفات التي تعّرض لها التراث اليهودي، والقيم التوراتية عزلة المجتمع اليهودي، عن باقي المجتمعات الإنسانية أينما حلوا، ويكاد المحللون لهذه الظاهرة يقتربون من تعليل واحد لها وهو الشعور اليهودي بالتعالي على الآخرين، والمطلع على أدبيات الشعوب وخاصة الأوربية يجد أنّ النظرة إلى اليهود مستندة إلى إرث هائل من التصورات السلبية المتبادلة التي خلفتها ظروف العزل والفصل، ونفس اليهودي المختلف دائما عن طبيعة مجتمعه، حيث يعيش اليهودي بنفس الصراعات التي فجرتها المسائل القومية والاجتماعية والطبقية، فيضع اليهودي نفسه أسير الانحلال من الشعور الانساني للتعامل مع الغير، من خلال رصيد كبير من التصورات السلبية البعيدة عن الالتزام الخلقي، كالسرقة والنهب والسلب وعدم ردّ الأمانات والودائع والربا الفاحش، وكل وسيلة يمكن أن تستنفذ أموال الناس، إلى غير ذلك من المبادئ والقيم اللاأخلاقية السيئة[2]، وهذا ما وسّع الفجوة بين اليهودي وباقي فئات المجتمع الذي يعيش فيه، مما ولّد حقدا وعداوة بين الطرفين، بل تكاد جميع أمم العالم تقف موقف العداء ضدّ اليهود مع ضعفهم وقلة عددهم، مما تسبب لليهودي في الشعور بالخوف الدائم، كما كانوا يخافون من الاندماج ويرون فيه تهديدا بضياع تراثهم، وهي عقدة مرضية في الشخصية اليهودية، أساسها البناء الهش الذي لا يستطيع الثبات أمام الحضارات الشامخة التي عرفتها الإنسانية، ولهذا كانت الجماعات اليهودية عبر التاريخ تؤسس كيانا داخليا في أوساط الأمم التي عاشوا بينها، فنجدهم بعد أن تعرضوا للتشريد على يد الرومان عام 70م، عمل قادة المجتمع اليهودي على التأسيس لنوع من الحكومة السرية التي تسهر على بقاء التكتل العنصري اليهودي، وتضمن عزلة شبه كاملة لتلك الطائفة وسط أمم العالم، وكان أول شكل من أشكال هذا التنظيم العنصري هو " السنهدرين"[3] وهو المجلس الأعلى الذي يحكم الطائفة، ويملك الحل والعقد في

---

[1]- آلاء محمد عصام مصباح عشا: الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، ص 142.

[2]- المرجع نفسه، ص 166.

[3]-السنهدرين: كلمة دخيلة على اللغة العبرية بعد عصر الكتاب المقدس بأجيال، وأصلها اليوناني "سوندريون" بمعنى المجلس، أو الجمعية أو الهيئة الاستشارية، من فعل في اللغة اليونانية هو "سوندريو" معناه اجتمع، واستعمل اليونان لفظة "سوندريون" في لغتهم للمؤتمر السياسي=

شؤونها، وعند اختفاء السنهدرين في العصور الوسطى حلّ محله " القهل" أو " القهيلة"، وقارئ التلمود والمدراش – وهما من الأدب اليهودي بعد الشتات الروماني- يجد القهل تمثل جمهور اليهود المتجمعين في منطقة واحدة، وكان لهم مجلس إدارة يسمى بالعبرية "عدة" أي مؤتمر الجماعة، فقد كانت الجماعات اليهودية بعد الشتات تتكتل وتعيش في عزلة عن البشر الذين يحيطون بها، وكانت لهم دائما تنظيمات لا تعرف عنها الدول التي يعيشون فيها شيئا، وهدفها الدائم هو حماية نفسها من الاندماج والذوبان في " الجوييم"، وحماية التراث اليهودي.

ونجد هذه التنظيمات انتشرت أيضا أيام الحضارة الإسلامية في مصر وفي بلدان شمال افريقيا، فكان رئيس الطائفة اليهودية فيها يسمى " نجيد" أي " عظيم"، أمّا في العراق فقد كان يسمى شيخ اليهود ورئيسهم " رأس الجالوت" أو "رأس المثيبة" وباللغة العبرية "ريش جالوتا" منذ إجلاء اليهود إلى العراق في السبي البابلي[1]، وإذا كان السنهدرين والقهيلة وغيرها من صور العزلة الاجتماعية التي أراد بها اليهود أن يحافظوا بواسطتها لأنفسهم على كيان يستعصي على الذوبان في الأمم الأخرى، فإنّ الجيتو –الحي الخاص باليهود في أوربا- وكان صورة أخرى من اندحار اليهود وراء أسوار معمارية حقيقية فرضوها على أنفسهم، وكان الجيتو تتويجا لمسلك العزلة والعداوة بين اليهود وباقي الأمم، وكان بوتقة أخرى أعيد فيها سبك الشخصية اليهودية وقيمها ومبادئها، فكانت هذه الطريقة التي عاش بها اليهود عبر التاريخ بين الأمم كافية لإيجاد الكراهية المتبادلة بينهم وبين هذه الأمم، فقد أرادت جموع اليهود في الشتات أن تظل وحدات متحوصلة في جسم المجتمع الذي تعيش فيه يرفضها وترفضه، حتى أصبح اليهودي في النهاية ظالما أو مظلوما، شخصية مشبوهة كريهة في كل هذه المجتمعات[2]، وعبر التاريخ تميّز اليهود بتناثرهم كأقليات في العالم تربطها روابط قومية، وأفكار دينية يهودية موحدة لهم مثل عقيدة "شعب الله المختار" والإيمان بأن اليهود شعب مقدس مما ساهم في تعميق عزلة اليهود[3]، فجل التحليلات المعاصرة لقيم المجتمع اليهودي المعاصر تصب في أن الشخصية اليهودية المعاصرة انقلبت من الاستكانة والذل والاختناق في الجيتوات، إلى الشراسة والارهاب،

=الذي يعقد أثناء الحروب، ولهيئة أركان الحرب، كما عبّروا بها عن المحكمة العليا وكذلك مجلس الشيوخ (حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، ص 51).

[1]- حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، ص 50 – 60.

[2]- المرجع نفسه، ص 71.

[3]- عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، ص 35.

وتعاني من نقص الحس الاجتماعي والأخلاق، تتبعه عدوانية وهمجية واندفاعات عدوانية متوحشة[1]، فالشخصية اليهودية اتسمت بالاستعلاء الذي ينبثق من التوراة والتناخ.

2- القيم الصهيونية المعاصرة وأثرها على المجتمع اليهودي.

وصولا إلى ظهور الصهيونية التي تمثل حركة استهدفت استعادة القومية اليهودية في فلسطين، ومبنية على أن اليهود شعب، وباستطاعتهم تحقيق مصيرهم على أفضل وجه، بإحياء حياتهم المشتركة على أساس قومي في بلد أسلافهم[2]، كما أنها تمثل في المقابل تجسيد توسعي وعنصري في العصر الحديث للشخصية اليهودية، وتنظيم سري دقيق ممتد عبر التاريخ، احتفظت هي كذلك بالانغلاق والعزلة وحفظ خصائص الشعب اليهودي، وصاغت الشخصية اليهودية المعاصرة من الفكر التوراتي واللغة العبرية، وأحيت الشخصية اليهودية عن طريق إحداث تفاعل بين الثقافة اليهودية المستمدة من التوراة والتلمود، وبين اللغة العبرية ببعثها واحيائها[3]، ذلك أن المجتمع اليهودي الذي جمع بقيادة الصهيونية هو خليط من مجموعة متنوعة من الثقافات، وهو مجتمع مهاجرين، وتكاد لا تكون هناك هوية موحدة لهذا المجتمع، لتنوع مشاربه واختلافها وتباعدها، وهذا ما انتج اخلاف القيم والمبادئ التي تحكم هذا المجتمع.

وهذا ما جعل من زعماء الصهيونية، وقيادات المجتمع الإسرائيلي الحديث يجعلون من اليهودية دين خاص وجامع لليهود، وخاصة ومتفردة له، واليهودي هو الذي يصنع الدين بما يتفق مع مصالح اليهود وأهدافهم، وليس الدين عندهم هو الذي يصنع الإنسان بما يخدم المصالح الإنسانية جمعاء[4]، فلقد عمقت الصهيونية الروح العدوانية وكل قيم العنصرية والانغلاق والتعصب والتوجس من الأغيار، وروح التقديس للشعب اليهودي، وتأكيدها لقيم الاختيار والتفوق بل وربطت كل هذه القيم المنبثقة من نصوص التوراة ومصادر اليهودية المقدسة بالجانب السياسي، وجعلت من الدّين أساسا لوجودها، وأضحى الدين اليهودي في نظر المفكرين اليهود والصهاينة هو الأساس الذي تقوم عليه الأيديولوجية والقومية اليهودية، وينظرون إلى فلسطين على أنها أرض إسرائيل، وملك لهم وعلاقتهم بها تاريخية، اعتمادا عل نصوص التوراة القائمة على قيم العنصرية والروح العدوانية[5].

---

[1]- محمد أحمد النابلسي: النفس المغلولة –سيكولوجية السياسة الإسرائيلية–، د د ن، ط1، د ت، ص 14.

[2]- إسرائيل كوهين: الحياة اليهودية في العصر الحديث، ترجمة: محمد بن عودة المحيميد، مركز البحوث والتواصل المعرفي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2017م، ص 496.

[3]- ابراهيم الشهابي: استراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1997م، ص 12.

[4]- ابراهيم الشهابي: استراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية، ص 13

[5]- علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ب، د ط، 1997م، ص 83.

إضافة إلى هذا غيّبت كل القيم الروحية، وأصبح الإنسان اليهودي بهذه الأوصاف إنسانا مغرقا في المادية، لا يقف على حدود أو قيود اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية أو جمالية أو روحية، لذلك لا نجد مسافة تفصله عن حيّز المادة، فإن حصل واعترضه شيء من تلك التي يراها قيودا أو سدودا، فإنّه يحاول جاهدا بعثرتها، أو تفكيكها ثمّ إعادة تركيبها لتلاءم والوضع الذي يريد"[1]، لذا فاللعب على أوتار الفساد الاقتصادي هو شيء يتقنه اليهودي، لأنه يفهم لغة الأرقام والحسابات المادية المجردة، وهو يستخدم هذه اللغة التي يعرفها ويجيدها جدا كسلاح فعال في قتل المعنويات بين الأفراد والشعوب، وهذا لا يرجع لذكاء اليهودي أو تفوقه، إلى قصر زاوية نظره في محاولة التخلص من كل الاستعلاء الروحي والمعنوي الذي تتمسك به – هذه الشعوب- من بواقي القيم الإنسانية، فمن المعروف وكما رأينا أن سلوك الربا تنص عليه النصوص المقدسة اليهودية، واعتمده اليهود منذ القديم، وبقيت في العهد الحديث سلاح اليهود الفعال نحو افقار الشعوب، وأصبح الربا هو لغة الاقتصاد الحديث.

إنّ المادية إذا استحكمت في النفس ووصلت إلى درجة العشق أصبح المرء لا يرى إلا بمنظار واحد فحالت غشاوة المادة بينه وبين فطرته وخاصيتها في إدراك الحسن والقبيح، وتصور الأمور لونا واحدا وهو المباح، وكذلك كان حال الشخصية اليهودية وسلوكاتها في كل المجالات[2]، ومع وجود كافة التشريعات المنظمة للحقوق والواجبات في النصوص التوراتية إلا أنها لم تصل بالإسرائيليين إلى الآفاق السامية، ولم تقم لهم مجتمع العدل الانساني، ولم تسمو بالإنسان إلى التحرر من العبودية المادة، ولذلك تعرّض الانسان في مجتمعهم للكثير من المحن والصعاب، وعلل أنبياؤهم هذه المصائب إلى غضب الله من تمرد وطغيان اليهود وعصيانهم لأوامر الشريعة الربانية، وشركهم بالله[3].

ويعّد منطق الصراع ثمرة مباشرة للانغماس في المادية ومصالحها التي لا تنتهي، وبالتالي فستكون طبيعة الصورة التي ترسمها المنهج المادي الذي تتزعمه الشخصية اليهودية قائمة على أنّ العلاقة بين الفرد والفرد داخل المجتمع هي علاقة تنافس وخصومة، والعلاقة بين الأفراد والمجتمع هي علاقة انتهاز وتربص، وليس في مقدور العقلية المادية أن تفسر الجوانب الإنسانية في تفاعلات الوجود الإنساني وعلاقات الناس بالآخرين، والتي يظهر فيها أشكال كثيرة ليس لها مكان في قاموس المصالح النفعية المادية، ولهذا فبمنطق الصراع والمادية اليهودية فاننا نستطيع أن نفسر عداوتهم الشديدة للبشرية من

[1]- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج1، جز 4، ص 260.

[2]- آلاء محمد عصام مصباح عشا: الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، ص 140.

[3]- عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص 50.

منطلق مزاجيتهم في التنافس على المصالح الأرضية المتضاربة التي لا تنتهي، وهذا ما يجسده اليهود اليوم، فإن كان للقيم التوراتية أثر في بناء المجتمع اليهودي، وتنظيم العلاقات داخليا، فإنها لم تمكن اليهود بسبب خصائصها العنصرية من إقامة حضارة إنسانية، تجمع مختلف الشعوب دون تفرقة في الانتماء الديني أو العرقي أو الاجتماعي أو الثقافي، ذلك أنه وإن استطاع اليهود في العصر الحديث إقامة دولة إسرائيل، إلا أنها دولة استعمارية بنيت على العدوان والتضليل وسفك الدماء، بل استندت إلى نصوص التوراة لإضفاء الشرعية على غزوها لأرض فلسطين وتوسيع نطاق سيطرة إسرائيل، مما انجر عنه صداما وحروبا بين اليهود وأصحاب الأرض من الفلسطينيين.

II. فاعلية القيم الروحية وأثرها في الإسلام.

لقد شيّد المسلمون صرح حضارتهم، وأقاموا تلك الدولة الإسلامية العظيمة، التي امتدت من الأندلس إلى قرب القارة الأسيوية مارة بشمال إفريقيا كله، وذلك بناء على فهمهم الصحيح للإسلام، واتباعهم لمنهج أسلافهم في الفهم والتطبيق، فالإسلام ليس مظاهر كهنوتية ولا حياة منعزلة عن الواقع تبغي الفرار منه، بل هو نظام كامل للحياة يوجه الإنسان لكي يحقق كمالاته التي استحق بها مقام الخلافة، أي يحصل لنفسه وللجماعة الإنسانية أيضا على أسمى درجة من الكمال الإنساني، في الروح والخلق والمادة والعقل، وينظم علاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان في كل مظاهر الحياة، أي أنه باختصار دين وحضارة[1]، ولقد قامت الحضارة الإسلامية على أسس راسخة وعميقة، تتمثل في رصيد ضخم من القيم الإنسانية والروحية التي لا بدّ منها لقيادتها، وهي مع هذا الرصيد الهائل من القيم لا تنكر الإبداع المادي في الأرض، لأنه يعّد من وظيفة الإنسان الأولى على الأرض، ولكنها ترشده وتوجهه وتنفخ فيه الحياة المطمئنة، لتحقيق غاية الوجود الإنساني، ويعّد السمو الروحي والإنساني من أهم الأسس التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية[2].

فالقيم دور هام في توجيه سلوك الفرد والجماعة، فهي تقوده إلى إصدار الأحكام على الممارسات العلمية التي يقوم بها، وهي الأساس السليم لبناء تربوي متميّز، كما أنها تسهم في تشكيل الكيان النفسي للفرد، انطلاقا من كون القيم بوصلة توجيه الفرد نحو غاياته ووسيلته لتحقيقها، وبوصلة توجيه الفرد بين الصواب والخطأ، كما أنّ القيم تزرع قيم الوحدة الجماعية والإنسانية، والقيم معيار الحكم على سلوكات الأفراد وسبل تفكيرهم وأساس أفعالهم[3]، ومن هذا المنطلق كان القرآن

[1] – مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 103.

[2] – توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص 211.

[3] – خليل عبد الرحمان المعايطة: علم النفس الاجتماعي، ص 188.

الكريم الزاخر بمنظومة قيمية عمل من خلالها على توجيه النفس الإنسانية والمجتمع المسلم وبناء علاقاته بين أفراده على أسس سليمة إسلامية وقيمية ومبادئ ثابتة.

1- مكانة القيم الروحية في صنع الحضارة الإسلامية:

إنّ المتأمل لأحوال الإنسان العقلية والنفسية والاجتماعية يتبين له التركيبة الثنائية له، وهما الجانبين المادي الغريزي الذي يشده إلى عالم الحيوان، وجانبه المعنوي الروحي الذي يذكره بخالقه، وبعنصر الخير والمعاني الفطرية السامية فيه، وهما جانبان في صراع دائم الواحد فيهما يبغي الغلبة على الآخر، ولا شكّ أنّ غلبة أي من الجانبين إخراج للإنسان من فطرته وإدخال للاضطراب في حياته، ولهذا احتاج إلى نظام أخلاقي وقيمي متزّن يدخل الاتزان عليه، ويبقيه في دائرة فطرته السليمة، ولهذا كان الإسلام الذي جاء خاتما للأديان شاملا لتوجيه حركة الإنسان إلى مستوى فطرته الإنسانية المعتدلة والواقعية، لأنه لا يتجاهل طبيعة ومسارات غرائزه التي أودعها الله تعالى فيه، ولا يريد قتل الغرائز، بل يخطط لتوجيهها وتهذيبها، حتى تؤدي دورها في الحياة من أجل جعل المجتمع الإنساني مجتمعا متوازنا لا يميل إلى التطرف في جانب من جوانب الحياة[1]، فلقد غيّرت القيم الروحية القرآنية الحياة الدينية التي كانت ترتكز على المعتقدات الوثنية، أو الديانات السماوية المحرفة، إلي دين توحيدي خالص، قائم على توحيد الله تعالى ونفي أن يكون لله شريك في العبادة، أو أن يكون هناك وسطاء بين العبد وربه، فكان التوحيد المطلق، والإيمان الحق والإسلام الخالص، وبذلك صار الدّين لله وحده لا شريك له، والعبادة والطاعة لله خالصة لله تعالى.

كما غيرت القيم القرآنية الحياة الاجتماعية، وركزّت عليها، فالإنسان كان اجتماعي بطبعه، والقيم كانت الأساس التي تبنى عليه العلاقات الإنسانية، فأبطل النظام القبلي الذي كان سائدا وجعل المجتمع الإسلامي كله وحدة واحدة، يسوده الحب والإخاء والتعاون، وأعطت لكل فرد في المجتمع حقوقه المشروعة، في مقابل ما فرضت عليه من مسؤوليات وواجبات، فنظمت الأسر المسلمة، وأقيمت على قيم الحب والمودة والصدق والخير والتعاون، كما كانت القيم الروحية القرآنية نابذة لكل عوامل الفرقة الاجتماعية على أساسا الامتيازات القبلية والعنصرية، بل أسست للمساواة بين جميع الناس أمام الله والقانون ولا فضل لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض ولا لغني على فقير، ولا لرئيس على مرؤوس، فالجميع متساوون.

[1] - محسن عبد الحميد: الإسلام والتنمية الاجتماعية، دار المنارة، جدّة، السعودية، ط1، 1989م، ص 139- 140.

وكما أعطى الإسلام للإنسان حريته واستقلاله الفكري والمالي والاجتماعي ورفع كرامته، وجعله خليفة الله في الأرض، يعمرها ويمحو منها الفوضى والجهل والجمود والظلام، بما وهبه من عقل، وما بعث إليه من دين، بنصوص مقدسة وما تضمنته من قيم ومبادئ، تحفظ الأمن والنظام والعدل، وشرعت الكثير من الشرائع الاجتماعية التي تزيد من وحدة المجتمع الاسلامي وقوته وتوازنه وتماسكه كالزكاة والصدقة والاحسان، وتحريم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم وحرياتهم.

فأعظم ما بني عليه الإسلام هي الفضائل والقيم، ومكارم الأخلاق، والعمل على تهذيبها، والعناية بتربية النفس وكمالها وتدريبها على متابعة الهدى والارشاد الذي يشهد العقل السليم بحقيقته وصلاحه ونفعه، فذلك الارشاد يتلقاه المسلم من الهدى الديني المعرب عن الارشاد المعصوم من الخطأ[1]، فلقد ساندت الوحدة الدينية (Religions unity) متمثلة في الإسلام، كما عززت عوامل أخرى وعملت من أجل الإبداع الحضاري، ولقد كانت هذه الوحدة الروحية (Spiritual unity) هي التي حفظت للعالم الإسلامي وحدته الحضارية والثقافية (Cultural unity) حتى بعد تفرقه إلى عدّة بلدان ودول، ولقد أسس الإسلام وحدة في العرف الأخلاقي، والعادات اليومية، أعانت على ثبات الحضارة الجديدة التي خرجت إلى الوجود في رعاية الله[2]، كما أعطى النموذج الاجتماعي الاقتصادي الإسلامي الجديد في الحياة الدينية والسياسية وحدة لكل مظاهر النشاط الإسلامي، ولا يمكن النظر إلى النهضة الاستثنائية للثقافة العربية الإسلامية منفصلة عن عامل الوحدة، هذا الذي يبدأ على المستوى الروحي، ثمّ ينفذ إلى السيطرة على كل مظاهر الحياة الدنيوية[3].

فالقيم الروحية تشتمل على القيم الأخلاقية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية، وهذه المنظومة القيمية ضرورية لتحقيق التقدم الحضاري[4]، وهذا ما حققته الحضارة الإسلامية التي جمعت بين تقدمها الروحي الأخلاقي، وبين تقدمها المدني والعمراني، فقد كان القرآن الكريم أساس بيان حقوق الأفراد والمجتمعات وتهذيب الأخلاق كما أرشد إلى تشييد الممالك وتعمير المسالك وتحسين الأحوال، المتمثلة في الرقي العمراني والابداع الفني والتقدم العلمي وإنّ أي ادعاء بأنّ الإسلام يعارض المدنية ولا يتماشى معها وأنّ الإسلام كان سبب الانحطاط الذي أصاب المسلمين والعرب في التاريخ، ما

[1] – محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام الدار العربية للكتاب، تونس، 1979م، ص 128.

[2] – ستانوود كب: المسلمون في تأريخ الحضارة، ترجمة: محمد فتحي عثمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1982م، ص 141.

[3] – ستانوود كب: المسلمون في تأريخ الحضارة، ص 45.

[4] – فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 3، 1988م، ص 392.

هو إلا ادعاء باطل لا يتطابق وحقيقة الإسلام، بل على العكس فإنّ ما وصل إليه المسلمون من تقهقر هو من أنفسهم لا من خلال قيم ومبادئ الإسلام الحقيقية التي مكّنت للمسلمين من بناء واحدة من أعظم الحضارات في التاريخ، وجعلتهم هداة البشرية[1]، فالحضارة الإسلامية تهدف إلى إسعاد الإنسان ماديا ومعنويا، ونشر العلم وتنظيم العمران وترقية الصناعة وعمل الإنسان، وتوفير الأمن والسلام والطمأنينة للمسلمين ومن يعيش بين ظهرانيهم، بصيانة كرامتهم وضمان حقوقهم، وتجنيبهم كل ضّيم أو ضرر يلحق دماءهم وأموالهم وأعراضهم من أي كان، وهذا ما تدل عليه مختلف الآثار المختلفة عن المسلمين أيام كانت حضارتهم سائدة شواهد تدل على سمّو تفكيرهم في الكائنات وبذلهم المال والمتاع لحفظها، كما حفظت هذه الحضارة التي وفرت للمجتمعات الإسلامية طيلة قرون تقدما ماديا وسموا أخلاقيا أصابها ما أصاب الحضارات التي سبقتها من تدهور فسقوط[2].

فكان الجانب الروحي والأخلاقي عاملا أساسيا في بناء الحضارة الإسلامية، فنجد مالك بن نبي –أحد مهندسي الحضارات في عالمنا المعاصر– يشير إلى أنّه عندما تبدأ الحضارة لا يكون ثمّة إلا الإنسان والتراب والوقت، وهي عناصر مكدسة لا حياة فيها، وهي لا تبزغ إلى بدخول أصل خارجي عن هذه العناصر وهو العقيدة الدينية بمعناها العام، والتي تتسع لتشمل المبدأ الأخلاقي[3]، وهي جملة المبادئ والقيم الأخلاقية، وبالتالي القيم المحرك الأول في البناء الحضاري، والعامل الفاعل في تفاعل عناصر الحضارة فيما بينها، وكما بيّن ابن خلدون فإنّ كل حضارة تقع بين حدين اثنين، الميلاد والأفول وبينهما طور وسيط وهو الأوج، فحين يدخل المركب الديني يبث في العناصر الراكدة أو المكدسة الحياة، فيخرج الإنسان من حالة الطبيعة، أو الفطرة ويندفع بطاقة حيوية هائلة قد ضبطت فيه الفكرة الدينية الغرائز والحيوية الحيوانية وردود الأفعال وأخضعتها لنظام سام ودقيق لدى الفرد، ولنظام متماسك على درجة عالية من التوتر والتكافل على مستوى الجماعة، هنا تصمت الغريزة ويخضع الكل لقانون "الروح" الذي يولد النهضة والتقدم والحضارة[4].

إنّ غاية الفضائل والقيم البلوغ بالنفس الإنسانية إلى أرقى ما خلقت له، فأودع الله فيها العقل لأجل بلوغ ذلك الارتقاء، وهذه الغاية هي إبعاد تصرف نفس الانسان عن همج الحيوان، فإذا بلغت

---

[1]– فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ص 404– 405.

[2]– عبد الوهاب بن منصور:" الحضارة والأخلاق"، الإنسان ومستقبل الحضارة وجهة نظر إسلامية، المؤتمر العام التاسع، المؤتمر العام للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمّان ، الأردن، 1993م، ص 420.

[3]– مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة : عمر كامل المسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 1986م، ص 60.

[4]– مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، ط1، 1962م، ص 140– 141.

الأمّة إلى مكارم الأخلاق على جمهورها، وسادت تلك القيم والفضائل، في معظم تصاريفها زكت نفوسها وأثمرت غروسها، فحينئذ يسود الأمن وتنصرف عقولها إلى الأعمال النافعة وتسهل الألفة بين جماعاتها، فيكون نتاج ذلك تعقلا ورفاهية وإنصافا من الأنفس فينتظم المعاش[1]، فكان التوازن الذي أحدثه الإسلام والقرآن الكريم بين الجانبين المادي والروحي سبيلا لازدهار الحضارة الإسلامية وتطورها وكانت ملهمة لباقي المجتمعات الانسانية وأساسا لها.

2- معالجة أزمة القيم الروحية:

أنّ الحضارة الحديثة في نشوة انتصارها المادي ذهلت عن مركز الإنسان في الأرض ومقامه من خلافتها، فسخرت تسخره للأشياء ولا تسخر الأشياء له فاحتقرت بذلك ذاته –وامتهنت خصائصه– واحتقرت مواهبه مع أنه الأساس الأول لأي نظام حضاري كما مر– فهي بهذا التصور حضارة مادية تجعل الانسان مجرد آلة للإنتاج– ونطبق عليه المنهج الآلي أو المنهج الحيواني، الذي لا يرعى أية خاصية من خصائصه كإنسان له مطامح ومطالب وأشواق، أمّا الحضارة القرآن القرآنية فإنها تضع الانسان في وضعه الصحيح ومقامه الموقر، تقدم له منهج ربه لينطلق في رحاب الحياة.[2]

إنّ التكامل الذي تنشده مبادئ الإسلام انسجام بين الروح والجسد، بين العقيدة والعمل، وبين القيادة والعبادة وبين المجتمع والمسجد، بين العلم والدين، بين الأخلاق والسلوك، بين الدنيا والآخرة، بين النظرية والتطبيق، بين الحرب والسلم كما يعني تكاملا في الحياة من حيث الفهم السياسي والوعي الاجتماعي والعلاقات الدولية وعلاقات الأفراد ببعضها على صعيد المجتمع وفي رحاب الأسرة، وتوضع وتبني علاقة الانسان بربه وبنفسه وبالكون من حوله[3].

يرى شبنغلر أنّ للحضارة دستورا أخلاقيا يتمثل في العقيدة وقوة النفس وتلازمه بساطة الظواهر وأن الدستور الحضاري لا يعتمد العقل أبدا بل إنما يعتمد الوجدان هذا الوجدان الممثل في الشعور، لا بالحس وأن العقلانية في شتى مذاهبها هي فلسفة مدنية لا حضارية لذلك عندما تدخل الحضارة الطور العقلاني من تطورها تبلغ خريف عمرها وتشيخ وتهوي إلى درك المدنية ثم تتابع انحدارها إلى الانحلال[4]، وبالنسبة للأمة الإسلامية فأن شبنغلر يرى أنها تقوم على أساس من الروابط الروحية

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص124- 125.

[2]- توفيق محمد سبع: قيم حضارية من القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، د ت، ج 2، ص 125.

[3]- المرجع نفسه، ص 140

[4]- أسوالد اشبنغلر: تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج 1، ص 14.

المجردة، وهي ذات وجود روحي يكاد يكون مطلقا في روحانياته[1]، لكن العالم اليوم، وما وصلت إليه الحضارة الغربية يفتقد للجانب الروحي، وغيبته بالطغيان المادي على حياة الإنسان، فالقيم الروحية اليوم في أزمة عميقة، أدت الحضارة الغربية اليوم إلى زوالها وأبعادها عن حياة الإنسان لتحكمه القيم المادية، وهذا ما خلُص إليه "أرنولد توينبي" الذي طويلا أمام هذه اللحظة التاريخية في شيخوخته وهو يكتب "الإنسان وأمّه الأرض"، فقال: " أنّ الإنسان زاد في قوته المادية بحيث إنّه أصبح خطرا حتى على بقاء المجال الحيوي، ولكنه لم يزد من إمكاناته الروحية"، وقرر" أنّ التغيير الوحيد المعقول في تركيب المجال الحيوي الذي يمكن أن ينقذ هذا المجال هو زيادة القدرة الروحية للإنسان"، وأكّد " أنّ الإنسان يضل بالإضافة إلى أنّه طبيعة وجسم يتمتع بروح، وهذه الروح تمتلك الوعي، ومن ثمّ فالإنسان يمكنه أن يختار إمّا الخير أو الشّر" ، وأعرب عن اعتقاده " أنّ مرض المجتمع الحديث لا يمكن شفاؤه إلا بثورة روحية في قلوب بني البشر وعقولهم، فالعلل الاجتماعية لا تعالج بالتغيرات المؤسسية، فالعلاج الناجح هو روحي، لانّ كل مؤسسة اجتماعية تقوم على فلسفة أو دين وهي بحسب القاعدة الروحية التي أقيمت تكون حسنة أو سيئة... وأنا أوافق على أنّ الإنسانية بحاجة إلى أساس روحي جديد"[2]، ذلك أن حال الانسان اليوم هو إنسان فقد قيمه وأخلاقه وأصبح كائنا ماديا، جنسانيا، اقتصاديا متشيئا، ومعناه أن يتحول الإنسان إلى شيء، وتتمركز أحلامه حول الأشياء ولا يتجاوز هو السطح المادي وعالم الأشياء، حتى العلاقات بين البشر مثل العلاقات بين الأشياء[3]، مما أدى إلى شيوع أزمة القيم والأخلاق وفقدان المعنى، ويرى المسيري أنّ حياة الانسان الغربي حتى منتصف الستينات كانت تتميّز بقدر من الثنائية، تحكمها منظومة القيم المسيحية، على عكس الحياة العامة التي كانت خاضعة لآليات العرض والطلب، والحتميات الاقتصادية والسياسية الأخرى، وهي جميعها منفصلة عن القيمة، ولكن في منتصف الستينات انفصل السلوك الشخصي عن القيمة، وظهرت بعد هذا التاريخ معظم مشكلات العالم الغربي الحديث، مثل (تآكل الأسرة والإيدز، الأطفال غير الشرعيين، المخدرات، المراهقات الحوامل، الشذوذ الجنسي...) [4]، ولعل هذا ما تنبأ به ماكس فيبر عندما قال أنّه سيسود تحجر آلي، كما تنبأ بخصائص الإنسان الذي سيعيش

---

[1]- أسوالد اشبنغلر: تدهور الحضارة الغربية، ص 21.

[2] - الإسلام ومستقبل الحضارة: وجهة نظر إسلامية، كتاب المؤتمر العام التاسع، عمّان، الأردن، 1993م، مؤسسة آل البيت، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ص 87- 89.

[3]- عبد الوهاب المسيري و عزيز العظمة: العلمانية تحت المجهر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000م، ص 93.

[4]- عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2006م ص 254- 255 .

في المرحلة الأخيرة من هذا التطور الحضاري إذ يقول: "متخصصون لا روح لهم، حسيّون لا قلب لهم، وهذا اللاشيء سيتصور أنّه وصل إلى مستوى من الحضارة لم يصل إليه أحد من قبل"[1]، مما سيتسبب في أزمة القيمة، فالإنسان الحديث بعد أن يقوم بترشيد عالمه، وبعد أن تهيمن عليه القوانين العلمية، سيكتشف أن عالميه الاجتماعي والخاص قد أصبحا لا معنى لهما، فصياغة القوانين العلمية بدقة لا تساعد على الاختيار بين قيم مطلقة أو أهداف متناقضة، أو على اتخاذ القرارات الأخلاقية، فالعلم في نهاية الأمر لا علاقة له بقضية اختيار الحياة الفاضلة[2]، وبالتالي اختيار القيم الروحية الفاضلة التي تصلح لحياته.

من أمثلة الأزمات القيم الروحية التي يعاني منها عالم اليوم، والتي أصبحت تساق اليوم باسم القوانين الدولية وخاصة الأمم المتحدة، منها وثيقة السكان الذي في القاهرة في سبتمبر 1994م، كنموذج من نماذج المواثيق التي تسوقها القيم الغربية، فمثلا الأسرة التي هي قيمة من القيم الإنسانية والإسلامية والتي تقوم على زواج شرعي بين ذكر وأنثى، وهي تمثل الوحدة الأساسية لبناء الأمّة، لكن هذه الأسرة تريد هذه الوثيقة أن توسع من أشكال الاقتران بين الذكر والأنثى – غير شرعي– حتى ولو كان شذوذا.

وإذا كانت العفة من القيم الروحية القرآنية بل والإنسانية لكن هذه الوثيقة تتحدث عن "المتعة الجنسية المأمونة والمسئولة" أي التي لا تؤدي إلى الإيذز، وليس عن :" المتعة الجنسية الشرعية والمشروعة والحلال" فالجنس حق من حقوق الجسد، ولكل الناشطين جنسيا... من جميع الأعمار ... والأجناس.."

وبنص هذه الوثيقة: فإن النشاط الجنسي "حق لجميع الأزواج والأفراد" أي سواء أكان امرأة أو رجلا أو مراهقا أو مراهقة، وينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى توفير هذه الحقوق لجميع الأفراد من جميع الأعمار في أسرع وقت ممكن.

ولقد ذهبت هذه الوثيقة إلى طريقة الحرية الجنسية إلى الحّد الذي جرّمت فيه الزواج المبكر، ودعّت إلى إحلال الزنا المبكر بديلا عنه، وهذه بعض القيم التي أرادت اشاعة الانحلال ومصادمة الفطرة التي فطر الله الناس عليها[3].

---

[1]– عبد الوهاب المسيري وعزيز عظمة: العلمانية تحت المجهر، ص 102.

[2]– المرجع نفسه، ص 102.

[3]– محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص 52– 53.

لقد سيطرت المادية على الفكر الغربي وصارت المحرك للإنسان في جميع تصرفاته والقوة الفاعلة التي هدمت وحطمت جميع القيم، وهذا ما جرّ على الإنسان الويلات والنكبات وجعلته في مجتمع متوحش، خاصة في المجتمعات الغربية، التي انهارت فيها القيم عندما انفصلت عن الدين، ثم انفصلت عن السياسة، ثم انفصل الاقتصاد عن القيم ثم انفصلت عن الجنس ولم يبقى أي رصيد من الفضائل، وكل هذا بسبب الانغماس في المادية، والابتعاد عن القيم الروحية التي توجه النفس والروح والسلوك والفرد والمجتمع لما فيه خير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

بعد استعراض مختلف فصول البحث الموسوم بـ "القيم الروحية في النصوص المقدسة بين التوراة والقرآن الكريم"، وجزئياته نخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات أسوغها كما يلي:

أ. النتائج.

- تحتل القيم الروحية أهمية كبيرة ضمن المنظومات الدينية، لا تقل أهمية عن النظم العقدية والتشريعية في الأديان، بل هي ثمرة الاعتقاد والتشريع، وتعبر عن المثل العليا والمبادئ في كل الحضارات البشرية، بمختلف ثقافتها ومعتقداتها على امتداد التاريخ الانساني، بغض النظر عن الاختلاف في مصدر هذه القيم في كل حضارة أو مجتمع بشري، وتمثل هذه القيم الأخلاقية الموجه العام للسلوك البشري داخل المجتمع وخارجه، نحو تحقيق ما يعتقد أنّه فيه الخير والنفع.
- تربط القيم الروحية بين الجانب الديني والسلوكي، فما نصته النصوص المقدسة من مبادئ وقيم أخذت ميزة القداسة والأمر بالالتزام بها، شأنها شأن القضايا العقدية والتشريعية، فكذلك كانت القيم المنبثقة من النصوص المقدسة، جمعت بين الجانب الإيماني والتعبدي، الذي ينطبع على سلوك الأفراد وتصرفاتهم، فالقيم الروحية هي تلك القيم التي ترتبط بالجانب الأخلاقي والمثل العليا، وتتناقض مع القيم المادية وتتصادم معها، بل تربط الفرد بزاد روحي ومعنوي يطغى على الجوانب المادية.
- تشمل التقوى في الديانة اليهودية جوانب متعددة في حياة الفرد، فتربط بين الجانب الإيماني وما ينجر عن ذلك من تعبّد وأخلاق تندرج ضمن أوامر الله ونواهيه، وتتعداه إلى جملة من العبادات التي لها جانبها المادي والروحي، كما ترقى إلى كل سلوك الفرد ومعاملاته التي يتحرى فيها خشية الله ومخافته، لكن لا يلبث أن يتجلى لنا بين نصوص التوراة تناقضها ومخالفتها لقيم تقوى الله وإفراده بالعبادة وتوحيده، وهذا ما يثبته التاريخ اليهودي في عديد محطاته التي ابتعد فيها اليهود عن التوحيد وأشركوا بالله.
- النفس مركز ومستقر كل القيم والمبادئ، فاعتنى القرآن الكريم بتزكيتها وتطهيرها، وصفائها ونقائها، فمتى استقامت النفس وزكت وتطهرت، زكت وتطهرت كل أخلاق الفرد وأفعاله

وسلوكاته، أمّا التوراة فقط اهتمت هي كذلك بالنفس وتطهيرها وبيان أحوالها، لكننا نجد الفرق يتجلى في اقصائها التام لنفس غير اليهود وابعادها، فعدّت النفس الإنسانية هي نفس الشعب المقدس دون غيرهم من الشعوب، واعتبرت النفس اليهودية هي النفس السليمة والإيجابية وحاولت أن يكون مقصد نصوصها العمل على تطهيرها وتزكيتها وإطراح الشهوات عنها.

- إنّ القيم الروحية التعاملية أو الأخلاقية السلوكية أساس مهم في المنظومة القيمية، وأسست لها النصوص المقدسة التوراتية والقرآنية، كما أنّ القيم التي قدمناها للدراسة كانت قيما روحية في أساسها ولها ارتباط بالسلوك الظاهري للأفراد، فتمتد القيم الروحية من جانبها الروحي إلى الجانب الأخلاقي والسلوكي.
- تعّد الوصايا العشر أهم النصوص التوراتية القانونية، وخلاصة الفكر التوراتي ككل، ولهذا كانت مادة مهمة لاستنباط أهم القيم الروحية في التعاليم التوراتية.
- التناقض الذي نلاحظه في النصوص التوراتي كبيرة جدا، وواسع بحيث لا نكاد نذكر قيمة في نص من النصوص على أنها قيمة روحية وإنسانية، أو قيمة إيمانية وتعبدية إلا وجدنا في الشطر الآخر من النص أو في موضع آخر نص يناقض السابق ويتعارض معه، ويدعو إلى عكس القيمة وينقضها، وهذا ما نلمسه في القيم التي أحطناها بالدراسة مثل قيم الصدق والرحمة والإحسان والعفة، فرغم أننا خصصناها ضمن القيم داخلية التي تخص المجتمع اليهودي وأفراده دون غيرهم، إلا أننا نجد ما يناقض هذه القيم ويعاكسها في المجتمع اليهودي عبر تاريخه.
- تختلف القواعد الدينية العقائدية والتشريعية وكذا أخلاقية والتعاملية إذا كانت ترتبط بالآخر الذي لا ينتمي إلى نفس النسيج الديني، وهذا ما يبدو جليا في القيم الروحية التي تحكم هذه العلاقة، ولو أنّ الجانب القرآني والإسلامي لا يفرق كثيرا في القيم الأخلاقية التي يتعامل بها المسلم سواء مع أخيه المسلم أو مع غير المسلم.
- تجتمع الإنسانية ككل في هذه العالم تحت ظل التعايش والسلم وقبول الآخر المختلف في انتمائه الديني والعقدي والثقافي والاجتماعي، وإذا عدنا للإسلام واليهودية فإننا نجد

الإسلام خصّ التعامل من الآخر بجملة من القيم الأخلاقية سواء في حالة السلم أو في حالة الحرب والصدام، وكذلك كان شأن اليهودية.

- إنّ الديانة اليهودية بنصوصها التوراتية المقدسة لا تعترف بإنسانية الآخر، ونجد نظرتها مبنية على جملة من التشريعات المحددة لهذه العلاقة، وهنا نلمس التناقض بين نصوصها، ذلك أنّ بعض النصوص تنظر للغريب الذي يعيش وسط اليهود نظرة إنسانية وتأمر بالتعامل معه برحمة وشفقة وإحسان، وتجنب ظلمه، ولا تلبث هذه النصوص أن تظهر عكس هذه القيم في معاملة الغريب، مؤسسة على قاعدة الشعب اليهودي المقدس والمتفوق عن الآخرين.
- أول النزعات وأبرزها أهمهما في الشخصية اليهودية هي النزعة العنصرية، فكل التعامل اليهودي مع الآخر سواء في السلم أو الحرب يبنى على هذه النزعة المتغلغلة في نفس اليهودي، وما يترتب عنها من قيم تعاملية تجيز كل التجاوزات في حق غير اليهودي، فتنحى بالسلوك اليهودي إلى عدم احترام إنسانية الآخر، بل بجواز سرقته والتعدي عليه، وظلمه واستغلاله واستعباده بل والأمر بإبادته، بروح عدوانية دلت عليها نصوص التوراة والتاريخ اليهودي الذي شرع أحكام القتل والحرب بأساليب وحشية وتدميرية.
- اتخّذ اليهود من عقيدة "الشعب المقدس" أو "الشعب المختار" الخاصية الأولى في البناء العقدي اليهودي، الأمر الذي يقضي بتفوق اليهودي على كل الأمم الأخرى الدُنيا وانفصاله عنها، ومنحهم حقوقا وامتيازات فوق البشرية تجعلهم في أعلى سلم الأجناس والأقوام والجماعات، وهذا ما جعل التاريخ اليهودي مليء بالصدامات مع غيرهم، وعرض اليهود للكراهية والاضطهاد عبر التاريخ.
- يقوم الإسلام على جملة من المبادئ والقيم التي تضبط العلاقة مع غير المسلمين، وتجعل من التعايش السلمي بين الأمم والأفراد حقيقة مجسدة، من خلال جملة من القيم تختص بتعامل المسلم مع أخيه المسلم أو مع غير المسلم، عل أساس قيم الكرامة الإنسانية، وجعل السلم أساس كل العلاقات الإنسانية وبين الشعوب والأمم، وقيم التسامح والإخاء والاحترام، والوفاء بالعهود والمواثيق، والحرية التي منحها الإسلام لغير المسلمين في بلاد الإسلام.

- أعادت الشخصية الصهيونية المعاصرة استحداث كل القيم التوراتية الانفصالية والعنصرية والعدوانية لتبني بها الشخصية اليهودية المعاصرة على قيم العنف والظلم والاقصاء والصدام وشن الحرب والابادة على غير اليهود.
- يرى الإسلام ونص القرآني المقدس والسيرة النبوية الحرب ظاهرة استثنائية غير مرغوب فيها، بل هي آخر الحلول التي يلجأ إليها المسلمون لرد العدوان أو دفع الظلم ونصرة الحق، وإقامة أسس العدل، ومع ذلك خصها القرآن الكريم بجملة من القيم التي تحفظ الإنسانية وتحمي فيها النساء والأطفال والشيوخ ورجال الدين، والنهي عن اهانة الإنسان أو عدم احترام القتلى، ونصت على قوانين تحمي الأسرى، وتغليب قيم السلم والرحمة والاحسان والعفو.
- للخطاب القيمي الأخلاق أهمية محورية في النصوص المقدسة لا تقل أهمية عن الخطاب العقدي والتشريعي، بل إنّ القيم والأخلاق هي ثمرة الاعتقاد والتشريع، وهي الجانب الظاهري التطبيقي للإيمان بكل نص ديني مقدس.
- إنّ المادية اليهودي أفقدت الإنسان جميع الروحانيات الدينية والتعبدية، فمختلف المعتقدات والأحكام والعبادات المنصوص عليها في النص التوراتي مفرغة من دلالاتها الروحية.
- الصهيونية المعاصرة –آخر المراحل التي مرّ بها التاريخ اليهودي– عملت على تجسيد القيم التوراتية المحرفة التي بنيت على التمييز والاعتزال والعنصرية، وعمقت القيم المادية وافراغ التوراة من روحية تعاليمها، وأكدّت على روح تقديس الشعب اليهودي وعمقت قيم العنصرية والعدوانية والانغلاق والتوجس والتعصب من كل ما هو غير يهودي.
- أقامت الحضارة الإسلامية أسسها على تعاليم القرآن الكريم الذي وازن فيها بين سنن الاستخلاف الإنساني على الأرض و الإبداع المادي، وبين رصيد ضخم من القيم الإنسانية والروحية التي توجه وتقود وتحيط هذا التفاعل بين الإنسان والكون.
- أقام القرآن الكريم المجتمع الإسلامي على قيم الوحدة والعدل والمساواة والمحبة والصدق والإخاء والخير والتعاون والرحمة والإحسان ونبذ التفرقة العنصرية، والرفع من كرامة الإنسان وجعله خليفة الله في الأرض لعمرانها وتجسيد القيم الإلهية عليها.

- إنّ الحضارة المعاصرة تعيش إغراقا ماديا رهيب، غُيبّت فيه القيم الروحية التي تنبثق من النصوص المقدسة الإلهية الصحيحة التي لم تطلها يد التحريف والتغيير، وهذا ما أنتج مجتمعات إنسانية نفعية تتعامل بموجب المصالح فقط، وشيئت الإنسان وجعلت منه جزءا ماديا كغيره من السلع والماديات، فقد فيها الإنسان قيمه وأخلاقه، وأضحت علاقات الإنسان مع غيره مثل العلاقات بين الأشياء.

ب. التوصيات:

- يحتاج عالمنا المعاصر المغرق في المادية عودة جادة إلى النصوص الإلهية المقدسة الموجه الأول للفرد في عقيدته وعبادته وأخلاقه وعلاقاته ومعاملاته، لربط واقع الإنسان الحالي بالدلالات الروحية لحياة الإنسان في كل جوانب حياته، ولهذا يعد هذا البحث خطوة متواضعة لتجسيد هذا المطلب، ولا يزال يحتاج بحوثا مدعمة تحليلية وتأصيلية لكيفية ربط هذه القيم الروحية بحياة الفرد في مختلف جوانبها.
- وتعّد النصوص المقدسة زاد ضخم لمختلف المعارف العقدية والتشريعية والأخلاقية، التي توجه حياة الفرد لسنن الاستخلاف في الكون، ولذا فدعوة مني للعودة إليها بالتحليل والاستخلاص والبيان لفهم هذه التعاليم ودلالاتها.
- القيم لفظة متمددة بين مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والنفسية والفلسفية والأخلاقية، وهذا البحث يسلط الضوء على جانب واحد وهو القيم الروحية المعنوية الأخلاقية ضمن القرآن الكريم والتوراة، فتوجيه الدراسات والبحوث إلى تناول جوانب أخرى للقيم وضمن نظم دينية أخرى، يساعد على فهم المصطلح وتوسيع الدراسات المرتبطة به.

هذا وما كان من توفيق وسداد فهو من الله تعالى وبركته علي، وما كان من خطأ أو نسيان أو سهو فهو مني ومن الشيطان الرجيم.

والحمد لله رب العالمين

المخلصات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

لقد كان تأسيس النصوص المقدسة للقيم الروحية تأسيسا عميقا ومحوريا، ربطت فيه القيم الروحية بالجوانب العقدية والتشريعية والأخلاقية والسلوكية للمؤمن، وأضحى لكل عقيدة أو تشريع أو حكم من أحكام الشريعة بعده الروحي والقيمة الروحية التي يؤسس لها، وكذلك كان شأن التوراة والقرآن الكريم النصين المقدسين المؤسسين للديانتين اليهودية والإسلام على التوالي.

ارتبطت القيم التوراتية ارتباطا وثيقا بالعقائد والتاريخ اليهودي، وتناقضت بتناقض النصوص التوراتية وأحكامها، فنجدها ترسي قيما روحية ترتكز على قيمة التوحيد والتقوى والإخلاص لله والأمر بتزكية النفس وتطهيرها وترفعها على الماديات، إلا أنّ التاريخ اليهودي يظهر لنا عكسها، فهو لطالما ارتبط بالشرك بالله، وتأسيس العقائد اليهودية على الملك الأرضي والمادي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد النصوص المقدسة التوراتية كذلك تنص على جملة من القيم الروحية الأخلاقية الداخلية تنظم حياة اليهودي مع أخيه اليهودي كالصدق والرحمة والإحسان والعفة والتعاون والتسامح والعدل، لكنها قيم داخلية إذا ما تعدته لغير اليهودي تغيّرت إلى نقيضتها تماما، فنجدها تتسم بالعنصرية والاستعلاء وخلق العداوة في كل العلاقات والحالات التي تربط بين اليهودي وغيره.

لقد كان القرآن الكريم منهاج حياة متكامل عقديا وتشريعيا وأخلاقيا، أسس لمنظومة قيمية متكاملة، لا يمكن أن تلحظ فيها أي تناقض أو نقص بين طياتها، وهذا ما لمسناه في القيم القرآنية المتكاملة فهي تنطلق من قيم روحية إيمانية كالتوحيد والتقوى والإخلاص وتزكية النفس هذه الأخيرة التي عنيّ بها القرآن الكريم بشكل خاص لأنها مكمن الخير والشر في الإنسان، ومنها ينبع السلوك البشري وأساس أخلاقه، فخصها بالتطهير والترفع عن الماديات ووصلها بالإيمان الروحي، لنبني من خلال القرآن الكريم وفي هذا البحث منظومة أخلاقية روحية واجتماعية متكاملة، تنطلق من تعامل المسلم مع أخيه المسلم وفق قيم الصدق والرحمة والإحسان والعفة وكلها قيم تنطلق من بعدها الروحي الإيماني المرتبط بالعقيدة الإسلامية إلى بعدها المادي السلوكي، كما ينبي البحث ومن خلال القرآن الكريم كذلك منظومة قيمية لتعامل المسلم مع غير المسلم، سواء في حالة السلم والتعايش وهي الأساس الدائم الذي يقيمه القرآن الكريم، أو في حالة الحرب، وكلها قيم تقوم على تقبل الآخر والتعايش معه، والتسامح واثبات الحقوق والواجبات، وإقامة العدل القرآني المتكامل دينيا واجتماعيا واقتصاديا.

Abstract:

The spiritual values were founded by the sacred texts on a deep and central basis, which linked them with legislative aspects, moral and behavioral and that's why we find that each creed, has a legislation rule of Sharia law in several spiritual value, as well as the Torah and the Quran, holy texts founders of religions, Judaism and Islam respectively.

The Biblical values related with faith and Jewish history, And contradicted the contradiction between Biblical texts and their provisions, they Setting spiritual values based on the value of monotheism and piety and devotion to God and self-reference and cleared and mount it on materialism, But Jewish history shows us the opposite , it has always been associated with infidelity with God,such us: we find that first the Jewish dogmas establishing on the ground and physical domain, second we find the biblical Scriptures also stipulates a sentence of internal moral spirituality Jewish life organized with Jewish brother like honesty, compassion, charity and chastity And cooperation, tolerance and justice, but they are internal values; if non-Jewish blast changed to its opposite perfectly, and find it racist and patronizing, creating hostility in all relationships and situations that connect between Jewish and other.

The Qur'an was an integrated life platform and nodal legislatively and morally integrated, value system, cannot see any inconsistency or lack of carries, and that is what we have witnessed in Koranic values are integrated from the spiritual values of faith as uniformity and piety and sincerity, the latter of which self-reference By the Qur'an particularly because she makes good and evil in humans, which stems human behavior and the basis of morals, summed it up with cleansing and rise above the materialist and connected to the spiritual faith, build through in this research by the Qur'an a spiritual and ethical social system, proceeds from the deal A Muslim with a Muslim brother according to the values of honesty, compassion, charity and chastity and all values emanate from the spiritual dimension of faith related to the Islamic faith and to the physical dimension, behavioral research and respect through.

the Holy Quran treats the values between Muslim and non-Muslims, whom live both in peace coexistence And permanent basis. And even in war, all values based on acceptance, coexistence, tolerance and establish

rights and duties, and Quranic justice religiously, socially and economically integrated.

Résumé

L'établissement des textes sacrés des valeurs spirituelles était profond et central, dans lequel les valeurs spirituelles étaient liées aux aspects nodales, législatifs, moraux et comportementaux du croyant, et chaque doctrine, législation ou disposition de la charia a sa dimension spirituelle et la valeur spirituelle à laquelle il a été fondé, ainsi que La Torah et le Coran ; les deux textes sacrés fondateurs des religions juive et islamique, respectivement.

Les valeurs bibliques étaient étroitement liées aux doctrines et à l'histoire juive, et contredisaient avec la contradiction des textes bibliques et de leurs dispositions, et elles les ont trouvées établissant des valeurs spirituelles basées sur la valeur du monothéisme, de la piété et de la dévotion à Dieu, et ordonnant que le soi soit loué, purifié et élevé sur le matérialisme, mais l'histoire juive nous montre le Contraire de ces valeurs biblique, elle a toujours été associée à la polythéisme de Dieu, et à l'établissement de croyances juives sur ce propriété de terre et matériel, d'une part, et d'autre part nous trouvons des textes sacrés bibliques qui prévoient également un ensemble de valeurs spirituelles morales internes qui régulent la vie du Juif avec son frère juif comme l'honnêteté, la miséricorde, la charité et la chasteté , la coopération, la tolérance et la justice. Mais ceux sont valeurs internes, si elles dépassent les non-juifs, elles seront changées au contraire complétement, et elles sont caractérisées par le racisme, la supériorité et l'hostilité dans toutes les relations et situations entre le Juif et l'autres.

Le Coran était une mode de vie intégrée, contractuellement , également, éthiquement, et fondé un système de valeurs intégré, dans lequel il n'y a pas de contradiction ou de carence entre eux, et voilà ce que nous avons vu dans les valeurs coraniques intégrées, qui sont basées sur des valeurs spirituelles de foi telles que le monothéisme, la piété, la fidélité et l'auto-recommandation que le Coran s'en préoccupe particulièrement parce qu'il est le source du bien et du mal chez l'homme, d'où le comportement humain provient de la base de sa morale, il l'a distingué en le nettoyantant et en le soulevant du matérialisme et en le reliant à la foi spirituelle, pour construire à travers le Saint Coran et dans cette recherche un système moral, spirituel et social intégré, à partir du traitement entre Le musulman et son frère musulman conformément aux valeurs d'honnêteté, de miséricorde, de charité et de chasteté, qui sont tous des valeurs qui vont de la dimension spirituelle de la foi liée à la foi islamique à sa dimension comportementale matérielle, comme suggéré par la recherche et à travers le Saint Coran ainsi que d'un système de valeurs pour traitement entre les musulmans et les non-musulmans, à la fois dans le cas de la paix et la coexistence. C'est la base permanente du Saint Coran, ou en cas de guerre, toutes les valeurs fondées sur l'acceptation et la coexistence avec les autres, la tolérance et la preuve des droits et devoirs, et l'administration de la justice coranique complète religieusement, socialement et économiquement intégrée.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس
آيات القرآن
الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾	2	83
﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧ ﴾	57	214
﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠ ﴾	60	258
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴾	83	178
" ولبيس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"	102	85
﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ ...﴾	103	85
﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾	111	120
﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ...﴾	112	96 175
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ... ﴾	123	215
﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	131	96
﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ... مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾	151	121
﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ...﴾	193	242
﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ ... ﴾	194	256 278
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ... فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦.﴾	204	93
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ... ﴾	216	254
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ... ﴾	256	242
﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ	273	193

﴿ ﴿٢٧٣﴾		
سورة آل عمران		
﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾	17	144
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	18	214
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ... بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	64	215
﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	95	138
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	102	68
﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ... إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	120	90
﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟... مِّن ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾	125	90
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ... وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	134	180 275
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	159	174
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ...لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾	164	22 121
﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ ... أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	172	85
سورة النساء		
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ ... ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾	3	215
﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ ... وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾	6	194
﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ... أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾	15	197
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ	49	120

فَتِيلًا ﴾		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾	58	215 218
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ... وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾	69	144
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ... وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾	87	-138 138
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾	94	255
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾	122	138
﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ...وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾	125	175
﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا ... فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾	128	85
﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾	131	83
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ... خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾	135	220
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ... وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾	146	102
سورة المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ... ﴾	1	242
﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ... ﴾	2	88
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ... ﴾	8	91 222
﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾	18	120

﴿ .. مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ... ﴾	32	278
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	35	87
﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾	42	219
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾	48	173
﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ... وَّٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	93	84
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ... وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾	65	85
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	96	66
﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ... ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	112	86 139
﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ... وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾	113	140 149
﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾	116	108
سورة الأنعام		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾	1	215
﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾	40	104
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	115	138

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ...﴾	152	216
سورة الأعراف		
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾	29	105
﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾	78	47
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ... بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾	96	86
سورة التوبة		
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ....ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾	6	243
﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾	29	244
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	119	91
سورة يونس		
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴾	2	145
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ... لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	22	103
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾	-62 64	86
سورة هود		
﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾	-67 68	47
﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ... مُفْسِدِينَ﴾	85	220
سورة يوسف		

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا .... إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾	24	106
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾	46	143
﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾	57	87
﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ... فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	90	91
سورة الرعد		
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ .... فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾	-23 24	
﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾	34	62
سورة الحجر		
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾	29	108
﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	40	106
سورة النحل		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ... يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	90	181 216 269
﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ... إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ 2﴾	91	243 258
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ... وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ...﴿١٢٥﴾ ﴾	125	242
سورة الإسراء		
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ... فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾	16	192
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ... وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾	-23 24	177
﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾	24	178

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾	32	197
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ... خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾	70	240 281
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ... ﴿٨٠﴾ ﴾	80	145
﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ .... كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾	-86 87	172
سورة الكهف		
﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ... وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾	28	118
﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾	81	107
سورة مريم		
﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾	-13 14	178
﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾	32	178
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾	41	143
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾	51	94 105
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾	54	143
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾	56	143
سورة الأنبياء		
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	83	171
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	107	174
سورة المؤمنون		

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾	4	107
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ... طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	2	197
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ... وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾	21	115
﴿...وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ... ﴾	-32 33	195
﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحًا ... وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠﴾	60	196
سورة النمل		
﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾	53	87
﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ ﴾	77	174
سورة القصص		
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ ... لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾	43	172
سورة العنكبوت		
﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾	51	173
﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾	65	104
سورة الروم		
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ... لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾	21	176
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ... بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾	33	171

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ ... إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦ ﴾	36	171
﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ... وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾	50	169
سورة لقمان		
﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ... وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾	22	176
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ ... إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢ ﴾	32	104
سورة الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ... كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾	1	63
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ ﴾	22	139
﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ... إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤ ﴾	-23 24	140
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾	70	102
سورة فاطر		
﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ... وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾	2	86 170
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ... وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	18	119
﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ... ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾	32	269
سورة يس		
﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾	52	139
سورة ص		

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ... ﴿٢٦﴾ ﴾	26	207
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	-82 83	115
سورة الزمر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	2	103
﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ... لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾	3	101 143
﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾	11	103
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ... أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	-32 33	141
﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ ﴾	56	108
سورة غافر		
﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا...﴾	7	170
﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	14	104
﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾	67	104
سورة فصلت		
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ... وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	6	10
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ... ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾	30	87
﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ... كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾	-34 35	180
سورة الشورى		

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ... ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾	15	219
﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	40	269
سورة الزخرف		
﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ... خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾	32	169
﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾	67	93
سورة الأحقاف		
﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ ... وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ ﴾	12	172
﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ ...إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ ﴾	15	177
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ... إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾	13	83 240 280
سورة ق		
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾	16	23
سورة الطور		
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٍ ... عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	17-18	92
﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ ﴾	27	92
سورة النجم		
﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾	29	120
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ... هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ	32	118

﴿ ﴿٣٢﴾ ﴾		
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾	50- 51	47
سورة الرحمان		
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ... وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴾	7- 10	218
﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	178
سورة الحديد		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	28	88
سورة المجادلة		
﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾	8	108
سورة الحشر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ...بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	18	66
سورة الممتحنة		
﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾	8- 9	255
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾	2	22
سورة التغابن		
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ... ﴿١٦﴾ ﴾	16	-67 88 269
سورة المدثر		
﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾	56	66

﴿		
سورة الإنسان		
﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾﴾	11	93
سورة الفتح		
﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا ... ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾	27	139
سورة الانفطار		
﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	7	116
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ... وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾	7-1	118
سورة الأعلى		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾	14	117
سورة الفجر		
﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾﴾	7 -6	47
سورة الشمس		
﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾	10-7	116
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ	5	95 -10 104

فهرس

الأحاديث

النبوية الشريفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الرقم	الكتاب	الصفحة
«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»3	48	صحيح البخاري	84-119
"ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس"	6446		118
"إنّ الصدق يهدي إلى ... وإنّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا"	6094		142
"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن"	2475		142
"من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"	6013		177
«ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»	6114		180
"إن اللهَ يحبُّ الحيِيَّ الحليمَ العفيفَ ويبغضُ الفاحشَ البذيءَ السائلَ الملحِفَ إن الحياءَ من الإيمانِ والإيمانُ في الجنةِ والفحشُ من البذاءِ والبذاءُ في النارِ "	2018		193
"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"	5065		195
"من قتل نفسا معاهدا لم يرح ريح الجنة"	6914		243
"الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ"	2553	صحيح مسلم	89
"لا يرحم الله من لا يرحم الناس"	2319		174
«إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»	1955		181
"الإسلام علانية والإيمان في القلب"	5	ابن أبي	96

	شيبة		
"والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيمّ قالو يا رسول الله: كلنا يرحم، قال: "ليس برحمة أحدكم صاحبه ، يرحم الناس كافة"	البيهقي		
"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"		20782	275
"اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"	سنن الدارمي	2833	178
"من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الجور شاء"	سنن ابن ماجه	4186	178
"انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا ولا امرأة، ولا تغُلُّوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين"	أبو داوود	2614	256
"السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ... أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل"	الترميذي		178
"لا يفتح أحد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، ومن يستغن يغنه الله... خير له من أن يسأل الناس"	مسند عمر	19/1	194
"يا أيُّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وإنَّ أباكم واحدٌ ألا لا فضلَ لِعَربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعَجميٍّ على عربِيٍّ ولا لِأحمرَ على أسودَ ولا لِأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوى"	الصحيح المسند	1536	240
"لا تقتلوا امرأة ولا وليدا"	الطحاوي	1413	257

فهرس

فقرات

العهد القديم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس فقرات العهد القديم

طرف الفقرة	الإصحاح	الرقم	الصفحة
سفر التكوين			
" وحدث بعد أيام أنّ قايين قدّم من أثمار الأرض قربانا للرّب"	4	3	97
"كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ"	6	9	78
"وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ ... لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ"	9	6-5	153 155
"وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ ... وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ"	12	3-1	99
"وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ ... لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا"	13	17-14	74
"وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لأَبْرَامَ: «أَعْطِنِي النُّفُوسَ ... فَهُمْ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ"	14	24-21	151
"وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، ... وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ"	17	9-7	100
"وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ ... فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ"	18	5-3	167
" فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ... لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ»		19-17	78
"لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ"		19	209
"حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ ... أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟"		25	209
"وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ... وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي"	20	2-1	134

" فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي"	22	13	63
"وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «إِنْ كَانَ فِي نُفُوسِكُمْ أَنْ أَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي، فَاسْمَعُونِي وَالْتَمِسُوا لِي مِنْ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ"	23	8	113
فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي.... قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ"	27	35-1	136
"الذي تجد آلهتك معه لا يعيش"	31	32-30	159
" ثُمَّ قَالَ شَكِيمُ لأَبِيهَا وَلإِخْوَتِهَا: «دَعُونِي أَجِدْ نِعْمَةً فِي أَعْيُنِكُمْ. فَالَّذِي تَقُولُونَ لِي أُعْطِي... لأَنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّسَ دِينَةَ أُخْتَهُمْ"	34	13-8	189
"فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ... وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ"	34	29-25	189
" لماذا يتكلم سيدي مثل هذا الكلام" حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر الذي يوجد معه من عبيدك يموت..."	44	9-7	160
وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: «اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، ... مِنْ بَعْدِكَ مُلْكًا أَبَدِيًّا"	48	5-4	74
سفر الخروج			
"فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ... فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ»	2	6-5	152
"ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ"	3	6	79
"بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ"		22	160
"وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيونِ الْمِصْرِيِّينَ ... وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ"		22-21	169 227
"فأجاب موسى وقال: ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي، بل يقولون: لم يظهر لك الرّب"		1	136

"لكي يصدقوا أنّه قد ظهر لك الرّب إله آبائهم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"	4	5	136
" فيكون إذا لم يصدّقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى، وأنهم يصدّقون صوت الآية الأخيرة"		8	136
وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا"	6	7	229
"فَقَالَ مُوسَى: «لاَ يَصْلَحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟"	8	26	98
"نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا"		27	98
"تَكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَب"	11	3	227
"فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ"	19	5	100
"فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً"		6-5	184
"ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً: أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ... لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً"2	20	7-1	71 73
لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَزْنِ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ"		17-13	162 230
"لا تقتل"		13	153
" أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُك"		12	157

"لا تشهد على قريبك شهادة زور"	20	16	131
"لا تشته بيت قريبك ... ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك"		17	187
" فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا، لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا"		20	78
"من جذب إنسان فمات يقتل قتلا"	21	12	155
"وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت"		14	155
"وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ ... وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً"		15	157 162
"وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلاً"		16	156 159
"وَإِذَا رَاوَدَ رَجُلٌ عَذْرَاءَ ... كَمَهْرِ الْعَذَارَى"	22	17-16	185
"لاَ تُسِئْ إِلَى أَرْمَلَةٍ مَا وَلاَ يَتِيمٍ"		22	161
"وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"		21	225
"لاَ تَقْبَلْ خَبَرًا كَاذِبًا... لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"	23	9-1	132 226
"لاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ"		3	209
"إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا، ... فَلاَ بُدَّ أَنْ تَحُلَّ مَعَهُ"		5-4	160
"اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ، وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ، لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ"		7	131
"وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ"		8	209
"وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ... هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"	32	6-1 و 8	76

"فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ"	33	19	150
"الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ، ... فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ"	34	7-6	150
"اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا لِئَلاَّ يَصِيرُوا فَخًّا فِي وَسَطِكَ"		12	232
"اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ"		15	232
"لا تشته أحد أرضك"2		24	187
" وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً، فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ"		28	70
سفر اللاويين			
"إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ، وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوبًا، أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ"	6	2	166
"إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ"	11	44	184
"وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ... لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ"	12	10	134
"لا تقف على دم قريبك"	16	19	133
"لاَ يَقْتَرِبْ إِنْسَانٌ إِلَى قَرِيبِ... لِئَلاَّ تُدَنِّسَ اسْمَ إِلهِكَ. أَنَا الرَّبُّ"	18	21 -6	186
"وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ... إِنَّهُ رَذِيلَةٌ"		17-1	186
"تحب قريبك كنفسك"		19	133
"وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ، وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ، وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"	19	10-9	165
" لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يخدع أحد قريبه"		11	130 158
"لاَ تَغْصِبْ قَرِيبَكَ وَلاَ تَسْلُبْ، وَلاَ تَبِتْ أُجْرَةُ أَجِيرٍ عِنْدَكَ إِلَى		13	158

الْغَدِ"		19	
"اخْشَ إِلهَكَ"	14		79
"لاَ تَشْتِمِ الأَصَمَّ، وَقُدَّامَ الأَعْمَى ... اخْشَ إِلهَكَ. أَنَا الرَّبُّ"	14		160
"لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلاَ تَحْتَرِمْ وَجْهَ كَبِيرٍ، بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ"	15		210
"لاَ تَسْعَ فِي الْوِشَايَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ. لاَ تَقِفْ عَلَى دَمِ قَرِيبِكَ"	16		168
"لاَ تُبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. إِنْذَارًا تُنْذِرُ صَاحِبَكَ، وَلاَ تَحْمِلْ لأَجْلِهِ خَطِيَّةً"	17		161
"لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ"	18		161
		19	
"مِنْ أَمَامِ الأَشْيَبِ تَقُومُ وَتَحْتَرِمُ وَجْهَ الشَّيْخِ"	32		160
"وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ"	33		226
"كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ... وَتَعْمَلُونَهَا. أَنَا الرَّبُّ"	37-34		225
"لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ"	35		159 211
"يقتل قتلا"	9	20	166
"كُلُّ إِنْسَانٍ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. قَدْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ"	9		154 157 162
"وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ... لِكَيْ لاَ يَكُونَ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمْ"	14-10		184
"وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبة"	10		185
"وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ، لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي حَصَادِكَ، وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"	22	23	165

"إِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ فَبَاعَ مِنْ مُلْكِهِ، يَأْتِي وَلِيُّهُ الأَقْرَبُ إِلَيْهِ وَيَفُكُّ مَبِيعَ أَخِيهِ"			175
"وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ"			161
"وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ، لاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ، فِضَّتَكَ لاَ تُعْطِهِ بِالرِّبَا، وَطَعَامَكَ لاَ تُعْطِ بِالْمُرَابَحَةِ"	25	36-35	166 231
"وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد... تستعبدونهم إلى الدهر"			231
سفر العدد			
"وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ ... فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَةَ»"	21	3-1	247
"فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكُوا أَرْضَهُ"		35	247
"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «انْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ... وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ"	31	11-1	277
" وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَحْصِ النَّهْبَ الْمَسْبِيَّ ... وَبَيْنَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ"		27-25	228
«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ... لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا"	33	53-51	151
"وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سُكَّانَ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبْقُونَ مِنْهُمْ ... أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا"		55	272
سفر التثنية			
"وَأَمَرْتُ قُضَاتَكُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: اسْمَعُوا ... وَالأَمْرُ الَّذِي يَعْسُرُ عَلَيْكُمْ تُقَدِّمُونَهُ إِلَيَّ لأَسْمَعَهُ"	1	17-16	210
" فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلهُنَا أَمَامَنَا، فَضَرَبْنَاهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ، وَأَخَذْنَا كُلَّ	2	34-33	272

مُدُنِهِ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، وَحَرَّمْنَا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ. لَمْ نُبْقِ شَارِدًا"			
"وَأَخْبَرَكُمْ بِعَهْدِهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرِ، وَكَتَبَهُ عَلَى لَوْحَيْ حَجَرٍ"	13	4	70
"فَاحْفَظُوا وَاعْمَلُوا. لأَنَّ ذلِكَ حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كُلَّ هذِهِ الْفَرَائِضِ، فَيَقُولُونَ: هذَا الشَّعْبُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ"	6		100
"لا تقتل"	17	5	153
"لا تسرق"	19		157
"وَلاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلاَ حَقْلَهُ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ"	21		159 187
" فتحب الرّب إلهك من كل قلبك ومن نفسك ومن كل قوتك"	5	6	72
"الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ"	13		78
"فَأَمَرَنَا الرَّبُّ أَنْ نَعْمَلَ جَمِيعَ هذِهِ الْفَرَائِضَ وَنَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَنَا، لِيَكُونَ لَنَا خَيْرٌ كُلَّ الأَيَّامِ، وَيَسْتَبْقِيَنَا كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"2	24		78 و 79
"وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ... لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"	6-2	7	232 279
"لا تشته ما عليها من الذهب والفضة"	25		187 187
"لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ"	3	8	282
"لاَ يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى إِنْسَانٍ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْ خَطِيَّةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْخَطَايَا الَّتِي يُخْطِئُ بِهَا، عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْرُ"	16-15	9	211
"فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ مِثْلَ الْكِتَابَةِ الأُولَى، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ ... وَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ إِيَّاهَا"	4		71

"فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلاَّ أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ ... أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لِخَيْرِكَ"			80
"وَلكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا الْتَصَقَ بِآبَائِكَ لِيُحِبَّهُمْ، فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ"	15	10	229
"الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا"	17		166
"وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ"	19-18		225
"الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، إِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِهِ تَلْتَصِقُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ"	20		66
"فلا تأكل النفس مع اللحم"	23	12	112
"وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ... الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ"	10-9	13	80 154
"أنتم أولاد للرّب إلهكم"	1	14	238
"لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"	2		100 228
"افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ"	11		165
" لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ"	11	15	161
"قُضَاةً وَعُرَفَاءَ تَجْعَلُ لَكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ... وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ"	20-18	16	210
"لاَ يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى إِنْسَانٍ فِي ذَنْبٍ مَا أَوْ خَطِيَّةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْخَطَايَا الَّتِي يُخْطِئُ بِهَا. عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ عَلَى فَمِ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَقُومُ الأَمْرُ"2	15		131 209
إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلَى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ... ، وَلاَ يَعُودُونَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ ذلِكَ الأَمْرِ الْخَبِيثِ فِي وَسَطِكَ"	20-16	19	131
"إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلَى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ... عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ، يَدٌ بِيَدٍ، رِجْلٌ بِرِجْلٍ"	21-17		212

"حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ... كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ"	20	17-10	154 249
"وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا"	20	16	273
" لا يسمع لقول أبيه ولا قول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما"	21	18	162
"لاَ تَنْظُرْ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَاقِعًا فِي الطَّرِيقِ وَتَتَغَافَلُ عَنْهُ بَلْ تُقِيمُهُ مَعَهُ لاَ مَحَالَةَ"	22	4	160
«إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْلٍ، يُقْتَلُ الاثْنَانِ... فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ"		24-22	184
"لاَ تَكُنْ زَانِيَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ، وَلاَ يَكُنْ مَأْبُونٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ"	23	17	189
"لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا"2	23	19	166 236
"لا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم بربا...في الأرض التي أنتم داخلون لتمتلكوها"		20	230
"بل اقرضوا الغريب بالربا ولا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم"		22	231
"إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَرَقَّهُ وَبَاعَهُ، يَمُوتُ ذلِكَ السَّارِقُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ"2	24	7	157 159
"لاَ تَظْلِمْ أَجِيرًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ... لِئَلاَّ يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ"		15-14	248
	24		
"لاَ تُعَوِّجْ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ، وَلاَ تَسْتَرْهِنْ ثَوْبَ الأَرْمَلَةِ.... لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ"		22-17	248
" لاَ يَكُنْ لَكَ فِي كِيسِكَ أَوْزَانٌ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ ... لأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذلِكَ، كُلَّ مَنْ عَمِلَ غِشًّا، مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ"	25	16-13	159 211
"فَالآنَ هأَنَذَا قَدْ أَتَيْتُ بِأَوَّلِ ثَمَرِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتَنِي يَا رَبُّ، ثُمَّ	26	11	97

تَضَعُهُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَسْجُدُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ"			
"ملعون من يستخف بأبيه وأمه"	27	16	162
"إِنْ لَمْ تَحْرِصْ لِتَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ الْمَكْتُوبَةِ فِي هذَا السِّفْرِ... لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ"	28	62-58	75
سفر يشوع			
"قَدْ طَرَدَ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ شُعُوبًا عَظِيمَةً وَقَوِيَّةً...عَنْكُمْ كَمَا كَلَّمَكُمْ"	23	10-9	249
"وَلكِنْ إِذَا رَجَعْتُمْ وَلَصِقْتُمْ بِبَقِيَّةِ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ... الَّتِي أَعْطَاكُمْ إِيَّاهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ"		13-12	237
ثُمَّ أَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فَحَارَبُوكُمْ، وَدَفَعْتُهُمْ بِيَدِكُمْ فَمَلَكْتُمْ أَرْضَهُمْ وَأَهْلَكْتُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ"	24	8	249
سفر القضاة			
"وصعد ملاك الرب من الجلجال إلى بوكيم وقال قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى التي أقسمت لآبائكم وقلت، لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد"	1	2	75
"وَقُلْتُ: لاَ أَنْكُثُ عَهْدِي مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ وَأَنْتُمْ فَلاَ تَقْطَعُوا عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ هذِهِ الأَرْضِ"	2	2	233
"قام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرّب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل، وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرّب وعبدوا البعليم"	2	11-10	76
"وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرّب، وتركوا الرّب وعبدوا البعل وعشتاروت"	2	13-12	77
سفر الملوك الثاني			
"بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ... بَلْ إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَهُوَ يُنْقِذُكُمْ مِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِكُمْ"	7	39-36	98
سفر أخبار الأيام الأول			
"هَبُوا الرَّبَّ مَجْدَ اسْمِهِ، احْمِلُوا هَدَايَا وَتَعَالَوْا إِلَى أَمَامِهِ، اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ"	16	29	98

سفر الأخبار الأيام الثاني			
" وَأَمَرَهُمْ قَائِلاً: «هكَذَا تَفْعَلُونَ بِتَقْوَى الرَّبِّ بِأَمَانَةٍ وَقَلْبٍ كَامِلٍ"	19	9	63
" وَجَعَلَ يَهُويَادَاعُ مُنَاظِرِينَ عَلَى بَيْتِ الرَّبِّ عَنْ يَدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ ... بِالْفَرَحِ وَالْغِنَاءِ حَسَبَ أَمْرِ دَاوُدَ"	23	18	30
سفر نحميا			
"فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قُرِئَ فِي سِفْرِ مُوسَى فِي آذَانِ الشَّعْبِ، وَوُجِدَ مَكْتُوبًا فِيهِ أَنَّ عَمُّونِيًّا وَمُوآبِيًّا لاَ يَدْخُلُ فِي جَمَاعَةِ اللهِ إِلَى الأَبَدِ"	13	1	30
سفر أيوب			
"رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ"	1	8	63
"فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ، رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ، فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ "		10-9	79
" أَلَيْسَتْ تَقْوَاكَ هِيَ مُعْتَمَدَكَ، وَرَجَاؤُكَ كَمَالَ طُرُقِكَ؟"	4	6	63
"عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ، الْقَدِيرُ لاَ نُدْرِكُهُ. عَظِيمُ الْقُوَّةِ وَالْحَقِّ، وَكَثِيرُ الْبِرِّ. لاَ يُجَاوِبُ، لِذلِكَ فَلْتَخَفْهُ النَّاسُ، كُلَّ حَكِيمِ الْقَلْبِ لاَ يُرَاعِي"	37	24-22	65
سفر المزامير			
"السَّالِكُ بِالْكَمَالِ، وَالْعَامِلُ الْحَقَّ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ، الَّذِي لاَ يَشِي بِلِسَانِهِ، وَلاَ يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ، وَلاَ يَحْمِلُ تَعْيِيرًا عَلَى قَرِيبِهِ"	15	3-2	132
"شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ لاَ يَنْجُو"	35	11	132
"رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ"	111	10	79
"اَلرَّبُّ عَاضِدٌ كُلَّ السَّاقِطِينَ، وَمُقَوِّمٌ كُلَّ الْمُنْحَنِينَ، أَعْيُنُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى، وَأَنْتَ تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ، تَفْتَحُ يَدَكَ فَتُشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضًى، الرَّبُّ بَارٌّ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَرَحِيمٌ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ"	145	16 ،14	165
"يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ، وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ، فَيُخَلِّصُهُمْ"	145	19	79
سفر الأمثال			

"أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ، فَتَمْتَلِئَ خَزَائِنُكَ شِبْعًا، وَتَفِيضَ مَعَاصِرُكَ مِسْطَارًا"	3	10-9	99
"لاَ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ"	3	27	161
"مَنْ يَحْتَقِرُ قَرِيبَهُ يُخْطِئُ، وَمَنْ يَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ فَطُوبَى لَهُ"	14	21	161
"الْفَقِيرُ السَّالِكُ بِكَمَالِهِ خَيْرٌ مِنْ مُلْتَوِي الشَّفَتَيْنِ وَهُوَ جَاهِلٌ، أَيْضًا كَوْنُ النَّفْسِ بِلاَ مَعْرِفَةٍ لَيْسَ حَسَنًا، وَالْمُسْتَعْجِلُ بِرِجْلَيْهِ يُخْطِئُ، حَمَاقَةُ الرَّجُلِ تُعَوِّجُ طَرِيقَهُ، وَعَلَى الرَّبِّ يَحْنَقُ قَلْبُهُ"	19	3-1	113
"شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ يَهْلِكُ		9	132
"" مَنْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يَنْطَفِئُ سِرَاجُهُ"	20	20	163
"مِقْمَعَةٌ وَسَيْفٌ وَسَهْمٌ حَادٌّ، الرَّجُلُ الْمُجِيبُ قَرِيبَهُ بِشَهَادَةِ زُورٍ"	25	18	132
سفر الجامعة			
"فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ"	12	13	66
سفر إشعيا			
" تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ، اطْلُبُوا الْحَقَّ، انْصِفُوا الْمَظْلُومَ، اقْضُوا لِلْيَتِيمِ، حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ"	1	17	81
"لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ"	11	9	113
"وتنسى الرّب صانعك، باسط السماوات ومؤسس الأرض، وتفزع دائما كلّ يوم من غضب المضايق عندما هيأ للإهلاك، وأين غضب المضايق؟"	51	13	69
"أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية ... أمّا أنتم أولاد المعصية نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام"	56	3و 4	191
سفر إرميا			
"حتى الرب الذي صنع لنا هذه النفس"	38	16	112
سفر هوشع			

"أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ"	3	2	187
سفر ميخا			
"واشتهوا الحقول وسلبوها"	2	2	159
"وَيْلٌ لِلْمُفْتَكِرِينَ بِالْبُطْلِ، وَالصَّانِعِينَ الشَّرَّ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ! فِي نُورِ الصَّبَاحِ يَفْعَلُونَهُ لأَنَّهُ فِي قُدْرَةِ يَدِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَشْتَهُونَ الْحُقُولَ وَيَغْتَصِبُونَهَا، وَالْبُيُوتَ وَيَأْخُذُونَهَا، وَيَظْلِمُونَ الرَّجُلَ وَبَيْتَهُ وَالإِنْسَانَ وَمِيرَاثَهُ"	2	2	187
سفر حبقوق			
"وَيْلٌ لِلْمُكْسِبِ بَيْتَهُ كَسْبًا شِرِّيرًا لِيَجْعَلَ عُشَّهُ فِي الْعُلُوِّ لِيَنْجُوَ مِنْ كَفِّ الشَّرِّ"	2	9	168
سفر الحكمة			
"طول ذلك الوقت كان أبناء شعبك الصالحون يقدمون لك الذبائح في السر..."	18	9	99
سفر يشوع بن سيراخ			
"ومن حفظ الشريعة يكثر من تقديم القرابين، ومن راعى الوصايا يقدم ذبيحة السلامة"	35	1	99
"الذي يخاف الرب لا يفتقر إلى شيء، ولا يحتاج إلى معونة أحد، مخافة الرب جنة مباركة ومجدها فوق كل المجد"	40	27-26	79

فهرس

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع[1]:

أ. الكتب المقدسة.

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

2. الكتاب المقدس: (العهد القديم والعهد الجديد) (مترجم عن اللغات الأصلية)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1997م.

3. بولس الفغالي وأنطوان عوكر: العهد القديم العبري (ترجمة بين السطور عبري – عربي)، الجامعة الأطوانية، لبنان، ط1، 2007م.

ب. كتب تفسير القرآن الكريم.

-أ-

4. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

5. أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1946م.

-ج-

6. ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

-j-

7. أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

-ر-

8. السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، د ب، ط3، 1873م.

-ش-

9. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

[1] – يتم ترتيب قائمة المصادر والمراجع ترتيبا ألفبائيا دون احتساب (أبو ، ابن).

-ع-

10. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

11. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: لطائف الإشارات – تفسير القشيري–، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط3، د ت.

12. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1964م.

13. علاء الدين بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.

-ف-

14. فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

15. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م.

-ق-

16. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1407هـ.

17. ابن القيم الجوزية: تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ.

-م-

18. مجموعة من المفسرين: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، دب، ط3، د ت.

19. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي–، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط4، 1997م.

20. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية، تونس، د ط، 1984م.

21. محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتوريدي: تفسير الماتوريدي – تأويلات أهل السنّة–، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

22. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.

23. محمد رشيد بن علي رضا: تفسير المنار، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1990م.

24. أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري: تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ.

-ز-

25. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.

-و-

26. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط2، 1418هـ.

27. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر ، دمشق، سوريا، ط1، 1422هـ.

ب. كتب السنة النبوية.

-ب-

28. أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (البزار): مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1988م.

29. أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان ، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، السعدية، والدار السلفية ، بومباي ، الهند، ط1، 2003م.

30. أبو بكر بن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1409هـ.

-ب-

31. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي: سنن أبي داوود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

-ز-

32. أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- صحيح مسلم بشرح النووي -، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط 1، 1930م.

-س-

33. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

-ع-

34. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي: السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

35. أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

-م-

36. ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د ط، د ت.

37. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

38. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

39. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي: سنن التِّرْمِذِيّ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.

40. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي: مسند الدارمي (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.

41. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

-هـ-

42. أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحي بن عيسى بن هلال التميمي: مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ط1، 1984م.

ب. المعاجم والموسوعات

-أ-

43. أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، 1960م.

44. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة: خليل أحمد خليل منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 2، 2001م.

45. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

-ج-

46. جلال الدّين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، د ط، د ت.

47. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبنابي ، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، دط، 1982م.

-خ-

48. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دب، د ط، د ت.

-ر-

49. ربحي كمال: المعجم الحديث عبري – عربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1992م.

-ف-

50. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.

-م-

51. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط3، 1980م.

52. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د ط، 1983م.

53. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مطابع الدار الهندسية، ط3، 1985م.

54. محمد السّيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ، مصر، د ط، د ت.

55. محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع

56. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2000.

57. مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، د ط، ط5، 2007م.

ج. الكتب والمراجع باللغة العربية.

-أ-

43. آ . كوهن: التلمود –عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول الأخلاق ، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء"، ترجمة: جاك مارتي، ترجمة إلى العربية: سليم طنوس، دار الخيار، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

44. ابراهيم الشهابي: استراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1997م.

45. إبراهيم الفني: التوراة تاريخا – أثريا – دينا، دار اليازوري، عمان، الأردن، د ط، 2009م.

46. ابراهيم يحي الشهابي: مفهوم الحرب والسلام في الإسلام –صراعات وحروب أم تفاعل وسلام، منشورات مؤسسة مي، ط1، 1990م .

47. أبكار السقاف: الدين في الهند والصين وإيران، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004م.

48. أحمد إدريس الطعان: العلمانيون والقرآن الكريم – تاريخية النص–، مكتبة و دار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2007م.

49. أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

50. أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.

51. أحمد ايبش: التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا، د ط، د ت.

52. أحمد حمدي أحمد علي: قيم الحرب في الإسلام –دراسة مقارنة بالقانون الدولي الإنساني، رسالة دكتوراه، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2012م.

53. أحمد فريد: التقوى الغاية المنشودة والدرّة المفقودة، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1993م.

54. أحمد فريد: تزكية النفوس وترتيبه كما يقرره علماء السلف – ابن رجب الحنبلي – ابن القيم– أبي حامد الغزالي–، تحقيق: ماجد بن أبي الليل، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

55. أحمد فؤاد الأهواني: تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد بن رشد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1950م.

56. أحمد فؤاد الأهواني: القيم الروحية في الاسلام، القاهرة، مجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، وزارة الأوقاف، 1962م.

57. أحمد محمد الفاضل: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن – دراسة ونقد–، مركز الناقد الثقافي، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.

58. أسامة عدنان يحي : الطقوس اليهودية قراءة في العهد القديم، أشور بانيبال للكتاب، بغداد ، العراق، ط1، 2018م.

59. اسرائيل شاحاك وآخرون: القلم الجريء، ترجمة: البرّاق عبد الهادي رضا، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.

60. إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات، بيروت، 1966م.

61. إسرائيل كوهين: الحياة اليهودية في العصر الحديث، ترجمة: محمد بن عودة المحيميد، مركز البحوث والتواصل المعرفي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2017م.

62. أسعد دياب وآخرون: القانون الدولي الإنساني – آفاق وتحديات- ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

63. الإسلام ومستقبل الحضارة: وجهة نظر إسلامية، كتاب المؤتمر العام التاسع، عمّان، الأردن، 1993م، مؤسسة آل البيت، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية.

64. أسوالد اشبنغلر: تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

65. أبو الأعلى المودودي: الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د .ط، 1980م.

66. آلاء محمد عصام مصباح عشا: الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م.

67. ألفت محمد جلال: العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود، مكتبة سعيد رأفت، مصر، د ط، 1974م.

68. ألن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة: نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م.

69. آليان .ج. ويد جرى: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط2، د ت

70. آمنة محمد نصير: إنسانية الإنسان في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1989م.

71. أنطونيوس فكري: تفسير سفر التكوين.

72. أنور الجندي: قراءة في ميراث النبوة إطار اسلامي للصحوة الإسلامية، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

73. أيمن عبد العزيز سلامة : المسؤولية الدولية عند ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، دار العلوم، مصر، د ط، 2006م.

-ب-

74. بدر العبري : القيم الخلقية والإنسان – رؤى وتأملات في المفاهيم القرآنية-، دار سؤال، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.

75. برت إم هرو: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة عن الهروغليفية: والس بدج، ترجمة إلى العربية: فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د. ط، د.ت.

76. بيير سيزاري بوري و سافيديو مارشينيولي: أخلاق كونية لثقافات متعددة، ترجمة: أحمد عدّوس، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

-ت-

77. توفيق محمد سبع: قيم حضارية من القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، د ت.

78. توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، دار الوفاء، القاهرة، مصر، ط1، 1988م.

-ج-

79. جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، ط1، 1984م.

80. جان فيركوتير: مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات، القاهرة، مصر، ط1، 1992م.

81. جميل خرطبيل: نقد الدّين اليهودي، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط2، 2007م.

82. جورجي كنعان: أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د ط، 1978م.

83. جوزف هـ . هرتس: خلاصة الفكر اليهودي عبر العصور، ترجمة: ألفريد يلور، دار بيبليون، جبيل، لبنان، د ط، 2007م.

-ح-

84. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدّين، مكتبة "كرياكه فوترا"، ساماراغ، إندونيسيا، د ط، د ت.

85. ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.

86. حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، سوريا، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

87. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1985م.

88. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د ط، 1971م.

89. حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د. ط، 1997م.

90. حمادة أحمد علي: فلسفة الدين اليهودي، نيو بوك للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2017م.

-خ-

91. خالد مسّور: الاقتباس والجنس في التوراة، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط 1، 1997م.

92. خالد مصطفى هاشم: الجريمة دراسة مقارنة بين الشريعتين اليهودية والإسلامية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2007م.

93. خزعل الماجدي: الدين المصري، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1999م.

94. خزعل الماجدي: إنجيل بابل، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998م.

95. خزعل الماجدي: متون سومر الكتاب الأول التاريخ – الميثولوجيا- اللاهوت – الطقوس-، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998م.

96. خليل عبد الرحمان المعايطة: علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000م.

97. الخوري بولس الفغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، جمعية الكتاب المقدس، المكتبة البولسية، لبنان، ط2، 2009م.

-د-

98. د. جوزف و هـ. هرتس: خلاصة الفكر اليهودي عبر العصور، ترجمة: ألفريد يلور، دار ومكتبة بيبلون، جبيل، لبنان، د ط، 2007م.

99. ديريك كندر: التفسير الحديث للكتاب المقدس – العهد القديم – سفر التكوين -، ترجمة: بخيت متى، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1995م،

-ر-

100. الرافعي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف، د ط، د ت.

101. رجا عبد الحميد عرابى: سفر التاريخ اليهودي، دار الأوائل، دمشق، سوريا، ط2، 2006م.

102. رشاد الشامي: الشخصية اليهودية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، د ت.

103. رشاد الشامي: الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء، مصر، 1993م.

104. رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، د ط، 2002م.

105. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة ناشرون، لبنان، د ط، 1999م.

106. رفيق حبيب: المقدس والحرية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

107. روبن فايرستون وآخرون: ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين، ترجمة: عبد الغني بن إبراهيم، معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان، اللجنة اليهودية الأمريكية، الولايات المتحدة الأمريكية، د ط، د ت.

108. روجيه كايوا: الإنسان والمقدس، ترجمة : سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

109. رودولف أوتو : فكرة القدسيّ، دار المعارف الحكمية، لبنان، ط1، 2010م.

110. رولان دوفو: بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد 42، 2010م.

111. ريمون رويه: فلسفة القيم، ترجمة : عادل العوا، مطبعة دمشق ، د ط، 1960م.

-ز-

112. زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.

113. زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

-س-

114. سامي خشبة: مصطلحات فكرية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، د ط، 1997م.

115. ستانوود كب: المسلمون في تأريخ الحضارة، ترجمة: محمد فتحي عثمان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1982م.

116. سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف: التعريفات الاعتقادية ، مدار الوطن، د ب، ط2، 2011م.

117. سعد بن منصور بن كمونه اليهودي: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية – المسيحية – الإسلام ، دار الأنصار، د ط، د ت.

118. سعدون محمود الساموك: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – العقائد–، دار المناهج، عمان ، الأردن، ط1، 2002م.

119. سليم حسن: مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1992م.

120. سليمان مظهر: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 2002م.

121. سمير أديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، د د ن، د ب، د ط، 1997م.

122. سهيل قاشا: أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، دار بيسان، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

123. سهيل قاشا: حكمة أحيقار وأثرها في الكتاب المقدس، دار دمشق، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

124. السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب – تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د .ط، د.ت.

125. سيد فرج راشد: دراسات في الصهيونية وجذورها، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت.

126. سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، مصر، د ط، د.ت.

127. ابن سينا: النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1939م.

-ص-

128. صابر طعيمة: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1979م.

129. صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ط1، 1994م.

130. صلاح الدين بيومي رسلان: القيم في الإسلام بين الذاتية وموضوعية، دار الثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 1990م.

131. صلاح قنصوه: نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، لبنان، د ط، 2010م.

132. صموئيل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، مؤسسة الخانجي، القاهرة ، مصر، د.ط، .ت.

-ط-

133. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (دون معلومات النشر) .

-ع-

134. عادل العوّا : العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات، دمشق، سوريا، ط1، 1986م.

135. عادين شتينزلتس: معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة: مصطفى عبد المعبود سيد، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، العدد 19، 2006م.

136. عباس شومان: العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.

137. عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، دار الهلال، د ب، د ط، د ت.

138. عبد الحكيم الذنون: التشريعات البابلية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 1992م.

139. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد – مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 363 ق.م–، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، د ط، 1330هـ

140. عبد الرحمان حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط5، 1999م.

141. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،(د. م . ن).

142. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون – الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر–، تحقيق: أ. م. كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د ط، 1996م

143. عبد الرزاق رحيم صلال الموحي: حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج، د ب، د ط، د ت.

144. عبد الرزاق نوفل: الرحمن الرحيم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

145. عبد الستار الراوي: الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، د.ط، 2002م.

146. عبد الستّار فتح الله سعيد: مختصر معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، ط1، 1995م.

147. عبد العزيز صالح: الأسرة المصرية في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1988م.

148. عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د .ط، 1992م.

149. عبد الغني عماد: سوسيولوجيا الثقافة – المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م،

150. عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم – دراسة نفسية-، ارتقاء القيم – دراسة نفسية-، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1978م.

151. عبد الله موسى: فلسفة القيم الأصول والامتدادات، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2018م.

152. عبد المنعم الحنفي: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، د ب، د ط، د ت.

153. عبد الوهاب المسيري و عزيز العظمة: العلمانية تحت المجهر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000م.

154. عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط د، 1982م .

155. عبد الوهاب المسيري: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2006م .

156. عبد الوهاب بن منصور:" الحضارة والأخلاق"، الإنسان ومستقبل الحضارة وجهة نظر إسلامية، المؤتمر العام التاسع، المؤتمر العام للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمّان ، الأردن، 1993م.

157. عبد الوهاب عزام: أخلاق القرآن، مكتبة النور، مصر، د. ط، د.ت.

158. عبير سهام مهدي: التعصب في الفكر الصهيوني، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2012م.

159. عروبة جبار الخزرجي: القانون الدولي لحقوق الإنسان، دار الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2010م.

160. عفاف مسعد العبد: دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، د ت.

161. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.

162. علي حسن الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1994م.

163. علي خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ب، د ط، 1997م.

164. علي زيعور: الفلسفة في الهند – قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصّين–، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

165. علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الفجالة، مصر، ط1، 1964م.

166. ابن عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، د.ت.

167. عمر عبد الحي: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1999م

168. عيسي دبّاح: موسوعة القانون الدولي، دار الشروق، عمان، الأردن، 2003م.

-غ-

169. غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

-ف-

170. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 3، 1988م.

171. فؤاد بن سيد عبد الرحمان الرفاعي: حقيقة اليهود، (دون معلومات النشر).
172. فوزي درويش: الشرق الأقصى الصين واليابان (1853- 1972) ، دار الكتب المصرية، مصر، ط3، 1997م.
173. فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية،- مع بحث ميدان لبعض العادات الاجتماعية-، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.

-ق-

174. أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.
175. أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيّد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
176. قسم الدراسات لدار الجليل: مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخوص صهيونية، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، د ط، د ت.
177. ابن القيم الجوزية: الرسالة التبوكية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار علم الفوائد، د ب، د ط، د ت.
178. ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1463هـ.

-ك-

179. كامل سعفان: المعتقدات الآسيوية- العراق –فارس- الهند – الصين –اليابان-، دار الندى، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.
180. كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط 2، 1988م.
181. كايد قرعوش وآخرون: الأخلاق في الإسلام، دار المناهج، عمان، الأردن، ط2، 2001م.
182. كلكشوف: الحياة الروحية في بابل الإنسان – المصير – الزمن، ترجمة: عدنان عاكف حمودي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 1995م.
183. كمال عرفات بنهان: العلاقات بين النصوص في الثابت العربي –دراسة على تفارع النصوص العربية منهج جديد لعلم الببليوجرافيا التكوينية ، دار العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1993م.

-ل-

184. لباول هورن: الأدب الفارسي القديم، ترجمة: حسين نجيب المصري، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م.

185. ليلى سوراني وآخرون: معجم المصطلحات الأخلاقية – تعريف بالمصطلحات الأخلاقية والسلوكية والعرفانية العملية–، مركز باء للدراسات، بيت الكاتب، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

-م-

186. م. أ . أبو ريدة: رسائل الكندي الفلسفية، القاهرة، 1950م.

187. مارغريت روتّن: تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

188. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة : عمر كامل المسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 1986م.

189. مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، ط1، 1962م.

190. مانع بن محمد بن علي المانع: القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط، 2005م.

191. مجموعة من الباحثين: حضارة العراق، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ط، 1985م.

192. مجموعة من اللاهوتيين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الترجمة: شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، د ط، 1997م.

193. مجيد خدوري: مفهوم العدل في الإسلام، دار الحصاد، دار الكلمة، سوريا، دمشق، د ط، د ت.

194. محرز الحسيني: الصراع الفكري بين المادية والروحية، دار لوران، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

195. محسن عبد الحميد: الإسلام والتنمية الاجتماعية، دار المنارة، جدّة، السعودية، ط1، 1989م.

196. محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1995م.

197. محمد أبو زهرة: نظرية الحرب في الإسلام، سلسلة دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الدينية، مصر، العدد 160، القاهرة، مصر، ط2، 2008م.

198. محمد أحمد النابلسي: النفس المغلولة –سيكولوجية السياسة الإسرائيلية–، د د ن، ط1، د ت.
199. محمد إسماعيل النّدوي: الهند القديمة ديانتها وحضارتها، دار الشعب، القاهرة، مصر، د. ط، 1970م.
200. محمد البهى: التفرقة العنصرية والإسلام، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1979م.
201. محمد الحسيني الشيرازي: الإخلاص سر التقدم، مكتبة الأمين، قم، إيران، ط2، 2003م.
202. محمد السند و آخرون: بحوث في قراءة النّص الديني، مكتبة فدك، قم، إيران، ط1، 2009م.
203. محمد الصادق عفيفي: الفكر الإسلامي مبادئه، مناهجه، قيمه، أخلاقياته، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ط، 1977م.
204. محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام الدار العربية للكتاب، تونس، 1979م.
205. محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 2000م.
206. محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأشعري، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية
207. محمد بهائي سليم: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، د ط، 1987م.
208. محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة – الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط4، 1989م.
209. محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل –الحضارة الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية–، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1999م.
210. محمد بيومي مهران: نبو إسرائيل – التاريخ–، دار المعرف الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط،.
211. محمد جلاء إدريس: فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، العدد 18، 2001م.
212. محمد خضر: الإسلام وحقوق الإنسان،(دون معلومات النشر).

213. محمد خير حسن و حسن ملّا عثمان: ابن سينا والنفس الإنسانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

214. محمد سليم محمد غزوي: جريمة إبادة الجنس البشري، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، مصر، ط2، 1986م.

215. محمد شلتوت: إلى القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط، 1983م

216. محمد صبيح: بحث جديد عن القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط8، 1983.

217. محمد عبد الحميد بسيوني: آداب السلوك عند المصريين القدامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، د. ت

218. محمد عبد الله الشرقاوي : الكنز المرصود في فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، مصر.

219. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم- نظرات جديدة في القرآن-، دار القلم، الكويت، د ط، د ت.

220. محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن – دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن-، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، د ب، د ط، د ت.

221. محمد عبد الله دراز: مختصر دستور الأخلاق في القرآن – دراسة للأخلاق النظرية والعملية في القرآن الكريم مقارنة بالنظريات الأخلاقية القديمة والحديثة-، دار الدعوة.

222. محمد عبد الله دراز: من خلق القرآن، تحقيق: عبد الله ابراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية، قطر، 1979م،

223. محمد عبد المجيد بحر: اليهودية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، العدد 20، 2001م.

224. محمد عزة دروزة: القرآن المجيد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

225. محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

226. محمد علي سعد الله: تطور المثل العليا في مصر القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ط، 1989م.

227. محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2003م،.

228. محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان – ضرورات لا حقوق–، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1985م.

229. محمد عمارة: النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية، دار الفكر، دمشق، سوريا، د ط، 1998م.

230. محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

231. محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية – دراسة تاريخية وتربوية تحليلية–، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، د ط، د ت.

232. محمد محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1987م.

233. محمود البستاني: الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ط، 1994م.

234. محمود عرفه محمود: العرب قبل الإسلام – أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم–، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1995م

235. مرتضى مطهري: التكامل الاجتماعي للإنسان، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط4، 2005م.

236. مرسيا إلياد: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة: سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

237. مرسيا إلياد: المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ط 1، 1988م.

238. ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

239. مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

240. مفيد عرنوق: صرح ومهد الحضارة السورية، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.

241. مليحة مرعي العدل: واحة الخلق العظيم – الرحمة–، دار الإيمان، الاسكندرية، مصر، د ط، د ت.

242. منصور بن محمد المقرن: المجموع القيّم من كلام ابن القيم في الدعوة والتربية واعمال القلوب، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، 2005م.

243. موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ط، د ت.

-ن-

244. ناجي البطة: التجربة الصهيونية في تحقيق التنمية، دار البشير، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

245. نادي فرج درويش العطار: شرح أحكام شريعة التوراة شريعة موسى النص والتفسير، ط1، 2004م، مركز ابن العطار للتراث، مصر.

246. نتئيل بيرف فيومي: بستان العقول، ترجمة: سهير سيّد أحمد دوينى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014م.

247. نصر حامد أو زيد: النص- السلطة- الحقيقة- الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

248. نوال كريم زرزور: معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.

249. نور الدّين الزاهي: المقدّس الإسلامي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.

-هـ-

250. هـ. ج. كريل: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي – تونج، ترجمة: عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة، مصر، د. ط، 1971م.

251. هلال فارحي: كتاب أساس الدين – وهو تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها-، دار ومكتبة بيبليون، بيبلوس، لبنان، د ط، 2014.

252. هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار النهضة، القاهرة، مصر، ط3، د ت.

253. هنري .س. عبّدي: معجم الحضارات السامية، جروس يرس، طرابلس، لبنان، ط2، 1991م.

254. هوبكنز توماس: النفس المنبثقة، ترجمة: محمد على العريان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.

-و-

255. و. م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر و عبد المنعم عبد الحليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1975م.

256. ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة – الهند وجيرانها-، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، تونس.

257. وليم مارش: سنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، تفسير سفر إشعياء، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، د ط، 1973م.

258. وهبة الزحيلي: أحكام الحرب في الإسلام وخصائصها الإنسانية، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط1، 2000م.

-ي-

259. ياسين سويد: التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتاباتهم – قراءة جديدة للعهد القديم-، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2007م.

260. يتسحاق شابيرا و يوسيف إليتسور: شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)، ترجمة: خالد سعيد ومحمود مندور، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط1، 2011م.

261. يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1، 1985م.

262. يعقوب كنعاني: معجم اللغة العبرية، تل أبيب، مجلد 5، 1964م.

263. يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس – بين إشكالية التقنين والتقديس-، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط 1، 2009م.

264. اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، لبنان، د ط، 2008م.

265. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة حسّان، القاهرة، مصر، ط2، د ت.

ج. المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

- المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

266. DE LASTIC Adélaïde :" Une approche philosophique du sens des valeurs. Se transformer soi-même pour transformer le monde ?", Institut Jean Nicod, Paris, France.

267. Dictionnaire Encyclopédique De La Bible: Traduit du néerlandais, Edition Brepols, Turnhout , Paris , 1960.

268. Isaac Roubine: Essais sur la théorie de la valeur de Marx, traduit par : Milos Samardzija, édition française, 3 éme édition, 1928.

269. La grand Encyclopédie : librairie Larousse,Larousse,Parie , France, 1976.

270. La Rousse : Le Petite Larousse Illustré , Paris, 2011.

271. Nouveau Larousse Encyclopédique , Larousse , Paris , 1998, vol2 .

272. Paul Robert : Le nouveau – Petit Robert- , Le Robert , 2009 , Paris .

- المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

273. " A Jewish Spiritual perspective on psychopathology and Psychotherapy: A Clinician's View" , Journal of Religion and Health , no 4 , 2004.

274. André Gaillard : Le judaisme et l'invention du racisme culturel.

275. Arie Lova Eliaw : Biblical Humanisme For Modern Israël , translated by: Sharon Neeman , Varda Books , skokis , illinois, USA, 1st 2001.

276. Arye Edrei :Divine spirit and physical power: Rabbi Shlomo Goren and military ethic of the Israel defense forces , Theoretical Inquiries in Low.

277. Byron L . Sherwin : Jewish Ethics for the Twenty –First Centry , Syracuse University Press , USA, 1 st Edition, 2000.

278. Daniel. H. Frank and Oliver Leaman: Routeledge History of World Philosophies - History of Jewish philosophy- , Routeledge, 1993.

279. Elizabeth A . Martin : Dictionary of Low , Oxford university press, 5th Edition , 2003.

280. Encyclopédie judaica : Macmillan Reference, USA and Keter publishing House LTD, Jerusalem, 2nd edition , 2007.

281. Geertz Clifford: The Interpretation of Cultures, Basic Books, New York, 1973.

282. Howard . N. Lupovitch: Jews and Judaism in word history, Routledge, Madison Ave ،New York, USA, 2010.

283. J. E . King and Michal Mclure: " History of the concept of value", UWA Economics Discussion Papers, Business School , The University of Western, Crawley, Australia.

284. Jack Bemporad : " Ten Principles of Spiritual Judaism Commentary" , The Ollendorff , 2009.

285. John Barton : Ethics in Ancient Israel , Oxford University Press, United Kingkom, 1 st edition, 2014.

286. Louis E. Newman : Past imperatives –studies in the history and theory of Jewish ethics , state university of New York, USA, 1998.

287. Martha A. Morrison and Stephen F . Brown: World Religions Judaism , Chelsea House Publishers, New york, USA, 4 th edition , 2009.

288. Mal Leicester, Celia Modgil and Sohan Modgil: Education,Culture and Value –Spiritual and Religious Education-, Falmer Press, London,1 st edition, 2000.

289. Michael L . Satlow : Creating Judaism History ,Tradition ,Practice, Columbia University Press, New York, 1893.

290. Mike Cole : Education ,Equality and Human Right Issues of gender , race , sexuality, disability and social class, Routledge, New York, USA,1 st edition, 2006.

291. Moshe Sokol : Judaism Examined –Essays in Jewish philosophy and ethics, Touro College Press, New York, 2013.

292. Myrtle Langley : Handbook of religious and Practices , US Department of Justice Federal Bureau of Prison, USA.

293. Oxford : Learner's Pocket Dictionary, Oxford –University Press, 4th Edition.

294. Robert Audi : Dictionary of philosophy, Cambridge University Press, United Kingdom, 2nd Edition, 1999.

295. Sara E . Karesh and Mitchell M . Hurvitz: Encyclopedia of Judaism, Facts On File, New York, 2006.

296. Spero Shubert. Morality: Halakha and the Jewish Tradition, New York, Ktav,1975.

297. Steven Leonard Jacobs: Confronting Genocide Judaisme, Christianity, Islam, Lexington Books, United Kingdom , 2009.

298. Tremper Longman III and Daniel G. Reid: God Is a Warrior (Studies in Old Testament), Biblical Theology, Carlisle, Paternoster, 1995.

299. Werner Sombart : The Jews and Modern Capitalizme , translated by: M. Epstein, Batoche Books, Kitchener, Ontario, Canada, 2001.

ج. الرسائل الجامعية والمجلات :

300. أحمد حمدي أحمد علي: قيم الحرب في الإسلام –دراسة مقارنة بالقانون الدولي الإنساني، رسالة دكتوراه، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2012م.

301. آلاء محمد عصام مصباح عشا: الجانب المادي في الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2007م.

302. الشفيع الماحي أحمد: زرادشت والزرادشتية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 21، 2001م.

303. فواز صالح: مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية –دراسة قانونية مقارنة–، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج 27، العدد 1، 2011م.

304. عبد الرزاق أحمد قنديل: التأثيرات العربية والإسلامية في كتاب الهداية إلى فرائض القلوب لابن فاقودة اليهودي، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية ، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، مصر، العدد9، 2004م.

د. المواقع الالكترونية.

305. دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية.

306. راغب السرجاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، موقع: www.rasoulallah.net

307. فادي ألكساندر: المدخل إلى علم النقد النصي للعهد الجديد، www.Servant4Jesus.Co.Nr

308. موقع دائرة المعارف اليهودية: http://www.jewishencyclopedia.com/articles/9005-judah-ha-levi

309. عمار أحمد خلف: القيم اليهودية من خلال كتاب الأقوال المأثورة لإبراهيم بن عزرا، موقع الألوكة، www.alukah.net

فهرس

الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير وعرفان	
مقدمة	أ-خ
فصل تمهيدي: ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم.	08
تمهيد.	09
المبحث الأول: مفهوم القيم الروحية.	10
I. مفهوم القيم.	10
1- المفهوم اللغوي للقيمة.	10
أ. في اللغة العربية.	10
ب. في اللغة العبرية.	11
ت. في المعاجم الغربية.	11
2- المفهوم الاصطلاحي للقيمة.	12
II. مفهوم الروح	16
1- المفهوم اللغوي للروح.	16
2- المفهوم الاصطلاحي للروح.	17
III. مفهوم القيم الروحية.	18
المبحث الثاني: مفهوم النصوص المقدسة بين اليهودية والإسلام.	23
I. مفهوم النص الديني المقدس.	23
1- مفهوم النص.	23
أ. في اللغة.	23
ب. في الاصطلاح.	24
2- مفهوم المقدس.	25
أ. في اللغة	25
ب. في الاصطلاح.	25

3- النص الديني والمقدس.	27
II. مفهوم "النص المقدس" في اليهودية.	28
1- التعريف بالتوراة.	29
III. مفهوم النص المقدس في الإسلام.	31
المبحث الثالث: القيم الروحية في الديانات والحضارات القديمة.	32
I. القيم الروحية في حضارات بلاد ما بين النهرين.	32
1- الحضارة السومرية.	34
2- الحضارة الأكادية.	37
3- الحضارة البابلية.	39
II. القيم الروحية في الحضارة المصرية القديمة.	41
III. القيم الروحية في حضارتي العرب قبل الإسلام وبلاد فارس.	46
1- القيم الروحية عند العرب قبل الإسلام.	46
2- القيم الروحية في الحضارة الفارسية.	49
IV. القيم الروحية في حضارتي الهند والصين.	51
1- القيم الروحية في حضارة بلاد الهند.	51
2- القيم الروحية في حضارة الصين القديمة.	55
الفصل الثاني: القيم الروحية الشخصية بين التوراة والقرآن الكريم	60
تمهيد	61
المبحث الأول: قيمة التقوى بين التوراة والقرآن الكريم	62
I. مفهوم قيمة التقوى.	62
1- المفهوم اللغوي للتقوى.	62
أ. في اللغة العربية	62
ب. في اللغة العبرية.	63
ت. في اللغة اللاتينية.	64
2- المفهوم الاصطلاحي للتقوى.	64
أ. في اليهودية.	64

ب. في الإسلام.	66
II. قيمة التقوى في التوراة.	69
1- التقوى في العقائد اليهودية.	70
2- قيمة التقوى في التشريعات اليهودية.	77
III. قيمة التقوى في القرآن الكريم.	82
1- العلاقة بين قيمة التقوى وباقي القيم الروحية.	83
أ. العلاقة بين قيمة التقوى والإيمان.	84
ب. العلاقة بين قيمة التقوى والبّر.	88
ت. العلاقة بين قيمة التقوى والصبر.	90
ث. العلاقة بين قيمة التقوى و العدل.	91
ج. العلاقة بين قيمة التقوى و الصدق.	91
2- آثار قيمة التقوى في القرآن الكريم.	92
المبحث الثاني: قيمة الإخلاص بين التوراة والقرآن الكريم.	94
I. مفهوم قيمة الإخلاص.	94
1- المفهوم اللغوي للإخلاص.	94
2- المفهوم الاصطلاحي للإخلاص.	95
II. قيمة الإخلاص في التوراة.	97
1- قيمة الإخلاص في العمل لله.	97
2- قيمة الإخلاص في عبادة الله.	99
III. قيمة الإخلاص في القرآن الكريم.	101
1- قيمة الإخلاص في الإيمان بالله.	101
2- قيمة الإخلاص في العمل.	104
المبحث الثالث: قيمة تزكية النفس بين التوراة والقرآن الكريم.	107
I. مفهوم تزكية النفس.	107
1- مفهوم التزكية والنفس في معاجم اللغة:	107
2- مفهوم "التزكية" و "النفس" في الاصطلاح.	109

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I. قيمة تزكية النفس في التوراة.	113
II. تزكية النفس في القرآن الكريم.	115
المبحث الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في القيم الروحية الشخصية بين التوراة والقرآن الكريم.	122
1- أوجه الاتفاق.	122
2- أوجه الاختلاف.	123
الفصل الثالث: القيم الروحية التعاملية داخليا بين التوراة والقرآن الكريم.	126
تمهيد:	127
المبحث الأول: قيمة الصدق بين التوراة والقرآن الكريم.	128
I. مفهوم قيمة الصدق.	128
1- المفهوم اللغوي للصدق.	128
2- المفهوم الاصطلاحي للصدق.	129
II. قيمة الصدق في التوراة.	130
1- نصوص تشريعية الدالّة على قيمة الصدق في التوراة.	130
2- نصوص تاريخية دالة على قيمة الصدق في التوراة.	133
III. قيمة الصدق في القرآن الكريم.	137
1- الصدق قيمة إيمانية وعقدية.	138
2- الصدق قيمة سلوكية.	142
3- مقام الصدق في القرآن الكريم.	144
المبحث الثاني: قيمة الرحمة والإحسان بين التوراة والقرآن الكريم.	146
I. تعريف الرحمة والإحسان.	146
1- المفهوم اللغوي للرحمة والإحسان.	146
2- المفهوم الاصطلاحي للرحمة والإحسان	146
II. قيمة الرحمة في نصوص التوراة.	149
1- النصوص التوراتية الدالة على التعامل بقيمة الرحمة بين اليهود.	150
2- الإحسان تجاه اليهودي في التوراة.	161

III. قيمة الرحمة والإحسان في القرآن الكريم.	168
1- الرحمة من صفات الله تعالى.	168
2- الرحمة من صفات الأنبياء والرسالات السماوية.	171
3- الرحمة والإحسان خلق واجب بين الناس في القرآن الكريم.	175
المبحث الثالث: قيمة العفّة بين التوراة والقرآن الكريم.	182
I. تعريف العفة.	182
1- مفهوم العفة في اللغة.	182
2- مفهوم العفّة الاصطلاحي.	183
II. قيمة العفة في التوراة.	183
III. قيمة العفّة في القرآن الكريم.	192
المبحث الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في القيم الروحية التعاملية مع الآخر من نفس الديانة بين التوراة والقرآن الكريم.	198
I. أوجه الاتفاق.	198
II. أوجه الاختلاف.	199
الفصل الرابع: القيم الروحية للتعامل مع الآخر مختلف الديانة بين التوراة والقرآن الكريم.	202
تمهيد:	203
المبحث الأول: قيمة العدل بين التوراة والقرآن الكريم.	**204**
I. مفهوم قيمة العدل.	205
1- المفهوم اللغوي للعدل.	205
2- المفهوم الاصطلاحي للعدل.	206
II. قيمة العدل في التوراة.	209
III. قيمة العدل في القرآن الكريم.	214
المبحث الثاني: القيم التوراتية والقرآنية مع الآخر في حالة السلم.	224
I. القيم الروحية التوراتية في التعامل مع غير اليهودي في حالة السلم.	224
1- تشريعات التوراة الخاصة بغير اليهودي.	225

2- قيم العنصرية والاعتزال اليهودي.	235
II. القيم الروحية القرآنية مع الآخر في حالة السلم.	239
1- قيمة الكرامة الإنسانية:	239
2- قيم السلم والأمان:	240
3- قيمة التسامح:	241
4- قيمة الحرية:	241
5- قيم الوفاء بالعهود والعقود:	242
6- أحوال غير المسلمين في بلاد الإسلام:	243
المبحث الثالث: القيم التوراتية والقرآنية مع الآخر في حالة الحرب.	245
I. القيم الروحية التوراتية مع الآخر في حالة الحرب.	245
1- العدوانية في التراث اليهودي.	245
2- عدوانية الشخصية اليهودية.	250
3- نقد القيم العنصرية اليهودية.	251
II. قيم قرآنية مع الآخر في حالة الحرب.	254
1- دوافع الحرب في الإسلام.	254
2- الجوانب الإنسانية للمميزة للحرب لدى المسلمين.	256
الفصل الخامس: خصائص وفاعلية القيم الروحية بين التوراة والقرآن الكريم.	260
تمهيد:	261
المبحث الأول: خصائص القيم الروحية التوراتية والقرآنية	262
I. خصائص القيم التوراتية.	262
1- الربانية والوضعية.	262
2- التناقض.	263
3- الخصوصية (شعب الله المختار).	263
4- المادية.	265
II. خصائص القيم الروحية القرآنية.	265
1- الربانية والقدسية	265

2- الشمولية والعموم.	266
3- الملاءمة للفطرة.	267
4- الإيجابية.	267
1. الثبات والمرونة والتوازن.	268
2. الجمع بين الواقعية والمثالية.	268
المبحث الثاني: قيم التوراة والقرآن الكريم مقارنة بالقانون الدولي.	270
I. الكرامة الإنسانية بين التوراة والقرآن الكريم والقانون الدولي.	271
II. الإبادة العرقية بين التوراة والقرآن الكريم والقانون الدولي.	276
III. التمييز العنصري بين التوراة والقرآن الكريم والقانون الدولي.	278
المبحث ثالث: فاعلية الخطاب القيمي المقدس بين اليهودية والإسلام.	281
I. فاعلية القيم الروحية وأثرها في اليهودية.	281
1- فاعلية القيم التوراتية بين اليهود.	281
2- القيم الصهيونية المعاصرة وأثرها على المجتمع اليهودي.	286
II. فاعلية القيم الروحية وأثرها في الإسلام.	288
1- مكانة القيم الروحية في صنع الحضارة الإسلامية:	289
2- معالجة أزمة القيم الروحية:	292
خاتمة	296
الملخص:	303
Abstract	304
Résumé	305
الفهارس	306
فهرس الآيات القرآنية	307
فهرس الأحاديث النبوية	321
فهرس فقرات العهد القديم	324
فهرس المصادر والمراجع	339
فهرس الموضوعات	366

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Democratic Popular Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences Constantine
Faculty of Usūl al - Dīn
Department Of Aqîda and Comparative Religions

The spiritual values in the sacred texts

Between Torah and holy Quran

Thesis presented to get Doctorate LMD Diploma
Specialty: Comparative Religions

Elaborated by the student:
Khedidja Djouada

Supervised by the Professor:
Fateh Halimi

The discussion jury members:

Name and First Name	Function	Original University
Professor: fateh halimi	Supervisor and Reporter	Amir Abdelkader University-Constantine

University year: 2019/2020 -1440/ 1441h